المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومى

الكتاب الثالث

ترجمه وشرحه وقدم له
دكتور / إبراهيم الدسوقى شتا

مقـــدمة

فلسفة البقاء فى الفناء عند جلال الدين

« البـقـاء من البـداية فى الفناء »
البـيت ٤٦٦٢ من هذا الكتـاب
« خلقـتم للبـقـاء لا للفناء ومن
هنا سُـمى البـعث قـيـامـة »
من شرح ملا محمد هادى السبزاورى
على المثنوى ص ٢٤٣

١ - يستـهل مـولانا جـلال الدين الرومى الكتاب الثالث من المثنوى - وهو الذى بين أيدينا - بطـرح يتناول بين ثناياه معضلة من أهم معضلات التصوف الإسلامي وجدلية من أهم جدلياته إذ بينما يؤمن الصوفية جميعا بأن الوجود الحقيقى الذى لا يقبل الفناء ولا يتصور الفناء بالنسبة له ، ويعد كل الوجود بالنسبة له بمثابة الظل هو وجود الله تعالى ، يرى أكثرهم ومن بينهم جلال الدين الرومي نفسه أن الإنسان بدوره لايقبل الفناء ولا يتصور بالنسبة له ، وربما كانت هذه الجدلية هى لب التجربة الصوفية والفلسفة الصوفية التى تسمى في المأثور الفارسي بالعرفان ، ومن هنا فإن الحل الظاهر لهذه القضية يكمن في إيجاد توافق أو مصالحة بين نظرية عدم قابلية الإنسان للفناء وبين التصور الذى يقدمه كل أصحاب نظرية الوجود الحقيقى والمطلق لله تعالى ، وقد بذل مولانا جلال الدين قدرا كبيرا من الجهد في تقديم هذه المصالحة .

وخلاصة ما يراه أنه بالرغم من أن الوجود الحقيقى مقصور علي الله سبحانه وتعالى فحسب ، فإنه كرم الإنسان بأن وهبة شطرا من هذا الوجود الحقيقـي « فيذوب الوجـود الظلي في الوجود الحقيقى كما يذوب النحاس عند تعرضه لصنعة الكيميـاء » والمقصود بوجود الإنسان هنا وجوده

الروحي و « عمارة الروح من خراب الجسد » ، وقد تبدل أبدال الحق أو الأولياء العظام إلي أرواح خالصة .

ومن هنا يستهل مولانا هذا السفر من أسفار المثنوي بفكرة أن كل ما فى الكون « أكل ومأكول » ، وواهب الحلوق التي تيسر هذا الأكل هو الله سبحانه وتعالي ، وكل يأكل ما يسر له ، ثم يصير بدوره مأكولا لمن هو فوقه في مراتب الخليقة ، والإنسان فحسب هو الذي يستطيع أن ينجو من هذا المصير – أي أن يكون مأكولا لغيره – عندما يتحول إلي « إجلالي » أي منسوبا لذي الجلال يتحول إلي روح خالصة ، فيتبدل طعامه من طعام مادى إلي طعام معنوي ، ويوهب كل عضو فيه خلقا جديدا بحيث تري العين ما لاتراه العين العادية ، وتشم الأنف ما لا تشمه الأنف العادية ، وتسمع الأذن ما لا تسمعه الأذن العادية .

وتقوم دورة الخليقة – في رأي مولانا – علي هذه الفكرة ، فالحياة دائما في رقى ، وإنما يفني المأكول في الآكل ، لأنه أدنى منه مرتبة ، فالوجود في صعود ، أو بتعبير لملا محمد هادى السبزوارى فيلسوف إيران المعاصر « في الصعود تكون الجمادات غذاء للنباتات ، والنباتات غذاء للحيوانات ومن ثم فكل عالم أدني يفنى فيما هو أعلي كفناء الغذاء في المتغذي ، وهذا ما تراه في الإنسان حتي يظل من الخالدين [1] فالفناء هنا نوع من الرقى والصعود ، عبر عنه مولانا جلال الدين بطريقته البسيطة المعجزة عن طريق حكاية السيدة التي كانت تغلي حبوب الحمص وتقلبها في القدر ، ويكسب مولانا جلال الدين حبة الحمص « حياة مفترضة » بعد أن شرحت لها السيدة « سر الغليان والنضج » فتخاطبها قائلة « ما دام الأمر هكذا ياسيدتى فلأغل جيدا وساعديني بصدق – إنك في هذا الإنضاج بمثابة المعمار لي ، فقلبيني بالمغرفة

(١) ملا محمد هادي سبزواري : شرح المثنوى ص ١٩٨ – « طهران » بدون تاريخ .

فما أجمله من تقليب [1] وترد عليها السيدة « لقد كنت مثلك قبلا من أجزاء الأرض – وعندما احتسيت شراب الجهاد الناري ، صرت قابلة للسمو جديرة به – فغليت فترة في الأرض ، وغليت فترة داخل قدر الجسد – ومن هذين الغليانين اكتسبت قوة الأحاسيس ، ثم صرت روحا ومن بعدها صرت سيدة لك – وكنت أقول في مرحلة الجمادية : إنك ستعبرينها مسرعة ، لكي تتحولى إلي علم وصفات معنوية – وعندما أصير روحا يكون لي غليان آخر ، أعبر به مرحلة الحيوانية [2] .

ليست حبة الحمص – وهى من النبات – الشيء الوحيد خارج الإنسان الذى يرى فيه مولانا معراج الصعود والترقى فحسب ، فالجمادات نفسها ذات حركة وتطور ، ألم تكن عصا موسى من قبيل الجماد ومع هذا وهبت حلقا لكي تلقف العصي الأخري فلا تمتلىء بها ولا تزداد ؟ إن طعامها معنوى شأنه في ذلك شأن طعام النفس في مرتبة اليقين يفترس كل ظن ويبعد كل شك من قلب العبد ، ومن ثم فالأمور الروحانية الباطنية ذات حلوق كالأعيان ، وليس رزقها ماديا ، وهذا هو ديدن الخليقة من أدني العالم إلي أعلاه ، فكل المخلوقات بل والظواهر الروحانية غير المرئية ذات حلوق تناسب خلقتها ، وحتي تلك الروح التي يصل إليها رزقها مباشرة من ذي الجلال [3] .

ويعبر صدر الدين القونيوي أحد أساتذة جلال الدين عن هذه الفكرة قائلا : « إن لكل شيء غذاء خالصا فغذاء الأسماء أحكامها بشرط المظاهر التى هى محل الحكم وغذاء الأعيان الوجود وغذاء الوجود أحكام الاعيان وغذاء الجوهر الأعراض وغذاء الارواح وعلومها وصفاتها وغذاء الصور العلوية حركاتها وما به دوام حركاتها ، وغذاء العناصر الصورة والمزاج » [4] .

(١) أبيات ٤٢٠٠ – ٤٢٠١ من هذا الكتاب .
(٢) أبيات ٤٢٠٦ – ٤٢١٢ من هذا الكتاب .
(٣) عن شرح الأبيات ٣٦ – ٤٢ من هذا الكتاب .
(٤) عن شرح يوسف بن أحمد ٣/١٤ والأنقروى ٣/٢٥ .

ويــمضى مولانا في تقديم هذه الصورة الحية عن عالم الخليقة ، فالجمادات نفسها فى حركة دائبة ومستمرة « وهناك عالم متجمد واسمه الجماد ، والجماد يكون متجمدا أيها الأستاذ – فانتظر حتي تسطع شمس الحشر عيانا ، لكن ترى حركة جسم العالم – ولما كانت عصا موسى قد انقلبت إلي حية هنا ، فقد أخبرت العقل عن الأمور الساكنة – ومادام قد سوى من قطعة التراب بشرا – ينبغى عليك أن تعرف التراب بأجمعه – فهم موتى فى هذه الناحية « الدنيا » أحياء فى تلك الناحية « عالم المعنى » ، وهم صامتون هنا متحدثون هناك – وعندما يرسلهم إلينا من تلك الناحية ، تصير تلك العصا عندنا حية – وتغني الجبال بألحان داودية ، ويصير الحديد شمعا في الكف – وتصير الرياح حاملة لسليمان ، ويتحدث البحر مع موسي – ويكون القمر مرسلا الإشارات إلي أحمد ، وتصبح النار بالنسبة لإبراهيم كزهور النسرين – ويبتلع التراب قارون كأنه حية ، ويثوب الجذع الحنان إلي رشده – ويسلم الحجر علي أحمد ، وينقل الجبل الرسالة إلي يحيي – وكلها كأنها تقول : نحن سميعون بصيرون طيبون ، لكننا معكم يا من لم يسمح لكم بالسر صامتون – ومادمتهم تسيرون نحو جماد ، فكيف يصير مسموحا لكم بروح الجماد ؟ – فامضوا من الجماد إلي عالم الأرواح ، لكي تسمعوا ـضجيج أجزاء العالم – ويأتيك تسبيح الجماد ـعيانا ، ولا تتخطفك وساوس التأويل » (٣) .

وكيف يكون الجماد جمادا وقد نزل من أعلي إلي أسفل ؟ «خلق من أعلى » وديدن كل من انبت عن أصله أن يحن إلي هذا الأصل ولابد أن تكون رجعته إليه « وأصل كل النعم هبط من الفلك إلي الأرض ، جاء من أعلى إلي أسفل غذاء للروح – وعندما هبطت من الفلك إلي الأرض تواضعا ، صارت جزءا من الإنسان الحي الشجاع – ثم اكتسب هذا الجماد صفات الإنسان ، فسما سعيدا إلي أعلي العرش

(٣) الأبيات ١٠٠٨ – ١٠٢٢ من هذا الكتاب .

قائلا : لقد جئت من العالم الحي منذ البداية ، وها نذا قد عدت من أسفل إلي أعلى وجملة الأجزاء متحركة كانت أو ساكنة ، ناطقة ﴿إنا إليه راجعون﴾ (١) .

وينتقل مولانا دائما – كدأبه في كل أجزاء المثنوي – من العالم الكبير « الكون » إلى العالم الصغير « الإنسان » مع فارق جوهرى ، وهو أن مولانا يعتبر الكون تصغيرا للإنسان الذى هو في رأيه « العالم الأكبر » مما سيتضح في كتاب تال ، علي كل حال يدق مولانا سواء تناول الإنسان أو الكون علي أن البقاء والصعود والسمو كامن -في الفناء المرحلى ، والتشابه -موجود علي الدوام بين مراتب الحياة الجسمانية ، ومراحل الكمال الروحانى ، فالإنسان في رقي وسمو دائم ، من جنين يتغذي علي الدم إلي رضيع يتغذي علي اللبن ، ثم آكل للطعام ثم نابذ للطعام سام بروحه إلي آفاق عليا ، الفكرة نفسها التي وردت عند سنائي في الحديقة من منطلق أن الله حافظ للإنسان في كل مراحل حياته ، ولا يمكن أن يضيعه بعد موته (٢) .

وفي هذا السير التطوري يصبح الموت مجرد بوابة إلي حياة جديدة وأفضل ، ويفيض مولانا كغيره من الصوفية في شرح هذه الفكرة ، أن فى الموت خراب الجسد لكن فيه أيضا عمارة الروح يقول : « كنت مثل آدم من البداية في حبس وكرب ، وامتلأ الآن الشرق والغرب بنسل روحي – كنت شحاذا في هذا المنزل – الشبيه بالجب ، وصرت ملكا ، والملك في حاجة إلي قصر – ذلك أن الملوك يأنسون إلى القصور ، أما الموتي فيكفيهم القبر منزلا ومكانا – لقد ضاقت هذه الدنيا علي الأنبياء ، فمضوا كالملوك إلي اللامكان – وإن لم تكن ضيقة فلماذا هذا الصراخ ؟ ، وكيف انحنى كل من عاش فيها طويلا ؟ – وكيف تحررت الروح عند النوم من ذلك المكان ؟ ، وكيف صارت من نومها هذا « بادية » السعادة ؟ لقد تخلص الظالم ثانية من ظلم الطبع ، وانفلت السجين « خارجا » من تفكيره في السجن » (٣) .

(١) الأبيات ٤٦٠ – ٤٦٤ من هذا الكتاب .
(٢) انظر شروح الأبيات ٥٠ – ٦٨ من هذا الكتاب .
(٣) الأبيات ٣٥٣٨ – ٣٥٤٤ من هذا الكتاب وشروحها .

وإذا كان كل عنصر يعود إلي أصله ومنبته ، فإلي أين تمضي الروح إذن إن لم تمض إلي أصلها ومنبتها ؟ والمثنوي بأجزائه الستة عبارة عن تتبع لرحلة الروح في العودة إلي منبتها . وافتتاحية الكتاب الأول عبارة عن أنين الناي شوقا إلي الغاب أو أنين الروح شوقا إلي الجنة ، يقول مولانا في هذا المعنى : « يقول التراب لتراب الجسد : عد ، اترك الروح وأقبل نحونا كالغبار – إنك من جنسنا وأولي بك أن تكون عندنا ، – وأفضل لك أن تنجو من الجسد ومن تلك الرطوبة التي فيه – فيقول : لبيك ، لكني مقيد القدم ، بالرغم من أنني في ألم من الهجران مثلك – ويطلب الماء رطوبة الجسد قائلا لها : أيتها الرطوبة عودي إلينا من الغربة – ويستدعي الأثير حرارة الجسد قائلا لها : أنت من نار فعودي إلي أصلك – وهناك اثنتان وسبعون علة من العلل في الجسد ، فاقدة للزمام في جذب العناصر – ثم تأتي العلة «الكبري» حتي تفتت البدن ، وحتي تترك العناصر بعضها البعض الآخر – وهذه العناصر طيور أربعة مقيدة القدم ، والموت والمرض والعلة هي التي تفك قيد القدم – وعندما تفك قيودها ، يشرع طائر كل عنصر في الطيران علي وجه اليقين – وجذب هذه الأصول لفروعها ، تضع في كل لحظة ألما علي أجسادنا – حتي تمزق كل هذه التراكيب ، ويعود طائر كل عنصر محلقا إلي أصله – ولما كان كل جزء يبحث عن اللحاق برفيقه ، فكيف تكون الروح الغريبة في الفراق ؟ إنها تقول : يا أجزائي الأرضية الدنية ، إن غربتي أكثر مرارة فأنا من العرش (١) .

لانقص إذن من الموت والفناء ، فالفناء سبيل إلي البقاء ، هو تمام الدائرة ، فقبل قوس الصعود كان قوس النزول ؛ لكي تتم دائرة الكون التي يعبر عنها الرقص المولوي ، ويلخص مولانا هذه الفكرة في أبيات هى أشهر أبيات هذا الكتاب الثالث من المثنوى « لقد مت من الجمادية وصرت ناميا ، ومت من النماء

(١) الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٢٤٠ من هذا الكتاب .

وانقلبت حيوانا – ومت من الحيوانية وصرت إنسانا ، إذن فمن أي شيء أخاف ؟ ومتي نقصت من الموت ؟ – وأموت مرة أخري من البشرية ، حتى أخذ من الملائكة أجنحتها وقوادمها – ومن الملائكية ينبغي أن أقلع عن الطلب ، ذلك أن كل شيءهالك إلا وجهه – ثم أصير بعدها فداء من الملائكية ، وأصير إلي مالا يحده وهم – إذ أصير عدما والعدم كالأرغنون ، يتغنى لي قائلا : إنا إليه راجعون – فاعلم أن الموت هو ما اتفقت عليه الأمة ، من أن ماء الحيوان مخبوء في الظلمة (1) .

وإياك أن تقيس هذه الأمور بمقياس العقل ، فكما جئت تعود ، فهل تعلم كيف جئت ؟ هذه المراحل تطلب في البداية انتفاء المكان والزمان والكثرة والأعداد وكل ما يتعلق بمنطق الجسد ، فإنك إن فعلت لا يمكن تصور هذه الأفكار إلا كجزء من أخيلة الشعراء وتهاويم الصوفية عند السكر وغلبة الوجد .

ولكن مولانا يقدم قياسات عديدة تتصل بنظرية تكامل الأنواع عنده ؛ فإن المادة التي تنقلب إلي موجود حي هي مادة ميتة ، لكنها تكتسب حياة قائمة علي الوحدة مع عناصر الحياة المتعددة ، وقد تناول الهجويري هذه القضية تحت عناوين مختلفة ، وعندما يتناول بالحديث فرقة الطيفورية أتباع أبي يزيد البسطامى يقول : إن نظريتهم الخاصة هى الغلبة والسكر ، ولقضية الصحو والسكر علاقة وثيقة بقضية البقاء والفناء فقد كان أبو يزيد وأتباعه يرجحون السكر علي الصحو ، فى حين أن الهجويري نفسه كان يفضل الصحو علي السكر ، إذ كان أبو يزيد يعتقد أن الصحو يتضمن إثبات الأعراض البشرية التي تقف كحائل أمام الإنسان في سيره إلي الله ، في حين أن السكر يتضمن نفي الصفات البشرية ، بحيث تبقي فيه فحسب تلك الملكات التى لا تنتسب إلي البشرية وهى أعظم ملكاته علي الإطلاق .

(1) الأبيات ٣٩٠٤ – ٣٩٠٩ من هذا الكتاب .

ولا أظن أن صوفيا ما يري بإثبات الصفات للإنسان ، بل أن الهجويرى برغم مخالفته الظاهرة للبسطامى يخلص إلي نتيجة أقرب إلى فكر البسطامي ، ويرى أن كل مشايخ الصوفية يتفقون علي أنه عندما يفر الإنسان من أسر المقامات ، ويتخلص من ظلام الأحوال ، ويتحرر من عالم الكون والفساد ، يكون حضوره مع الله بلا نهاية ، ولا يبقى وجوده متعلقا بعلة ، بل يصير ربانيا يفني عن دنياه وآخرته (١) .

هذا ما يسميه مولانا جلال الدين الميلاد الثانى ، وهو ليس إلا موت الذات والبقاء في الله وهو ما يعبر عنه بقوله : « وعندما يولد المرء للمرة الثانية ، فإنه يضع قدمه فوق مفرق العلل – فلا تكون العلة الأولي دينا له ، ولا تحقد عليه العلة الجزئية أو تعاديه » (٢) .

وكل القياسات التي يقدمها مولانا لبيان هذه الفكرة عن فقدان الذات البشرية الذي يعبر عنه الصوفية عموما بلفظ الفناء ليس إلا تحول النفس الدنية إلى نفس عالية أو ما عبر عنه الهجويري بـ « إسقاط الصفات المذمومة وابدالها إلي صفات محمودة » (٣) ، ولا يمل مولانا من تصوير الجهاز الدقيق للحياة الكلية الإلهية ، وعلي كل امريء أن يسعي لكلى يصبح جزءا من هذا الجهاز الدقيق الحي ، وإلا صار في حكم الجزءالمنقطع عن الجسد الإنسانى الحى والذى يتحول إلي ميتة : فإذا انقطع الجزء عن الكل صار بلا نفع ، وإذا انقطع العضو عن الجسد صار ميتة – وما لم يتصل بالكل مرة ثانية ، يكون ميتا لاخبر عنده عن الروح – وإذا تحرك فليس هذا في حد ذاته دليلا علي حياته ،

---

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى – الترجمة الفارسية لأحمد محمدى وأحمد مير علائى ص ١٥٣ والنص من الترجمة العربية لكشف المحجوب للهجويرى لكاتب هذه السطور وآخرين ص ١٩٢ القاهرة ١٩٧٤ .

(٢) البيتان ٣٥٧٨ – ٣٥٧٩ من هذا الكتاب .

(٣) كشف المحجوب الترجمة العربية ص ٢٩١ .

فإن العضو الذي بتر حديثا يختلج أيضا – وإذا قطع الجزء من هذا الكل يضيع تماما ، إذ لا يصبح بعدها كلا ذلك الذى انقطع – إن قطعة ووصله لا يتأتيان في مقال ، لقد قيل شيء ناقص على سبيل المثال (١) .

هذا الموضوع إذن – وهذه نقطة يدق عليها مولانا ويكرر القول فيها – لا يتأتي في مقال ، ولا يمكن التعبير عنه صراحه بل لابد من الأمثلة والقياسات ، فالإنسان لاينمحي ولايفنى تماما، وحتي إذا انمحى في الذات الإلهية فإنه يشبه انمحاء نور الشمع في ضوء النهار « قال قائل : ليس في الدنيا درويش ، وإن كان ثم درويش فليس بدرويش فهو « باق » من ناحية ببقاء ذاته ، لكنه أفني صفاته في صفات الحق – مثل شعلة الشمعة أمام الشمس ، تكون فانية لكنها موجودة في الحساب – تكون ذاتها موجودة بحيث إنك عندما تضع قطعة من القطن عليها تحترق من لهيبها ، وتكون فانية فهي لا تمنحك ضياء ، إذ تكون الشمس قد أفنتها في نورها » (٢) . ، أو كالظل والشمس « وهكذا يكون الباحث عن العتبة الإلهية ، عندما يتجلى الإله يصير هو فانيا – وبالرغم من أن ذلك الاتصال بقاء خالص ، لكن ذلك البقاء متوقف في البداية علي الفناء – والظلال التى تكون باحثة عن النور ، تنعدم عندما يظهر لها ذلك النور – فمتى يبقي العقل عندما يطل هو ، ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ – إنما يهلك أمام وجهه الوجود والعدم ، والوجود في العدم أمر طريف في حد ذاته – وفي هذا المحضر تاهت العقول ، وعندما وصل القلم إلي هنا انكسر » (٣) .

فناء الإنسان أمر يحتوي علي درجة من الوعي في الفاني في الله ، ويكاد مولانا هنا ينقل تعبيرا عن الهجويري « فمن فني عن مراده بقي في مراد الله ،

(١) الأبيات ١٩٣٨ – ١٩٤٢ من هذا الكتاب .
(٢) الأبيات ٣٦٧١ – ٣٦٧٥ من هذا الكتاب .
(٣) الأبيات ٤٦٦١ – ٤٦٦٦ من هذا الكتاب .

لأن مـرادك فـان ومـراد الله باق ، فـإذا بمرادك كنت مـتـصـلا بالفـناء ، ولكن إذا خـضـعت لمراد الله تعـالي صـرت مـتـصـلا بالبـقـاء ، وكان ذلك أشـبـه بالقـوة التي تشـعل كل مـا يقع فـيها من أشياء ، وحـيث إن قـوة مراد الله تعالي هـي أكـبـر وأشـد من النار ، فـالنار تؤثـر في الحـديد ولاتغـيـر مادتـه ؛ لأن الحديـد لايمكنه أن يكون نارا » (١) وهـذا هـو عين مـا عبر عـنه مولانا فالحـديد المذاب يكتـسـب خاصـية النار دون أن يفـقـد تمامـا خاصـية كـونه حـديدا ، « فلـون الحديد ينمـحـي في لـون النار ، وكأن الحـديد في صـمـته يباهـي بناريته – فـحين غدا في حـمرته مثل ذهـب المنجـم ، فهـو يباهـي بدون لـسـان قـائلا : أنا النار – لقد صـار مـهـيبا بلـون الـنار وطبيعتـهـا ، فـهـو يهـتف قـائلا : أنا الـنار أنا النار – إنني أنا الـنار فإن كـنت في شـك من ذلك أو ريب ، فلـتجرب ولتضـع فوقي يدك – إنني أنا النار ، فـإن كان لك في ذلك اشـتباه ، فـضـع وجهك فـوق وجـهي لحظة واحـدة – والإنسـان حين يقتـبس النور من الله ، يكون الجـدير بسـجـود الملائكة ؛ لأن الله اجـتـباه – وكـذلك يكون جـديرا بسـجـود الإنسـان ، الذي خلصـت روحـه من الشـك والطغيان مثل الملائكة – ومـا النار ؟ ومـا الحـديد ؟ ألا فلـتغلق شـفـتيك ولا تهزأ بلحية تشـبـيه المشبه » (٢) إنه لـيس فناء إذن بل مـجرد تحـول وتغير وفقدان لـصـفات واكتسـاب صـفات أخري .

والأمر كـله معنوي ، فـلا معني هنا للقـرب والبعـد ، والمعراج لـيس دائمـا إلي أعلي ، والرسـول ﷺ اعتبر غياب يونس عليـه السـلام في بطن الحـوت معراجا ، ويسـوق مولانا هذه الـرواية « قال الرسـول عليه السـلام : إنه لـيس لمعراجي فضـل علي مـعـراج يونس بن مـتي – إن كـان معـراجي علي الـفلك وكـان معـراجـه تحت الأرض ، ذلك أن قــرب الحق خـارج عـن الـحـسـب – ولـيس الـقـرب هـو الـذهـاب إلي أعلي أو إلي أسـفل ، إن قـرب الحق هـو الخـلاص من حـبس الوجـود – فـأي مكان

(١) كشف المحجوب – الترجمة العربية ص ٢٩٣ .

(٢) كفافي : الكتاب الثاني ص ١٤٣ .

للعالي والسافل في عالم العدم ؟ وليس فيه عجلة أو بعد أو تأخير » (١) والعالم الذي يسميه مولانا عالم العدم هو عالم الغيب وعالم الأمر ، وهو فيما وراء العالم المحسوس ؛ أي عالم الكون ، وهو حقيقة لاتنكر ، لكن لايمكن التعبير عنه ، فإذا عبر عنه انقلب إلي عالم كثرة قابل لإدراك الحواس والمشاعر (٢) .

ومن هنا فإن تصور مولانا للوجود ينبع من تصوره للنفس المتسامية وعقائده المثالية ، فالذى يدرك أن حياته الدنيا هي محض تجربة وامتحان ، وأنها مرحلة من مراحل الخلق ومراحل وجود الإنسان الخالد الذي لايفني ، متي يخشي الموت ؟ إن هو إلا بوابة للرقي (٣) والجسد مجرد ظل للروح وليست الروح ظلا للجسد « لم يكن يدرى أنهم قد نجوا ، وجلسوا علي كوة نور القلب – واعتبروا أجسادهم التي هي ظلالهم من أنفسهم ؛ أي من أرواحهم ، فهم مسرعون نشطاء متحملون مرحون – فلو أن هاون الفلك قد دقهم ومزقهم إلي مائة قطعة في موطن الطين هذا ، ما داموا قد رأوا أصل هذا التركيب ، فقد قل خوفهم من فروع الوهم ، وهذه الدنيا حلم فلا تتوقف علي الحلم والظن ، فإن بترت يد في حلم فلا بأس » (٤) الخلاص إذن في ذلك القلب الذى يسكنه النور ، فإنه جوهر الوجود الإنسانى « لقد ظننت أن قلبك هو هذا الملوث ، فلا جرم أنك فصلت عن أصحاب القلوب – وهل تجيز أنت نفسك أن يكون ذلك الذي يكون عاشقا للبن والعسل قلبا ؟ – إن لطف اللبن والعسل انعكاس للقلب ، وإن كان ثمة لذة فهي حاصلة من القلب – ومن ثم فإن القلب جوهر والعالم عرض فكيف يكون عرض القلب غرضا للقلب ؟ » (٥) .

---

(١) الأبيات ٤٥١٥ - ٤٥١٨ من هذا الكتاب .
(٢) الأبيات ٣٠٩٢ - ٣١٠٠ من هذا الكتاب .
(٣) شروح الأبيات ٣٥٢٩ - ٣٥٣٦ من هذا الكتاب .
(٤) الأبيات ١٧٢٧ - ١٧٣١ من هذا الكتاب .
(٥) الأبيات ٢٢٦٥ - ٢٢٦٨ من هذا الكتاب .

٢ – وإذا كانت فكرة البقاء في الفناء ، هي الخيط الجامع لهذا الكتاب ، فإن موضوع العشق هو الخيط الجامع لكل كتب المثنوي الستة ، وهو العالم الرحب الذي يسرع فيه بيان مولانا جلال الدين ركضا ، وهو أيضا الذي يستطيع أن يمنح العقلانية والمنطقية لكل هذه البيانات الغريبة عن أهل الشرع وأهل الكلام وأهل الفلسفة .

وقد لاحظ بعض الباحثين أن الجانب الوحيد الذى يمنع ذهاب سعى مولانا جلال الدين في تحليلاته للأمور سدى ، هو بياناته الحافلة بالوجد بشأن العشق وهو الذى يجعل وجه الاشتراك بين الفرضية والحياة والتجربة منعدما (١) فلو كان حديثه عن العشق يحتوي فحسب علي أشواق غنائية أو جذبات عاطفية لكان الأمر ميسورا ، لكننا نلتقي من خلاله بقضايا عاطفية تهز في داخلنا أوتارا من الأعماق ، وتثير في نفوسنا أحوالا لايمكن التعبير عنها بالكلمات ، وبينما يمنح هذا الجانب جلال الدين صفة العالمية والقرب من قارئه أيا كانت اللغة التي يقرأ بها أعماله ، إلا أنه إحدي النقاط التي تثير الجدل في المثنوي فبينما يحدثنا مولانا حديثا مفهوما يضمنه تجربته الأخلاقية والحياتية الواسعة الغنية ، ينتقل إلي الحديث عن العشق فيزج بنا داخل بحر متلاطم الأمواج يفصم عري التجاوب المشترك ، فمن بين مستويات جلال الدين في الحديث والتي ألمحت إليها في شروحى علي هذا الكتاب يبقي مستوى العشق خاصا بالكمل الواصلين الذين أدركوا النذر اليسير من هذا العالم الشديد الغني ، فمولانا يعبر عن تجربته هذه بشكل باطني حافل بالوجد ينعكس علي اللغة ، ، بحيث إن مولانا نفسه الذي يعترف بأن العشق هو الدافع والمحرك لكل إنتاجه الأدبي ويقول : « أمر العشق كلامي فظهر ، ما جدوي المرآه إن لم تعكس الصور ؟ (٢) لايجد ما يعينه علي

(١) عرفان مولوى ص ٥٩ .
(٢) الكتاب الأول من المثنوى بيت ٣٤ .

بيان حقيقة العشق إلا الموسيقي « أنين الناي والرباب » ، فالأسرار كلها مخفية في وتري الجهير والخفيض [1] ، وبرغم أن العشق هو القاسم المشترك الأعظم للمثنوي ، وهو الموضوع الغالب تماما علي ديوانه الكبير الذي سماه باسم شيخه شمس الدين التبريزي ويحتوي علي مائة ألف بيت أو يزيد ، يظل مولانا ينبه علي أنه لم يقدم عن العشق الحديث الجدير به « كل ما أتحدث به عن العشق من شرح وبيان ، أخجل منه عندما أصل إلي العشق نفسه – وحتي وإن كان بيان اللسان واضحا ، فإن العشق أكثر وضوحا بلا بيان . [2] ولكي نلقي بعض الضوء هنا عن بيان مولانا عن العشق نشير إلي ما يلي :

(أ) العشق موجه إلي الجمال ، والجمال الإلهي هو أصل الجمال ، وكل جمال في هذا الكون المرئي ما هو إلا شعاع أو انعكاس للجمال الإلهي ، كأنه انعكاس الشمس علي الجدار وعندما تولي الشمس وجهها عن الجدار انظر أي جمال يبقي فيه : « كان ذلك شعاعا علي جدارهم ، وعندما سطعت الشمس محت تلك العلامة – وكلما يقع الشعاع علي شيء تقوم أنت بعشقه أيها الشجاع ، ويمض النور من الجدار نحو الشمس ، فامض أنت أيضاً نحو الشمس الجديرة بالمعني [3] .

ومن هنا لا ينبغي أن ينصب العشق علي كل شيء ذي نور مؤقت ومستعار ، بل ينبغي أن ينتقل من المظهر إلي الجوهر والأصل ؛ أي إلي جوهر الجمال وأصله ، أو بتعبير مولانا معدن الجمال ومنجمه ، كما عبر في كليات ديوان شمس الدين التبريزي [4] .

---

(١) الكتاب الأول بيت ١٢ .

(٢) الكتاب الأول البيتان ١١٢ – ١١٣ .

(٣) الأبيات ٥٥٢ – ٥٥٣ – ٥٥٩ من هذا الكتاب .

(٢) كليات ديوان شمس الدين التبريزى غزل ٤٤١ بيت ٦ ص ٣٠٣ طهران أمير كبير بدون تاريخ .

(ب) العشق أحد مباديء الاتحاد والفناء ، وهناك قوى جذابة في كل ذرة من ذرات الوجود ، وبها تنجذب العناصر إلى بعضها وتحدث أشكال الحياة وصورها ومن هنا تصبح الحياة كلها تجليا للعشق ، وأمور الكسب فيها قائمة علي العشق ، فهو المحرك لكل مظاهر الحياة : « إن لم يكن العشق متى كان الوجود ؟ ومتى رزقك بالخبز ومتي خلقت ؟ - ومن أي شيءصار لك الخبز ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا فمتي كان لك لتنجو بروحك ؟ إن مجرد عشق الخبز ليحيي الميت ، ويجعل الحياة باقية فيه (١) . وإذا كان العالم الأرضي يحركه العشق لميت فان فكيف لا يحركه العشق للحى الذي لايموت ؟ «وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملا في محبوب قمري الوجه وردي الوجنة - وما أكثر الحمالين الذين صاروا ممزقي الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار - وذلك الحداد سود وجهه الجميل حتي يقبل القمر عندما يجن الليل - والسيد مسمر في حانوت حتي الليل ، ذلك أن سروة ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه - وتاجر يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو قعيدة منزل - إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي - فكن مجتهدا علي أمل الحي الذي لايتحول بعد يومين إلي جماد (٢) . لقد زاول الناس عشقهم مع من مصيره إلي الزوال ، في حين أنهم إن زاولوه مع الحي الذي لايموت فإن ما يظنونه موتا سوف يكون حياة متجددة ، فالعشق بجذبه يقضي علي كل ما هو زيف في وجود البشر ويقدم لهم بدلا منه حياة جديدة ، » وللعشاق في كل لحظة موت ، وموت العشاق في حد ذاته ليس من نوع واحد - إن له مائتي روح من الهدي ، يضحي بها كلها في لحظة واحدة - وكل روح يأخذها

(١) المثنوى - الكتاب الخامس ٢٠١٢ - ٢٠١٤ .

(٢) الأبيات ٥٤٠ - ٥٤٧ من هذا الكتاب .

يردها بعشرة أرواح ، واقرأ من القرآن ﴿ عشر أمثالها ﴾ ، فإن سفك دمي ذلك الحبيب الوجه ، فإنني أضحي بها أمامه راقصا ، لقد جربت الأمر ، وموتي في حياتي ، وعندما أنجو من هذه الحياة فهذا هو الثبات (١) .

(ج) هذا العشق الإلهي لا يتأتي بالدروس أو التعليم أو النقل ، إنه عطية وهبة إلهية توهب للعبد ، نوع من الصلة الخاصة بين الخالق والمخلوق يقول مولانا : « وعندما يتضوع أريج ذلك الحبيب ، تتحير كل اللغات - ولأقصر فلقد ورد ذكر الحبيب في الحديث فاستمع والله أعلم بالصواب - وعندما يتوب العاشق فليحل بك الخوف أنذاك ، فهو كالعيارين يعطي الدروس وهو علي المشنقة - وبالرغم من أن هذا العاشق يمضي إلي بخاري ، فإنه يمضي لا إلي درس ولا إلي أستاذ - لقد صار حسن الحبيب هو المدرس للعشاق ، ودفترهم وواجبهم المدرسي هو وجهه - إنهم صامتون لكن صيحات وجدهم المتوالية تمضي حتي عرش محبوبهم - وفي بخاري تكون ناضجا رشيدا في العلم ، وعندما تتجه نحو الذلة تصير فارغا من هذه الأمور - ولم يكن لذلك البخاري اهتمام بالعلم ، كان يقصر بصره علي شمس الأبصار (٢) . - « وما شأن الدروس بألام العشق » وفي تلك الناحية التي زاد فيها العشق الألم ، لم يدرس الشافعي وأبو حنيفة(٣) » وهذا المعني نفسه جعله حافظ الشيرازي مجال أحاديث طويلة فيما بعد ، ويجمع كل هذه المعاني في بيت واحد ويقول : (امح الأوراق إن كنت رفيقا لنا في الدرس ، فإن علم العشق لايوجد في كتاب) » (٤) .

(١) الأبيات ٣٨٣٦ - ٣٨٤١ من هذا الكتاب .

(٢) الأبيات ٣٨٤٥ - ٣٨٥٠ - ٣٨٥٦ - ٣٨٥٧ من هذا الكتاب .

(٣) البيت ٣٨٣٨ من هذا الكتاب .

(٤) ديوان حافظ الشيرازي تحقيق مسعود فرزاد غزلية ٢٢٨ بيت ٥ ص ١٨٢ - كيهان ١٣٤٦ هـ .ش .

(د) وإذا كان العاشق يطلب المعشوق فإن المعشوق أيضا يطلب العاشق ، وهذه الجاذبية المتبادلة هي السر في بقاء الكون وبقاء الخليقة « من القلب إلي القلب كوة علي وجه اليقين ، ليست منفصلة أو بعيدة مثلما يكون الجسدان – وقاعدتا مصباحين لا يلتقيان ، لكن نوريهما يمتزجان في مجاله – ولا يوجد عاشق قط يكون باحثا عن الوصل ، ولايكون معشوقه باحثا عنه – وعندما لمع في هذا القلب برق حب الحبيب ، اعلم أن الحب موجود علي وجه اليقين في ذلك القلب – وعندما صار حب الحق في قلبك زائدا ، فعند الحق بلا شك الحب لك (١) .

ليس العشق إذن مقصورا علي الخالق والمخلوق بل إن الذي يجعل الكون كله علي درجة من الانسجام والتناسق هو العشق « إن الظمآن يجأر بالشكوى قائلا : أين الماء العذب ؟ والماء يشكو أيضا قائلا : أين الشارب ؟ – إن هذا العطش في أرواحنا جذب للماء ، نحن له وهو أيضا لنا – وكلمة الحق في القضاء والقدر ، قد جعلت كلا منا عاشقا للآخر – وكل أجزاء الدنيا من ذلك الحكم السابق ، صارت أزواجا كل عاشق لزوجه (٢) . » وكل جزء في العالم طالب لزوجه ، تماما كما يجذب الكهرمان قطع القش – وتقول السماء للأرض مرحبا ، إنني معك كما يكون حجر المغناطيس وبرادة الحديد – والسماء هي الرجل والأرض هي المرأة في نظر العقل ، وكل ما تلقيه السماء تربيه الأرض – وعندما لا تبقي فيها حرارة ترسلها إليها ، وعندما لاتبقي فيها رطوبة أو ماء تعطيها إياهما – والبرج الترابي مدد لتراب الأرض ، والبرج المائي يبث فيها الرطوبة – والبرج الهوائي يحمل إليها السحاب ، حتي يجذب منها الأبخرة الوخمة – وحرارة الشمس

(١) الأبيات ٤٣٩٤ – ٤٣٩٩ من هذا الكتاب .

(٢) انظر الأبيات ٤٤٠١ – ٤٤١٩ وشروحها من هذا الكتاب .

من البرج الناري ، وهو كالمقلاة الحمراء من النار ظهرا ووجها – والفلك دوار حول الأرض ، مثل الرجال حول الكدح من أجل النساء – وهذه الأرض تتكفل بالتدبير ، وتقوم بأمور الولادة والرضاع – فاعلم إذن أن الأرض والفلك من العقلاء ، فهما يقومان بأعمال العقلاء – وإن لم يكن هذان الحبيبان يستمتع كل منهما بالآخر ، فلماذا إذن يتداخلان كالأزواج ؟ – وبدون الأرض متي ينمو الورد والأقحوان ، وماذا يتولد إذن من ماء السماء وحرارتها ؟ ومن أجل هذا يكون الميل في الأنثي إلي الذكر ، حتي يكمل كل منهما الآخر – لقد وضع الحق الميل في الرجل والمرأة ، حتي تجد الدنيا البقاء من هذا الاتحاد ، ويضع الميل أيضا في كل جزء إلي جزء ، ومن اتحادهما معا يوجد توليد » [1] وهذا البقاء يعقبه فناء فيعود كل جزء إلي أصله في الفلك ، ومن ثم تعود الروح إلي أصلها ، فالعشق حركة صوب الكمال وأصل من أصول التوحيد .

(هـ) هذا الإحسان الفياض الكوني هو جوهر الدين « إن كسب الدين هو العشق وهو الجذب الباطني – إنه القابلية لتلقى نور الحق أيها الحرون [2] والإنسان الذي يحس هذا الإحساس لايمكن أن يسمي ملحدا ولا أهمية للشكل الذي يبدو به إيمان المرء بالنسبة للآخرين ، فيكون القلب قابلا لكل صورة ، والطرق إلي الله تكون بعدد أنفاس بنى آدم ، ومذهب العشق منفصل عن كل المذاهب ، والحديث عن المذاهب في ظله محض هراء»[3] .

وهذا التصور يقضى تماما علي كل الشكوك والخلافات التي تنتج من عكوف المرء على الصور وحرصه علي المظاهر ، وتلاعبه بالألفاظ « عشقة

(١) انظر الأبيات ٤٤٠١ – ٤٤١٩ وشروحها من هذا الكتاب .
^^(٢) المثنوى – الكتاب الثانى – الأبيات ٢٦٠١ – ٢٦٠٢ .
(٣) الأبيات ٤٧٢٢ – ٤٧٢٤ من هذا الكتاب .

نار محرقة للعقال ، ونور النهار يمحو كل خيال [1] : « ومن ثم فهذا الاتجاه اللامتناهى عند الإنسان ينفر من كل متناه فلا يصح أن يكون جبل المعانى ويسرع في أثر الصدي [2] وماذا بشأن الشكوك والخلافات إذن ؟ فلتبحث عن الجواب عليها من حيث نبع السؤال « ابحث أيها المرتضي عن الجواب من تلك الناحية التي جاءك منها السؤال » [3] .

(و) وهذه التجربة لايمكن أن تستوعب في مقال ، فكيف يمكن التعبير عن العشق وهو غير أرضي بلغة أرضية ؟ وكيف يمكن التعبير عن هذه التجربة الباطنية بلغة تراعي أصول العقل والمنطق ؟ كيف يمكن التعبير عن هذه التجربة أهل الظاهر ؛ وأهم من هذا كله كيف يمكن التعبير عنها بعد زوالها ؟

« إن مطرب العشق يتغني بهذا وقت السماع ، العبودية قيد والسيادة صداع – إذن فماذا يكون العشق ؟ إنه بحر العدم ، لقد حطم العقل هنا القدم – صارت العبودية والسلطنة معلومتين ، وعن هذين الحجابين كتم العشق – وليت الوجود كان ذا لسان ، حتي يرفع الحجب عن الموجودات وكل ما تقوله يا نفس الوجود عنه ، اعلم أنك قد وضعت به عليه حجابا آخر إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال – وغسل الدم بالدم محال محال [4] .

وتبلغ الحيرة مداها عندما لايستطيع العاشق الحديث ولايستطيع الصمت في الوقت نفسه « عندما يتحدث اللسان عن سره ولطفه ، تتلو السماء : يا جميل الستر – فكيف أسعي في إخفاء سره وهو يطل كالعلم قائلا :

(١) البيت ١١٣٦ – من هذا الكتاب .
(٢) البيت ١١٣٩ – من هذا الكتاب .
(٣) البيت ١١٣٧ – من هذا الكتاب .
(٤) الأبيات ٤٧٢٥ – ٤٧٣٠ من هذا الكتاب .

هأنذا – إنه يأخذ برغم أنفي بكلتا أذني قائلا : أيها الغبي كيف تخفية ؟ أخفة إذن » (١) .

٣ – بقي هنا أن نقدم بعض الملاحظات علي الحكاية في هذا الكتاب ، فلا شك أن المثنوي كتاب تعليمي وضع في الأصل لتربية المريدين ، ولا يمكن اعتبار سياق الحكايات مقطوعا عن السياق العام لهذا الكتاب ، فالحكاية سيقت في الأصل لتوضيح فكرة ما ، فهي مرتبطة بهذه الفكرة إلي حد كبير ، وتتداخل الحكايات بقدر ما تتداخل الأفكار ، وتنقطع الحكاية في الكتاب الواحد ، وقد لايعود إليها مولانا إلا في كتاب تال .

وبمجرد أن ينتهي مولانا من مقدمة الكتاب عن نظرية الأكل والمأكول يدخل إلي حكاية قصة آكلي ولد الفيل وهي مناسبة للسياق تماما ، فطالما كان الأكل علي النسق الذي وضعه الله فلا بأس ، وإن خرج عن إطاره الطَّبَعَي فالنتيجة معلومة ، وتعن لمولانا بعض الأفكار الجانبية فيضرب بعض الأمثال ، وعندما يتحدث عن التفيهق وعمارة اللفظ مع خراب المعني يتحدث عن بلال ﷺ وعن عجمته في الأذان برغم باطنه الغني ، وعندما يتحدث عن الحزم يسوق حكاية من أطول حكايات هذا الكتاب القروي والحضري ، وتتجلي فنيات مولانا في هذه الحكاية وكيف ابتعد بها عن الأصل الذي نقله عنها ؛ ليقدم حكاية ذات مستويات عديدة من المعاني كأغلب حكاياته بحيث يجد فيها المريد المتعلم أيا كان مستواه ما يستطيع أن يتعلمه منها .

وللقصص الدينى نصيب كبير في المثنوى ككل وفي هذا الكتاب على وجه الخصوص ، لكن لاينبغي أن يتبادر إلي الذهن أن مولانا يعيد نظم ما ورد في المأثور الديني لمجرد النظم ، فالقصص الدينى هنا « نقد للحال » وإياك أن تعتبره كالكفار مجرد أساطير ، فكل ما فيه موجود فيك ، ولأن مولانا شديد الاهتمام

(١) الأبيات ٤٧٣٥ – ٤٧٣٨ من هذا الكتاب .

بقضية الطغيان ، ويعتبره من أشد آفات النفس فإن قصة موسي وفرعون تجد منه اهتماما خاصا ، لكن موسي وفرعون موجودان في داخلك أيضا ، وإن كان لايستطيع أن يتحدث إليك مباشرة حتي لايأتيك النفور من هذا الكتاب ، وأغلب القصص الديني قد سيق بتفسيرات صوفية ، ولا غرو ، فالولي هو وريث النبي ، وعندما ينتهي مولانا من حكاية ما ، ينصرف إلي الحديث عن الدروس المستفادة منها ، وفي تعليقاته عليها يدخل في حكايات أخري ، ويتعامل مع شخوصه تعامله مع شخوص حية ، فيعتذر لها إن نسيها قليلا في تدفقه وانطلاقه في حكايات أخري ، بل ويبدي الشكوى أنه لايستغرق في الحكايات علي حساب ما يريد أن يتحدث فيه بالفعل ويتدارك فيقول : إنها ليست حكايات ، لكنها تجسيد للحال ، ووصف لحضور صديق الغار ، أو بتعبير الفيلسوف السبزواري شهود لمولانا يجده في هذه الحكايات ، ويقصد بالطبع أن مولانا قد يستغرق في فكرة ما حتي يشهدها مجسدة في شخصيات يبعثها حية ، من القصص الدينى ، أو من التاريخ وسير الصوفية ، أو من زواياهم ، وقد ينزل إلي الشارع والواقع المعاش فيقدم قصصا بادية البساطة لكنها تحتوي في ثناياها على أعمق المعانى .

ويحذر مولانا من التعلق بظاهر القصص (١) ، إنها مجرد صورة فاتخذها صورة وانصرف إلي المعني كما ينصرف المرء من التبن إلى القمح ، وقد تكون الحكاية ساخرة أو مسلية أو جنسية ، لكن ما إلي هذا قصد مولانا مما شرحته باستفاضة ، فاطلبه فى شروح هذا الكتاب .

وبعد ، فقد قصدت بهذه المقدمة تقديم صورة كلية لهذا الكتاب ، قد يختلف معى كثيرون حولها بعد قراءتهم للكتاب ، فأتركهم إذن وما يذوقون وما يتقبلون ، وقد يغفر لي أخطائي جهدى الذى بذلت ، ولله سبحانه وتعالي الأمر من قبل ومن بعد ، ومنه جل وعلا التوفيق .

---

(١) البيت ١٢٨١ – من هذا الكتاب .

النص

الحكم جنود الله يقوي بها أرواح المريدين ، ينزه علمهم عن شائبة الجهل وعدلهم عن شائبة الظلم ، وجودهم عن شائبة الرياء ، وحلمهم عن شائبة السفه ، ويقرب إليهم ما بعد عنهم من فهم الآخرة ، وييسر لهم ما عسر عليهم من الطاعة والاجتهاد ، وهي من بينات الأنبياء ودلائلهم ، تخبر عن أسرار الله وسلطانه المخصوص بالعارفين ، وإدارته الفلك النوراني الرحماني الدري الحاكم علي الفلك الدخاني الكري كما أن العقل حاكم علي الصور الترابية وحواسها الظاهرة والباطنة ، فدوران ذلك الفلك الروحاني حاكم علي الفلك الدخاني ، والشهب الزاهرة ، والسرج المنيرة ، والرياح المنشئة ، والأراضي المزجية ، والمياه المطردة ، نفح الله بها عباده وزادهم فهما ، وإنما يفهم كل قاريء علي قدر نهمته وينسك الناسك علي قدر قوة اجتهاده ، ويفتي المفتي مبلغ رأيه ، ويتصدق المتصدق بقدر قدرته ، ويجود الباذل بقدر موجوده ، ويقتني الموجود عليه ما عرف من فضله ، ولكن مفتقد الماء في المفازة لايقصر عن طلبه معرفته ما في البحار ، ويجد في طلب ماء هذه الحياة قبل أن يقطعه الاشتغال بالمعاش عنه ، وتعوقه العلة والحاجة ، وتحول الأغراض بينه وبين ما يتسرع إليه ولن يدرك العلم مؤثر هوي ولا راكن إلي دعة ولا منصرف عن طلبه ولا خائف علي نفسه ، ولا مهتم بمعيشته ، إلا أن يعوذ بالله ويؤثر دينه علي دنياه ويأخذ من كنز الحكمة الأموال العظيمة التي لا تكسد ولا تورث ميراث الأموال ، والأنوار الجليلة والجواهر الكريمة والضياع الثمينة ، شاكرا لفضله معظما لقدره مجللا لخطره ، ويستعيذ بالله من خساسة الحظوظ ، ومن جهل يستكثر القليل مما يري في نفسه ويستقل الكثير العظيم من غيره ويعجب بنفسه ما لم يأذن له الحق ، وعلي العالم الطالب أن يتعلم ما لم يعلم ، وأن يعلم ما قد علم ، ويرفق بذوي الضعف في الذهن ، ولايعجب من بلادة أهل البلادة ولايعنف علي كليل الفهم « كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم » سبحانه وتعالي عن أقاويل

الملحدين ، وشرك المشركين ، وتنقيص الناقصين ، وتشبيه المشبهين ، وسوء أوهام المتفكرين ، وكيفيات المتوهمين ، وله الحمد والمجد علي تلفيق الكتاب المثنوي الإلهي الرباني ، وهو الموافق والتفضل وله الطول والمن ، لاسيما علي عباده العارفين علي رغم حزب ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه علي الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ والحمد للّه رب العالمين ، وصلي الله علي سيدنا محمد وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

١ – يا ضياء الحق يا حسام الدين هات هذا الدفتر الثالث ، فقد جرت السنة علي « أن يكون الأمر ثلاث مرات » .

– ولتفتح خزانة الأسرار ، ولتترك في هذا الدفتر الثالث الأعذار .

– فإن قوتك تنبع من قوة الحق ، لامن العروق التي تنبض من الحرارة .

– ومصباح الشمس ذاك الذي يشرق ، لا هو من الفتيل ولا من القطن ولا من الزيت .

٥ – وسقف الفلك الذي هو دائم هكذا ، ليس بقائم علي طنب وأعواد .

– وقوة جبريل ليست من الطعام الذي يطبخ ، بل هي من مشاهدة خالق الوجود .

– وكذلك قوة أبدال الحق ، اعلم أنها من الحق لا من الطعام ولا من الطبق .

– فأجسامهم عجنت من النور ، حتي تفوقت علي الروح والملائكة .

– ومادمت موصوفا بالأوصاف الجليلة ، تجاوز عن نار الأعراض كالخليل [(١)]

١٠ – فتصير النار عليك بردا وسلاما ، يامن تكون العناصر عبيد مزاجك .

– فلكل مزاج أساس من العناصر ، لكن مزاجك أعلي من كل مرتبة .

– فمزاجك هذا صار مستمدا لوصف الوحدة من العالم المنبسط .

– وا أسفاه فإن ساحة أفهام الخلق ، قد ضاقت جدا ولا حلق للخلق .

– وبحذق رأيك يا ضياء الحق ، تهب حلواك الحلق للحجر .

١٥ – لقد وجد جبل الطور في التجلى حلقا ، حتي شرب هذه الخمر ولم يهدرها .

---

(١) فى نسخة جعفرى (محمد تقى جعفرى : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد بلخى – الجزء السادس – ط ١١ – تهران ١٣٣٦ (فيما بعد ج/٦) :

– لقد استكانت لك الحواس الخمسة والجهات الستة ، يامن صارت العناصر عبيدا لمزاجك .

- « صار دكا منه وانشق الجبل ، هل رأيتهم من جبل رقص الجمل » ؟[1] .

- إن الجود بالطعام يتأتي من كل إنسان لآخر ، لكن الجود بالخلق من فعل الله فحسب .

- إنه يهب الحُلق للجسد والروح ، ويهب كل عضو من أعضائك خلقا علي حده .

- ويهبك بحيث تصير منسوباً إلي ذى الجلال ، بريئا من الفضول والاحتيال والنفاق .

- وذلك حتي لاتبوح بسر السلطان لأحد ، وحتى لاتصب السكر أمام الذباب .

- وإنما لتسمع أسرار الجلال ، أذن ذلك الشخص الذي يشبه زهرة السوسن له مائة لسان لكنه أخرس .

- ولطف الله يهب التراب حلقا ، بحيث يتشرب الماء فينبت منه مائة نبات .

- ثم يهب المخلوق من تراب حلقا وفما ، حتى يأكل النبات ويجد فى طلبه .

- وعندما أكل النبات صار الحيوان سمينا ، ثم صار الحيوان طعاما للإنسان ومضى في سبيله .

- ثم صار التراب ثانية آكلا للبشر ، عندما غادرت البشر الروح والبصر .

- لقد رأيت الذرات كلها مفتوحة الأفواه ، ولو ذكرت طعامها لطال بنا الحديث .

- والزاد لأوراق « النبات » من إنعامه ، ولطفه الكلي حاضن لكل الحواضن .

- فهو الذي يهب الأرزاق الأرزاق ، وإلا فكيف ينمو القمح دون غذاء ؟ ! .

(١) بالعربية فى المتن .

– وليس لشرح هذا الحديث من نهاية ، إنما ما قلته مجرد جزء من أجزاء تعلمها .

٣٠ – فاعلم أن العالم بأجمعه آكل ومأكول ، وأن ما تبقي منه مقبل ومقبول .

– وأهل هذه الدنيا وسكانها منتشرون ، أما ذلك العالم وسالكوه فخالدون .

– وهذه الدنيا وعشاقها منقطعون ، وأهل ذلك العالم مخلدون مجتمعون .

– ومن ثم فالكريم هو الذى يسقي نفسه ماء الحيوان حتى يبقي إلي الأبد .

– والكريم هو قبيل الباقيات الصالحات ، ومن سلم من مئات الأخطار والمخاوف والآفات .

٣٥ – وهؤلاء وإن بلغوا الآلاف إلا أنهم ليسوا أكثر من شخص واحد ، ولا يجد هذا الأمر وهمٌ من يحصي عددا .

– فللآكل والمأكول حلق وقصبة حلق ، وللغالب والمغلوب عقل ورأي .

– لقد وهب الحلق لعصا العدل ، فالتهمت العديد من العصى والحبال .

– ولم تزد من ذلك الأكل ، فلم تكن حيوانا ذات أكل وشكل .

– كما وهب اليقين حلقا كالذى وهبه للعصا ، حتي التهم كل وهم تولد .

٤٠ – ومن هنا فللمعانى حلوق كالأعيان ، وواهب المعاني حلوقا هو الله .

– ومن هنا فمن أدني العالم إلي أعلاه [1] ، لايوجد أحد في الخليقة ليس له حلق لجذب المادة [2] .

---

(١) حرفيا : من السمكة إلى القمر .

(٢) ج/٦-٩٩ : وحلق النفس إن صار خاليا من الوسوسة ، يصبح جديرا بالوحى الإجلالى .

– وحلق الروح منزه عن فكر الجسد ، ومن هنا فإن قُوتَها الإجلال [١] .

– واعلم أن الشرط هو تبديل الطبيعة ، فمن طبيعة السوء يكون موت الأشرار .

– وعندما صارت طبيعة الآدمي أنه آكل للطين ، صار أصفر سيئ اللون وسقيما وذليلا .

٤٥ – وعندما تبدلت طبيعته السيئة ، انتفي القبح عن وجهه وتألق كالشمع .

– فأين الحاضنة للطفل الرضيع ، لتجعل فمه السيئ طيبا بنعمتها ؟ [٢] .

– وعندما تقطع طريق الثدى عليه ، تفتح أمامه الطريق إلي مائة بستان .

– وذلك لأن الثدى حجاب لذلك الضعيف ، أمام آلاف النعم والموائد والرغائب .

– وإذن فحياتنا متوقفة على الفطام ، فجاهد رويدا رويدا ، هذه هي خلاصة الكلام .

٥٠ – وعندما كان الإنسان جنينا كان الدم غذاءه ، فهو يستمد الطهر من النجس ، وهكذا المؤمن [٣] .

– ومن فطام الدم يصير غذاءه اللبن ، ومن فطام اللبنَ يصير آكلا للطعام .

---

(١) ج/٦-٩٩ : وحلق العقل والقلب عندما خليا من الفكر ، وجد صاحبهما الرزق البكر دون هضم من المعدة

(٢) ج/٦-١١٠ واين الحاضنة للطفل الرضيع ، حتى تغذية بالنعم .

(٣) ج / ٦ – ١٠٠ : – وعندما كان الانسان ضعيفاً كان آكلا للدم فحتام يكون سدى وجوده ولحمته من الدم ؟ !

– ومن فطام الطعام يصير « فى حكمة » لقمان ، طالبا لكل خفي فيما هو ظاهر .

– فلو أن أحدا قال للجنين وهو في الرحم : هناك عالم في الخارج شديد النظام .

– هناك أرض نضرة ذات عرض وطول ، فيها مئات النعم وكثير من الأكولين .

– وفيها الجبال والبحار والصحاري والبساتين والحدائق والمزارع .

– وهناك سماء عالية جداً شديدة الضياء ، فيها شمس وقمر ومئات من نجوم السها .

– ومن « رياح » الجنوب والشمال والدبور ، فيها حدائق ذات أعراس وبهجة .

– ولا توصف عجائبها ... فأية ظلمة هذه التي تكون فيها ممتحنا ؟

– تأكل الدم في إطار مضيق من الحبس والأنجاس والعناء.

– لكان هو بحكم حاله منكرا ، ولأعرض عن هذه الرسالة وكفر بها .

– قائلا : إن هذا محال وخداع وغرور ؛ وذلك لأن وهم الأعمي لايستطيع التصور .

– وما دام إدراكه لم ير جنس الشيء ، فإن إداراكه المنكر لايستمع إلي شيء .

– وهكذا الخلق علي وجه العموم في هذا العالم ، عندما يحدثهم الأبدال عن ذلك العالم (قائلين) :

– هذه الدنيا جب شديد الظلمة والضيق ، وخارجها عالم « شفاف » لالون له ولا رائحة .

– فإن آذانهم لاتنصت علي الإطلاق إلي شيء من هذا ؛ لأن طمعهم « في الدنيا » حجاب غليظ وكثيف .

– فالطمع هو الذي يسد الأذن عن الاستماع ، كما أن الغرض يعمي العين عن الاطلاع .

– مثلما يكون طمع ذلك الجنين في الدم ، فهو غذاؤه في الأوطان الدنية .

– ومن ثم يحجب عن الحديث عن هذا العالم ؛ لأنه يعلم إلا الدم طعاما له [1] .

قصة آكلى ولد الفيل من الحرص

وترك نصيحة الناصح

– هل سمعت أن أحد العلماء رأي في الهند جماعة من الأصدقاء .

– كانوا جياعا عراة بلا زاد ، وصلوا من سفر طويل .

– ففاض العالم محبة لهم ، وهش لهم وبش وتهلل وجهه كروضة الورد .

– وقال : « أعلم أن المتاعب قد تجمعت عليكم من الجوع ومن وعثاء الطريق في هذه المفازة المهلكة » [2] .

– لكن ناشدتكم الله .. ناشدتكم الله أيها الأجلاء ، ألا يكون قوتكم من وليد الفيل .

– فهناك فيلة في هذه الناحية التي تسيرون إليها فلا تذبحوا وليد الفيل .. واسمعوا .

– إن جراء الفيلة في طريقكم ، وصيدها محبب جدا إلي قلوبكم .

– وهي شديدة الضعف واللطف والسمنة ، لكن لها أما تترصدكم في مكمنها .

---

(١) ج/٦ – ١٠١ : ويبُعد من كل هذه النعم ، ولايستطيع أن يأكل إلا الدم . والطمع عندك فى لذة هذه الدنيا ، صار حجاباً على تلك اللذه الخالدة – والطمع فى هذه الحياه المليئة بالغرور ، أبعدك عن حياتك الحقيقية .. فاعلم أن الطمع يجعلك أعمى ، ويخفى عنك اليقين بلا شك : ويبدى لك الحق الباطل ومن الطمع ، يصير عماك مائة عمى ، فضق من الطمع مثل الصادقين – حتى تضع قدمك هذه العتبة – فعندما تدخل من هذا الباب تنجو وتخرج من الحزن والسرور . تضاء عين روحك فترى الحق ، ويصبح نور الدين خاليا من ظلام الكفر فاستمع إلى نصيحة المشايخ بإخلاص – حتى تنجو من الخوف وتصبح فى أمان – واسمع الان إلى قصة مثلا حتى تجد فى الحقيقة نور الحبيب .

(٢) حرفيا : فى كربلاء هذه .

– وهي في سبيل وليدها تقطع طريقا يبلغ مائة فرسخ ، وهي في تأوه وحنين .

– ومن خرطومها ينطلق الدخان والنار ، .. فحذار من وليدها البريء هذا .. حذار .

– والأولياء هم أطفال الحق يا بني ، وهم علي علم به في الغيبة والحضور .

٨٠ – فلا تظنن أن الغيبة من نقص فيهم ، إنه ينتقم من أجل أرواحهم .

– لقد قال : إن هؤلاء الأولياء هم أطفالي ، وهم في غربتهم منفردون خالون من الأبهة والعظمة (الظاهرة) .

– وهم أذلاء يتامى ابتلاء لهم ، لكنهم داخل سري أصدقاء ندماء .

– إن ألوان عصمتي ظهير لهم جميعا ، وكأنهم أنفسهم أجزاء منى .

– فانتبهوا جيدا ، إن لابسي الخرقة الذين يخصونني ، هم مئات الألوف « عددا » لكنهم وجود واحد .

٨٥ – وإلا متي يتأتي لموسي بقطعة من الخشب ذات الفضل أن يجعل عالي فرعون سافله ؟ .

– وإلا متي كان يتأتى لنوح أن يجعل الشرق والغرب غريقا في طرفانه بلعنة واحدة ؟

– ولما اقتلع دعاء من لوط العظيم ، مدينة بأكملها من المحرومين (من رحمه الله) ؟!

– فصارت مدينتهم التي تشبه الفردوس نهرا من الماء الأسود ، فأذهب وانظر إلي الآثار .

– هذه الآثار وهذه الدلائل ناحية الشام ، تراها وأنت مار في الطريق إلي القدس .

٩٠ – ومئات الآلاف من الأنبياء عبدة الحق كانوا في حد ذاتهم عقوبة في كل قرن .

– ولو تحدثت عنهم لطال هذا البيان ، فأي شيء يكون الكبد « الذي يتحمل» والجبال تصير دما .

– تصير الجبال دما وتتجمد ، وأنت لا تري تحولها إلي دم عمي ونكرانا .

– فما أعجبه من أعمي بعيد النظر حاد البصر ، لكنه لا يري من الجمل سوي الوبر .

– والإنسي يري كل الأمور شعرة بشعرة محض الحرص ، لكنه يرقص بلا هدف كأنه الدب [1] .

٩٥ – فارقص حيثما تحطم نفسك « التي بين جنبيك » ، وتنفض القطن عن جرح الشهوة .

– إنهم يرقصون ويجولون في الميدان ، لكن الرجال يرقصون في دماء ذواتهم .

– وعندما يتخلصون من سيطرة ذواتهم عليهم يصفقون ، وعندما يبرءون من نقائص « النفس » يرقصون .

– ومطربوهم من الداخل ينقرون علي الدفوف ، وترغي البحار وتزيد وجداً معهم [2] .

– إنك لاتري « هذا » لكن إنصاتا لهم ، حتي الأوراق علي الأغصان تقوم بالتصفيق .

١٠٠ – إنك لا تري تصفيق الأوراق ، إذ يلزمك أذن القلب لا أذن البدن هذه .

– فسد أذنيك اللتين في رأسك عن الهزل والباطل ، حتى تبصر مدينة الروح ذات ضياء [3] .

– وإن أذن « محمد » لتجذب السر (مما وراء) الكلام ، ومن أجل هذا يقول الحق في القرآن « هو أذن » .

---

(١) ج / ٦ – ١٣٦ : والانسان يرى الأمور شعره بشعره من من حرصه ، ورقصه خال من الخير ملىء بالشر .

(٢) ج / ٦ – ١٣٦ : وأنك لا ترى الأوراق مع الأغصان راقصة من تحريك الصبا .

(٣) ج / ٦ – ١٣٦ : – هيا وسد فمك عن الهزل ياعماه ، ولاتتحدث إلا عن وجهه .

- فهذا النبى كله أذن وعين ، هو حاضنة لنا متهللة الوجه ونحن الصبيان .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فسق ثانية إلي أهل الفيل وعودا علي بدء .

بقية قصة المعتدين على جراء الفيلة

١٠٥ - إن الفيل يشم كل فم ، ويحوم حول معدة كل إنسان .
- وما إن يجد رائحة شواء وليده في مكان ما ، حتى يبدي انتقامه وقوته .
- إنك تأكل لحوم عبيد الله وتغتابهم ، لابد أن تنال الجزاء .
- فحذار إن الذي يشم رائحة أفواهكم هو الخالق ، فمن الذي ينجو بروحه إلا من هو صادق ؟
- وويلاه لذلك المخدوع الذي يكون من يشم رائحته في القبر منكر ونكير .

١١٠ - فلا قدرة علي إخفاء الفم عن هذين العظيمين ، ولا إمكان أيضا علي تغيير رائحة الفم بأي معالجين .
- فلا عطاء هناك للمداهنة والرياء ، وليس للعقل والفهم من طريق إلي الحيلة .
- فكثيرا ما تسقط ضربات مقامعهم علي رأس كل عابث مهذار وعلي دبره .
- فانظر إلي آثار مقامع عزرائيل ، وإن لم تر خشبا أو حديدا مصهورا .
- بل إنه يظهر بصورته في بعض الأحيان ، ومن هنا فإن المريض يكون علي وعي به .

١١٥ - ويقول هذا المريض : أيها الأصدقاء ما هذا السيف الذي يعمل فوق مفرقي ؟[1] .
- ونحن لا نري فتقول : ربما يكون خيالا ، أي خيال هذا ؟ إنه ارتحال .
- أي خيال هذا فإن هذا الفلك المتقلب ، صار مرتعدا الآن رعبا من هذا الخيال .

---

(١) ج / ٦ - ١٥٣ : - وعندما لايرى أحد من رفاقه يجيبون قائلين : ياعماه ! !

- لقد صارت المقامع والسيوف محسوسة أمام المريض فنكست رأسه .

إنه يري أن هذا « الأمر » من أجله هو ، وانغلقت عين العدو عن هذا وعين الصديق .

- لقد ذهب عنه حرص الدنيا وقوي بصره ، واستضاءت عيناه فقد آن أوان سفك الدم .

- وصارت عينه طائرا مغردا في غير أوان نتيجة لكبريائه وغضبه .

- ومن الواجب إذن قطع رأس ذلك الطائر الذي يؤذن في غير أوان .

- وفي كل لحظة يكون النزع لجزء من روحك ، فانظر إلي نزع روح إيمانك.

- وعمرك شبيه بكيسة الذهب ، والليل والنهار شبيهان بمن يعد الدنانير .

- إنهما يعدان الدنانير وينفقانها بلا توقف ، حتي يخلو الكيس ويحل الخسوف .

- ولو أنك تأخذ من جبل دون أن تحفظ « ما تأخذه » في موضع ما ، فإن هذا الجبل يخسر من هذا العطاء .

- إذن فعليك أن تضع عوض كل لحظة في مكانه ، حتي تجد الغرض من قوله تعالي : ﴿ واسجد واقترب ﴾ .

- ولا تكن كثير السعي هكذا في كل الأمور ، لاتسع إلا في أمر يكون في سبيل الدين .

- وإلا فإنك سوف تمضي في النهاية ناقصا ، أعمالك بتراء وخبزك لم ينضج بعد .

- وعمارة القبر واللحد لا تكون بالحجارة ولا بالخشب والبوص الكثير .

- بل عليك أن تحفر قبرا لنفسك في الصفاء ، وتقوم بدفن أنيتك في أنيته .

- تصـيـر ترابا مـدفـونا في الاهـتـمـام به ، حـتي يجـد نفـسك الإمـدادات من نفسه .

- فالمقابر والقباب والشرف ، لا تتأتي كلها من أصحاب المعني .

- وانظر الآن إلي الحي الذي يلبس الديباج ، فهل يوجد ديباج يأخذ بيد الفهم ؟

١٣٥ - إن روحـه تلك تكون في عذاب بئيس ، وعقرب الغم « تلدغ » قلبه الذي هو وعاء للغم .

- وعلي ظاهره من الخارج زينة ونقوش ، لكن أفكاره في الباطن في ألم مقيم .

- أما ذلك الذي تبصره في الخرقة القديمة ، فهو في فكر حلو كسكر النبات وحديثه كالشهد .

عـودة إلى حكاية الفيل

- قال الناصح : استمعوا إلي نصيحتي هذه ، حتي لا تمتحن قلوبكم وأرواحكم .

- اقنعوا بالأعشاب وأوراق « الأشجار » والهويني في صيد جراء الفيلة .

١٤٠ - لقد وضعت عن كاهلي دين النصح ، ومتي كانت عاقبة النصح إلا السعادة ؟

- لقد أتيت فحسب لإبلاغ الرسالة ، حتى أنجيكم من الندم .

- فحذار أن يقطع الطمع طريقكم ، ويقلعكم الجشع في الزاد من جذوركم .

- هكذا قال وتمني لهم الخير ومضي في سبيله . فاشتد القحط والجوع في طريقهم .

- وفجاة رأوا علي جانب من الطريق ، جرو فيل سمين حديث الميلاد .

– فهجموا عليه كالذئاب الهائجة ، وأتوا عليه ثم غسلوا أيديهم .

– لكن واحدا منهم لم يأكل وقدم إليهم النصح ، فقد كان يتذكر حديث الدرويش .

– ومنعه ذلك الحديث من أكل الشواء ، فإن الإقبال الجديد يهبك عقلا محنكا مجربا .

– ثم سقطوا جميعا نياما بينما بقي ذلك الجوعان كراع في قطيع .

– فرأي فيلا ضخما يقترب منهم ، وبادر الحارس فأسرع إليه .

– وأخـــذ يتشمم فمه ثلاث مرات ، فوجد أن فمه لايفوح برائحة غير محببة (إليه) .

– فطـــاف حوله عدة مرات ومضي في سبيله ، ولم يؤذه ذلك الفيل الضخم ، المهول .

– وتشمم فم كل نائم ، وكانت الرائحة تفوح منه .

– إذ كان قد أكل من شواء وليد الفيل ، فمزقه الفيل وقتله علي وجه السرعة .

– وفي برهة من الزمان أخذ يمزق تلك الجماعة فردا فردا دون أن يلقي إلي أحد منها بالا .

– أخذ يقذف بكل واحد منهم في الهواء غير عابيء به ، وعندما كان يصل إلي الأرض كان ينشطر شطرين .

– فيا شارب دماء الخلق ارجع عن هذا الطريق ، حتي لا تأتي بك دماؤهم إلي الوطيس .

– فاعلــــم أن مالهم هو دمهم علي وجه اليقين ، ذلك أنهم يحصلون علي المال بشق الأنفس .

– إن أم وليد الفيل ذاك تشعر بالحقد ، فتقتل آكل وليدها عقابا له .

– وأنت تأكل وليد الفيل يا آكل الرشوة ، فإن خصمك الفيل يوردك موارد الدمار .

١٦٠ - إن الرائحة قد فضحت ذلك الذي يفكر في المكر ، والفيل يعرف رائحة وليده .

- وذلك الذي يشم رائحة الحق من اليمن ، كيف لا يشم رائحة الباطل مني ؟

- وكيف شم المصطفي الرائحة من الطريق البعيد ولا يشم رائحة البخر من أفواهنا ؟

- إنه يشمها لكنه يستر علينا ، والرائحة الطيبة والسيئة كلتاهما تصعدان إلي السماء .

- إنك تنام لكن رائحة ذلك الحرام تفوح فوق السموات الزرقاء .

١٦٥ - إنما تصاحب أنفاسك السيئة حتي تمضى إلي أولئك الذين يشمون الرائحة فوق الفلك .

- ورائحة الكبر ورائحة الحرص ورائحة الطمع ، تفوح عن الحديث كأنها البصل .

- وحتى إذا أقسمت قائلا : متي أكلت هذا « البصل » ؟ لقد تجنبت البصل والثوم .

- فإن هذا القسم نفسه ينم عليك ، ويفوح أمام أنوف جلسائك .

- ومن هنا لا يستجاب الدعاء من رائحته ، ويبدو خبث القلب على اللسان.

١٧٠ - ويستجاب الدعاءِ منه بكلمة « اخسئوا » ، وتكون عصا الطرد جوابا لكل خبيث .

- وإذا كان حديثك معوجا وكان معناه صادقا ، فإن اعوجاج اللفظ يكون مقبولا عند الله (١) .

---

(١) ج/٦ - ١١٧٢ : وإن كان المعنى معوجا واللفظ حسنا ، فاعلم أن ذلك المعنى لا يساوى ربع دائق .

« بيــان أن خطـأ المحـبين يكـون أفضـل
عند المحبوب من فصاحة الغرباء »

– كان بلال الصدق ذاك عند الأذان ، ينطق كلمة « حى » « هَىْ » مخبتا .

– فقالوا : « أيها الرسـول : ليس هذا الخطأ من المستحسـن الآن ونحن في أول البناء .

– يانبي الله ويا رسـول الخالق ، ائت لنا بمؤذن أكثر فصاحة .

١٧٥ – فمــن العـيب في أول الدين والصـلاح ، أن ينطق لفظ « حي علي الفلاح » « لحنا » .

– فـغـضب الرســول غـضبا شـديدا ، وقال رمـزا أو رمـزين مـن العنايات الخفية.

– أيها الأخساء إن « هى » بلال عند الله ، أفضل من مائة « حى » و « خى » وتفاصح منكم .

– لا تعكروا صــفـوي وإلا أفـشـيت أسـراركم « وحـدثتكم » عن مـبـدئكم ومنتهاكم .

– وإذا لم يكن لديك نفس حسـن فى الدعاء ، فاذهب وداوم علي طلب الدعاء من إخوان الصفاء .

« أمر الحق لموسى : ادعنى بفم لم تذنب به »

(١)

١٨٠ – قال : يا موسـي الجأ إلي داعيا بفم لم تذنب به .

– قال موسـي : أنني لا أملك هذا الفم قال : ادعني بأفواه الآخرين ،

– فمتي تكـون قد أذنبت بأفـواه الآخـرين ، تضرع بألسنة الآخرين قائلا : يا الله .

(٢) ج / ٦ – ١٩٩ : من أجل هذا قال الله لموسى عليه السلام ، وقت حاجة القلب فى الدعاء به .

– وهكذا فافعل حتي تدعو لك الأفواه في الليل والنهار .

– « ليكن ذلك إذن » من الفم الذي لم ترتكب به ذنبا ، واعتذر بذلك اللسان الذي هو لسان الغير .

– وإلا فطهر فمك ، وانضُ عن روحك أثقالها .

– فذكر الحق طاهر وعندما يحل الطاهر ، يجمع الدنس حوائجه وينصرف خارجا .

– فإن الأضداد تفر من الأضداد ، ويفر الليل عندما يبزغ الضياء .

– وعندما يحل الاسم الطاهر في الأفواه ، لا الدنس يبقي ولا الذنوب .

« بيان أن قول المتضرع يا الله
هو عين قول الحق لبيك »

– كان أحدهم يهتف يا الله ذات ليلة ، حتى يحلى شفتيه بذكره .

– فقال له الشيطان : أخر الأمر أيها الثرثار .. أين (لبيك) لكل هذا التضرع بيا الله [1] .

– إنه لا يتأتي جواب من أمام العرش ، وأنت لا زلت تكرر يا الله ، يا الله بوجه ملحاح ؟ .

– فانكسر قلبه وطأطأ رأسه ، فرأي في منامه الخضر يتمشي في الخضرة .

– فقال له : « انتبه ! ! كيف انصرفت عن الذكر ، وكيف ندمت علي دعائك ؟ » .

– فقال : لا يأتي جواب بلبيكم ، ومن هنا أخاف أن أكون مردودا عن الباب [2] .

---

(١) ج / ٦ – ٢٠٣ : – لقد قلت الله كثيرا من العتو أين لبيك لنداء واحد منك .

(٢) ج / ٦ – ٢٠٣ : قال له : لقد قال لي الله ، اذهب إليه وقل ، أيها الممتحن .

– قال : « إن الله » منك هي نفسها « لبيك » منا ، وتضرعك وألمك وحرقتك هي الرسول إلينا (١) .

– وإن جهدك وسعيك جذب لنا ، وهما « في الوقت نفسه » فك لقدميك .

– وليست روح الجاهل إلا بعيدة عن هذا الدعاء فليس عنده الإذن بأن يقول : «يارب» .

– وعلي فمه وفوق قلبه قفل وقيد ، حتي لا يشكو أمام الله عندما يحل به أذي .

– لقد وهب فرعون مئات من الأملاك والأموال ، بحيث ادعي العز والجلال .

– لكنه لم يشك طوال حياته صداعا ، حتى لا يتضرع أمام الله ذلك السيىء الأصل .

– لقد أعطاه تلك الدنيا بأسرها ، ولم يهبه الحق الألم والتعب والهموم .

– فالألم أفضل من ملك الدنيا ، وذلك حتي تدعو الله فى السر .

– ودعاء الله بلا ألم من موت القلب ، ودعاؤه بألم من عبودية القلب .

– وإن وضع الهمس تحت اللسان ، هو تعريف للمبدأ والبداية .

– وهكذا صار الصوت صافيا وحزينا ، عندما يقول : يا الله ويامستغاث ويا معين .

– وأنين القلب في طريقة ليس خاليا من الجذبة ، وذلك أن كل راغب أسير المانع .

– مثل كلب أهل الكهف الذي تخلص من الجيفة ، فجلس فى صدر موائد الملوك .

– وحتي القيامة يشرب أمام الغار ، ماء الرحمة كالصوفية بلا كأس .

– وما أكثر من يرتدون جلود الكلاب ولا أسماء لهم ، لكنهم وراء الحجاب لم يحرموا من تلك الكأس .

---

(١) ج / ٦ – ٢٠٣ : وألست أنا الذى أدخلتك فى هذا الامر ، وألست أنا الذى جعلتك مشغولا بالذكر .

– فضح بروحك من أجل تلك الكأس يابني ، فمتي يكون ظفر بلا جهاد .

– أو اصبر ولا حرج في الصبر من أجل هذا ، فاصبر فإن الصبر مفتاح الفرج .

– وبلا صبر وحزم لم ينج أحد من هذا الكمين ، فالصبر هو يد الحزم وقدمه .

– كن حازما عن الطعام فهو نبات مسموم ، والحزم هو قوة الأنبياء ونورهم .

– ويكون قشة ذلك الذي يقفز عند كل ريح ، ومتي يعطي الجبل للرياح وزنا ؟

– وفى كل ناحية هناك غول يناديك قائلا : «يا أخ تريد طريقا .. هيا تعال» .

– « إنني أدلك علي الطريق وأكون لك رفيقا ، فأنا المرشد في هذا الطريق الدقيق » .

– ولا هو بالمرشد ولا هو بالذي يعرف الطريق ، فيا يوسف قلل الذهاب نحو من فيه طبيعة الذئب ذاك .

– والحزم هو ألا يخدعنك دسم هذه الدار ولا عسلها ولافخاخها .

– فلا دسم لديها ولا عسل عندها ، إنها تتلو سحرا وتنفثه في أذنيه .

– قائلة : « تعالي يا ضيفنا يأيها النور ، الدار دارك وأنت لنا » .

– والحزم هو أن تقول « إنني متخم .. أو إنني ملول سقيم في هذا القبر» :

– أو قل « إن رأسي تؤلمني فعالج صداعي ، أو : لقد دعاني من قبل ابن الخال » .

– ذلك أنها تعطيك جرعة من العسل مع كثير من الوخز ، وعسلها يغرس فيك الجراح .

٢٢٥ – وعندما تعطيك الذهب سواء أعطتك خمسين أو ستين ، فإنها تضع لك اللحم في الشص أيتها السمكة .

– وإذا أعطت ، فأي شيء تعطيه لك كثيرة الاحتيال هذي ، إن قول الخبيث جوز متعفن .

– وصوت كسر (ذلك الجوز المتعفن) يسلب لبك ، ولا يعتبر مئات الآلاف من العقول « في قيمة » عقل واحد .

– إن صديقك هو عيبتك وكيسك ، فإن كنت « رامين » فلا تبحث إلا عن « ويس » الخاص بك .

– و « ويس » المعشوق الخاص بك هو ذاتك ، وكل ما هو خارجك فهو آفات لك .

٢٣٠ – إن الحزم أنهم عندما يدعونك هو ألا تقول : « إنهم مفتونون بي عاشقون لي » .

– واعلم أن دعوتهم هي بمثابة الصفير للطائر ، يقوم به الصياد وهو مترصد في مكمنه .

– يضع أمامه طائرا ميتا علي أنه هو الذي يغرد ، ويطلق هذا الصوت والحنين .

– فيظن الطائر أنه من جنسه ، فيتجمع حوله فيقوم الصياد بسلخ جلده .

– هذا فيما عدا الطائر الذي وهبه الله الحزم ، بحيث لاينخدع بهذا الحب والملق .

٢٣٥ – وعدم الحزم هو الندم يقينا ، واستمع إلي هذه الحكاية في شرح هذا المعني [1] .

---

(١) ج / ٦ – ٥٠٢ : – ذلك أن عدم الحزم يفضي إلى الشقاء ، يفقد الإنسان الدين ويصيبه بالصداع – واستمع إلى هذه الحكاية في شرح هذا ، حتى تصبح حازمامن أجل حفظ الدين .

« خداع الريفى للحضرى ودعوته
له بضراعة وإلحاح شديدين »

– فيما مضى ، كان هناك يا أخي حضرى قد تعرف علي ريفى .

– وعندما كان الريفي يأتي إلي المدينة ، كان يحط رحاله في الحي الذى يسكن فيه ذلك الحضري .

– كان ينزل عليه ضيفا شهرين وثلاثة شهور ، كان ملازما لمتجره ولمائدته .

– وكلما كانت تعن له حاجة في ذلك الزمان ، كان الحضرى يقضيها له بالمجان .

٢٤٠ – فالتفت إلي الحضري وقال : « أيها السيد، ألن تأتي إلي القرية أبدا متنزها ؟

– بالله ، هلا أتيت بكل أبنائك في هذا الوقت الذي تكون فيه الرياض في بداية الربيع .

– أو تعال في الصيف أوان الثمر ، حتى أعقد الحزام في خدمتك .

– أقبل بخيلك وولدك وأهلك ، وامكث في قريتنا ثلاثة شهور أو أربعة .

– ففي أوقات الربيع تكون القرية جميلة ، والمزارع وزهور الشقائق تشرح الصدر .

٢٤٥ – وكان الحضري يعده تهدئة لحاله ، حتي مر علي الوعد ثمانى سنين .

– كان كل عام يقول له : « متى تتحرك فإن الشتاء[1] قد حل » ؟ .

– فكان الحضرى يتعلل قائلا : « هذا العام سوف يأتينا ضيف من مكان كذا » .

– وفى العام المقبل إذا فرغنا مما يهمنا ، فسوف نسرع إلي ذلك المكان » .

– قال « القروي » : إن أهلى فى انتظار أبنائك يا أهل البر » [2] .

٢٥٠ – ثم يعود في كل عام كطائر اللقلق لكي يقيم فى قبة « مسجد » المدينة .

---

(١) حرفيا شهر دماه وهو من الشهوز الإيرانيه ويوافق ديسمبر ويناير .

(٢) ج / ٦ – ٢٣١ : ثم كان يعود إليه فى كل عام طامعا ، ويضرب خيمتة فى منزل الحضري .

- وكان السيد فى كل عام ينفق عليه من ذهبه ومن ماله ويبسط عليه جناحيه .

- وفي المرة الأخيرة مد له هذا الجواد الموائد لثلاثة شهور في الإصباح والإمساء .

- ومن الخجل كرر « الريفي القول للسيد » حتام الوعد ؟ وحتام التعلل ؟.

- فقال السيد : إن جسدي وروحي طالبان للوصل ، لكن كل حركة في حكمه سبحانه وتعالي .

- والإنسان كأنه السفينة والشراع ، والرياح توجه الشراع حيثما تشاء .

- ثم أقسم عليه ثانية قائلا : أيها الكريم هات ابناءك وتعال ، فانظر النعيم .

- فأخذ بيديه ثلاث مرات معاهدا وقائلا : ناشدتك الله أن تسعي وتأتي سريعا (١) .

- وعلى هذا المنوال مرت عشر سنوات ، وكل سنة « تتكرر » مثل هذه التضرعات والوعود الحلوة .

- فقال أبناء السيد له : يا أبانا إن القمر والسحاب والظلال تسافر أيضا .

- لقد أثبت عليك الحقوق ، وتحملت أنت كثيرا من المشاق في سبيل أعماله.

- وهو يريد أن يؤدي بعض حقوقك عليه عندما تنزل عليه ضيفا .

- وكم أوصانا هو في الخفاء قائلا : « اجذبوه إلي القرية بإلحاحكم » .

- فأجاب : « كل هذا حق لكن يا من أنت في فصاحة سيبويه اتق شر من أحسنت إليه » .

- إن الصداقة هى بذرة النفس الأخير ، وأخشي ما أخشاه عليها الفساد .

٢٦٥ – فهناك صحبة كأنها السيف البتار ، وكأنها زمهرير[1] الشتاء في البساتين والحقول .

– وهناك صحبة كأنها فصل الربيع ، منها العمران والدخل الذي لا يحصى ولا يعد .

– والحزم هو سوء الظن ، حتي تفر وتنجو من السوء .

– الحزم سوء الظن ، هكذا قال الرسول ، فاعتبر كل خطوة فخا أيها الفضولي .

– ووجه الصحراء ممهد وواسع ، وكل قدم فيها فخ فقلل الانطلاق بتهور .

٢٧٠ – وذلك الماعز الجبلي يسرع قائلا : أين الفخ ؟ وعندما يجري يأخذ الشراك بحلقه .

– هذا هو ما كنت تتساءل عن مكانه فانظر إليه ، كنت تري الصحراء ولا تري الكمين .

– وبلا كمين أو شبكة أو صياد أيها العيار ، متي يكون الدسم موضوعا وسط المزرعة ؟

– وأولئك الذين ساروا علي الأرض مرحا انظر إلي عظامهم وجماجمهم .

– وعندما تمضى إلي الجبانة أيها المرتضي ، اسأل عظامهم عما مضى .

٢٧٥ – حتي تري رأي العين كيف سقط هؤلاء السكاري العميان في بئر الغرور.

– فإذا كانت لك عين لاتمش كالعميان ، وإذا لم تكن لك « عين » فامسك بيدك عصا .

(١) حرفيا : شهر ديماه .

- وهـذه العـصـا هي الحزم والاسـتدلال ، اجـعلها لك دليـلا علي الدوام إن لم تكن مبصرا .

- وإذا لـم تكن عـصـا الحـزم والاسـتدلال ، لا تقف علي مـفتـرق كل طريق بلا صاحب عصا .

- واخط كما يخطو الأعمي ، حتي تخلص قدميك من الكلب ومن البئر .

٢٨٠ - إنه يسير مرتعشا بخوف وبحذر حتي لايتخبط .

- يامن فـررت من دخـان فـسـقطت في نار ، وبحـثت عن لقـمة فـصـرت فريسة لحية .

قصـة أهـل سـبأ وكفرانهم النعمـة

- إنك لم تقرأ قصة سبأ ، أو أنك قرأتها ولم تدرك منها إلا ظاهرها .

- إن ذلك الجبل لا علم له بالصوت ذاته ، فلا طريق للب الجبل إلي المعني .

- إنه يردد الصوت بلا أذن ولا عقل ، وعندما تصمت يصمت هو أيضا .

٢٨٥ - لقـد وهب الله أهل سـبأ كـثيـرا من الرفـاهية ، مـئات الآلاف من القصـور والإيوانات والبساتين .

- لكن هـؤلاء الأشــرار لم يؤدوا حق شكـرها ، وكـانوا في الـوفـاء أقل من الكلاب .

- فالكلب عندما تصله لقمة خبز من باب ما ، يلزم خدمة هذا الباب (١) .

- يصبح حارسا علي الباب وخفيراً ، مهما جري عليه من جور وشدة .

- يصير ذلك الباب مقره ومستقره ، ويري اختيار غيره من قبيل الكفر .

٢٩٠ - وإذا أتي كلب غـريب فـي ليل أو نهـار ، فـإن تلك الكلاب تـؤدبه في التـو واللحظة .

- قائلة : اذهب إلي ذلك المكان الذي هو منزلـك الأول ، فهي مقيمـة بقلوبها علي حق تلك النعمة .

– إنها تعضه قائلة : اذهب إلي مكانك ، وكفاك نكرانا لحق تلك النعمة .

– وطالما شربت أنت ، من باب القلوب وأهل القلوب ، ماء الحياة وتفتحت عيناك .

– وكثيرا ما تناولت غذاء السكر والوجد والانسلاخ عن الذات من باب أهل القلوب .

٢٩٥ – ثم تركت هذا الباب من الحرص ، وأخذت تطوف أمام دكان كدب « اللاعب بالدب »

– وعلى أبواب أولئك المنعمين المترفين ، تسرع من أجل الثريد الذي لا قيمة له .

– فاعتبر المكان الذي تربي فيه الروح هو « موضع » الدسم ومن الخير هنا أمر القانط .

« تجمع أصحاب العاهات كل صباح علي باب

صومعة عيسى عليه السلام

هادفين طلب الشفاء بدعائه »

– إن صومعة عيسي هي مائدة أهل القلوب ، فانتبه أيها المبتلي ولا تترك هذا الباب .

– كان الخلق يجتمعون من كل صوب ، من ضرير وأعرج ومشلول وفقير.

٣٠٠ – كانوا يجتمعون علي باب صومعة عيسي كل صباح ، حتي يخلصهم بأنفاسهم من الجُناح .

– عندما كان يفرغ من أوراده ، كان يخرج في الضحى إليهم ذلك الطيب المذهب .

– فكان يري جماعة من المبتلين المساكين ، قد جلسوا علي بابه في رجاء وانتظار .

– فيقول : يا أصحاب الآفة ، إن حاجتكم جميعا مقضية من الله سبحانه وتعالي .

– هيا سيروا بلا ألم وعناء ، إلي غفران الله وإكرامه .

– وجميعهم كالإبل التي عقلت قوائمها ، ثم يفك العقال عن رُكَبِها :

– كانوا يسيرون مسرعين مسرورين نحو منازلهم ، يعدون علي أقدامهم « ببركة » دعائه [1] .

– لقد عانيت أنت آفاتك كثيرا ، وظفرت بالعافية من ملوك الدين هؤلاء .

– وكم صار عرجك إسراعا في السير ، وكم صارت روحك بلا حزن أو أذى .

– فيا أيها المغفل اعقد خيطا علي قدمك ، حتي لا تضل عن نفسك أيضا أيها الغوي .

– ذلك أن جحودك ونسيانك ، لا يذكرانك بشريك العسل .

– فلا جرم أن أغلق هذا الطريق أمامك ، عندما تعبت قلوب أصحاب القلوب منك .

– فالحق بهم سريعا واستغفر لذنبك ، وابك نائحا كأنك السحاب .

– حتي تتفتح رياضهم أمامك ، وتتساقط الثمار الناضجة عليك .

– وطف أيضا حول ذلك الباب ، ولتكن أقل من كلب ، إذا كنت قد أصبحت تابعا لكلب لأهل الكهف .

– وهذا مثل الكلاب التي تنصح الكلاب الأخري بأن تلزم قلوبها المنزل الأول .

– فذلك الباب الأول الذى أكلت منه العظام ، تمسك به جيدا وابق مؤديا لحقه .

---

(١) ج / ٦ – ٢٥٠ : كانوا جميعا بلا وجع أو ألم أوتعب ، أصحاء مسرورين محترمين ، – يسرعون إلى بيوتهم ، من النفس الميمون لذلك السلطان .

– إنها تعضه حتي يذهب أدبا إلي ذلك المكان ، ويصير مفلحا في مقامه الأول .

– تعضه قائلة : أيها الكلب الجحود امض ولا تبغ علي ولي نعمتك .

– وكن ملازما لذلك الباب كأنك حلقته ، وكن حارسا جلدا متحفزا .

– ولا تكن صورة لنقض الوفاء عندنا ، ولا تفش الغدر دون داع .

– ولما كان الوفاء شعارا للكلاب ، امض ولا تجلب العار وسوء السمعة للكلاب .

– ولما كان الغدر عارا علي الكلاب ، فكيف تجيز أنت الغدر وتبديه ؟

– لقد فخر الله سبحانه وتعالي بالوفاء فقال : « من أوفي بعهده من الله ».

– واعتبر الوفاء للغادر نقضا لوفاء الحق ، ولا يسبق « حق » أحد حقوق الحق (1) .

– وقد صار حق الأم فى المقام الثاني ، لأن ذلك الكريم يحملها غرم كونك جنينا .

– وصورك داخل جسدها ، وأعطاها السكينة في الحمل والتعود عليه .

– فرأتك كجزء متصل بها ، وجعل تدبيره المتصل منفصلا .

– لقد صنع الحق ألافا من الصنائع والفنون ، حتي شملتك الأم بحنانها .

– ومن هنا فحق الله سابق علي حق الأم ، وكل من لا يعرف ذلك الحق فهو حمار .

– فهو الذي خلق الأم والثدي واللبن ، وجعلها قرينة للأب فلا تفترض أن هذا منها هى .

(1) ج / ٦ – ٢٥١ : وكن نورا مع النور ونارا مع النار وكن وردا فى موضع الورد وشوكا فى موضع الشوك .

– فيا إلهي يا قديما إحسانك ، إن ما أعلمه وما لا أعلمه هو لك .

– لقد أمرت بأن أذكر الحق ، قائلا : إن حقي لا يصير قديما .

– فاذكر اللطف الذي أبديته ذلك الصباح ، عندما حفظتكم في سفينة نوح .

– وقد أعطيت نطف أجدادكم ذلك الزمان الأمان من الطوفان .

– كان ماء ناري الطبع قد أحاط بالأرض ، وكان موجه يختطف قمم الجبال .

– وقد حفظتكم في وجود أجداد أجدادكم ، ولم أطردكم « عن بابي » .

– فكيف أضربك علي قدميك عندما صرت رأسا ؟ وكيف أضيع صنعي ؟

– وكيف تصير ضحية للغادرين ، وتمضي من ظنك السيىء إلي الوجهة الأخري ؟

– وأنا بريء من السهو ومن الغدر ، ثم تأتى نحوى وأنت تظن فيَّ السوء ؟

– فاحمل ظن السوء إلي ذلك المكان الذى تتقدم فيه إلى عاجز منحنٍ مثلك .

– وكثيرا ما اتخذت أصدقاء ورفاق سوء ، وإذا سألتك أين هم قلت : لقد تولوا .

– لقد مضى رفيقك الطيب فوق الفلك الأعلي ، وذهب صديق فسقك إلي قاع الأرض .

– أما أنت فقد بقيت بينهما كنار بقيت من قافلة ولا تجد المدد .

– فتشبث بطرف ردائه أيها الصديق الهمام ، فهو منزه عن الفوق والتحت .

– فهو ليس مثل عيسى الذى يسمو إلي الفلك ، ولا مثل قارون الذى تميد به الأرض .

– وهو بلا مكان لكنه معك فى كل مكان ، عندما تنفصل عن دارك وعن متجرك .

– إنه هو الذي يستنبط الصفاء من الكدر ، ويعتبر وفاء كل ما قدمته من جفاء .

– وعندما تجفو يرسل إليك من يعرك أذنيك ، حتي تتقدم من النقصان نحو الكمال .

– وعندما كنت تترك وردا في السلوك ، يأتيك فيض من الألم والحمى (١) .

٣٥٠ – وهو تأديب معناه : لا تقم بهذا الفعل ، لا تتحول أبدا عن العهد القديم .

– وذلك قبل أن يكون هذا القبض مستمرا كالغل الحديدى ، ويكون هذا الذي يقبض القلب غلا فى القدم .

– فإن ألمك المعنوى قد صار محسوسا علي الملأ ، حتي لا تهمك هذه الإشارة .

– فأنواع القبض فى المعاصى تنبعث فى القلب ، وبعد الموت قد صارت أنواع القبض أغلالا .

– وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي ﴾ .

٣٥٥ – وعندما يسرق اللص أموال الناس ، يَخِزُ القبض والاكتئاب قلبه .

– فيتساءل عجبا ! ما هذا القبض ؟ ! ، إنه قبض ذلك المظلوم الذى يبكى من شرك .

– وعندما يقلل اهتمامه بهذا القبض ، فإن ريح الإصرار تنفخ في ناره .

(١) ج / ٦ – ٢٥٢ : تترك وردا وفى التوف اللحظة ، يأتيك القبض والظلام ، اعلم هذا جيدا .

– وانقلب قبض القلب إلي قبض العسس ، وصارت تلك المعاني محسوسة علي الملأ .

– انقلبت إلى غصص السجن والتعذيب ، فالغصة كأنها الجذر والجذر ينبت فروعا .

٣٦٠ – والجذر الذي كان مخفيا صار سريعا معلنا وواضحا ، فاعتبر القبض والبسط جذرين داخليين .

– وعندما يكون الجذر سيئا اقتلعه سريعا ، حتي لاينبت الشوك القبيح في الرياض .

– وعندما تحس بقبض عالج هذا القبض ، وذلك لأن كل القمم تنمو من الجذور .

– وعندما تحس ببسط قم بري بسطك ، وعندما تنمو ثماره هبها للأصدقاء .

بقية قصة أهل سبأ

(١)

– كان أهل سبأ من أهل الجهل والغفلة ، كانوا سذجا ، وكان ديدنهم مع الكرام كفران النعمة .

٣٦٥ – ويكون كفران النعمة علي سبيل المثال ، أن تدخل مع المحسن إليك في جدال .

– قائلا : إن هذا الإحسان لا يلزمني ، وأنا منه في ألم فلماذا تشق علي نفسك .

---

(١) ج / ٦ – ٢٨٥ : هاهى قصة أهل سبأ تعود ، فاعد فيها القول لأقول لك مرحبا .

– فالطف بي ، وابعد عني هذا الإحسان ، أنا لا أريد عينا فاجعلني أعمي علي وجه السرعة .

– ومن ثم قال أهل سبأ « باعد بيننا ، « شيننا خير لنا خذ زيننا » [١] .

– ونحن لا نريد هذا الإيوان ولا هذا البستان ، ولا النساء الحسان ولا الأمن والفراغ .

٣٧٠ – إن المدن القريبة من بعضها شيء سيء ، وتلك الصحراء جميلة ففيها توجد « الوحوش » .

– « يطلب الإنسان في الصيف الشتا ، فإذا جاء الشتا أنكر ذا.

– فهو لا يرضي بحال أبدا ، لا بضيق لا بعيش رغدا .

– قتل الإنسان ما أكفره ، كلما نال هدي أنكره [٢] .

– والنفس علي هذا المنوال ومن هنا صارت جديرة بالقتل ، ولذا قال هذا السني « اقتلوا أنفسكم » .

٣٧٥ – إنها شوك ثلاثي الأطراف أينما وضعته يخز فمتي تنجو من وخزه ؟

– فاضرم نار ترك الهوي في الشوك ، وتشبث بكلتا يديك بالمحسن .

– وعندما جاوز أهل سبأ الحد قائلين : إنما يستوي لدينا الصبا والوبا .

– أقبل الناصحون ينصحونهم ، وأخذوا يمنعونهم عن الكفر والفسوق .

– هموا بالاعتداء علي الناصحين وقتلهم ، وطفقوا يغرسون بذور الفسوق والكفر .

(١) في الأصل باللغة العربية .
(٢) في الأصل باللغة العربية .

٣٨٠ – وعندما يحم القضاء تضيق هذه الدنيا ، ومن القضاء تصير الحلوي ألما للفم .

– لقد قيل : إذا جاء القضا ضاق الفضا ، تحجب الأبصار إذ يأتي القضا .

– وعندما يحم القضاء تعمي الأبصار ، بحيث لا تري العين كحل العين .

– إن مكر ذلك الفارس هو أنه أثار الغبار ، وذلك الغبار هو الذي أبعدك عن الاستغاثة .

– فامض نحو الفارس ولا تمض نحو الغبار ، وإلا أطبق عليك مكر ذلك الفارس .

٣٨٥ – لقد قال الحق لذلك الذي أكله الذئب : إنك رأيت غبار الذئب فكيف لم تستغث ؟

– وكيف قام بالرعي مع هذا القدر من العلم ؟ إنه لم يكن يميز غبار الذئب.

– فالخراف تعرف رائحة الذئب المفترس ، وتثب في كل صوب .

– وأدراك الحيوان يميز رائحة الأسد فتغادر المرعى .

– ولقد شممت رائحة أسد الغضب فعد ، وكن منهمكا في المناجاة والحذر .

٣٩٠ – وتلك الجماعة لم ترجع من غبار الذئب ، فأتاهم ذئب المحنة القوى من بعد الغبار .

– ومزق غاضبا تلك الخراف التي أشاحت بأبصارها عن الراعى العاقل .

– لقد دعاهم كثير من الرعاة ولم يرجعوا ، وأخذوا يحثون غبار الغم في عيون الرعاة .

– قائلين لهم : اذهبوا إننا أكثر منكم علما بفن الرعي ، وكيف نكون تبعا وكل منا رئيس .

– لنكن فريسة للذئاب ولا نكون رفقاء لكم ، ولنكن حطبا للنار ولا هذا العار .

٣٩٥ – كانت حمية جاهلية موجودة في الرءوس ، ونعق غراب الشؤم علي دمنهم .

– كانوا يحفرون من أجل المظلومين بئرا ، فسقطوا هم في البئر وأخذوا يتأوهون .

– كانوا يشقون سترات من هم أمثال يوسف ، وكل ما عملوه وجدوه « حاضراً » عملا بعمل .

– فمن هو يوسف ذاك ؟ إنه قلبك الباحث عن الحق وهو كالأسير مقيد في موطنك .

– لقد ربطت جبريل « روحك القدسية » علي جذع ، وجرح جناحاه وقوادمه فى مائة موضع .

٤٠٠ – وقدمت إليه عجلا حنيذا لتجذبه به ، فهلا أتيت به إلي مستودع التبن ؟

– قائلا له : كل هذا وهو لنا الدسم واللحم ، وليس له من قوت إلا لقاء الله.

– ومن هذا التعذيب والامتحان الذى يتعرض له ذلك المبتلى ، يحمل شكواه منك إلي الله .

– قائلا : يا الله ، المستغاث من هذا الذئب العجوز ، فيقول له : لقد قرب الفرج فاصبر .

– سوف أنال حقك من كل غافل ، ومن يعطى الحق إلا الله العادل .

– فيظل يقوله له : لقد نفد صبري من فراق وجهك يا ربنا .

– إننى « أحمد » سقط فى أيدى اليهود ، وأنا صالح ابتلي بسجن ثمود .

– يا واهب السعادة لأرواح الأنبياء ، اقتلنى أو ادعنى إليك أو تعال إلي .

– ففى فراقك لا صبر حتى للكفار ، فالكافر يقول « يا ليتني كنت ترابا » .

– هذا هو حاله وهو ليس في طريقك وضال عنك ، فكيف يكون امرؤ بدونك وهو لك ؟

– فيقول الحق : نعم أيها النزيه ، لكن .. صبرا والصبر أفضل لك .

– والصبح قريب فكفاك صياحا ، وسوف أسعى في سبيلك فلا تسع أنت [1] .

بقية قصة ذهاب السيد بدعوة الريفى إلى القرية

– حجاوز الأمر حده ، هيا عد أيها الصديق العظيم ، وانظر إلي ريفي حمل سيدا إلي بيته .

– ونح قصة أهل سبأ جانبا ، وتساءل كيف جاء السيد إلي القرية .

– لقد برع الريفي في فن الملق ، حتي جعل حزم السيد بددا .

– لقد ضل من رسائله المتتالية ، بحيث صار حزم السيد كدرا وكان كالماء الزلال .

– حتي وهم لا يزالون في موطنهم أخذ أولاده يتغنون سعداء بـ « نرتع ونلعب » .

---

(١) ج / ٦ – ٢٨٧ : والصبح قريب ، فصمتا ، قلل الصياح ، وأنا أجاهد فلا تجاهد أنت ، وسعيي أفضل من سعيك ، ومري أفضل من حلواك . هيا ، تحمل ، وامض فاصمت ، حرك لسانك قليلا وكن أذنا واعلم أن حيلته ومكره وتلبيسه ألعوبة ، وكل ما يبعدك عن رفيقك .

- مثل يوسف الذي وياللعجب ، أخذنه « نرتع ونلعب » من كنف الأب .

- فهى ليست لعبة بل هى تضحية بالروح ، إنها حيلة ومكر وتفنن في النفاق .

- وكل ما يبعدك عن رفيقك لا تستمع إليه فهو خسارة في خسارة .

٤٢٠ - حتى ولو كان نفعا لا تعتبره نفعا خالصا ، ومن أجل الذهب لا تبتعد عن كنز الفقير .

- واستمع إلي الله تعالي قد زجر كثيرا ، وتحدث إلي أصحاب النبي بالأخضر واليابس .

- ذلك أنهم من أجل أصوات الطبول في سنة قحط ، أبطلوا الجمعة دون إبطاء .

- وذلك حتي لايشتري الآخرون البضاعة بثمن بخس ، لقد قالوا في أنفسهم : إنهم سوف يشترون أرخص منا .

- وبقي الرسول عليه السلام وحيدا في الصلاة ، ومعه اثنان أو ثلاثة من الفقراء ثابتي الإيمان ممتلئي الضراعة .

٤٢٥ - فقال : كيف يقطعكم طبل ولهو وتجارة عن الربانية ؟

- « فانفضضتم نحو قمح هائما   ثم خليتم نبيا قائما » (١)

- ومن أجل القمح غرستم بذور الباطل   وتركتم رسول الحق ذاك

- وصحبته خير من اللهو والمال ، فانظر من خليت وحك عينيك .

- ألم يكن لديكم في حرصكم هذا اليقين ، إنني أنا الرزاق وخير الرازقين ؟

---

(١) بالعربية فى المتن .

٤٣٠ – وذلك الذي يهب القمح رزقا من لدنه ... متي جعل توكلك ضائعا .

– بحيث إنك من أجل القمح ، فارقت ذلك الذي أرسل القمح من السماء .

دعوة البازى البط من الماء إلى الصحراء

– يقول البازي للبط ... اقفز من الماء حتي تري الصحاري التي تفيض بالشهد .

– فيقول له البط العاقل : أيها البازي ابتعد ، فإن الماء بالنسبة لنا حصن وأمن وسرور .

– والشيطان كالبازي فانتبه أيها البط ، ولا تخرج من حص الماء .

٤٣٥ – وقل للبازي : امض امض وارجع عنا ، وأرفع يدك عن رؤسنا أيها العظيم .

– نحن أبرياء مما تدعونا إليه فدعوتك مردودة عليك ، ونحن لا نستمع إلى وسوستك أيها الكافر .

– إن الماء بالنسبة لنا شهد وليكن موضع الشهد لك ، وأنا لا أريد هديتك فخذها فهي لك .

– وما دامت الروح موجودة فإن الدسم لا يكون قليلا ، وعندما يكون الجيش لا تقل الأعلام .

– وكم اعتذر ذلك السيدالحازم ، وكم تعلل مع ذلك الشيطان المريد .

٤٤٠ – قال : لدى أعمال مهمة الآن ، وإذا جئت فسوف تتعطل .

– لقد كلفني الملك بمهمة دقيقة ، وفى انتظار « إنجازها » لاينام الملك الليل.

– ولا جرأة لدي علي إهمال أمر الملك ، ومن المحال أن يصفر وجهي أمامه .

– وفي كل صباح ومساء يصل إليَّ منه رسول خاص يطلب مني الحلول « لمشاكله » .

– فهل تجيز أن آتي إلي القرية ، واجعل الملك يستشيط علي غضبا ؟

٤٤٥ – ومن بعدها كيف أعالج أنا غضبه ؟ هل أدفن نفسي حيا آنذاك ؟

– وعلي هذا النمط كرر الكثير من الأعذار ، لكن الحيل لا تجدي مع حكم الله .

– ولو احتالت كل ذرات العالم ، فكل احتيالها هباء مع قضاء السماء .

– وكيف تهرب هذه الأرض من السماء ؟ وكيف تخفي نفسها عنها ؟

– وكل ما يأتي من السماء صوب الأرض ، لا مفر منه ولا مناص ولا ملاذ .

٤٥٠ – فالشمس تمطرها بالنار ، وهى أمام نارها تطأطيء رأسها .

– ولو نزل عليها المطر كالطوفان ، فحطم كل ما عليها من عمران .

– فإنها تسلم كأنها أيوب ، قائلة : إنني أسيرة لك فهات ما تشائين .

– ويا من أنت جزء من هذه الأرض لا تتمرد ، وعندما تتعرض لحكم الله لا تعاند .

– وما دمت قد سمعت « خلقناكم من تراب » فإذا طلب منك أن تكون ترابا لا تشح بوجهك .

٤٥٥ – فانظر « أيها الإنسان » لقد زرعت بذرة في التراب ، وفعلت ما يفعله التراب فرفعتها .

– فاحترف الترابية مرة أخري ، حتي أجعلك أميرا علي كل الأمراء .

– إن المـاء ينزل من أعـلي إلي أسـفل ، ثـم يصـعـد مـن بعـدها مـن أسـفل إلي أعلي .

– والقمح بذُرِ من عـلٍ في التراب ، ثم استطال علي سوقه وصار سنابل .

– وبذرة كل ثمرة كانت في الأرض ، ثم أطلت برأسها من مدفنها .

٤٦٠ – وأصل كل النعم « هبط » من الفلك إلي الأرض ، جاء من أعلي إلي أسـفل غذاء للروح .

– وعنـدما هـبطـت من الفـلك إلي الأرض تواضـعـا ، صـارت جـزءا من الإنسان الحي الشجاع .

– ثم اكتسب هذا الجماد صفات الإنسان ، فسما سعيدا إلي أعلي العرش .

– قائلا : لقد جئت من العالم الحي منذ البداية ، وهأنذا قـد عدت من أسفل إلي أعلي .

– وجملة الأجزاء متحركة كانت أو ساكنة ، ناطقة « إنا إليه راجعون » .

٤٦٥ – وذكر الأجزاء الخفية وتسابيحها ، أقامت ضجة في السماء .

– وعندما مارس القضاء النيرنجات والحيل ، جعل حضريا مغلوبا لريفي .

– وبالرغم من آلاف أنواع الحـزم التي لديه ، فإن السـيد قد غلب وصار في تلك الرحلة معرضا للآفات .

– كان اعـتمـاده علي ثباته ، وبالرغم من أنه كـان جبلا فإن نصف سـيل قد اختطفه .

– وعندمـا يطل القـضاء برأسه من الفلك ، فإن العقلاء جـميعـا يصيـرون صما وعميانا .

٤٧٠ – وتخرج الأسماك من البحار ، ويأخذ الفخ بالطائر المحلق مهيض الجناح .

– ويصير الجني والشيطان في زجاجة واحدة ، بل ويمضي هاروت إلي بابل .

– وليس سوي ذلك الذي فر من القضاء إلي القضاء من لايستطع أي تربيع «للكواكب» أن يسفك دمه .

– وليس سوي الهروب من القضاء إلي القضاء من حيلة أخرى تنجيك منه.

قصة أهل ضروان واحتيالهم حتي يقطفوا حدائقهم دون إزعاج من الفقراء

– هل قرأت قصة أهل ضروان ؟ إذن لماذا بقيت فى شرك الاحتيال ؟ .

٤٧٥ – أخذ عدد من العقارب اللادغة فى الاحتيال ، كيف يسلبون حق عدد من الفقراء

– وكانوا طوال الليل يمكرون وهم متواجهون ، ذلك العدد ممن كانوا يتسمون بعمرو وبكر .

– كانوا يتناجون فيما بينهم هؤلاء الأشرار « زاعمين » أن ذلك « خوفا » من أن يعلم الله ما يبيتون .

– وهل يمكر الطين على داهن الطين ، وهل تقوم اليد بالعمل خفية عن القلب ؟

– لقد قال :

« ألا يعلم نجواك من خلق   إن فى نجواك صدقا أم ملق

٤٨٠ – كيف يغفل عن ظعين قد غدا   من يعاين أين مثواه غدا ؟

– أينما قد هبطا أو صعدا   قد تولاه وأحصى عددا » [١]

(١) الأبيات بين الأقواس بالعربية فى النص . وبعده (ج / – ٣٢٤) : كانوا يتناجون بالأسرار خفية عن الله ، تلك الكلاب العمياء ، من جلها وعماها . واستمع الأن إلى حديث السيدة كيف ذهب إلى القرية ونال جزاءه.

- فطهر الأذن من الغفلة الآن واستمع إلى هجر هذا المحزون (١)
- واعلم أنها زكاة تلك التى تعطيها للمحزون ، عندما ترهف السمعْ إلى بثه .
- فاستمع إلي أحزان متعبي القلوب ، فإن فاقة الروح الشريفة من الماء والطين .

٤٨٥ - إن له منزلا مليئا بالدخان فهو واحد ممن يحتالون كثيرا ، فافتح له عليها كوة من الإصغاء .

- فتصير أذنك بالنسبة له كطريق للتنفس ، وينقشع دخان المرارة عن منزله قليلا .
- وقدم لنا السلوى أيها السالك ، إذا كنت تمضي صوب الرب الأعلى .
- فهذا التردد حبس وسجن ، يمنع الروح عن المضى نحو جهة ما .
- يجذبها هذا إلى هذه الجهة وذاك إلى تلك ، وكل منهما قائل له : أنا طريق الرشد .

٤٩٠ - إن هذا التردد عقبة فى طريق الحق ، فما أسعد ذلك الذى يكون مطلق القدم ! .

- إنه يمضى بلا تردد فى الطريق المستقيم ، وإذا كنت تعرف الطريق فابحث عن « أثر » خطواته .
- فتتبع الغزال وامض سالما معافى ، حتى تصل من « أثر » خطو الغزال إلى نافجته .
- ومن هذا السير تمضى إلى الأوج الأنور ، أيها الرفيق حتى إن كنت تسير على النار .
- ولا تخف من البحر ولا من الموج ولا من الزبد ، وما دمت قد سمعت الخطاب بـ « لاتخف » .

(١) ج / ٦ - ٣٢٤ : وأية بلايا حلت به ومحن ، في طريق القرية ، عندما هجر مدينته ! !

٤٩٥ – واعلم أن : « لا تخف » من الحق ما دام هو الذى أعطاك الخوف ، إنه يرسل الخبز ما دام قد أرسل إليك الطبق .

– فالخوف يكون لذلك الشخص الذى لا يخاف ، والحزن لذلك الشخص الذي لا طواف له هنا .

حركة السيد نحو القرية

– بدأ السيد في العمل وأعد الزاد ، وساق طائر عزمه سريعا نحو القرية .

– وأعد الأهل والأبناء عدتهم للسفر ، ووضعوا حاجياتهم علي ثور العزم .

– وأسرعوا سعداء نحو القرية ، قائلين : أبشروا فإننا لآكلون الثمار من القرية .

٥٠٠ – فإن مقصدنا مرعى حسن ، وصديقنا هناك كريم بشوش .

– لقد دعانا بآلاف من أنواع الترغيب ، ومن أجلنا غرس غرسا كريما .

– ثم نعود من عنده صوب المدينة ، بذخيرة القرية للشتاء الطويل .

– ويؤثرنا عليه بحديقته ، ويجعل لنا موضعا في سويداء روحه .

– « عجلوا أصحابنا كي تربحوا » ، وكان العقل يقول من الباطن « لا تفرحوا » .

٥٠٥ – « من رياح الله كونوا رابحين   إن ربي لايحب الفرحين »

– « افرحوا هونا بما آتاكم   كل أت مشغل ألهاكم » [١] .

– كن فرحا منه ولا تكن فرحا من غيره ، فهو الربيع وغيره زمهرير الشتاء [٢] .

---

(١) ما بين الأقواس باللغة العربية فى المتن .

(٢) حرفيا : شهر « دى » .

وكل ما سواه استدارج لك ، مهما كان بالنسبة لك عرشا وملكا وتاجا .

– وكن فرحا من الحزن هو شراك اللقاء ، والرفعة من التواضع في هذا الطريق .

٥١٠ – فالحزن كنز وألَمك معدنه ، لكن متي يكون هذا بذي تأثير في الأطفال .

– فالأطفال عندما يستمعون إلى اسم اللعبة ، يصيرون جميعا في سرعة حمار الوحش .

– ويا أيتها الحمر الضريرة في هذه الناحية فخاخ ، وهنا سفاحون مترصدون في هذه الناحية .

– وهنا قوس خفي يطلق السهام من الغيب ، ويصيب الشباب منه مائة سهم من الشيب .

– وليكن خطوك في صحراء القلب ، ففي صحراء الطين لا يوجد فتح .

٥١٥ – والقلب عمران أمن أيها الأصدقاء ، فيه عيون ورياض في رياض .

– « عج إلي القلب وسر يا سارية ، فيه أشجار وعين جارية » [(١)] .

– ولا تذهب إلي القرية فالقرية تجعل المرء أحمق ، وتجعل العقل بلا نور أو رونق .

– واستمع إلي قول الرسول أيها المجتبي ، « وفحواه » أن مقبرة العقل في الريف .

– وكل من يقيم في القرية شهرا كاملا صباح مساء لايكون عقله كاملا .

٥٢٠ – وحتي شهر لا يكون عقله كاملا ، فماذا يحصد من القرية إلا عشب القرية .

– وكل من يبقي شهرا في الريف ، تكون الأيام لديه جهلا وعمي .

---

(١) بالعربية فى المتن .

- وماذا تكون القرية سوى شيخ لم يصل ، تعلق بيديه بالحجة والتقليد .
- وهذه الحواس أمام مدينة العقل الكلي ، كالحمر المعصوبة « تدور » في الطاحون .
- فدعك من هذا وتعلق بظاهر الحكاية ، اترك حبات الدر وخذ حبات القمح .

٥٢٥ - وإذا لم يكن لك طريق إلي الدر فانتبه وخذ القمح ، وإذا لم يكن لك طريق إليه أيضا فامض صوب تلك الناحية .
- وخذ بظاهرة بالرغم من أن الظاهر مضل ، لأن الظاهر يحمل إلي الباطن في النهاية .
- وبداية كل إنسان في الصورة ذاتها ، ثم بعد ذلك « تنفخ » الروح التى هى جمال السيرة .
- وما أول كل ثمرة إلا صورتها ، ثم بعد ذلك « تأتي » اللذة التى هى معناها .
- إنهم يقيمون مخيما ومعسكرا ، ثم يدعون بعد ذلك الترك إلي الضيافة .

٥٣٠ - فاعلم أن المخيم هو صورتك والمعنى هو الترك ، واعتبر المعنى بالنسبة لك كالملاح والصور كالفلك .
- واترك هذا من أجل الحق برهة واحدة ، حتي يحرك حمار السيد الجرس .

ذهاب السيد وقومه نحو القرية

- أعد السيد وأولاده جهازا ، وعلي مطاياهم اتجهوا نحو القرية .
- ساقوا فرحين نحو الخلاء ، وأخذوا يرددون « سافروا كي تغنموا » .
- فمن الأسفار يصير القمر بدرا تام البهاء ، وبلا أسفار متى صار القمر بدر تمام ؟

٥٣٥ – ومن الأسفار يصير بيدق « الشطرنج » حصانا ، ومن السفر وجد يوسف الصديق مائة مراد .

– فأحرقوا الوجوه نهارا في ضوء الشمس ، وليلا كانوا يهتدون بالنجم في طريقهم .

– لقد صار الطريق الوعر سهلا أمامهم ، وفرحا بالقرية صار الطريق كأنه الجنة .

– فالمر يصير حلوا « إذا صدر » عن ذوى الشفاء الحلوة ، والشوك يصير شارحا للقلوب في الرياض .

– ومن المعشوق يصير الحنظل رطبا ، وتصير الدار مرجا من رفيقة الدار

٥٤٠ – وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملا في محبوب قمري الوجه وردي الوجنة .

– وما أكثر الحمالين الذين صاروا ممزقي الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار .

– وذلك الحداد سود وجهه الجميل ، حتي يقبل القمر عندما يجن الليل .

– والسيد مسمر في حانوت حتي الليل ، ذلك أن « سروة » ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه .

– وتاجر ما يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو قعيدة منزل .

٥٤٥ – إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي .

– فذلك النجار اتجه نحو الخشب ، أملا في الحضور بين يدي حسناء فاتنة الوجه .

– فكن مجتهداً علي أمل الحي الذي لا يتحول بعد يومين إلي جماد .

– ولاتختر خسيسا مؤنسا ، فالأنس من خسيس يكون شيئا مستعارا .

– فأين أنسك مع أبيك ومع أمك ، إذا كان هناك وفاء عند مؤنسيك جميعا سوى الحق .

٥٥٠ – وماذا جري لأنسك مع الحاضنة والمربي ، إذا كان لأحد غير الحق أن يكون لك عضدا .

– لم يبق أنسك مع اللبن ومع الشدي ، ولم يبق أيضا نفورك من أول مدرسة .

– كان ذلك شعاعا علي جدارهم ، وعادت تلك العلامة نحو الشمس (الساطعة) ! !

– وكلما يقع هذا الشعاع علي شيء ، تقوم أنت بعشقه أيها الشجاع .

– وعشقك لكل ما هو في الخليقة ، هو بالنسبة لصفة الحق كان طلاء ذهب .

٥٥٥ – وعندما ذهب الطلاء الذهبي إلى حال سبيله وبقي النحاس مل منه الطبع وطلقه .

– فلسحب قدمك -خارجا من -صفاته ذات الطلاء الذهبى ، وكفاك قولا من الجهالة أن الزيف حلو .

– فإن تلك السعادة في الزيف عارية ، وتحت الزينة مادة بلا زينة .

– فالذهب من فوق الزيف يمضى إلي معدنه ، فامض أنت أيضا نحو المعدن حيثما يمضي .

– ويمضى النور من الجدار نحو الشمس ، فامض أنت أيضا نحو الشمس الجديرة بالمعنى .

٥٦٠ – ومن ذلك الوقت فصاعدا خذ الماء من السماء ، ما دمت لم تر وفاء من القناة .

– وأصل « الإلية » لا يكون فخا لذئب ، فمتى يعلم الذئب المهول أصلها ؟

– لقد ظنوا أن الذهب معقود فى سلكه ، فأخذ هؤلاء المغرورون يسرعون نحو القرية .

– وهكذا أخذوا يمضون ضاحكين راقصين ، وأخذوا يدورون حول هذه الساقية .

– وعندما كانوا يرون طائرا يطير نحو القرية ، كان صبرهم « ينفد » ويمزق ثوبة [1] .

٥٦٥ – بل إن كل من كان يأتي من ناحية القرية نحوهم كانوا يقبلون وجهه .

– قائلين له : لقد رأيت وجه حبيبنا ومن ثم فأنت روح للروح وبصيرة لنا .

ملاحظة المجنون لذلك الكلب
الذى كان فى حى ليلى

– وهذه يشبه المجنون الذي كان يلاطف كلبا ، كان يقبله ويذوب « رقة » أمامه .

– كان يطوف حوله خاضعا ، وكان يسقيه محلول السكر صافيا [2] .

– فقال له فضولي : أيها المجنون الساذج : ما هذا الخبال الذي لاتزال تبديه ؟

٥٧٠ – إن فم الكلب دائما ما يأكل النجس . كما أنه ينظف مؤخرته بفمه .

– وعدّد عيوب الكلب الكثيرة ، والذي يعد العيوب لايظفر بالنذر اليسير عن علام الغيوب .

– فقال له المجنون : إنك بأجمعك صورة وجسد ، فتقدم وانظر إليه بعيني

– إنه هو الطلسم المعقود بالمولي ، وهو أيضا حارس حى « ليلي » .

– فانظر إلي همته وقلبه وروحه ومعرفته ، وانظر أي مكان اختاره مقاما له ! ! .

---

(١) ج / ٦ – ٣٤٧ : – وكل نسيم كان يهب فى ناحية القرية ، كانه كان يرى منهم النفس والروح .

(٢) ج / ٦ – ٣٦٥ : – كان يطوف حوله خاضعا ، كما يطوف الحاج حول الكعبة صادقا . – كان يقبل رأسه وقدمه وسرته ، وكان يسقيه الجلاب صافيا .

٥٧٥ – إنــه كلب كـهـفي مـبـارك الـوجـه ، بل هـو شــريكي في الألـم وشـريكي في اللـهفة .

– وذلك الكلب الذى يكون مـقيمـا في حيهـا ، متي أعطي شعـرة واحدة منه في مقابل أسـود ؟

– فيا من تكون الأسـود غلمان كلابه ، لا إمكان للقول فصمتا والسـلام .

– وانكم أن تجاوزتم الصـورة أيها الرفاق ، توجد الجنة ورياض في رياض .

– وعندمـا تحـطم صــورة « الذات » وتحـرقــهـا ، فـقـد تعـلمت إذن أن تحطم الصـورة الكلية

٥٨٠ – وبعـد ذلك تسـتطيع أن تحطم كل صــورة ، وتكون مـثل « حـيـدر » تقـتلع باب خيبر .

– لقد صـار ذلك السيد السـليم ضـحية لصـورة ، إذ أخذ يسـعي نحو القرية « مـخدوعـا » بقول سـقيم .

– « وأخـذ يمضـي » نحـو فخ ذلك المرائي سـعيـدا ، مـثل طائر نحـو « حب » الابـتلاء .

– لقـد اعـتـبر تـلك الحـبة من الـكـرم ، وذلك العطاءهو غـاية الحـرص وليس جـودا .

– والطـيـور المسكيـنة – طمـعـا في تلك الحـبة – طائرة مـسـرعـة نحـو ذلك الاحـتيال فرحـة .

٥٨٥ – فلو أنني أخبرك بمقدار فرح السـيد ، فإنني أخـاف أيها السـالك أن أضـلك .

– ومن هـنا اختصـرت ، وعندما ظهـرت القـرية ، لـم تكن القـرية المقصـودة إذا اختار طريقا آخر .

– فأخذوا يتنقلــــون من قرية إلي قرية قرابة شـهـر ، وذلك لأنهم لـم يعرفوا طريق القـرية جيدا .

– وكل من مضى في الطريق بلا دليل ، يكون الطريق الذي يستغرق يومين هو طريق مائة عام .

– وكل من يسير نحو الكعبة بلا دليل ، يصير ذليلا مثل هؤلاء الضالين .

٥٩٠ – وكل من يحترف مهنة بلا أستاذ ، يصير أضحوكة الحضر والريف .

– وليس إلا نادرا في الخافقين أن يخلق أدمي إلا من والدين .

– ويجد المال ذلك الذي يعمل ، ومن النادر أن يظهر كنز .

– فأين المصطفي الذي يكون جسمه روحا ، لكي يعلمه الرحمن القرآن .

– لقد علم كل أهل الجسد بالقلم ، ونشر الواسطة في بذل الكرم .

٥٩٥ – وكل حريص محروم يا بني فلا تسرع كالحريصين ، وامش الهويني .

– وفي ذلك الطريق كابدوا المشاق والحمي ، كما يكابد الطائر البري العذاب في الماء .

– فضاقوا بالقرية وبالريف ، ومن صب ذلك ليس بأستاذ « لحديث » كالسكر .

وصول السيد وقومه إلى القرية
وتجاهل القروى لهم وإنكاره إياهم

– وعندما وصلوا بعد شهر إلي ذلك المكان ، كانوا بلا زاد وكانت المطايا بلا علف .

– فانظر إلي الريفي من سوء نيته ، ماذا يفعل بعد ما قدمه من وعود [1] .

٦٠٠ – فهو يخفي عنهم وجهه نهارا ، حتي لايمدوا أفواهم نحو حديقته .

– ومثل ذلك الوجه الذي كله احتيال وشر أولي بأن تخفيه عن المسلمين .

---

(١) حرفيا بعد اللتيا والتى أى بعد التفاصح والفيهقة فى تقديم الوعود.

- وهناك وجوه تقف فوقها الشياطين كالذباب وكأنها حرس عليها .

- فعندما تنظر إلي مثل هذا الوجه تقع فيك ، فإما ألا تري هذا الوجه وأما إن رأيته ألا تضحك سعيدا .

- وفي مثل هذا الوجه الخبيث العاصي ، قال الله تعالي ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ .

- وعندما سألوا ووجدوا منزله ، أسرعوا إلي الباب كأنهم الأهل .

- فأغلق أهل منزله الباب ، وجن جنون السيد من هذا الاعوجاج .

- لكن الوقت لم يكن وقت الغلظة ، وما دمت قد سقطت في البئر فماذا تجديك الحدة ؟

- فبقوا علي بابه خمسة أيام ، في برودة الليل ولفح الشمس في النهار .

- لم يكن البقاء من الغفلة أو الغباء ، كان من الاضطرار والفاقة .

- فالكرام يرتبطون باللئام اضطرارا ، والأسْد تأكل الجيف من الجوع الشديد .

- لقد كان يراه ويلقي عليه السلام ، قائلا له : أنا فلان .. أنا اسمي كذا .

- فيرد عليه قائلا : وهو كذلك فأي علم لي من أنت .. هل أنت شرير أو قرين للطهر ؟(1) .

- فقال « السيد» هذه اللحظة صارت شبيهة بالقيامة ، حتي إن الأخ ليفر من أخيه .

- وأخذ يفسر له : إنه أنا ذلك الذي أكلت « الطعام » الدسم علي مائدته مثني و « ثلاث » .

---

(1) ج / ٦ - ٣٧٩ : - انني واله ليل نهار فى صنعه وليس عندى أدنى اهتمام بعده .
- وليس لى أدنى خبر بذاتي ، وليس لى من وجودى مقدار شعرة .
- وليس عند لبى معرفة إلا بالحق ، وليس فى قلب المؤمن سوى الله .

٦١٥ – وفي يوم كذا اشتريت منك ذلك المتاع ، وكل سر جاوز الاثنين شاع .

– وسر الحب بيننا قد سمعه كل الخلق ، ويستحي الوجه عندما يأكل النعمة الحلق .

– فأخذ « الريفي » يقول له : ما هذه الترهات التي تتفوه بها ؟ إنني لا أعرفك ولا أعرف اسمك أو مسكنك .

– وفي الليلة الخامسة تلبدت السماء بالسحب وأمطرت ، بحيث كانت السماء نفسها تتعجب من مطرها .

– وعندما بلغت السكين العظم ، دق السيد حلقة الباب صائحا : استدعوا « السيد العظيم » .

٦٢٠ – وعندما جاء بعد إلحاح شديد إلي الباب ، قال : ما الأمر آخرا ياروح أبيك ؟

– قال « السيد » : لقد تركت كل هذه الحقوق ، وأقلعت عن كل ما كنت أفكر فيه .

– لقد ذقت كبد خمس سنوات في خمسة أيام ، وروحي مسكينة في هذه الحرارة والاحتراق .

– وجفاء واحد من الأهل وذوي القربي في ثقله كأنه مضاعف آلاف الأضعاف (١) .

– ذلك أن القلب لم يألف جورا أو جفاء من ذلك الذي اعتادت روحه علي لطفه ووفائه .

٦٢٥ – وكل ما هو « جار » علي الناس من بلاء وشدة ، أعلم يقينا أنه علي خلاف العادة .

– ثم قال : أيتها الشمس وحبك إلي زوال ، لو أنك سفكت دمي فهو لك حلال .

---

(١) حرفيا : كأنه ثلثمائة ألف

– إن الليلة ممطرة فأعطنا ركنا نأوي إليه ، و « جازاك الله » بأن تجد الزاد يوم القيامة .

– فقال الريفي : هناك ركن وهو للناطور ، وهو حارس « الحديقة » وهناك ذئب .

– ففي كفه سهم وقوس من أجل الذئب ، حتي يقتله إذا أتي ذلك الذئب المفترس .

– فإذا « قبلت » أن تقوم بهذه المهمة فالمكان لك ، وإلا تفضل وابحث عن مكان آخر .

– فقال « السيد » : بل أقوم بمائة مهمة ، فقط أعطني مكانا ، وضع هذا القوس والسهم في يدي .

– ولن أنام بل سأقوم بحراسة الكرم ، وإذا أتي الذئب أصبت رأسه بالسهم .

– فبحق الله لا تتركني هذه الليلة أيها القاسي ، ماء المطر ينصب فوق رأسي وقدمي في الطين .

– فأخلي الركن وذهب إليه مع عياله وهو مكان ضيق لاسعة فيه .

– فركبوا كأنهم الجراد بعضهم فوق بعض ، « وانكمشوا » خوفا من السيل في ركن من الغار .

– وظلوا جميعا طوال الليل يقولون : يا الله ... هذا هو جزاؤنا ... هذا هو جزاؤنا .. هذا هو جزاؤنا .

– هذا هو جزاء من يصادق الأخساء ، أو يقدم الإحسان لمن ليس أهلا له .

– هذا هو جزاء من يترك في سبيل طمع لايتحقق محضر تراب الكرام .

– وإن لعق تراب الأطهار وجدرانهم ، أفضل من العوام وكرمهم ورياضهم .

– وأن تكون عبدا لامريء مستنير القلب ، أفضل لك من أن تصير علي مفرق الملوك .

– ومن ملوك التراب لن تجد يا رسول السبل « المتفرقة » إلا أصوات الطبول .

– إن أهل الحضر أنفسهم أشبه بقطاع الطرق بالنسبة للروح ، وماذا يكون الريفي إلا أحمق بلا فتوح .

– هذا جزاء ذلك الذي دون تدبير من العقل ، أتاه صوت « الغول » فاختاره نقلا .

– وعندما ينتقل الندم من القلب إلي الشغاف ، فلا جدوي من ذلك الوقت فصاعدا من الاعتراف .

٦٤٥ – كان ذلك القوس والسهم في يده ، و « ظل » باحثا عن الذئب طوال الليل من ناحية إلي أخري .

– ولما كان الذئب مسيطرا عليه كأنه الشرر ، فقط ظل باحثا عن الذئب غافلا عن «ذنبه» الذي بين جنبيه .

– وصارت كل بعوضة وكل برغوث مثل ذئب ، وأخذوا في لدغهم في تلك الخرابة .

– ولم تكن هناك فرصة حتي يطرد البعوض ، رعبا من هجوم الذئب الضاري .

– فما لم يأت الذئب ويجندل قتيلا ، فإن الريفي سوف يقتلع لحية السيد .

٦٥٠ – وهكذا ظلوا حتي منتصف الليل تصطك أسنانهم ، حتي بلغت الروح منهم الحلقوم .

– وفجأة أطل تمثال لذئب هزيل من فوق تل ،

– فأطلق السيد سهمه من القوس ، وضرب ذلك الحيوان حتي جندله ذليلا ،

- وعند سقوط الحيوان أفلتت منه حبقه [1] ، فصاح الريفي ضاربا كفا بكف .

- « وصاح قائلا » : أيها الفدم إنه جحشي ، فقال : لا بل هو ذئب كأنه الشيطان .

٦٥٥ - وفيه أمارات الذئبية ظاهرة ، كما أن شكله ينبيء عن ذئبيته .

- قال الريفي : لا وإن الريح التي انطلقت من مؤخرته ، أعرفها كما أعرف الماء من الخمر .

- لقد قمت بقتل جحشي في الرياض ، فلا كان لك أبدا بسط من الانقباض .

- قال « الحضري » : من الأفضل أن تتحري الأمر ، فالوقت ليل والشخوص في الليل محتجبة عن الناظر .

- إن الليل يحدث كثيرا من الشبهات ويبدل كثيرا ، وليس لكل امريء نظر صائب في الليل .

٦٦٠ - وهي سواء الليل والغيوم والمطر المنهمر ، هذه الظلمات الثلاث تتسبب في أخطاء كثيرة .

- قال : إنها بالنسبة لي كالنهار المنير ، فأنا أعلم بحبق جحشي .

- وأنا أعرف هذه الريح من بين مائة ريح كما يعرف المسافر زاده .

- فقفز السيد وتقدم غير هياب وأمسك بخناق الريفي .

- قائلا له : أيها الأبله اللص المخادع ، يا من قد تعاطيت الحشيش والأفيون معا .

٦٦٥ - إنك في الظلمات الثلاث تعرف ريح الحمار ، فكيف لاتعرفني يا داثر الرأس .

---

(١) حبقه : أي ضرطة .

- وذلك الـذي يعـرف « الجحش »[1] في منتصـف الليل ، كـيف لايـعرف رفـيق عشر سنوات ؟

- إنك تجعل من نفسك عارفا ووالها ، بينما تحثو عين المروءة بالتراب !!

- ولاتفتأ تقول : أنا لاعلم لي بنفسي .. ولا مجال في قلبي إلا لله ،

- وما أكلته بالأمس لاأذكره ، وهذا القلب « الذي لي » لايسعد إلا بالحيرة .

٦٧٠ - إنني عاقل ومجنون بالحق فاذكر ذلك ، واعذرني في غيبتي هذه عن نفسي .

- وذلك الـذي يأكل الميتة أي النبيذ ، فاسلكه أيها الشرع في عداد المعذورين .

- وليس للثمل أو من هو في غيوبة الحشيش من طلاق وبيع ، فهو كالطفل معاف ومعتق .

- والسكر الذي يتأتي من عبير الملك الفرد ، لايفعل مائة دن خمر فعله في الرأس واللب .

- فكيف إذن يجوز علي « من يعانيه » التكليف ، لقد سقط الجواد وصار بلا أقدام أو قوائم .

٦٧٥ - وفي الدنيا من الذي يضع حملا فوق جحش ؟ ومن الذي يقوم بتعليم « أبي مرة » (إبليس) الفارسية ؟

- إنهم ينزلون الحمل من « فوق الدابة » عندما تصاب بالعرج ، ولقد قال الحق « ليس علي الأعمي حرج » .

- « إنك لا تفتأ تقول » صرت أعمي أمام نفسي وبصيرا بالحق ، إذن فأنا معافي من القليل والكثير .

---

(١) في النص العجل وذلك لكي يوفق مولانا صنعه الجناس ومن الأوفق للسياق أن يكون الجحش .

- وتثرثر عن الفقر والانسلاخ عن الذات ، وعندك صيحات وجد سكارى
الإله .

- وتظل تقول : لاأعرف الأرض من السماء ، فإذا بغيره « الإله » تقوم
بامتحانك أي امتحان !!

٦٨٠ - وهكذا فضحتك ريح جحش ، وقامت بإثبات « ما ادعيته » من نفي ذاتك .

- وهكذا يفضح الحق المحتال ، وهكذا يأخذ الصيد الهالع .

- وهناك مئات الآلاف من أنواع الامتحان أيها الأب « ومع ذلك » فكل واحد
يقول لقد أصبحت حاجب الباب .

- وإذا لم يكن العوام يعرفونه « علي حقيقته » من الامتحان ، فان
الناضجين يبحثون عن أمارات إلي طريقه .

- وعندما يدعي أحد مهنة الحياكة ، فإنه يلقي أمامه بأطلس من النوع
الفاخر .

٦٨٥ - قائلا له : اصنع من هذا فراجة واسعة ، ومن الامتحان يبرز له قرنان .

- وإذا لم يكن هناك امتحان لكل شرير ، لكان كل مخنث بطلا في الوغي
كرستم .

- فافترض أن المخنث مدرع من الحديد ، لكنه عندما يري الطعان يسقط
كأنه الأسير .

- وكيف يصير ثمل الحق مفيقا من ريح الدبور ؟ إنه ثمل الحق لايفيق
ولو بنفخ الصور .

- وخمر الحق تكون حقا ولا تكون باطلا ، لقد شربت المخيض شربت
المخيض شربت المخيض .

٦٩٠ - وجعلت من نفسك الجنيد وبايزيد ، قائلا امض عني إنني لا أعرف الطبر
من المفتاح .

- فكيف تجعل خبث الجبلة والكسل والحرص والطمع مختفية بالمكر أيها الأفاق ؟ !

- أتجعل من نفسك منصورا الحلاج ، ثم تضرم النيران في أقطان الرفاق ؟

- وأنت لاتفتأ تقول : لا أعرف عمر من أبي لهب ، « ثم تقول » أعرف ربح جحشي في منتصف الليل .

- أيها الحمار ومن يصدقك يكون حمارا ، ويجعل نفسه أصم وأعمي من أجلك .

٦٩٥ - فكفاك اعتبار نفسك من السالكين ، إنك رفيق لمن يتبرزون في الطريق ، فلا تتحدث بالهذر .

- وطر ثانية من المكر تجاه العقل سريعا ، فمتي يحلق في السماء جناح المجاز ؟

- لقد ادعيت أنك عاشق للحق ، لكنك مارست العشق مع الشيطان الأسود .

- والعاشق والمعشوق يشدان معا يوم القيامة بحل واحد ويساقان بعنف زوجا زوجا .

- فماذا إظهارك لنفسك ذاهلا فاقد الوعي ؟ وأين دم الكرم وقد شربت دماءنا .

٧٠٠ - وتقول : « امض فأنا لاأعرفك وانصرف عني ، إنني أنا العارف الذاهل وأنا بهلول القرية » .

- وكل ما تتوهمه عن القرب من الحق ، أن صانع الطبق لايكون بعيدا عن الطبق .

- ولا تري أن قرب الأولياء ، فيه مائة كرامة وشأن وأبهة .

– فالحديد يصير من داود كأنه الشمع ، والشمع في يدك يكون مثل الحديد .

– فالقرب من حيث الخلق ومن حيث الرزق عام للجميع ، والقرب من وحي العشق لهؤلاء الكرام .

٧٠٥ – فالقرب علي أنواع أيها الأب ، والشمس تشرق علي الجبل وعلي الذهب .

– لكن هناك قربا للشمس مع الذهب ، لايكون الصفصاف علي علم به .

– والغصن اليابس والأخضر كلاهما قريب من الشمس ، ومتي توارت الشمس عن كليهما بالحجاب .

– لكن أين تلك القربة للغصن الأخضر الذي تأكل أنت منه الثمار الناضجة ؟!

– من قربة الغصن اليابس من تلك الشمس ؟ قل له اظفر بشيء غير الإسراع نحو التيبس !! (١) .

٧١٠ – فلا تكن ثملا إلي ذلك الحد أيها المجنون الذي يجعلك تندم عندما تعود إلي وعيك .

– بل كن مثل أولئك السكاري الذين تتحسر العقول الناضجة منهم عندما يثملون .

– ويا من أنت كالقط لم تصد سوي فأر عجوز ، لو أنك بهذه الخمر تستطيع أن تصيد أسدا فصد أسدا .

– ويا من احتسيت من خيال الكأس هباء ، لا تُغرب كسكاري الحقائق .

– إنك تتمايل هذه الناحية وتلك الناحية كالثمل ، فيا من أنت من هذه الناحية ليس مسموحا لك بتلك الناحية .

---

(١) ج/٦-٣٨٣ : انظر إلى الغصن اليابس في قرب الشمس ، هل ينال غير الجفاف شيئا آخر .

٧١٥ – فلو وجدت الطريق إلي تلك الناحية بعد ذلك ، تمايل برأسك حينا إلي هذه الناحية وحينا إلي تلك الناحية .

– وإنك بجملتك منسوب إلي هذه الناحية فلا تثرثر عن تلك الناحية ، وما دمت لا تملك الموت فلا تقتلع روحك عبثا .

– وذلك الذي روحه كالخضر بحيث يهلع منه الموت ، يجوز له ألا يعرف مخلوقا .

– وإنك لتجعل الفم حلوا من لذة متوهمة ، وتقوم بالنفخ في قربتك فتجعلها ضخمة .

– ثم تفرغها من الريح بإبرة واحدة ، فلا كانت مثل سمنة الجسد هذه (نصيبا) لعاقل .

٧٢٠ – وإنك لتصنع أنية من الثلج في الشتاء ، فمتي تفي لتلك الآنية عندما تري الماء .

سقوط ابن آوى فى دن صباغ وتلونه

وادعاؤه الطاووسية بين أبناء آوى

– سقط ابن آوي في دن صباغ ، ومكث في ذلك الدن برهة من الزمن .

– ثم خرج وقد تلون جلده قائلاً : لقد صرت طاووس عليين .

– لقد وجد شعرا ملونا ذا رونق حسن ، وجعلت الشمس تلك الألوان تلمع

– لقد رأي نفسه أخضر وأحمر وأزرق وأصفر ، فعرض نفسه علي أبناء آوي .

٧٢٥ – فصاحوا جميعا : يا أُبين آوي ما الخبر ؟ إن الانتشاء قد تضاعف

في رأسك .

– وابتعدت اختيالا ومرحا عنا .. فمن أين أتيت بهذا الكبرياء ؟

– وتقدم أحد أبناء أوي منه قائلا : يا فلان : أهذا مكر أم صرت من سعداء القلوب ؟

– هل مكرت حتي تصعد علي المنبر ، حتي تصيب هؤلاء الخلق بالحسرة من نفاجك ؟

– لقد سعيت كثيرا فلم تجد قبولا ، ثم أظهرت التوقح من مكرك .

٧٣٠ – إن القبول للأولياء والأنبياء ، والتوقح هو ملاذ كل مراء محتال .

– وذلك لكي يجذبوا انتباه الخلق إليهم قائلين : نحن أطهار وهم في الباطن في غاية الشر (١) .

دهان رجل نفاج لشاربه وشفتيه
كل صباح بجلدة إليه وخروجه قائلا
بين أصدقائه : أكلت كذا وكذا

– وجد شخص متواضع الحال جلد إلية خروف ، فكان كل صباح يدهن شاربه به .

– ثم يمضي فيجلس بين المرفهين قائلا : لقد أكلت لحما سمينا في المحفل .

– ويضع يده فوق شاربه متهللا ، إشارة تعني : انظروا إلي الشارب .

٧٣٥ – هذا هو دليل صدق قولي ، وهذه أمارة أكل الدسم والحلو .

– وكانت بطنه تقول له بلا صوت : أباد الله كيد الكائدين .

– إن تنفجك قد وضعنا علي النار ، ألا اقتلع اللّه شاربك المدهون .

---

(١) ج/٦-٤٠٧ : وليس إلا الحيله والمكر والعناد ، جهاز لمن اسودت وجوههم .

- فإن لم يكن تنفجك القبيح أيها الشحاذ ، لرحمنا أحد الكرماء .

- ولو أظهرت العيب وقللت الاعوجاج ، لصنع له أحد الاطباء دواء .

٧٤٠ - لقد قال الحق لا تحرك الأذن والذيل باعوجاج ، إذ « ينفعن الصادقين صدقهم » .

- فلا ترقد باعوجاج أيها الجنب ، وأبد ما لديك و « استقم » .

- وإن لم تعترف بعيبك مرة اصمت ، ولاتقتل نفسك من التظاهر ومن الرياء (١) .

- وإذا وجدت شيئا حاضرا فلا تفتح فمك ، ففي الطريق أحجار الامتحان .

- وقبل أحجار الامتحان أيضا ، هناك امتحانات في أحوالك .

٧٤٥ - لقد قال الله تعالي : إنهم من الميلاد إلي الحين « الوفاة » ، يفتنون في كل عام مرتين .

- وهناك امتحان فوق امتحان أيها الأب ، فحذار ولا تثر نفسم بأقل امتحان (٢) .

اطمئنان بلعم بن باعوراء الذى امتحنه الحق كثيرا وخرج موفقا أبيض الوجه

- لقد صار بلعم بن باعوراء وإبليس اللعين مهانين من الامتحان الأخير (٣) .

- فذاك « الرجل النفاج المدعي » كان يدعي ميل الحظ إليه ، بينما تقوم معدته بلعن شاربه .

---

(١) ج/ ٦-٤٠٩ : ولاتعتمد كثيرا على شاربك المدهون ، فإن القط سرق الالية صامتا .

(٢) ج/ ٦-٤٠٩ ولاتكن آمنا من امتحانات القضاء ، وخف من الفضيحة ، يارفيقا فى العبودية !!

(٣) ج/ ٦-٤٢٨ : كانا آمنين من مكر الله على، فقد اجتازا امتحانات ثم افتضحا فى النهاية ولعلك سمعت حديثهما .

– قائلة : اللهم ابد ما يخفيه وافضحه فقد قضي علينا وأحرقنا .

٧٥٠ – فكل أجزاء جسده خصوم له ، فهو يدعي أنه في الربيع وهي في زمهرير الشتاء .

– وإن الادعاء يقتلع عطايا الكرم ، كما أنه يجتث غصن الرحمة من جذوره .

– فتحدث بالصدق أو فاصمت ، وأنذاك انظر إلي الرحمة وارتو منها .

– وذلك الذي بطنه في خصومة مع شاربه ، رفعت أكف الدعاء في السر قائلة :

– يا إلهي افضح تنفج اللئام هذا ، حتي تتحرك نحونا رحمة الكرام .

٧٥٥ – فاستجاب الله لدعاء تلك البطن ، وكشفت حرقة الحاجة الأمر علي الملأ .

– إذ قال الحق : حتي ولو كنت فاسقا وعابد صنم ، فإنك عندما تدعوني استجب لك .

– فالزم الدعاء جيدا وابتهل ببكاء ، وهو في النهاية سوف ينجيك من براثن الغول .

– وعندما سلمت البطن أمر نفسها لله ، جاء قط وسرق جلد تلك الإلية .

– وطاردوا القط لكنه هرب ، وهرب لون الطفل خوفا من عقاب أبيه .

٧٦٠ – فجاء وسط المجلس ذلك الطفل الصغير ، وأذهب ماء وجه الرجل المتنفج .

– وقال : إن تلك الشحمة التي كنت تدهن بها شفتيك وشاربك كل صباح .

– قد جاء قط فجأة وسرقها ، وقد جريت خلفه كثيرا دون نتيجة تذكر .

– فأغرق الحاضرون في الضحك متعجبين ، ثم تحركت شفقتهم عليه .

– فدعوه وأشبعوه ، وغرسوا بذور الرحمة في أرضه .

٧٦٥ – وعندما رأي لذة الصدق من الكرام ، صار عبدا للصدق بلا كبرياء [١] .

ادعاء ابن آوى الذى وقع فى دن الصباغ الطاووسية

– جاء ابن آوي الملون ذاك وهمس في أذن اللائم قائلا له :

– « انظر إليّ آخر الأمر وإلي لوني ، فليس هناك وثني لديه وثن بهذا الجمال » .

– لقد صرت كالروضة جميلا ذا مائة لون ، فاسجد لي ولا تتمرد عليّ .

– وانظر إلي الأبهة والعظمة وإلي الرواء والحسن ، وادعني فخر الدنيا وركن الدين .

٧٧٠ – لقد صرت مظهرا للطف ، وصرت لوحا يشرح الكبرياء الإلهي .

– يا أبناء أوي : حذار من مناداتي بابن أوي ، فمتي كان لابن أوي كل هذا الجمال ؟ !

– فتجمع أبناء أوي حوله ، كما يتجمع الفراش حول الشمع .

– قائلين : إذن فماذا تناديك .. قل أيها العظيم ، فأجاب : ، « نادوني » الطاووس الفحل كأنه كوكب المشتري .

٧٧٥ – فقالوا له : إن طواويس الروح تتجلي في الرياض .

– فهل تتجلي أيضا ؟ قال : لا فكيف أتحدث عن مني وأنا لم أذهب إلي البادية ؟

– فقالوا له : إذن فهل تصدح كالطواويس ؟ قال : لا قالوا لست بطاووس يا سيد أبا العلا .

---

(١) ج/ ٦-٤٣٣ : واجعل الصدق ديدنك على الدوام ، حتى تصبح حسن السمعه فى الدارين .

– إن خلعة الطاووس هبة من السماء ، فكيف تبلغها أنت باللون والادعاء ؟

تشبيه فرعون وادعائه الألوهية
بابن آوى الذى ادعى الطاووسية

– إن ذلك يشبه أمر فرعون الذي رصع لحيته ، وادعي من حماريته أنه فوق منزلة عيسي .

– كان هو بدوره قد ولد من أنثي ابن آوي ، وسقط في دن المال والجاه .

– وكل من رأي ماله وجاهه سجد ، وخدع هو بسجود من انخدعوا فيه .

– ومن سجود الخلق وانبهارهم به ، انتشي ذلك الشحاذ مهلهل الثياب .

– فالمال حية ذلك أن السم كامن فيه ، وقبول الخلق وسجودهم أفاعي .

– فحذار يا فرعون لا تته كبرياء ، أنت ابن أوي فلا تدع أنك طاووس .

– ولو أنك ظهرت بين الطواويس ، لعجزت عن التجلي ولا فتضحت .

– كان موسي وهارون كالطواويس ، فضرباك علي رأسك ووجهك بجناح التجلي .

– فظهر قبحك وافتضاحك ، وسقطت منقلبا من عليائك .

– وعندما تعرضت للمحك ، أسود لونك كالذهب المغشوش ، وانمحت صورة الأسد وظهر تحتها كلب .

– فيأيها الكلب الأجرب القبيح من الحرص والإلحاح ، لا تضع علي نفسك إهاب الأسد .

– فإن زئير الأسد يطلبك للامتحان ، أثم صورة أسد وأخلاق الكلاب ؟ [1] .

---

(١) ج / ٦ – ٤٣٧ : – ويا أبين أوى عديم الجمال والفضل ، لاتظن قط أنك طاووس – وإلا يمتحنك الطواويس ، وتبقى ذليلا فاقد الرواء فى الدنيا .

تفسير « ولتعرفنهم فى لحن القول »

٧٩٠ – قال الله تعالي للنبي في الكتاب الكريم ، إن هناك علامة « تستطيع أن تميزها » بسهولة عند أهل النفاق .

– ومهما كان المنافق ضخم «المظهر» ذكيا ، فإنك تعرفه في لحن القول .

– إنك عندما تشتري آنية فخارية ، تقوم باختبارها أيها المشتري .

– فلماذا تربت علي هذه الآنية بيديك ؟ هذا لكي تعرف « الآنية » المكسورة من طنينها .

– فصوت الآنية المكسورة يكون مختلفا ، والصوت حارس يتقدمها .

٧٩٥ – يصدر الصوت بحيث ينبيء عنها ، كما « ينبيء » الفعل عن حالة صرفه .

– وعندما عرض حديث الامتحان ، تذكرت قصة هاروت وماروت .

قصة هاروت وماروت وجرأتهما

على امتحان الحق تعالي

– فيما سلف كنا قد ذكرنا جزءا يسيرا منها ، وماذا « يمكن » أن نقول نحن ؟ جزءا من آلاف الأجزاء .

– وكنت قد أردت أن أذكرها ببعض التفصيلات ، لكن الأمر تعطل ، « عطلته » معوقات . (١) .

– فهاك مرة أخري قليل من كثيرها ، إن ما يقال هو شرح عضو من أعضاء الفيل .

٨٠٠ – فاستمع إلي هاروت وماروت ، يا من نحن عبيد وغلمان لوجهك .

– كانا ثملين من النظر إلي الإله ، ومن عجائب استدراج المليك .

– وهذا القدر من السكر من استدراج الحق ، فأية ألوان من السكر يقوم بها معراج الحق ؟

---

(١) ج / ٦ – ٤٤٤ : وسق أذن القلب لحظة واحدة هذا الصوب ، حتى أحدثك عن أسرار الحبيب .

– فالحبة في شراكه تبدي مثل هذا السكر ، فأية حبوب تفتقها مائدة إنعامه ؟

– كانا ثملين متخلصين من الوهق ، يطلقان صيحات الوجد بعشق .

– وكان هناك كمين وامتحان في الطريق ، ريحه الصرصر كانت تختطف الجبل وكأنه القشة .

– وكان يقلبهما في الامتحان ظهرا لبطن ، فمتي يكون عند الثمل علم بهذا ؟

– فالخندق والميدان عنده سيان ، والبئر والخندق أمامه طريق ممهد .

– وذلك الماعز الجبلي فوق ذلك الجبل السامق ، يسعي في أثر طعامه بلا أذي .

– وبينما هو يجمع عشبه يري فجأة ، لعبة أخري من حكم السماء .

– إنه يلقي نظرة علي جبل آخر ، فيري ماعزا أخري علي ذلك الجبل الآخر

– وتلك الآلاف من الأذرع يبديها له القضاء ذراعين ، حتي يظهر عنده الميل إلي القفز من سكره .

– ويبديها له « القضاء » قريبة ، وكأنه يطوف حول بالوعة الدار .

– ويغشي بصره في لحظة واحدة ، ويقفز ثمل الرأس من هذا الجبل إلي الجبل الآخر .

– وعندما يقفز يسقط بين الجبلين دون حذر .

– لقد هرب من الصيادين إلي قمة الجبل ، وملجؤه هذا هو نفسه الذي سفك دمه .

– إذ كمن الصيادون بين الجبلين ، في انتظار هذا القضاء العظيم .

– وأغلب صيد الماعز يكون علي هذا النسق ، وإلا فهو جلد سريع « عالم بخصمه » .

– ورستم وإن كان ذا رأس وشوارب ، فإن الفخ الذي يجر قدمه هو الشهوة يقينا .

– فاقلع عن سكر الشهوة مثلما فعلت ، وانظر إلي سكر الشهوة في البعير .

٨٢٠ – ثم إن سكر الشهوة في الدنيا ، اعلم أنه بالنسبة لسكر الملَك شيء هين .

– فإن هذا السكر يقضي علي ذاك السكر ، فمتي يلتفت « الملَك » إلي الشهوة ؟

– وما لم تشرب الماء العذب فإن الماء المالح يكون حلوا كأنه النور داخل العين .

– وقطرة واحدة من خمور السماء ، تسلب الروح من الخمر ومن السكاري .

– فما بالك بسكر الملائكة ، « وسكر » الأرواح الطاهرة من الجلالة .

٨٢٥ – فهم برائحة واحدة قد تعلقوا بقلوبهم بتلك الخمر ، وحطموا دنان خمور هذه الدنيا .

– اللهم إلا هؤلاء البائسين المبعدين ، مثل الكفار المعذبين في القبور .

– صاروا في قنوط من كلا العالمين ، وغرسوا أشواكا لا نهاية لها .

– فقالا من ألوان السكر وا أسفاه ، لو نزلنا علي الأرض لفعلنا بها فعل الغيث .

– وبسطنا العدل والإنصاف والعبادات والوفاء في هذا المكان الظالم .

٨٣٠ – قالا هذا ، وكان القضاء يقول لهما : قفا ، فأمام أقدامكم كثير من الفخاخ الخفية .

– حذار ، وأياك أن تسرع جريا في صحراء البلاء ، حذار ، وإياك وأن تعدو بعمي في كربلاء .

– فمن شعور الهالكين وعظامهم ، لاتجد أقدام السالكين طريقا .

– فالطريق كله شعور وعظام وعروق ، وما أكثر الأشياء التي أبادها سيف القهر .

- ولقد قال الحق : إن العبيد المقرونين بالعون ، يسيرون علي الأرض ببطء وهون .

٨٣٥ - وكيف يسير « المرء » حافيا في مزرعة الشوك إلا بتمعن وفكر وخشية؟

- كان القضاء يحدثهما عن هذه الأمور لكن آذانهم كانت مغلقة في حجاب وجدهما .

- لقد أغلقوا جميعا العيون والآذان ، اللهم إلا أولئك الذين تخلصوا من أنفسهم .

- وما الذي يفتح العيون إلا العناية ؟: وماذا يطفيء الغضب إلا المحبة ؟ [١] .

- فلا كان لأحد في الدنيا جهد بلا توفيق ، والله أعلم بالسداد .

قصة رؤيا فرعون موسى عليه السلام
وتدبره في تدارك هذا الأمر

٨٤٠ - لما كان جهد فرعون بلا توفيق ، فإن كل ما يرتقه كان فتقا .

- كان تحت حكمه الآلاف من المنجمين ، ومثلهم من مفسري الأحلام والسحرة .

- وقد رأي مقدم موسي في نومه ، علي أنه هو الذي سوف يحطم فرعون وملكه .

- وتباحث مع مفسري الأحلام والمنجمين ، في كيفية دفع هذا الخيال والحلم والمشئوم .

- قالوا جميعا : فلنتدبر أمرنا ولنقطع طريق الميلاد كما يفعل قطاع الطرق .

٨٤٥ - حتي جاءت تلك الليلة التي هي ليلة الحمل [٢] وهكذا رأي أتباع فرعون .

---

(١) ج / ٦ - ٤٥٠ : فالجهد الذى بلا توفيق نزع للروح ، أقل من حبة ذرة وإن كان بيدرا .

(٢) فى النص الميلاد والسياق يفرض أنها ليلة الحمل .

- أن ينقلوا في ذلك اليوم ومنذ الفجر ، عرش الملك ومجلسه نحو الميدان .

- منـادين : هـلمـوا يا بنـي إسـرائيل جـمـيـعـا ، إن الملـك يدعـوكم إلي ذلك المكـان .

- حتي يسفر لكم عن وجهه دون نقاب ، ويحسـن إليكم جلبا للثواب .

- فلم يكن لهؤلاء الأسـري من نصيب إلا الإبعـاد ، ولم يكن مسمـوحا لهم برؤية فرعون .

٨٥٠ - ولو كـان يصادفـهم في الطريق ، كانوا طبـقا لـذلك اللقانون ينكبـون علي وجوهـهم .

- كـان القــــانون هــو ألا يـــري أحــد من الأسري وجه فرعـون ذاك في وقت أو في غير وقت .

- وعندمـا كانوا يسـمعون أصـوات الحراس في الطريـق ، كانوا يسـتديرون إلي الجدران كيلا يروا وجهه .

- ومن يري وجهه يكون مجرما ، ويحيق به أشد أنواع العقاب .

- فكانوا حـريصين علـي هذا اللقـاء المـتنع ، لأن الإنسـان حـريص علي مامنع .

دعوة بنى إسرائيل إلى الميدان من أجل الإقبال لمنع ولادة موسى عليه السلام (١)

٨٥٥ - أيهـــا الأســـري ، أسـرعـوا نحـو المـيـدان ، فـالأمل في رؤية المـلك وفي نيل جوده .

- وعندما سمع بنو إسـرائيل البشـري كانوا ظمأي في شدة الشـوق (٢) .

- فانطلت عليهم الحيلة وأسرعوا نحو ذلك المكان ، وأعدوا أنفسهم من أجل الجلوة (٣) .

---

(١) ج/٦ -٦٤٢ : أخذ مناد يطوف بالأحياء ، يصبح حيا بعد حي مروراً .

(٢) ج/٦ - ٤٦٢ : سروا كثيراً من الخير ، واتخذوا طريقهم في التو إلي الميدان .

(٣) ج/٦ - ٤٦٣ : حتى يذهبوا ويروا وجه ، ويعرفوا ما تأثير رؤته - كانوا غافلين عن الأمر اغبياء ، وخرجوا جميعاً من طمعهم .

حكايـــة

– وهذا يشبـه مافعله مغـولي هنا محتال ، إذ قـال : إنني أبحث عن شخص من المصريين .

– اجمعوا المصريين هذه الناحية ، حتي أعثر علي من أريد .

٨٦٠ – وكان يقول عندما يأتي أحد : لا ليس هذا أدخل أيها السيد واجلس في هذا الركن .

– حتي تجمع الجميع بهذا الأسلوب ، فقطعوا رقابهم جمعيا بهذه الحيلة .

– إنهم من شـؤمـهم ما كـانوا يلبـون داعـي الله ، لـو أن الأذان يـدعـوهم ليتضرعوا في الصلاة .

– ومع ذلك فـقد أثرت الدعـوة الماكرة فـيهم ، وحـذار من مكر الشيطان أيـها الرشيد .

– فـاستـمع إلي أصوات الفـقراء والمحـتـاجين ، حتي لا يأخـذ صوت محـتـال بأذنيك .

٨٦٥ – فـإذا كـان الشـحـاذون طـامـعين فـي طبـعـهم السـوء ، فـابحـث فـي الشرهين عن صاحب قلب .

– وفي قاع البحر توجد الحجارة مع الدر ، وألوان الفخر موجودة بين ألوان العـار .

– ومنذ الفجر تحرك بنو إسرائيل مسرعين نحو الميدان .

– وعنـدمـا حـملـهم إلي المـيدان بالحـيلـة ، كـشـف لهم عن وجـهه وهش لهم وبش .

– وأبدي لهم التعاطف ووهبهم العطايا ، وبذل ذلك الملك الهبات والوعود .

٨٧٠ – ثم قال لهم : إن كنتم حريصين علي أرواحكم ، ناموا جمعيا في الميدان هذه الليلة .

– فأجابوه : سمعا وطاعة ، وإن أردت ، نبقي هنا شهرا .

عودة فرعون من الميدان إلى المدينة
فرحا بتفريقه بين بنى إسرائيل
ونسائهم ليلة الحمل المرتقب

- وفى الليل عاد الملك قائلا « لنفسه » : الليلة هى ليلة الحمل المرتقب وهم بعيدون عن نسائهم .

- وكان خازنه عمران فى خدمته ، وجاء إلى المدينة أيضا فى صحبته .

- فقال له : ياعمران نم على هذا الباب ، وإياك أن تمضى إلى زوجتك أو تطلب وصلها .

٨٧٥ - قال له : لأنم فى بلاطك هذا ، ولا أفكر فى شيء إلا فى رضاك .

- كان عمران من بنى إسرائيل ، ولكنه كان قلبا لفرعون وروحا .

- فمتى كان يجول فى فكر فرعون أن يعصاه ، ويفعل ما كان فرعون يخافه أشد الخوف (١)

جماع عمران مع أم موسى
وحمل أم موسى عليه السلام

- ذهب الملك ، ونام عمران علي ذلك الباب ، وفي منتصف الليل جاءت زوجته لرؤيته .

- وسقطت المرأة عليه وقبلت شفتيه ، وأيقظته من نومه في ليلته تلك .

٨٨٠ - فاستيقظ ورأي المرأة جميلة ، فأمطر بشفتيه شفتيها بالقبل .

- وسألها عمران : كيف أتيت في هذا الوقت من الليل ؟ فأجابت : من الشوق ومن قضاء اللّه .

---

(٢) ج/٦ - ٤٦٦ : كان مطمئنا إلى عمران وإلى أحواله ، لكن هذا فى حد ذاته كان جزاءه - ومتى كان يجول فى خاطر فرعون ، أن قدره كقدر عاد ثمود ؟ ! .

- فضمها الرجل إلي أحضانه حبا ، ولم يقاوم نفسه في تلك اللحظة .

- فجامعها وأودع الأمانة ، ثم قال ، أيتها المرأة ليس هذا بالأمر الهين .

- تصادم حديد مع حجر فولد نارا ، « ولد » نارا منتقمة من فرعون وملكه .

٨٨٥ - فأنا السحاب وأنت الأرض وموسي للبنات ، والحق هو ملك الشطرنج ونحن قطع ميتة فيه .

- واعلمي أن الخسارة والكسب من المليك أيتها العروس ، ولا تعديها منا ولا تخدعينا .

- وما كان فرعون يخشاه قد وقع بالفعل في تلك اللحظة التي صرت فيها زوجا لك .

وصية عمران لزوجته بعد الجماع
بأن تعتبر نفسها لم تره

- إياك أن تفضي هذا الأمر لأحد أو تنبسي عنه ببنت شفة ، حتي لا يصيبني ويصيبك مائة حزن .

- فسوف تبدو في النهاية آثار هذا الأمر ، عندما يحين حين الأمارات أيتها المحبوبة .

٨٩٠ - وفي نفس الوقت ، ومن ناحية الميدان ، كانت صيحات الخلق تملأ الفضاء وتصل إليهما .

- وخوفا من تلك الأصوات قفز فرعون في تلك اللحظة حافيا صائحا : أي ضجيج هذا ... حذار .

- أي صوت هذا من ناحية الميدان وأي ضجيج يهلع الجني والشيطان خوفا منه .

– فقال عمران : أطال الله عمر مليكنا ، وإن بني إسرائيل مسرورون منك .

– إنهم في مرح وسعادة من عطاء الملك ، فهم يرقصون ويصفقون .

٨٩٥ – قال فرعون : ربما يكون الأمر هكذا ، لكن الوهم والفكر قد ملآني تماما

خوف فرعون من ذلك الصوت

– « قال فرعون » : إن هذا الصوت قد غير روحي ، وشيبني من الحزن والهم المرير .

– وأخذ يروح ويجيء طوال الليل كالحامل عندما يأيتها المخاض .

– وكان كل لحظة يقول : ياعمران ، إن هذه الأصوات قد اقتلعتني بشدة من مكاني .

– ولم تكن لدي عمران المسكين الجرأة لكي يقص عليه أمر مضاجعته لامرأته .

٩٠٠ – وإن امرأة عمران قد دبت علي عمران حتي يظهر نجم موسي .

– وكل رسول توضع نطفته في الرحم ، يظهر نجمه علي الفلك .

ظهور نجم موسى عليه السلام فى السماء وصياح المنجمين فى الميدان

– ظهرت نجمته تلك في السماء ، برغم فرعون ومكره واحتياله .

– طلع النهار فقال له : ياعمران اذهب وتحر عن هذا الضجيج والصياح .

– فأسرع عمران إلي الميدان وسأل : ماذا كان ذلك الصياح ؟ إن الملك لم ينم .

٩٠٥ – كان كل منجم عاري الرأس ممزق الثياب يهيل التراب علي رأسه كأصحاب العزاء .

– كانت أصواتهم كمن هم في مأتم مخنوقة من صراخهم ونحيبهم .

– كانوا قد اقتلعوا شعورهم ولحيهم وخمشوا وجوهم وأهالوا التراب علي رءوسهم وعيونهم ملأي بالدم .

– فقال : خيراً ، وماهذا الضجيج والعجيج ؟ ، إن سنة النحس تبدو من أماراتها السيئة .

– فاعتذروا قائلين : أيها الأمير ، إن يد تقديره قد جعلتنا أساري .

٩١٠ – ومع كل ما فعلناه لم يوات الحظ ، ووجد عدو الملك وانتصر .

– والليلة ظهرت نجمة ذلك الطفل عيانا علي جبين السماء بالرغم من أنوفنا .

– ظهر نجم ذلك النبي علي السماء ، أما نحن فصرنا نمطر الأنجم من عيوننا بكاء .

– وتقلب عمران سعيداً مسروراً لكن من النفاق أخذ يلطم وجهة صائحا : آه .. الفراق .

– وأبدي عمران نفسه مستشيط الغضب عبوسا ومضى كالمجانين بلا عقل أو وعي .

٩١٥ – وتجاهل الأمر « الذي يدريه » وانطلق في أقوال خشنة غليظة يصبها علي الجميع.

– تظاهر بالعبوس والحزن ، وأخذ يقول ما يخالف باطنه (١) .

– وقال لهم : هل خدعتم مليكي ؟ ... ألم تمكروا طمعا وخيانة ؟

– وسقتم الملك نحو الميدان ، وأذهبتم ماء وجه مليكنا .

– لقد وضعتم أيديكم علي صدوركم ضامنين قائلين : إننا سوف نجعل مليكنا فارغا من الأحزان .

---

(١) حرفيا : لعب زهرات النرد بشكل مقلوب .

٩٢٠ – وسمع الملك فقال : أيها الخونة ، لأصلبنكم جميعا بلا إمهال .
– لقد جعلت من نفسي أضحوكة ، وخسرت أموالي و « أنفقتها » علي الأعداء .
– حتي ابتعد بنو إسرائيل جميعاً عن نسائهم تلك الليلة .
– وضاع المال ، والكرامة ، ولم يتم الأمر ، أهذا هو العون وأفعال الكرام ؟
– ولسنوات وأنتم تأخذون الأرزاق والخلع ، وتنهبون الممالك وهي مسلمة لكم .
٩٢٥ – وهكذا كان رأيكم ، والعلم ، والنجوم ، وأنتم آكلون بالمجان مكرة مشئومون .
– لأشنقنكم ولأضرمن فيكم النيران ، ولأقطعن أنوفكم وآذانكم وشفاهكم
– ولأجعلن منكم حطبا للنيران ، ولأجعلن سروركم السالف مرارة عليكم
– فسجدوا قائلين : أيها المليك ، إذا كان الشيطان قد تغلب علينا مرة واحدة .
– فقد قمنا لسنوات بدفع البلاء ، والأفهام حائرة من ذلك الذي قمنا به .
٩٣٠ – لقد سبق السيف العذل [(١)] وحدث الحمل به ، وقفزت نطفته واستقرت في الرحم .
– لكن علي سبيل التعويض لهذا الأمر ، فلنتدارك يوم الميلاد أيها الملك وأيها العظيم .
– فلنترصد يوم ميلاده ، حتي لايفوتنا ، ولا يظهر هذا القضاء .
– وإذا لم نتداركه اقتلنا ، يامن تكون الأفكار والعقل خدما لرأيك .
– ولتسعة أشهر ظل يعد الأيام يوماً بيوم ، حتي لا ينطلق السهم المهلك للخصوم .
٩٣٥ – وكل من يغير علي القضاء بليل ، ينقلب ويأكل من دمه [(٢)] .

(١) حرفيا : لقد فات الأمر .

(٢) ج/ ٦ – ٤٧٤ : عندما يغير المكان علي اللامكان ، فإنه يفسك دم نفسه ويوقع نفسه في البلايا .

- وعندما تجعل الأرض من نفسها خصما للسماء ، تفور وتسرع نحو الموت .

- وعندما يجادل النقش النقاش ، فإنما يقتلع عبثا لحيته وشاربه .

دعوة فرعون للنسوة حديثات الوضع
إلى الميدان مكراً

- وبعد تسعة أشهر أخرج الملك العرش إلي الميدان وأمر بأن ينادي ويكرر النداء .

- « أيتها النسوة ، أقبلن إلي الميدان مع أطفالكن الصغار ، واخرجوا يا بني إسرائيل كافة .

٩٤٠ - وكما حدث من الرجال السنة الماضية ، وأخذوا الخلع ونال كل منهم الذهب .

- هيا أيتها النسوة فالإقبال لكن هذا العام ، حتي تجد كل منكن ما تتمني.

- سوف يخلع علي النساء الخلع ويصلهن ، ويضع علي رءوس الأطفال القلانس الذهبية .

- وعلي كل من وضعت هذا الشهر أن تأتي لتأخذ الكنوز من الملك المكين .

- فخرجت النسوة مع الأطفال الصغار ، وجئن سعيدات حتي خيمة الملك .

٩٤٥ - وخرجت كل امرأة وضعت حديثا من المدينة ، نحو الميدان غافلة عن المكر والقهر .

- وعندما تجمع النسوة جميعهن ، أخذوا كل مولود ذكر من أمه .

- وقطعوا رأسه قائلين : إن هذا من الحيطة ، حتي لا ينمو الخصم ولايزيد التخبط .

مولد موسى ومجىء العسس إلى منزل عمران والوحى إلى أم موسى بأن تلقى به فى النار

– كانت امرأة عمران التي حملت في موسي قد ابتعدت عن كل هذه الضجة والمعمعة .

– فأرسل هذا الماكر الخبيث الحواضن إلي البيوت من أجل التجسس .

٩٥٠ – فنقلن إليه أن هناك طفلا ، ولم تأت به أمه إلي الميدان من خوفها وشكها .

– ففي حارة كذا امرأة حسناء لديها طفل لكنها شديدة الذكاء .

– وجاءها العسس لكنها ألقت بالطفل في التنور بأمر من الله .

– هكذا أوحي إلي هذا المرأة حتي تصبح علي علم أن هذا الوليد من نسل الخليل .

– ولديه عصمة أمره تعالي « يانار كوني بردا وسلاما » ، فلا تكون النار عليه حراً شارداً .

٩٥٥ – فألقت به المرأة في النيران ، ولم تؤثر النار علي بدن موسي .

– وعاد العسس خائبين عن ذلك المكان ، لكن الجواسيس الذين علموا بالأمر .

– أخبروا العسس بما حدث أمام فرعون من أجل بضعة دوانق .

– فقال لهم : عودوا أيها العسس إلي ذلك المكان ، وفتشوا جيداً في الغرف.

الوحى إلى أم موسى بأن تلقى موسى فى اليم

– ثم جاءها الوحي أن ألقيه في اليم ، وكوني راجية في الله ولا تمزقي شعرك .

٩٦٠ – ألقيه فى النيل وثقى فى الله ، وسوف أجعلك تلتقين به عزيزا وضاء [١] .

– وهذا الكلام لانهاية له ، فإن مكر فرعون كان كله يلتف حول ساقيه وقدميه .

– كان يقتل آلاف الأطفال في الخارج ، وموسي في الداخل متصدرا الدار .

– ومن جنونه كان يقتل كل [٢] طفل حيثما يكون ، من احتياله ، ذلك الأعمي حاد البصر .

– كان كالأفاعي مكر فرعون العنود ، ابتلعت مكر كل ملوك الدنيا .

٩٦٥ – لكن ظهر من هو أكثر « فرعونية » منه ، ابتلعه وابتلع كل مكره .

– كان أفعي وصارت العصا أفعي ، وأكلت هذه الأفعي تلك الأفاعي بتوفيق من لله .

– ويد تصير أعلي من يد .... إلي أين ؟ إلي الله إذ إن إليه المنتهي ،

– فإن ذلك البحر الذي بلا غور ولا شاطئ ، تكون كل البحار أمامه كالسيل

– وإذا كانت الحيل وأنواع المكر أفاعي ، فهي كلها أمام « إلا لله » كأنها كلمة « لا » .

٩٧٠ – وعندما وصل بياني إلي هذا الحد طأطأ رأسه وانمحي والله أعلم بالرشاد .

– وكل ما هو في فرعون موجود فيك أنت ، لكن أفاعيك حبيسة جب .

– وأأسفاه ، فإن أحوالك كلها سوف تضعها علي كاهل فرعون ذاك [٣] .

– فلو تحدثوا عنك سوف يتولد لديك الخوف ، ولو تحدثوا عن آخر سوف

---

(١) ج/٦– ٤٨٧ : فالقت به أمه في النيل ، وسلمت أمرها إلي نعم الوكيل .

(٢) في النص : جنين .

(٣) ج/ ٦ – ٤٨٧– وكل ما قلتة هو أحوالك ، بل أنني لم أقل واحداً في المائة مماهي عليه .

يبدو لك الأمر وكأنه أسطورة .

- وكم تقوم بالتخريب داخلك هذه النفس اللعينة، ويلقي بك هذا القرين بعيدا جداً .

٩٧٥- وليس لنارك حطب فرعون ، وإلا لصارت مثل فرعون ناشرة للهب [١] .

حكاية صياد الحيات الذى ظن أن الأفعى المتجمدة ميتة وربطها بالحبال وأحضرها إلى بغداد

- استمع إلي حكاية من راوي التاريخ ، حتي تعرف نذرا يسيراً من هذا السر الخفي.

- ذهب صياد الحيات إلي مكان جبلي ، لكي يصيد الحيات بتعاويذه .

- وإن يكن بطيء الخطا أو سريعها ، فإن من جد وجد .

- فاسع في الطلب دائما بكلتا يديك ، فإن الطلب في الطريق هو خير دليل .

٩٨٠ - حتي ولو كنت أعرج معوجا مائل الشكل بلا أدب ، اسع نحوه دائما وداوم علي طلبه .

- حينا بالقول وحينا بالصمت وحينا بالشم ، تنسم رائحة المليك من كل صوب .

- وهكذا قال يعقوب لأولاده : تحسسوا عن يوسف بما يزيد عن الحد .

- وليعمل كل منكم حسه في هذا الأمر بجد ، وليكن علي كل ناحية في شكل مستعد .

- وقال أيضا : لاتيأسوا من روح الله ، فامض أنت أيضا من ناحية إلي أخري كمن ضاع ابنه .

---

(١) ج / ٦- ٤٨٧ : وليس لمستوقد نفسك قش ، وإلا كانت ناشرة للهب كفرعون .

٩٨٥ – اسألوا عن الطريق بحس الفم ، وأرهفوا السمع علي مفترق الطرق .

– وحيثما تفوح رائحة طيبة شموا ، وسيروا نحوها فأنتم عارفون بذلك العالم .

– وحيثما تري لطفاً من أحد ، اسع في الطريق نحو أصل اللطف لعل وعسي .

– وكل هذه الطيبات من البحر العميق ، فاترك الجزء واتجه نحو الكل .

– وحروب الخلق من أجل الحسن « في الدنيا » ، والقدرة علي الاستغناء من أمارات طوبي .

٩٩٠ – وغضب الخلق يكون من أجل الصلح ، وفخاخ الراحة دائما ماتكون بلا راحة .

– وكل عقاب يكون من أجل الإكرام ، وكل عتاب يقرن بالشكر .

– فانقل تنسمك الرائحة من الجزء إلي الكل أيها الكريم ، واجعل تنسمك الرائحة من الضد إلي الضد أيها الحكيم .

– فإنها الحروب هي التي تؤدي إلي السلام حقا ، وصياد الحيات بحث عن الحيات من أجل العون علي المعيشة .

– والإنسان يبحث عن الحية من أجل العون ، ويعاني الهم من أجل قرين فارغ من الهم .

٩٩٥ – كان « الصياد » يبحث عن حية ضخمة حول الأماكن الجبلية أيام الثلج .

– فرأي أفعي ضخمة ميتة في ذلك المكان ، بحيث ملئ قلبه رعبا من شكلها .

– كان صياد الحيات ذات شتاء قارس البرودة يبحث عن حية فرأي أفعي متجمدة .

– وصياد الحيات من أجل إدهاش الخلق ، يصيد الحيات وهذا هو جهل الخلق .

- والإنسان كالجبل فكيف يصير مفتونا ؟ وكيف يصير الجبل مندهشا من أجل حية ؟

١٠٠٠- فالآدمي المسكين لم يعرف نفسه ، بدأ من الزيادة وأخذ في النقصان .

- وباع الإنسان نفسه رخيصة ، كان أطلس فخاط « نفسه » علي خرقة .

- ومئات الآلاف من الحيات والجبال حائرة فيه ، فكيف صار هو مندهشا محبا للحيات ؟

- فأخذ صياد الحيات هذه الأفعي ، وجاء بها إلي بغداد ليدهش بها الناس .

- أخذ يجر أفعي كأنها عماد البيت من أجل أن ينصب حلقة للعب .

١٠٠٥ - مناديا : لقد أتيت بأفعي ميتة ، وكم تحملت من المشاق في صيدها .

- كان يظنها ميتة لكنها كانت حية ولم يدقق فيها النظر .

- كانت قد تجمدت من البرودة والثلج ، كانت حية لكنها كانت تبدو ميتة .

- وهناك عالم متجمد واسمه الجماد ، والجماد يكون متجمدا أيها الأستاذ.

- فانتظر حتي تسطع شمس الحشر عيانا ، لكي تري حركة جسم العالم .

١٠١٠ - ولما كانت عصا موسي قد انقلبت إلي حية هنا،فقد أخبرت العقل عن الأمور الساكنة .

- ومادام قد سوي من قطعة من التراب بشرا ، ينبغي عليك أن تعرف التراب بأجمعه .

- فهم موتي في هذه الناحية « الدنيا » أحياء في تلك الناحية « عالم المعني » ، وهم صامتون هنا متحدثون هناك .

– وعندما يرسلهم إلينا من تلك الناحية ، تصير تلك العصا عندنا حية .

– وتغني الجبال ألحانا داودية ، ويصير الحديد شمعا في الكف .

– وتصير الرياح حاملة لسليمان ، ويتحدث البحر مع موسي ،

– ويكون القمر مرسلا الإشارات إلي أحمد، وتصبح النار بالنسبة لإبراهيم كزهور النسرين .

– ويبتلع التراب قارون وكأنه حية ، ويثوب الجذع الحنان إلي رشده .

– ويسلم الحصي علي أحمد ، وينقل الجبل الرسالة إلي يحيي [1] .

– وكلها كأنها تقول : نحن سميعون وبصيرون وطيبون ، لكننا معكم يامن لم يسمح لكم بالسر صامتون .

– ومادمتم تسيرون نحو جماد ، فكيف يصير مسموحا لكم بروح الجماد ؟

– فامضوا من الجماد إلي عالم الأرواح ، لكي تسمعوا ضجيج أجزاء العالم

– ويأتينك تسبيح الجماد عيانا ، ولاتتخطفك وساوس التأويل .

– ومادامت القناديل لم تلق بنورها علي روحك ، فقد تأولت كثيراً في موضوع « الرؤية » [2] .

– قائلا : متي يظهر غرض هذا التسبيح ؟ إن دعوي الرؤية من خيال الغي

– بل إن الناظر إلي هذا الجماد ، يعتبر فيقوم بالتسبيح .

– ومن ثم فما دام « الجماد » يدفعك إلي التسبيح ، فإن هذا الأمر يتخذ علي أنه هو الذي قام بالتسبيح .

– وهذا هو تأويل أهل الاعتزال ، ومن لم يكن لديه قبس من نور الحال .

---

(١) / ٦–٤٩٨ : وكل ذرات العالم في الخفاء تحدثك ليل نهار

(٢) ج / ٦ – ٤٩٨ : وكانت دعوي الرؤية عاراً ، إنها بالنسبة للناظر كجدار

– إذن فما دام (الجماد) يعلمك التسبيح تكون هذه الدلالة كالقول .

- وما لم يخرج الإنســـــان عن « قيود » الحس، يكــون عـــاجزا عن « إدراك » الصور الغيبية .

- وهذا الكلام لانهاية له ، فصياد الحيات أخذ في جر تلك الحية بمشقة شديدة .

١٠٣٠- حتي جاء إلي بغداد ذلك الباحث عن تجمع الناس ، وذلك لكي ينصب حلقة علي مفارق الطريق .

- وعلي الشاطئ نصب الرجل حلقته ، فوقعت ضجة في مدينة بغداد .

- « وطير الخبر » بأن صيادا قد جاء بأفعي ، وأنه صاد صيداً عجيبا نادراً .

- وتجمع مئات الآلاف من السذج ، فصاروا صيداً له كما تحول هو إلي صيد من حمقه .

- كانوا منتظرين كما كان هو منتظرا ، حتي تجمع الخلق المتفرقون .

١٠٣٥- وعنـــدما يزداد الناس عددا في الحلقة ، فإن التكدي والارتزاق يكون أفضل .

- تجمع مئات الآلاف من الهازلين ، وتحلقوا ملتصقين .

- فلم يكن لرجل علم بامرأة من الازدحام ، واختلطا معا كيوم القيامة ؛ الخاص والعام .

- وعندما كـــان يحرك الغطـــاء الــذي كان يغطيهـــا به ، كان الجمع المتخلق يشرئبون بحلوقهم .

- والأفعي التي كانت قد تجمـــدت من الزمهـــرير ، وكـــانت تحت مائة نوع من الخرق والأغطية .

١٠٤٠- وكان قد شد وثاقها بحبال غليظة ، واحتاط للأمور ذلك الحويط .

- وفي فترة الانتظار وتجمع « الناس » ، سطعت فوق تلك الأفعي شمس العراق .

– وأدفأتها شمس المناطق الحارة ، فذهبت عن أعضائها أخلاط البرودة .

– كانت ميتة فبعثت حية من الانتظار ، وأخذت الأفعي تتلوي حول نفسها .

– ومن تحرك هذه الحية الميتة تضاعف عجب الخلق أضعافا مضاعفة .

١٠٤٥– ومن شدة دهشتهم جأروا بالصراخ ، ومن حركتها أخذوا جميعا في الفرار .

– كانت تقطع القيود بصوت مهول ، وكانت تتحرك في كل صوب مصلصلة بقيودها.

– وقطعت القيود وخرجت من تحت الأغطية ، أفعي قبيحة ذات فحيح كأنه « زئير » الأسد .

– وقتل كثير من الخلق عند تقهقرهم ، ومن الذين سقطوا قتلي تكدس مائة قتيل .

– وتجمد صياد الحيات من الخوف في مكانه . قائلا : ما الذي أتيت به من الجبل والخلاء ؟

١٠٥٠– لقد أيقظت تلك الشاه العمياء الذئب ، وسعت البلهاء إلي حتفها بظلفها .

– وابتلعت الأفعي ذلك الأبله دفعة واحدة ، ومن السهل علي « الحجاج » سفك الدماء .

– ولفت نفسها علي جذع وشدت ، فدقت عظامه الهشة ثم ابتلعته [(١)] .

– والنفس أفعي ، فمتي ماتت ؟ لقد تجمدت هما من انعدام المكنة .

– ولو كان فرعون قد وجد المكنة والوسيلة ، لما جري الماء في النهر إلا بأمره .

---

(١) ج/ ٦ – ٤٩٨ : وخلت المدينة ، وتحركت الأفعي نحو الجبل ، وهي تثيرفي سيرها الغبار من الصحراء .

١٠٥٥- وكل من يضع الأساس لبناء فرعوني ، فإنه يقطع الطريق علي مائة من « أمثال » موسي وهارون .

- وتلك الأفعي لم تكن سوي دودة قز ، ومن المال والجاه تتحول البعوضة إلي صقر.

- فلتحتفظ بالأفعي في جليد الفراق ، وإياك أن تجرها إلي شمس العراق .

- ومادامت هذه الأفعي متجمدة ، فإن فريستها تنجو كما تنجو هي نفسها أيضا .

- فاقتلها وكن أمنا من القتل ، وإياك أن ترحمها فهي ليست من أهل الصلة .

١٠٦٠- فإن حرارة الشمس تلك تؤجج الشهوة ، ويحلق خفاشك التافه بجناحيه- فداوم علي جذبها إلي الجهاد وإلي القتال ، كما يفعل الرجل والله يجزيك الوصال.

- وعندما أتي ذلك الرجل بالأفعي ، صارت في الجو الحار الحسن شيطانا مريداً .

- فلا جرم أنها أحدثت من الفتن أيها العزيز قدر ما قلناه عشرين مرة .

- وأنت لازلت تطمع أن تقيدها في الوقار والوفاء وذلك بلا جفاء ؟

١٠٦٥- ومتي يصل كل خسيس إلي هذه الأمنية ؟ ينبغي أن يوجد موسي حتي يقتل الأفعي .

- إن مئات الألوف من الخلق قد قتلوا عند تقهقرهم من أفعاه وهذا من رأيه [١].

تهديد فرعون موسى عليه السلام

- قال له فرعون : لماذا أيها الكليم قتلت الخلق وأوقعت فيهم الرعب .

- وعند فرارهم سقط الخلق خوفا منك ، وعند فرارهم قتل الخلق من سقوطهم بعضهم فوق بعض منزلقين .

---

(١) ج / ٦-٥٠ : ومن الطمع نري هو نفسه أدراج الرياح ، وقد قيل هذا والله أعلم بالسداد .

– فلا جرم أن الناس قد اعتبروك عدوا ، ووقر الحقد عليك في قلوب الرجال والنساء .

١٠٧٠– وكنت تدعو الناس إليك وانقلب الأمر إلي عكسه ، ولابد للناس من مخالفتك .

– وأنا أيضا وإن كنت أعاني من شرك ما أعاني ، فإنني عقابا لك أدبر لك أمرا .

– فاصرف عن قلبك أنك تستطيع خداعي ، أو أن أحداً ، سوف يتبعك ، اللهم إلا ظلك .

– ولاتغتر بما صنعت ، أو أنك أوقعت الرعب في قلوب الخلق .

– فهات أضعاف ما أتيت به ، وتفتضح ، تذل وتصير أضحوكة للغوغاء .

١٠٧٥– فقد كان هناك كثير من المشعوذين والمحتالين أمثالك ، وفي النهاية افتضحوا في مصرنا .

جواب موسى على فرعون وعلى ما هدده به

– قال له موسي : لا إشراك عندي مع أمر الحق ، ولو سفك أمره دمي فلا ضير .

– فأنا راض وأنا شاكر أيها الخصم ، أن أكون مفتضحا هنا لكني شريف أمام الحق .

– وأن أكون أمام الخلق ذليلا محقراً موضع سخرية ، وأن أكون أمام الحق محبوبا ومطلوبا ومحموداً .

– إنني أبدي هذا قولا وإلا فإن الله سوف يجعلك أنت من المفتضحين غداً .

١٠٨٠– فالعزة له ولعبيده ، واتل من نبأ أدم وإبليس آية ذلك .

– وإن شرح « أيات » الحق كالحق بلا نهاية ، فهيا أغلق فمك ، واشرع في كلام غير هذا [١] .

---

(١) حرفيا : اعبر هذه الأوراق .

جواب فرعون على موسى عليه السلام

– قال له فرعون : إن الكلام كله [1] مسير بحكمنا ، والدفتر وديوان الحكم الآن لي .

– وقد اختارني أهل الدنيا ، فهل أنت أعقل منهم ياهذا ؟!

– ياموسي لقد أصبت بالعجب بنفسك قامض ، وكفاك غرورا ولا تغتر بنفسك .

١٠٨٥ – ولأجمعن لك سحرة الدهر ، حتي أبدي جهلك للمدينة .

– ولن يتم هذا في يوم أو يومين ، بل أمهلني حتي أربعين ؛ أي إلي تموز وشدة الحر.

جواب موسى عليه السلام على فرعون

– قال موسي : لا إذن لي بذلك ، وأنا عبد ولست مأمورا بإمهالك .

– فإذا كنت قويا وأنا بلا رفيق ، فأنا عبد لأمره تعالي ولا شأن لي بما تريد .

– ولأقاتلنك بكل ما وسعني مادمت حيا ، وما شأني بانتصاري وأنا عبد.

١٠٩٠– فلأقاتل حتي يصلني أمره تعالي ، وهو الذي يفصل بين كل خصمين .

جواب فرعون على موسى ونزول الوحى على موسى عليه السلام

– قال فرعون : لا .. لا ، ينبغي أن تمنح المهلة ، وكفاك خداعا وقلل من هذر الكلام .

– فأوحي الله تعالي إليه في التو واللحظة أن أعطه المهلة واسعة ولاتخش منها .

– أعطه الأربعين يوماً مهلة طوعاً ، حتي يفكر في ألوان المكر لونا لونا .

– وحتي يسعي هو فلست بنائم ، وقل له : جد في السير فقد أخذت أنا أول الطريق.

---

(١) حرفيا : الأوراق .

١٠٩٥- وسوف أحبط حيلهم جميعاً ، وكلما زادوا فيها جعلتها قليلا .

- ليأتوا بالمـاء فأجعله نارا ، وليأخذوا العسل والشهد ولأجعلنه مرا .

- ليعقدوا الود ولأقم بنقضه ، ولأفعلن كل ما لا يأتي لهم في وهم .

- ولا تخف أنت وأعطه مهلة مطولة ، قل له : أجمع جيشك وقم بمئات الحيل .

إمهال موسى لفرعون حتى يجمع السحرة من المدائن

- قال له موسي : لقد جاء الأمر فاذهب والمهلة لك ، وأنا ذاهب إلي مكاني فقد تخلصت مني .

١١٠٠- وطفق يسير والأفعي في أثره ، كأنها كلب الصياد مدربة ومطيعة .

- مثل كلب الصياد مبصبصة بذنبها ، تجعل الحجارة رملا تحت أقدامها .

- وتبتلع الحجارة والحديدفي لحظة واحدة ، وتبدي الحديد في فمها وهي تمضغه .

- تمد جسدها في طباق الجو فتكون أعلي من البرج ، حيث يفر منها « هلعا » الروم والكرج .

- وتلقي بالزبد كأنها البعير الهائج ، وكلما سقطت قطرة من زبدها علي أحد أصابه الجذام.

١١٠٥- وكان صرير أسنانها يحطم القلوب ، وتضيع منها أرواح الأسود السوداء

- وعندما وصل إلي قومه ذلك المجتبي ، أمسك بشدقها فانقلبت ثانية إلي عصا .

- فاتكأ عليها وقال : واعجباه ، هي بالنسبة لنا شمس وبالنسبة للخصم ليل .

- واعجباه إذ لم ير هذا الجيش ، عالما مليئا بشمس الضحي .

- العين مفتوحة والأذن مفتوحة وهذه ذكاء ، كم أنا حائر من الغشاوة التي وضعها الله علي العيون .

– أنا حائر منهم وهم حائرون مني ، ومن ربيع واحد هم شوك وأنا زهر فل

– وقد حملت إليهم كثيراً من كئوس الرحيق ، فصار ماؤهم خمرا هذا الفريق .

– جمعت لهم باقات الورد وقدمتها لهم ، صارت كل وردة كالشوك وصار العسل وخزا .

– لكنها من نصيب أرواح من سلبوا نفوسهم ، ومتي تبدو عيانا لأولئك الذين يحسون بذواتهم .

– ينبغي أن يكون المرء نائما مستيقظا أمامنا ، حتي يري الأحلام في اليقظة .

– لقد صار فكر الخلق عدوا لهذا الحلم الجميل ، فالحلق مسدود مالم ينم الفكر « في الذات » .

– وتنبغي حيرة حتي تكنس الفكر ، فإن الحيرة هي التي تبتلع الفكر والذكر .

– وكل من يكون كاملا في الفضل ، يكون بالمعني مؤخرا وإن بدا بالصورة أكثر تقدما .

– لقد قال : « راجعون » والرجوع يكون علي هذا النسق ، أن يعود القطيع ويمضي نحو المنزل .

– وعندما يعود القطيع من الورود ، يتقهقر ذلك الماعز الذي يكون مرشد القطيع .

– ويتقدم هذا الماعز الأعرج الذي كان في المؤخرة ، وتضحك الرجعي وجوه العابسين.

– ومتي صار هؤلاء القوم عرجا جزافا ، فأعطوا الفخر واختاروا العار . ؟

- يمضي هؤلاء القوم إلي الحج محطمي الأقدام ، ومن الحرج طريق خفي إلي الفرج .

- وهذا الفريق محا « العلوم » من القلوب ، وذلك لأن هذه العلوم لاتعرف هذا الطريق .

- إذ تنبغي « علوم » يكون أصلها من تلك الناحية ؛ لأن كل فرع دليل إلي أصله .

١١٢٥- ومتي يطير كل طائر فوق عرض البحر ، حتي يأخذ العلم من جهة « العلم اللدني » .

- إذن لماذا تعلم أحداً علما ينبغي أن يمحي من صدره ؟

- ومن هنا : لاتبحث عن القدم في هذه الناحية وكن أعرج ، وعند الرجعة كنت أنت قائد القطيع .

- وكن أيها الأريب من الآخرين السابقين ، إذ تكون الفاكهة اللذيذة سابقة علي الشجرة .

- وبالرغم من أن الثمرة تظهر آخرا في الوجود ، فهي الأولي لأنها هي المقصودة .

١١٣٠- وكن كالملائكة وقل : ﴿ لاعلم لنا ﴾ ، حتي تأخذ بيدك ﴿ علمتنا ﴾ .

- ولو أنك لاتعرف الهجاء في هذه المدرسة ، فإنك تصبح مثل أحمد تمتلئ بنور الحجي .

- وعندما لاتكون مشهوراً في البلاد ، فلست بالقليل والله أعلم بالعباد .

- وتلك الخرابة التي لاتكون معروفة ، تكون من أجل حفظ كنوز الذهب .

- ومتي توضع الكنوز في الأماكن المعروفة ، من هنا كان الفرج في التعب .

١١٣٥- والخاطر يأتي بالشبه كثيراً في هذا الموضع ، لكن الدابة القوية تقطع العقال .

– وعشقه نار محرقة للعقال ، ونور النهار يمحو كل خيال .

– واطلب الجواب أيها المرتضي من نفس ذلك المكان الذي جاءك منه السؤال .

– والقلب الذي لا زاوية له زاويته طريق شديد الاتساع ، ونوره من قمر لا شرقي ولا غربي.

– وأنت كالشحاذ من التردد بين هذه الناحية وتلك الناحية ، فيا جبل المعني أي بحث لك عن الصدي .

١١٤٠– وليكن طلبك من تلك الناحية ففي أوان ألمك ، تصبر وأنت ذاكر « بياربي » منحنيا .

– فعند الألم والموت تنادي تلك الناحية ، وعندما مضي ألمك كيف حالك ؟ أخرس وأصم .

– ففي وقت المحنة لاتفتأ تنادي يا الله ، أتنادي عندما تمضي المحنة أين الطريق ؟ [1] .

– لقد تأتي هذا مع أن كل من عرف الحق فهو بلا شك مقيم عليه .

– وكل من حجابه من العقل والوهم ، أحيانا محجوب وأحيانا ممزق الجيب .

١١٤٥– والعقل الجزئي حينا منتصر وحينا منقلب ، والعقل الكلي آمن من ريب المنون .

– فبع العقل والفضل واشتر الحيرة ، وامض نحو الذلة لا إلي بخاري أيها الابن [2] .

– فكيف انغمسنا نحن في الكلام ، صرنا من حكاية حكاية .

– إنما أنمحي وأصير عدما في أنيني ، حتي أجد التقلب في الساجدين .

---

(١) ج / ١– ٦٣٧ : وفي زمان الحزن والألم تذكره ، وعندما يمضي تغفل ؟

(٢) ج / ١– ٦٣٨ – حتي تجد بخاري أخري في داخلك ، الساكنون في محفلها (لايعقلون) .

– وهذه ليست حكاية أمام رجل العمل ، هي وصف حال وهي حضور صديق الغار .

١١٥٠– و « أساطير الأولين » تلك التي تفوه بها ذلك العاق بالنسبة لكلمات القرآن كانت من آثار النفاق .

– واللامكان هو الذي فيه نور الله ، ومن أين له « ألفاظ » الماضي والمستقبل والحال ؟

– وإن ماضيه ومستقبله أمران بالنسبة لك ، وكلاهما شيء واحد وإن خلته اثنين !!

– وشخص واحد يكون بالنسبة لأحد أب وبالنسبة لنا ابن ، والسقف تحت زيد ويكون (فوق) « بالنسبة لعمرو » .

– والفوق والتحت بالنسبة لهذين الشخصين ، أما السقف بالنسبة « له » فهو سقف فحسب .

١١٥٥– وليس هذا الكلام بمثل أنه مثال ، فالألفاظ القديمة قاصرة عن التعبير عن المعاني الجديدة .

– وما دام شاطئ الجدول ليس موجودا فضم شفتيك أيتها القربة ، فبلا شاطئ ولا ساحل كان بحر السكر هذا [١] .

إرسال فرعون إلى المدائن في طلب السحرة

– عندما عاد موسى وبقي فرعون ، استدعي أمامه أهل الرأي والمشورة. [٢]

– وتشاوروا قائلين : إن لدينا من السحرة من كل واحد منهم إمام في سحره فرد [٣] .

– وهكذا رأوا أن يجمعهم ملك مصر وصرافها من أطراف البلاد .

(١) ج/ ٦– ٦٣٨ : وهذا الكلام لانهاية له فعد ، نحو فرعون المتكبر لنر ماذا فعل ؟

(٢) ج / ٧ – ١٠٢ : (محمد تقي جعفري – تفسير ونقد وتحليل مشنوي جلال الدين محمد مولوي قسمت دوم از دفتر سوم – ط ١١ تهران ربيع ١٣٦٧– فيما بعد : ج/٧) – واجتمعوا وأصروا ، عرض كل منهم رأية – وفي النهاية قال هامان الدني – وأبدي رأيه ووله قائلا : أيها الملك المظفر زاد الغم وينبغي أن تجمع السحرة سريعا .

(٣) هذا البيت من إضافات نسخة استعلامي .

١١٦٠- وفي التو واللحظة أرسل كثيراً من الرسل إلي كل جهة من أجل جمع السحرة .

- وحيثما كان ساحر مشهور ، أنفذ إليه سريعاً عشرة من الرسل .

- وكان هناك شابان ساحران مشهوران ، كان سحرهما ينفذ إلي قلب القمر

- كان مشهوراً عنهما أنهما حلبا من القمر لبنا ، وأنهما في أسفارهما كانا يركبان دنا .

- وأبديا ضوء القمر كأنه قماش الكرباس ، وقاساه وباعاه سريعاً .

١١٦٥- وقبضا الثمن ثم أفاق المشتري ، وأخذ يلطم وجهه بيديه حسرة .

- ومئات الآلاف من أمثال هذا السحر ، كانا مبتكرين فيها ، ولم يكونا كالمقلدين.

- وعندما جاءتهم تلك الرسالة من الملك ، « قائلين لهما » : إن الملك يطلب منكما حلا .

- ذلك أن رجلين من الدراويش قد جاءا ، ونصبا حلقتهما علي الملك وعلي قصره .

- وليس معهما إلا عصا ، تتحول بأمره إلي أفعي .

١١٧٠ - وقد صار الملك والعسكر بلا حيلة ، وضاق الجميع ذرعا بهذين الشخصين.

- وينبغي أن يكون هناك حل بالسحر ، حتي ينجو بروحه من هذين الشخصين .

- وعندما نقلت الرسالة لهذين الساحرين ، تنازع قلب كل منهما الرعب والإعجاب.

- وعندما أخذ عرق المجانسة في الحركة ، وضع كل منهما رأسه فوق ركبته متفكراً.

- لأن الركبة هي مدرسة الصوفي ، والركبتان ساحرتان في حل المشاكل .

نداء هذين الساحرين لوالدهما من القبر وسؤالهما روحه عن حقيقة موسى عليه السلام

١١٧٥– ثم قالا : تعالي يا أمنا.. أين قبر أبينا ، كوني دليلنا إليه .

– فاصطحبتهما إلي القبر وأرشدت عن الطريق ، وكان أمامهما ثلاثة أيام ليلحقا بالملك .

– فقالا : يا أبانا إن الملك قد أرسل إلينا رسالة « تبدي » خوفه وقلقه .

– وأن رجلين قد ضايقاه أشد الضيق ، وأراقا ماء وجهه أمام العسكر .

– وليس معهما سلاح أو جند ، « ليس معهما » إلا عصا فيها الشر والفتنة .

١١٨٠– لقد مضيت أنت إلي عالم الصادقين ، بالرغم من أنك في الظاهر قد رقدت تحت التراب .

– وإذا كان هذا سحرا فأخبرنا ، وإذا كان أمرا إلهيا أيها الأب الحبيب .

– فأخبرنا أيضا حتي نسجد وحتي نعرض نفسينا علي الكيمياء (الإلهية) .

– فنحن قانطان وقد وصل الأمل ، ونحن مطرودان والكرم يدعونا .

جواب الساحر الميت على ولديه

– فصاح [١] : ياولديّ الحبيبين ، إن الجواب صراحة علي هذا الأمر مرهون بشيء .

١١٨٥– فلست مأذونا بأن أجيب علي الأمر صراحة وعلي الإطلاق ، لكن السر ليس بعيداً عن عيني .

– لكني أبدي لكما أمارة حتي يصير هذا السر مكشوفا لكما .

– يا نور عيني ، عندما تذهبان إلي ذلك الموضع ، اعلما أين ينام .

– وعندما ينام هذا الحكيم ، اقصدا تلك العصا ودعكما من الخوف .

---

(١) ج/ ٧ – ١٠٧ : قال لها في النوم ياولدي ، ليس من الممكن الحديث في هذا ظاهرا.

– فإذا سرقتماها واستطعتما ذلك فهو ساحر ، وحيلة الساحر موجودة لديكما .

١١٩٠– وإن لم تستطيعا فالحذر الحذر فهذا أمر إلهي ، وهو رسول من ذي الجلال ومهتد.

– ولو أن الدنيا ملأي بالفراعين من شرقها إلي غربها ، فسوف يقلبها الله عندما تستعر الحرب .

– وقد أعطيتكما هذه الأمارة الصادقة يا روح أبيكما ، فاكتباها والله أعلم بالصواب .

– يا روح أبيكما عندما ينام الساحر لايكون لسحره ومكره موجه .

– وعندما ينام الراعي يطمئن الذئب ، وعندما ينام الساحر يسكن جهده .

١١٩٥ – لكن الحيوان الذي يرعاه الله ، من أين يكون للذئب رجاء فيه وطريق إليه ؟

– فالسحر الذي يقوم به الله حق وصدق ، ومن الخطأ أن يسمي الله بالساحر .

– وهذا برهان قاطع يا روح أبيكما ، وحتي إذا مات فالحق رافعه .

تشبيه القرآن المجيد بعصا موسى ووفاة المصطفى عليه السلام بنوم موسى والقاصدين تغيير القرآن بابنى الساحر اللذين قصدا سرقة العصا عندما وجدا موسى نائما

– لقد وعد اللطف الإلهي المصطفي قائلا : إذا مت أنت فلن يموت هذا الدرس

– فأنا رافع لكتابك ومعجزتك ، وحائل دون من يزيد في القرآن أو ينقص منه .

١٢٠٠ – أنا حافظك في الدارين ، ورافض للطاعنين في حديثك .

– ولن يستطيع أحد أن يزيد فيه أو ينقص منه ، فلا تطلب حافظا آخر خيراً مني .

– ولأزد من رونقك يوماً بعد يوم ، ولأضرب اسمك علي الذهب وعلي الفضة .

– ولأضع من أجلك منبرا ومحرابا ، ومحبة لك صار قهري هو قهرك .

– إنهم يذكرون اسمك الآن في السر خوفا ، وعندما يصلون يتخفون .

١٢٠٥– ورعبا وخوفا من الكفار الملاعين يتخفي دينك تحت الأرض .

– لكني سوف أملأ الآفاق بالمآذن ، وأصيب بالعمي عيني من ينكر هذا

– ويستولي أتباعك علي المدن ويزدادون جاها ، وينتشر دينك من الآفاق إلي الآفاق .

– وسوف أبقيه أنا حتي تقوم الساعة ، فلا تخف من نسخ الدين أيها المصطفي .

– يارسولنا لست ساحرا ، أنت صادق ورفيق لموسي في الخرقة .

١٢١٠ – والقرآن بالنسبة لك كالعصا بالنسبة له ، يبتلع الكفر وكأنه الأفعي .

– وأنت وإن نمت تحت التراب ، اعتبر ماقلت كأنه عصاه .

– فليست للقاصدين قدرة علي عصاه ، فنم أنت أيها المليك نوم العافية .

– فالجسد نائم ونورك علي آفاق السموات ، قد شد قوسه من أجل الدفاع عنك .

– والمتفلسف وكل من يطعن فيه ، يصمي بسهم من قوس نورك .

١٢١٥– وكذلك فعل وفوق ما قاله ، فقد نام « المصطفي » لكن حظه وإقباله لم ينما .

- « وواصل الساحر الأب » : ياروح أبيكما : إذا نام الساحر ، يصير أمره بلا رونق أو قدرة .
- وقبل كلاهما القبر ومضيا نحو مصر من أجل هذا الصراع المرير .
- وعندما قدما إلي مصر من أجل هذا العمل طلبا موسي ومنزله .
- واتفق أنه في يوم مجيئهما ، كان موسي نائما في ظل نخلة .

١٢٢٠- ثم دلهما الناس عليه ، قائلين لهما : امضيا فابحثا عنه عند هذا النخيل .

- وعندما أتيا أبصرا في ظلال النخيل نائما كان هو نفسه « يقظ » الدنيا .
- أغلق إكراما عينيه اللتين في رأسه ، لكن العرش والفرش كليهما كانا تحت ناظريه .
- وما أكثر أيقاظ العيون نيام القلوب ، وأي شيء تراه حقا عيون الماء والطين ؟
- وذلك الذي يكون قلبه يقظا ، إذا نامت منه عين الجسد يتفتح فيه مائة بصر .

١٢٢٥- وإذا لم تكن من أهل القلب فكن يقظا ، كن طالباً للقلب وجاهد «من أجل هذا» .

- وإذا استيقظ قلبك فنم هنيئا ، فليس نظرك غائبا من « السموات » السبع والجهات الست .
- فقد قال الرسول عليه السلام «تنام عيني» ، لكن متي ينام قلبي ويأتيه الوسن ؟
- فافترض أن الملك يقظان وإن كان الحارس نائما ، ألا فلتكن الروح فدي للنائمين ذوي القلوب البصيرة .
- ووصف يقظة القلب أيها المهتم بالمعاني ، لاتستوعبها آلاف من الكتب المسماة بالمثنوي.

١٢٣٠- وعندما رأياه كان قد نام ممدداً ، فاحتالا من أجل أن يسرقا العصا .

- واتجه الساحران إلي العصا سريعاً ، مستديرين من خلفه لكن يقوما باختطافها .

- وعندما تقدما في « تنفيذ » حيلتهما قليلا ، بدأت تلك العصا في الحركة .

- وهكذا تحركت تلك العصا والتوت حول نفسها ، فتيبس كلاهما في مكانه خوفا .

- ثم تحولت إلي أفعي وهجمت عليهما ، فهرب كلاهما مصفر الوجه .

١٢٣٥- وبدأ في التعثر من الخوف ، وهما يتدحرجان عند الفرار في كل منخفض .

- فتيقنا أنها من السماء ، وذلك لأنهما كانا يعرفان حدود السحر (١) .

- ثم ظهر عليهما الوهن « وأصابتهما » الحمي ، وبلغ بهما الأمر إلي الاحتضار وتسليم الروح .

- فأرسلا في التو واللحظة رجلا إلي موسي يحمل إليه الاعتذار منهما قائلين :

- لقد امتحناك ومتي يصل بنا الأمر إلي امتحانك إنه لم يكن ثم حسد .

١٢٤٠- نحن مجرما فرعون فاعف عنا ، يا من أنت في بلاط الجلالة من خواص الخواص.

- فعفا عنهما فارتدت إليهما العافية في التو واللحظة ، وأخذا في إظهار الخضوع والمذلة أمام موسي .

- فقال لهما موسي : لقد عفوت عنكما يامن أنتما من الكرام ، وصارت روحاكما وجسداكما حراما علي النار .

---

(١) ج / ٧ / ١١٣ : - ومن ثم فتعلم علم السحر ، صار ممنوحا وحراما ومحقرا

- ومن أجل التمييزبين الحق الطيب والباطل ، صار علم السحرحراما أيها الصديق.

- فأنا لم أركما ياصديقي ، فهيا كفا عن الاعتذار .
- بل وادخلا في الصراع وأنتما عالمـان (بنتيجته) دون أن تبديا ذلك للملك [(١)] .
١٢٤٥- فقبلا الأرض بين يديه ومضيا ، وظلا ينتظران الوقت والفرصة .

تجمع السحرة من المدائن عند فرعون ، وتلقيهم ألوان التشريف ، و « وقوفهم واضعين أيديهم على صدورهم من أجل الانتصار على الخصم قائلين له : اكتب علينا هذا

- عندما أتي أولئك السحرة إلي فرعون ، خلع عليهم الخلع الثمينة .
- ووعدهم بالوعود وقدم لهم العبيد والخيل والمال والبضائع والزاد .
- ثم أخذ يقول لهم : هيا أيها السباقون فلو كنتم الغالبين في هذا الامتحان
- فسوف أنثر عليكم العطاء الكثير ، بحيث يتمزق حجاب الجود والسخاء .
١٢٥٠- فقالوا له : بإقبالك أيها الملك ، سوف نكون نحن الغالبين ويصير أمره إلي تباب.
- نحن في هذا الفن أبطال صناديد، ولأحد في الدنيا له ما لنا من قدرة فيه .
- لقد صار ذكر موسي قيدا علي الخواطر ، فكم من قائل : مالنا نحن وهذه الحكايات القديمة ؟
- إن ذكر موسي هنا مجرد دريئة وحجاب ، لكن ليكن لك منه نور موسي أيها الرجل الطيب .
- إن موسي وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .
١٢٥٥- وهناك نتاج من موسي حتي القيامة ، وليس نورا آخر وإن تغير السراج .
- فهذه المشكاة وهذه الفتيلة من نوع آخر ، لكن نورها لم يتغير لأنه من تلك الناحية .

---

(١) ج/ ٧- ١١٣ : وكل ما لديكما من الفنون ، اجمعاه من الداخل والخارج .

- وإذا نظرت في الزجاجة فإنك تضل ، ففي الزجاجة توجد الأعداد والإثنينية.
- وإذا نظرت إلي النور تنجو من الإثنينية وأعداد الجسد المتناهي المحدود .
- ويا لب الوجود ، إن الخلاف بين المؤمن والمجوسي واليهودي نتيجة لاختلاف وجهات النظر .

الاختلاف فى كيفية الفيل

١٢٦٠- كان الفيل « موجوداً » في حجرة مظلمة ، وكان الهنود قد عرضوه فيها .

- ودخل الناس من أجل مشاهدته إلي تلك الحجرة المظلمة فردا فرداً .
- ولما كانت رؤيته بالعين غير ممكنة ، أخذوا يتحسسونه بأيديهم في تلك الظلمة .
- فوقعت كف أحدهم علي خرطومه ، فقال : إن شكله مثل الأنبوبة .
- ووصلت كف آخر إلي أذنه ، فبدا له كأنه المروحة .

١٢٦٥- أما الثالث فعندما تحسس قدمه فقد صاح ، لقد أدركت شكل الفيل ، إنه كالعمود .

- أما ذلك الذي وضع يده علي ظهره فقد قال : هذا الفيل كأنه نجد .
- وهكذا فكل من وصل منهم إلي جزء منه ، كان يفهمه طبقا لما بلغ مسامعه عنه في كل مكان .
- واختلفت أقوالهم من اختلاف وجهات النظر ، قال أحدهم : إنه « معوج » كالدال، وقال آخر بل « مستقيم » كالألف .
- ولو كانت في يد كل واحد منهم شمعة ، لانتفي الاختلاف عن أقوالهم .

١٢٧٠- وعين الحس مثل كف اليد فحسب ، وليست لكف واحدة قدرة الإحاطة به ككل .

- وعين البحر شيء وزبده شيء مختلف ، فاترك الزبد وانظر لعين البحر .

- إن حركة الزبد من البحر ليل نهار ، وأنت لاتفتأ تنظر إلي الزبد ولاتنظر إلي البحر وهذا أمر عجيب .

- ونحن كالسفن . يصطدم بعضها ببعضها الآخر ، ونحن عمي الأبصار في الماء الصافي .

- ويا من قد رحت في النوم في سفينة الجسد ، لقد رأيت الماء فانظر إلي ماء الماء .

١٢٧٥- فللماء ماء يسيره ، وللروح روح تدعوها .

- وأين كان موسي وعيسي عندما كانت شمس «الحقيقة» تروي بالماء مزرعة الموجودات ؟

- وأين كان آدم وحواء ذلك الزمان الذي وضع الله تعالي فيه هذا الوتر في القوس ؟

- إن هذا الكلام ناقص أبتر ، وذلك الكلام الذي ليس بناقص هو من تلك الناحية .

- فلو تحدثت عنه لزلت قدمك ، وويلاه إن لم تنبس عنه ببنت شفة .

١٢٨٠- ولو قيل إنه علي مثال الصورة ، فإنك تتعلق بنفس الصورة أيها الفتي .

- وأنت مقيد القدم كأنك النبات في الأرض ، وتحرك رأسك بهبة نسيم دون يقين .

- لكن لا قدرة لك علي الانتقال ، أو اقتلاع قدميك من هذا الطين .

- فكيف تقتلع القدم من هذا الطين وحياتك منه ؟ إن السير في حياتك هنا أمر شديد الإشكال .

– وعندما تستمد الحياة من الحق أيها السالك ، تصبح بها مستغنيا وتمضي عن الطين (١) .

١٢٨٥– فالرضيع عندما يفطم عن مرضعته ، فإنه يتركها ويصير أكلا لكل ما لذ وطاب (٢) .

– وأنت ملتصق بلبن الأرض كالغلال ، فابحث عن فطامك من قوت القلوب .

– وتغذ من كلام الحكمة فإن النور قد صار مضمرا فيه ، يا من لست قابلا لنور بلا حجب .

– حتي تصبح قابلا للنور أيها الحبيب ، حتي تري المستور بلا حجب.

– فتتجول كالنجوم فوق سماك الأفلاك ، بل تسافر بلا فلك سفرا لاوصف له ولا كيفية .

١٢٩٠– ألست بهذه الطريقة قد جئت من العدم إلي الوجود ؟ هيا .. وقل كيف أتيت ؟ لقد أتيت ثملا .

– لقد انمحت طرق المجيء من ذاكرتك ، لكننا سوف نتلو عليك رمزا عنها .

– فاترك الفهم وكن آنذاك ذا فهم ، وسد أذنيك وكن آنذاك صاحب أذن .

– لا ، لن أتحدث إليك فإنك لا تزال فجا ، إنك لازلت في الربيع لم ينضجك هجير الصيف (٣) .

– وهذه الدنيا كالشجرة أيها الكرام ، ونحن عليها كالثمار الفجة .

١٢٩٥– والثمار الفجة شديدة الالتصاق بالأغصان ؛ وذلك لأنها من فجاجتها لا تليق بالقصور .

---

(١) ج / ٧– ١٢١ : تمضي فارغاً مستغنيا صوب القلب ، تمضي بلا قيد حرأمن أهل الطين .^^

(٢) حرفيا : آكلا للدسم .

(٣) حرفيا : لم تر حرارة تموز .

– وعندما تنضج وتصير مقبولة للمذاق ، فإنها تحتقر الأغصان بعدها .

– وعندما تتذوق الأفواه حلاوة هذا الإقبال ، يهون بعدها ملك الدنيا علي الإنسان.

– إن التنطع والتعصب من قبيل الفجاجة ، ومادمت جنينا فإن ديدنك هو شرب الدم.

– وبقي شيء آخر ، لكن قوله لك منوط بالروح القدس ، يتحدث به إليك دون واسطة مني .

١٣٠٠– لا ، إنك أيضا تتحدث به إلي نفسك ، تهمس به في أذني نفسك ، لا أنا ولا غيري يتحدث به إليك يامن أنت مني .

– ومثل ذلك عندما تروح في النوم ، إنك تنتقل من جوار نفسك إلي جوار نفسك .

– تسمع من نفسك وتظن أن فلانا من الناس قد تحدث إليك في النوم وأفضي إليك بهذا السر .

– ولست واحداً قائما بذاتك أيها الرفيق ، بل إنك فلك وبحر عميق .

– وما هو قوي فيك هو ذاتك ذات التسعمائة طية ، هي محيط وموضع غرق لمائة ذات .

١٣٠٥– وما هو حد النوم واليقظة نفسهما ؟ لا تتحدث ، الله أعلم بالصواب [1].

– لا تتحدث حتي تسمع من المتحدثين ، مالم يأت علي لسان أو يرد في بيان

– لا تتحدث حتي تستمع من تلك الشمس ، مالم يأت في كتاب أو خطاب .

– لا تتحدث حتي تتحدث الروح من أجلك ، واترك العوم وأنت في سفينة نوح .

---

(١) ج/ ٧– ١٢٢ : لاتتحدث حتي تسمع من هذا القمري الطلعة ، هيا .. أيها اللاعبون بطهر هيا . – لاتتحدث حتي تسمع أسرار الحال ، من اللسان الذي لا لسان له ، قائلا لك : تعال .

– مثل « كنعان » الذي كان يسبح قائلا : لست أريد سفينة نوح العدو .

١٣١٠– « فيقول له » : هيا .. تعال واركب سفينة أبيك حتي لاتغرق في الطوفان أيها المهين .

– فقال : لا ، لقد تعلمت السباحة ، وأشعلت شموعا غير شموعك .

– هيا لاتفعل فهذا هو موج طوفان البلاء ، واليد والقدم والعوم كلها أمور لاتجدي .

– وثمة ريح للقهر والبلاء تطفيء الشموع ، ولا يجدي أمامها إلا شموع الحق فاصمت .

– قال : لا ، آويت إلي هذا الجبل المرتفع ، وهو عاصمني من كل أذي .

١٣١٥– انتبه وأقلع عن هذا فالجبل قشة الآن ، وهو لايهب الأمن إلا لحبيبه .

– قال : متي كنت انتصح بنصحك ، لقد طمعت أن أكون من بين أسرتك .

– إن قولك لم يقع قط موقعا من قلبي ، وأنا بريء منك في الدارين .

– هيا يابني لاتفعل .. فليس اليوم يوم الدلال ، وليس لله تعالي قريب أو شريك .

– لقد فعلت مافعلت وهذه اللحظة حاسمة ، ومن الذي يقبل الدلال علي هذه العتبة ؟

١٣٢٠– إنه لم يلد ولم يولد من القدم ، لا أب له ولا ابن ولا عم .

– فمتي يتحمل دلال الأبناء ؟ ، ومتي سيسمع دلال الآباء ؟

- « إنه يقول » : لست مولودا فقلل الدلال أيها الأب، ولست والدا فقلل الاندفاع أيها الشاب .

- ولست زوجا ولست بالذي تسيطر عليه الشهوة ، فاتركي الدلال هنا أيتها السيدة .

- وليس إلا للخضوع والعبودية والاضطرار في هذه الحضرة من اعتبار .

١٣٢٥- قال : يا أبي ، لقد تحدثت بهذه الأمور سنوات طويلة ، وها أنت ذا تكررها ثانية بجهل وتخوض فيها .

- لقد تحدثت بهذه الأمور مرات مع كل إنسان ، وسمعت الجواب المر عليه كثيراً .

- وكلامك السخيف هذا لم يصادف مني أذنا صاغية ، فهل سيعقل الآن وقد صرت عالما وكبيراً ؟

- قال نوح : يابني ماذا ستخسر إذا سمعت - ولو مرة واحدة - نصيحة أبيك ؟

- وهكذا ظل يمحضه النصيحة الخالصة ، وظل الابن يرد هذا الرد العنيف .

١٣٣٠- فلا الأب كف عن نصح كنعان ، ولا كلمة واحدة منه صادفت أذنا من ذلك المدبر.

- وبينما كانا في هذه المحاورة إذ ضرب الموج المتلاطم رأس كنعان ومزقه إربا .

- وقال نوح : أيها الملك الحليم ، إن لي حماراً قد مات وسيلك جارف للأحمال .

- لقد وعدتني أنت مرات ومرات ، « وقلت لي » : إن أهلك ناجون من الطوفان .

- وقد اعتمدت علي هذا راجيا فيك واثقا ، إذن فلماذا جرف السيل « كليمي » مني ؟

١٣٣٥- قال : إنه ليس من أهلك وأسرتك ، ألم تر أنت نفسك أنك أبيض البشرة وهو أسودها ؟

- وعندما يقع السوس في أسنانك ، اقتلعها فليست بأسنان أيها الأستاذ .

- وذلك حتي لايشتكي بقية الجسد منها ، وبالرغم من أنها بضعة منك إلا أنه عليك أن تستغني عنها .

- قال نوح : إنني ملول ضائق من كل ما هو سواك - ولا سواك ، وإن كان فليكن هالكا منك .

- إنك تعلم كيف أنا معك ، أضعاف أضعاف (١) ماتكون الأمطار مع الرياض .

١٣٤٠- إنني حي بك ، سعيد منك ، محتاج إليك ، مستمد لغذائي دون واسطة أو حائل .

- ولست متصلا ولا منفصلا أيها الكمال ، إنها علاقة بلا كيفية أو بحث عن علة .

- إننا أسماك وأنت بحر الحياة ، ونحن أحياء من لطفك ياحسن الصفات .

- وإنك لاتستوعب في نطاق فكرة ، ولست مقترنا بمعلول فأنت علة « العلل » .

- وقبل هذا الطوفان وبعده ، كنت مخاطبا إياي « مخبراً » لي عن كل ماحدث .

---

(١) حرفيا : عشرون ضعفا .

١٣٤٥- كنت أتوجه إليك لا إليهم بالحديث ، ياواهب الكلام الحديث والحال القديم
- أليس هكذا يفعل العاشق ؟ يتوجه بالحديث ليل نهار حينا إلي الأطلال وحينا إلي الدمن .
- لقد توجه إلي الأطلال في ظاهر الأمر ، فإلي من يتحدث بالثناء عليك إلي من ؟
- لقد أوليت الشكر للطوفان الآن ، ذلك أنك رفعت (به) واسطة الأطلال .
- وذلك لأن الأطلال كانت لئيمة شريرة ، فلا هي تنادي ولا هي تسمع الحديث .
١٣٥٠- وأنا سوف أريد تلك الأطلال التي عند الخطاب ، تكون كالجبل تردد الصوت عندما تريد الجواب .
- وذلك حتي أسمع اسمك مرتين ؛ لأنني عاشق لاسمك الذي يريح الروح .
- وكل نبي يحب الجبل لهذا السبب ، وذلك حتي يسمع اسمك مترددا مضاعفا .
- وإلا فإن ذلك الجبل الذليل الذى هو من الحجارة ، يليق بالفأر مقاما لا بنا .
- إنني أتحدث وهو لايصير نديما لي في الحديث ، إنه يبقي صامتا عند حديثي .
١٣٥٥- وأولي بالنسبة له أن تسويه بالأرض ، فليس برفيق تصاحبه خطوة بخطوة .
- قال الله تعالي : يانوح لو أنك تريد « من غرقوا » جميعا ، لأمرن بالحشر ولأخرجنهم جميعا من الثري .
- ولا أجعلك كسير القلب من أجل كنعان ، لكنني أنبئك « بحقيقة » الأحوال .
- قال نوح : لا .. لا ، أنا راض حتي وإن تغرقني أنا نفسي إن كانت هذه مشيئتك.

- أغـــرقـنـي فـــي كل لحظة فأنا سعيد بهذا ، وحكمك هو الروح أرضي به كما أرضي بالروح .

- ولا أتحول بنظري إلي أحد وإن فعلت ، يكون هو مجرد دريئة وأنت المنظور.

- وأنـــا عـاشـــق لصنعك شاكر لك صابر « علي بلائك » ، ومتي أكون عاشقا للمصنوع كالمجوس ؟

- إن عاشق صنع الله يكون ذا مجد وجلال ، أما عاشق مصنوعه فيكون كافرا [1] .

التوفيق بين الحديثين الشريفين : « الرضا بالكفر كفر » والحديث الآخر - « من لم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي »

- بالأمس سألني سائل « كان مغرما » بالجدال .

- قـــال : هـنـــاك حديث يقول : « الرضا بالكفر كفر » وقد قاله الرسول وكلامه ختم « لكلام الأنبياء » .

- لكنه قال في موضع آخر « مافحواه » : إن علي المسلم أن يكون راضيا بكل قضاء .

- أليس الكفر والنفاق من قضاء الله ؟ وإذا رضيت بهما إذن فهذا شقاق .

- وإذا لم أرض بهما فهو الخسران ، فما حيلتي إذن بين هذين الحديثين ؟

- فأجبته : إن الكفر مقضي لا قضاء ، فهذا الكفر حقيقة من أثار القضاء .

- ولتـعـــلـم إذن القـضـــاء مـن المـقـضـــي أيها السـيـد ، حتي يرفع الإشكال لديك في التو واللحظة .

- فأنا أرضي بالكفر من حيث إنه قضاء ، لامن حيث يكون نتيجة جدالنا وخبثنا .

---

(١) ج / ٧ – ١٤٨ : وبين هذين الاثنين فرق خفي ، وإنما يعرفه ذو الرؤية الصافية .

– فالكفر جهل والقضاء بالكفر علم ، فمتي كانا سواء الحلم والجهل .

– وقبح الخط لايعني قبح الخطاط ، لكنه أبدي القبح من ناحيته .

– والقوة في النقاش أنه يصور القبح كما يستطيع أن يصور الجمال .

١٣٧٥– ولو واصلت المناقشة جدلا ، لتعددت الأسئلة ولطال الجواب .

– ولمضت لذة نقاط العشق مني ، ولصار دور خدمتي دوراً أخر .

مثل فى أن الحيرة تمنع البحث والفكر

– جاء رجل أشيب متعجلا إلي أحد الحلاقين المهرة .

– فقال له : انزع الشعرات البيضاء من لحيتي ، ذلك أنني سأزف إلي عروس جديدة أيها الفتي .

– فحلق لحيته كلها ووضعها أمامه ، وقال له : اختر أنت فعندي عمل مهم

١٣٨٠ – هذا هو السؤال وهذا هو الجواب فاختر ما تشاء ، فإن رءوس (هؤلاء) لاتحتوي علي ألم الدين .

– لقد صفع أحدهم « زيدا » فحمل « زيد » عليه رداً علي كيده .

– فقال الصافع : إنني سوف أسالك سؤالا فأجبني عليه ثم اصفعني .

– لقد صفعتك علي قفاك صفعة ذات رنين ، وأسالك الآن سؤالا طالبا للوفاق .

– أكان هذا الصوت من كفي أو من موضع « الصفع » علي قفاك يافخر العائلة ؟

١٣٨٥– فأجاب : إن الألم الذي أحس به لم يترك لي مجالا للفكر والتفكر .

– وأنت لا تحس بالألم فاستغرق في التفكير ، والذي يحس بالألم لايفكر علي هذا النحو فانتبه [١] .

---

(١) ج/٧ – ١٦١ : والمتألمون لايفكرون في الغير ، فاذهب إلي المسجد أن شئت أو الدير .

وليس لصاحب الألم إلا حزن الذين ، وهو يعلم التمييز بين الرجل والغبار

ويضع حكم الخق علي رأسه ووجهه ، ويلقي بحفظه وفكره جانبا

حـــكـــايـــة

- قل من كان حافظا « للقرآن » من الصحابة ، بالرغم من أن أرواحهم كانت شديدة الشوق .

- وذلك أنه كلما كان لب الثمرة ممتلئا ناضجا ، كانت قشرتها شديدة الرقة وتشققت.

- ومن ثم فثمار الجوز واللوز والفستق عندما يمتلئ لبها ترق قشورها .

١٣٩٠- وعندما يزداد لب العلم تقل قشوره ، ومن قبيل ذلك أن العاشق يمزق جيبه.

- وما دامت طبيعة المطلوب تكون ضد طبيعة الطالب ، فإن الوحي وتجلي نوره يكونان محرقين « لصورة » القرآن .

- وما دامت أوصاف القديم قد تجلت ، فإن الحجاب (الذي هو) وصف الحادث قد احترق .

- ومن ثم فقد كان يسمع من الصحابة « أنهم يقولون » : جل فينا من يحفظ ربعا من القرآن .

- وجمع الصورة إلي مثل هذا المعني العميق ، ليس ممكنا إلا لسلطان مهيب وعظيم.

١٣٩٥- وفي مثل هذا السكر لاتجب مراعاة للأدب ، وإن وجبت لكان هذا أدعي للعجب .

- وعند الاستغناء تكون مراعاة الابتهال ، جمعا للضدين « كجمع » المستدير والطويل معا .

- والعصا في حد ذاتها تكون محبوبة لدي العميان ، والأعمي نفسه يكون صندوقا للقرآن .

- وقد قال العميان أنفسهم : إنهم صناديق مملوءة من ألفاظ المصحف ومن الذكر والنذر .

- وأيضا فإن الصندوق المليء بالقرآن أفضل من صندوق خال في اليد .

١٤٠٠- ثم إن الصندوق الذي يكون خاليا من الثمار ، أفضل من صندوق يكون مليئا بالفئران والحيات .

- والخلاصة أنه عندما يصل المرء إلي الوصال ، تصير الدلالة أمامه عنه لانفع فيها.

- وما دمت قد وصلت إلي مطلوبك أيها المليح ، فإن طلب العلم حينذاك يكون قبيحا.

- وما دمت قد سموت إلي عنان السماء ، يكون سخيفا البحث عن السلالم وطلبها.

- وليس إلا من أجل الباري وتعليم الخير ، يكون طريق الخير سخيفا من بعد وصول الخير .

١٤٠٥- وعندما تكون المرآة صافية مضيئة ، من الجهل أن تسلمها للصقال .

- والجلوس أمام السلطان بسعادة وقبول ، قبيح أثناءه البحث عن الخطاب والرسول .

قصة انشغال عاشق بقراءة كتب العشق ومطالعة رسائل العشق ، فى حضور معشوقه ، وعدم استحسان المعشوق لذلك . طلب الدليل عند حضور المدلول قبيح والاشتغال بالعلم بعد الوصول إلى المعلوم مذموم

- كان أحدهم قد أجلسه حبيبه في محضره ، فأخرج رسالة وقرأها أمام حبيبه .

- كانت تحتوي علي أبيات في المدح والثناء والشكوي والمسكنة وكثير الضراعات [1] .

- فقال المعشوق : إن كان هذا من أجلي وعند الوصول فهو تضييع للعمر.

- أنا حاضر إلي جوارك وأنت قارئ للرسائل ، وليس في هذا أمارة العاشقين .

- فقال العاشق : إنك حاضر إلي جواري ، لكني لا أجد نصيبا منك جيداً

- وذلك الذي كنت أناله منك في السنة قبل الماضية ليس موجودا الآن وإن كنت أري الوصال .

- لقد شربت ماء زلالا من تلك العين ، وجددت قلبي وروحي من الماء الزلال .

- إنني أري العين ولكن لا ماء ، وكأن قاطع طريق قطع الماء علي .

- قال : حسبك ، لست معشوقا لك ، أنا في البلغار ومرادك في « قتو » .

- إنك عاشق لحال ما « يطرأ علي » و « الحال » لايدوم أيها الفتي .

- ومن ثم فلست مطلوبا لك بكليتي ، والجزء الذي تقصده مني كان لك في زمن ما.

- إنني منزل المعشوق ولست المعشوق « نفسه » ، والعشق يكون للنقد لا للصندوق.

- والمعشوق هو الذي يكون واحداً « صمداً » ، ويكون بالنسبة لك المبدأ والمنتهي .

- وعندما تجده لا تظل منتظرا ، إنه يكون ظاهرا ويكون أيضا خفيا « في الوقت نفسه » .

---

(١) ج / ٧ - ١٧٠ : والبكاء والصراخ والحزن والألم الذي لديه ، وذله وهوانه علي الأقارب والأباعد - والألم والتعب في هجر الحبيب ، وذكر من أرسلهم تفصيلا - وهكذا أخذ يقرأ لحبيبه ، مايزيد عن الحد والحصر .

- إنه أميـر الأحوال لايكون موقـوفا علي حال ، بل يكون « المرء » عـبدا لذلك القمـر طوال الشـهور والسـنين .

- وعندمـا يتحـدث يسيطر علي الحـال كلية ، وعندمـا يشاء يـجعل الأجسـاد أرواحاً .

- ولايكون مـنتهي « أمـل » ذلك الذي يـكـون موقـوفا علي حال باحـثا عنه

- تـكـون يـده بالنسبة « للحـال » كأنها الكيمياء ، ويحرك اليد فـيصير النحاس ثمـلا به .

١٤٢٥ - وإذا شـاء الموت يكون المـوت حلوا « بالـنسـبـة لـه » ، ويكون الشـوك والحسـك بمثابة النرجس والنسـرين .

- أما الذي يتوقف علي الحال فهو مـجرد إنسـان ، حينا في الزيادة وحينا في النقصـان.

- والصـوفي وإن كان « ابن الوقت » علي سبيل المثال ، فإن الصـافي فارغ من الوقت والحـال .

- فالأحـوال متـوقفة علي عـزمه وعلي رأيه ، حـية من « نفسـه » الذي يشـبه نفس المسيح .

- إنـك عاشـق لحال ولسـت عاشـقا لي ، وإنك لتدور حولي أملا في حـال مـا .

١٤٣٠- وذلـك الـــذي يكـــون لحظة كـامـلا ولحظة ناقـصـا ، ولايكون مـحـبـوبا للخليل بل يكون آفلا .

- وذلـك الـذي يكون آفـلا وحـيـنـا « هــــــذا » وحـينا « ذاك » لا يكون مـحبوبا لقائل « لا أحب الآفلين » .

- وذلـك الذي يكـون حينـا طيبا وحينا قبيحـا، ويكون حينا ماء وحينا ناراً ؛

- يكون برج قمر ولكن لا قمر ، ويكون صـورة صـنم ولكن لا حياة .

- فالصوفي الباحث عن الصفاء هو ابن الوقت ، لقد تشبث بالوقت كأنه أبوه .

١٤٣٥- أما الصافي فهو غريق في نور ذي الجلال ، وليس ابنا لأحد بل هو فارغ من الوقت والحال .

- إنه غريق في نور من لم يولد ، ومن لم يلد ولم يولد هو الله .

- فامض وابحث عن مثل هذا العشق إن كنت حيا ، وإلا فإنك عبد للأوقات المختلفة .

- فلا تمعن النظر في صورتك الحسنة أو القبيحة ، ولكن تمعن في العشق وفي مطلوبك .

- ولا تنظر إلي كونك حقيراً أو ضعيفا ، ولكن انظر إلي همتك أيها الشريف .

١٤٤٠- وداوم الطلب أيا كان الحال الذي أنت فيه ، داوم علي طلب الماء يا جافّ الشفة .

- وذلك لأن شفتك الجافة تدل علي أنك سوف تصل في النهاية إلي المنبع .

- إن جفاف الشفة رسالة من الماء الذي سوف يقضي يقينا علي هذا الاضطراب .

- فإن هذا الطلب حركة مباركة ، وهذا الطلب في طريق الحق مانع للهلاك .

- وهذا الطلب مفتاح لمطلوباتك ، وهو جيشك ونصرة لراياتك .

١٤٤٥- وهذا الطلب مثل الديك الذي يصيح ، إنه يصيح « مبشرا » بأن الصبح أت .

– وحتي إن لم تكن تملك الوسيلة فاطلب ، فلا حاجة إلي الوسيلة في طريق الإله .

– وكل من تراه طالبا يابني ، كن رفيقا له وطأطئ رأسك أمامه .

– فمن جوار الطالبين تصير طالبا ، وتحت ظلال الغالبين تصير غالبا .

– فإذا كانت نملة قد طلبت مرتبة سليمان ، فلا تنظر إلي طلبها هذا هونا .

١٤٥٠– وكان مالك من حرفة ومال ، ألم يكن طلبا وفكرا من البداية ؟[١]

حكاية ذلك الشخص الذى كان يدعو ليل نهار في عهد داود عليه السلام قائلا : ارزقني رزقا حلالا دون تعب

– كان أحدهم في عهد داود النبي ، عند كل عالم وأمام كل غبي .

– يدعو بهذا الدعاء ملحا وقائلا : « يا الله هبني ثروة دون تعب » .

– فما دمت قد خلقتني كسولاً بطيء الحركة والسعي .

– لايمكن وضع أحمال الخيل والبغال ، علي الحمر جريحة الظهر .

١٤٥٥– وما دمت قد خلقتني كسولاً أيها الغني ، فارزقني أيضا عن طريق الكسل .

– فأنا كسول نئوم في ظل الوجود ، قد نمت في ظل هذا الفضل والجود .

– وأنت قد كتبت للكسالي النائمين في الظل رزقا علي شكل آخر ؟

– فكل من له قدم يبحث عن رزق ما ، فكن سلوي لكل من ليس له قدم

– وسق الرزق نحو ذلك الحزين ، وسق السحاب دائما صوب كل أرض

---

(١) ج/٧ – ١٧٢ : وإذا كان من النادر أن يجد أحدهم كنزا ، فإنه ان قعد عن الطلب فهو مقصر – وكل من جد وجد ، ما دام قد أسرع في جده – فهيا ، لا تكن أيها السيد لحظة بلا طلب ، حتي تجد ما تريد دون تعب – وفي النهاية من جد وجد ، مادام في قد أسرع في الخدمة فكن جلداً في الطلب وهذا هو فتح الباب ، وداوم علي الطلب والله أعلم بالصواب .

١٤٦٠- ولما لم يكن للأرض قدم « تسعي بها » ، فإن جودك يسوق السحاب إليها منحنيا « طاعة » .

- ولما لم يكن للطفل قدم فإن أمة تأتي وتصب رزقه فوق رأسه .

- أريد رزقا فجائيا دون سعي ، فليس لي من السعي سوي الطلب .

- وظل يردد هذا الدعاء مدة طويلة ، من النهار حتي الليل وطوال الليل حتي الضحي .

- فكان الناس يضحكون من قوله ، « ويعذلونه » علي طمعه الساذج وعلي إلحاحه .

١٤٦٥- قائلين : عجبا ، ماذا يقول هذا الأبله ؟ أتري قد دس له أحد حشيشا سالبا للعقل ؟

- إن طريق الرزق هو الكسب والسعي والتعب ، ولقد أعطي كل إنسان حرفة « ووسيلة » للطلب .

- « اطلبوا الأرزاق من أسبابها : ادخلوا الأوطان من أبوابها »[1] .

- بل إن الملك والسلطان ورسول الحق في زمامنا هذا هو داود النبي ذو الأفضال .

- ورغم كل هذا العز والألطاف الإلهية التي يعيش في ظلها ، بحيث اختارته العناية الإلهية .

١٤٧٠- ومعجزاته بلا حصر ولا عد ، وأمواج العطاء بالنسبة له متتالية في أثر بعضها .

- ولم يكن لأحد من بني آدم حتي الآن صوت كأنه الأرغنون .

- بحيث يميت في كل عظة مائتين ، فالله لم يجعل لأحد صوته الحلو .

- والأسد والغزال يجتمعان عند تذكيره هذا غافل عن ذاك .

---

(١) بالعربية في المتن .

- والجبال والطير تؤوب من إنشاده ، كلاهما في وقت الدعوة صفي ونجي .

١٤٧٥- هذا وأضعاف هذا مع المعجزات ، ونوره « مطلق » في كل الجهات وبلا جهات .

- ورغم كل هذا التمكين ، فإن الله سبحانه وتعالي قد جعل رزقه موقوفا علي الكدح والسعي .

- فلا يأتيه رزقه دون صناعة للدروع وكدح مع كل ما له من نصرة « إلهية »

- « ثم يأتي » مثل هذا المخذول المتروك العاجز المتعفن داخل داره « كسلا » والمطرود من الأرض والفلك .

- « يأتي » مثل هذا المدبر ويريد أن يملأ حجره بالربح دون تجارة !!

١٤٨٠- يأتي مثل هذا الأبله ويجهر بالقول : أريد أن أصعد إلي الفلك دون درجات .

- فكان هذا يقول له ساخرا : لقد وصلك الرزق اذهب وخذه ، لقد جاء « بهذا » البشير .

- وكان ذاك يضحك قائلا : أعطينا مما أعطاكه « الله » هدية ياعين الأعيان !!

- لكن كل هذا العذل والسخرية ، لم يكن يقلل من دعائه وتقربه بالدعاء .

- حتي صار معروفا وشهيراً في المدينة ، إنه يبحث عن الجبن من قربة فارغة .

١٤٨٥- صار ذلك الشحاذ مثلا في الطمح المحال ، لكنه لم يقلع عن هذه الرغبة .

إسراع ثور إلى منزل ذلك الملح في الدعاء ،

قال النبي عليه السلام : إن الله يحب الملحين

في الدعاء ، ذلك أن عين الطلب من الحق

وإلحاح الطالب أفضل مما يطلبه منه

– حتي حدث ضحي ذات يوم ، بينما كان هذا « الرجل » يدعو بنحيب وتأوه .

– أن أسرع ثور فجأة إلي داخل منزله ، ضرب الباب بقرنه فكسر المزلاج والقفل .

– وقفز الثور الهائج إلي المنزل ، فهب الرجل واقفا وقيد قوائمه .

– ثم ذبح ذلك الثور في التو واللحظة ، بلا تمعن ولا انتظار ولا إمهال .

١٤٩٠ – وعندما ذبحه ذهب إلي القصاب ، « ليأتي به » فيسلخ إهابه في الحال .

اعتذار الناظم مطلب المدد

– يا أيها السائل ، إن ما يدور « في الباطن » من معان كالجنين ، فكيف تسألني أن أكمله لك ؟

– فسهل وأبد الطريق ووفق ، أو دعك من هذا السؤال لاتضعه علي كاهلنا .

– وكيف تسأل المفلس ذهبا ، ألا فلتهبن الذهب للسر أيها الملك الغني .

– وبدونك من الذي يجرؤ علي التفكر في النظم و « حبك » القوافي في الليل أو الفجر أو يدور في خاطره هذا ؟

١٤٩٥– فالنظم والتجنيس والقوافي أيها العليم عبيد لأمرك « تلبيه » خوفا وهلعا .

- وما دمت قد جعلت كل شيء مسبحا ، سواء الذات المميزة وغير المميزة .

- ولكل منهما تسبيح من نوع مختلف ، يقوله وهذا غافل عما قاله ذاك .

- والإنسان ينكر التسبيح علي الجماد ، في حين أن ذلك الجماد أستاذ في العبادة .

- بل إن الاثنتين والسبعين ملة كل ملة منها لاتدري شيئا عن الأخري وتشك فيها .

١٥٠٠- وإذا كان الناطقون كل منهم غافل عن الآخر فما بالك بالجدار والباب ؟

- وما دمت غافلا عن تسبيح الناطق ، فكيف يعلم قلبي تسبيح الصامت .

- فللسني تسبيح خاص ، ولا مناص للجبري من تسبيح مخالف لهذا التسبيح .

- والسني غافل عن تسبيح الجبري ، والجبري بلا خبر عن تسبيح السنى .

- هذا يقول : ذاك ضال وتائه ، وغافل عن الحال وعن الأمر بالقيام .

١٥٠٥- وهذا يقول : أي علم لهذا ؟ وأوقع الله الحرب بينهما من قدره .

- وذلك حتي يظهر أصل كل منهما عيانا ، وحتي يكشف المستحق من غير المستحق .

- وكل امرئ يعرف القهر من اللطف ، عالما كان أو جاهلا خسيسا .

- لكن هناك لطفا مخفيا في القهر ، كما أن هناك قهرا أتي في قلب اللطف .

- وقليل من يعرف هذا إلا من كان ربانيا ، ذلك الذي يكون في قلبه محك روحاني.

١٥١٠- والباقون يسيرون علي الظن فيما يتصل بهذين « القهر واللطف » ويطيرون نحو أعشاشهم بجناح واحد .

بيان أن للعلم جناحين وللظن جناحا واحدا ، فالظن ناقص وأبتر فى طيرانه ، و مثال الظن واليقين فى العلم

– للعلم جناحان وللظن جناح واحد ، فالظن ناقص في طيرانه وأبتر .

– والطائر ذو الجناح الواحد سريعا ما يسقط منقلبا ، ثم يطير لكن خطوتين أو أكثر.

– يمضي طائر الظن متعثرا بجناح واحد أملا في « الوصول » إلي عشه .

– وعندما يتخلص من الظن يبدو علمه ، ويصير ذا جناحين هذا الطائر ذو الجناح الواحد ، ويفتح جناحيه .

١٥١٥ – وبعد ذلك يمضي مستقيما ، ليس علي وجهه مكبا أو سقيما .

– أو يطير بجناحين مثل جبريل ، بلا ظن ولا تردد أو قال أو قيل .

– ولو أن كل العالم قال له : إنك تمشي باستواء علي طريق الله والدين .

– فإنه لايصير من قولهم أكثر حماسا ، وروحه المفردة لا تأتلف مع « أرواحهم » .

– ولو قيل له : إنك ضال تظن نفسك جبلا وأنت لاتعدو قشة .

١٥٢٠– فإنه لا يقع في الظن من سبهم ، ويصير متألما من طعنهم .

– ولو أن البحر والجبل جاءا إليه وقالا له : إنك قد صرت علي ضلال .

– فإنه لا يسقط مثقال ذرة من الوهم ، أو يصير مريض الحال من طعن الطاعنين .

مثال مرض الإنسان بوهم تعظيم الخلق رغبة الطلاب فيه وحكاية المعلم

– لقد رأي أطفال المكتب من الأستاذ ، عناء من الجد والاجتهاد .

– فتشاوروا من أجل تعطيل الأمور ، وذلك حتي يقع المعلم في الاضطرار .

– « أخذوا يتساءلون » : كيف لا يصاب بمرض علي الإطلاق حتي يبتعد عشرة أيام ؟

– وحتي نستريح من الحبس والضيق والعمل ، إنه مثل حجر الصوان ثابت في مكانه .

– فدبر أكثرهم حيلة تدبيرا وهو أن يقول : يا أستاذ مالك شاحب الوجه ؟

– خيرا ، إن لونك ليس علي مايرام ؛ أهو من أثر الهواء أو من حمي ؟

– وهو بهذا الشكل يقع بالتدريج فى الوهم ، وأنت أيها الأخ ساعدني علي هذا النحو .

– عندما تدخل من باب المكتب قل : خيرا يا أستاذ ، ماذا جري لك ؟

– فيزداد وهمه قليلا قليلا ، فمن الوهم يصير العاقل مجنونا !!

– والثالث والرابع والخامس علي نفس النمط ، يبدون بعدنا الأسي والتفجع !

– فإذا تواتر الخبر عند أطفال « المكتب» الثلاثين ، واتفقوا عليه يصير ثابتا .

– فقال له كل واحد منهم : بوركت أيها الذكي ، وليكن حظك مستندا علي العناية الإلهية .

– واتفقوا وأخذوا بينهم موثقا ألا يغير أحدهم أو يبدل في الكلام .

– ثم جعلهم جميعا يقسمون علي ألا يشي واش بما اتفقوا عليه .

– إن رأي هذا الطفل قد تغلب علي أراء الجميع ، كان عقله يسير إلي الأمام من القطيع.

– وهذا هو التفاوت في عقول البشر والذي يكون بين الحسان في الصور .

– ومن هذا القبيل ما قاله « أحمد » في بيانه : « إن حسن الرجال يكون مخبوءا تحت اللسان ».

عقول الخلق متفاوتة فى أصل الفطرة
وعند المعتزلة متساوية ، وتفاوت العقول
من تحصيل العلم

١٥٤٠- إن اختلاف العقول موجود في الأصل ، وينبغي أن تسمع ذلك وفقا لأهل السنة .

- وهذا علي خلاف قول أهل الاعتزال ، وهو أن العقول متساوية في الأصل
- والتجربة والعلم قلا أو كثرا ، يجعلان أحدهم أعلم من الآخر .

- وهذا باطل وإلا فإن رأي الطفل الذي لاتجربة له في طريق ما .

- قد انبثق فكرا من ذلك الطفل الصغير ، لم يدرك منه شيخ واسع التجربة النذر اليسير (١).

١٥٤٥- وإن الزيادة التي تكون من الفطرة ، أفضل من الزيادة التي تكون من الجهد والفكرة .

- وقل أنت : هل تكون عطية الله أفضل ، أو أفضل منها أعرج يسير كما يسير العداء ؟

إلقاء الأطفال للأستاذ فى الوهم

- وطلع النهار وجاء هؤلاء الأطفال إلي المكتب وقد وقرت الفكرة في نفوسهم .

- وقفوا جميعاً خارج المكتب منتظرين ، حتي يأتي في المقدمة ذلك الرفيق المصر .

- وذلك لأنه كان منبع هذا الرأي من البداية ، فالرأس دائما ما تؤم القدم .

---

(١) ج/٧ – ١٩٧ : وإن رجال الأمر لتغيب عنهم الفكرة ، ويعجزون عن العمل مضطرين .

١٥٥٠– ويأيها المقلد لاتطلب التقدم عليه ، « فرأيه » نابع من نور السماء .

– فدخل وقال : سلاماً أيها الأستاذ ، خيراً ، إنك شاحب الوجه .

– فقال الأستاذ : لا بأس علي ، أذهب ، اجلس « مكانك » ولاتهزل .

– لقد نفي الأمر لكن غبار الوهم السيئ ، طرق قلبه فجأة وقليلا قليلا .

– فدخل آخر وكرر نفس القول ، فزاد الوهم قليلا لهذا الأمر .

١٥٥٥ – وعلي هذا النمط « فعلوا » حتي قوي الوهم عنده ، وبقي في عجب شديد من حاله .

مرض فرعون أيضا بوهم تعظيم الخلق

– إن سجود الخلق من نساء وأطفال ورجال ، قد وقر في قلب فرعون فجعله مريضا .

– وخطاب كل إنسان له قائلا : أيها الملك الإله ، قد جعله متهتكا من الوهم .

– حتي جرؤ علي ادعاء الألوهية ، صار أفعي ولم يكن يشبع قط .

– فآفة العقل الجزئي الوهم والظن ، وذلك أن موطنه في الظلمات .

١٥٦٠– ولو أن طريقا علي الأرض عرضه نصف ذراع ، فإن الإنسان الخالي من الوهم يسير عليه آمنا .

– لكنك لو سرت علي جدار عال ، تسير مائلا ولو كان عرضه ذراعين .

– بل إنك تسقط من رعشة القلب بالوهم ، فانظر جيدا إلي الخوف « الناتج » عن الوهم وافهمه .

مرض الأستاذ بالوهم

– لقد وهن الأستاذ من الوهم والخوف ، فقفز يتلفع بجبته .

– وغضب علي زوجته التي ضعف ودها له ، وأخذ يقول لنفسه : أنا علي هذه الحال وهي لم تسأل ولم تهتم .

١٠٦٥- ولم تخبرني عن شحوب وجهي ، لابد أنها تريد أن تتخلص من عيشتي النكدة .

- ولقد صارت مغترة بحسنها وهيئتها ، غافلة عن انكشاف أحوالي .

- فجاء إلي « داره » وفتح الباب بعنف ، والأطفال « يجرون » في أثر ذلك الأستاذ .

- فقالت المرأة : خيرا ؟ لماذا عدت سريعاً ؟ هل أصاب فضيلتك سوء لاقدر الله ؟

- فأجاب : هل أنت عمياء ؟ انظري إلي شحوبي وحالي ، إن الغرباء في حنين شفقة علي .

١٠٧٠- وأنت معي في منزل واحد ومن البغض والنفاق ، لا ترين حالي وأنا في احتراق .

- قالت المرأة : ياسيدي لاعيب فيك ، وما بك وهم وظن من لا شيء ولا معني لهما.

- قال لها : أيتها الفاحشة لازلت في لجاج أفلا ترين هذا التغير والارتعاد ؟ !

- فإذا كنت قد صرت عمياء صماء فما ذنبنا ونحن في هذا الألم والحزن والابتلاء ؟

- فقالت : أيها السيد لتأت بمرآة ، حتي تعلم أنه لاذنب لي .

١٠٧٥ - قال لها امضي فلا كنت رفيقة لي ولا كانت مرآتك ، فأنت دائما في حقد وبغض وعنت .

- فهيا ابسطي لي فراشي علي وجه السرعة ، حتي أنام فقد ثقلت رأسي .

- وتوقفت المرأة فصاح فيها الرجل : أسرعي أيتها العدوة فما أنا فيه خليق بك .

سقوط الأستاذ فى فراشه من الوهم
وأنينه من وهم المرض

– فأحضرت المرأة الفراش وبسطته ، وهي تقول لنفسها : لاقدرة لي عليه وباطني مليء بالحرقة .

– فإذا أفصحت « عن الحقيقة » اتهمني ، وإذا سكت فسوف تنقلب الحكاية إلي جد « لاهزل فيه » .

١٥٨٠– فإن فأل السوء لا يزال يصيب بالمرض الإنسان الذي لا شيء به يشكو منه .

– ولابد من أن تصدق قول الرسول عليه السلام « إن تمارضتم لدينا تمرضوا » [(١)] .

– فإذا تحدثت إليه « بالحقيقة » ، فسوف يظن بالتأكيد « ويحدث نفسه » بأن المرأة لابد وأنها تريد الخلوة لفعل تفعله ؟

– ولابد من أنها لاتريد وجودي في المنزل ، من أجل أن تخادن وتخدعني ؟

– فأعدت له الفراش وسقط الأستاذ ، وهو يطلق الصرخات والتأوهات .

١٥٨٥– وجلس الأطفال وهم يتمتمون بالدرس وقد تملكهم الحزن .

– كانوا يحدثون أنفسهم « قائلين » : لقد فعلنا كل مافعلنا ولازلنا سجناء ، كان بناء سيئا ونحن بناة سيئون [(٢)]

إيهام الأطفال الأستاذ ثانية قائلين : إن صداعك يزداد من قراءتنا للقرآن

– قال ذلك الذكي : أيها القوم المحمودون ، اقرءوا الدروس وارفعوا أصواتكم .

– وعندما أخذوا في القراءة قال ، أيها الأطفال : إن أصواتنا تضر بالأستاذ .

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) ج/ ٧– ٣٢٥ : هيا ولنتفكر في شئ أخر ، حتي نجد الفرج سريعا من هذه المحنة .

– إن هــذا الضجيج يــزيد مــن صداع الأستاذ ، فهــل يستحق الأمر أن يتألم من أجل دانق ؟ .

١٥٩٠– قال الأستاذ : إنه ينطق بالصدق ، اذهبوا ، لقد زاد صداعي فاخرجوا .

« خلاص الأطفال من المكتب بهذا المكر »

– فسجدوا شكر لله « وصاحوا : ياكريم ، أبعد الله عنك المرض والبأس .

– ثم قفزوا خارجين إلي منازلهم ، وكأنهم الطيور في طلب الحب .

– فغضبت أمهاتهم وقلن لهم : اليوم يوم دراسة وأنتم تلهون

– إن الأوان هــو أوان الدرس والتحصيل ، وأنتم تهربون من الكتاب والأستاذ ؟ [1] .

١٥٩٥– فاعتذروا قائلين : يا أمهاتنا تمهلن ، فليس الذنب ذنبنا وليس التقصير منا.

– فقد شاءت إرادة الله أن يصبح أستاذنا مريضا سقيما مبتلي .

– قالت الأمهات : مكر وكذب ، إنكم تكذبون مائة كذبة طمعا في المخيض .

– وسنمضي نحن في الصباح إلي الأستاذ، حتي نري أصل مكركم هذا

– فقال الأطفال : امضين باسم الله ، وقفن علي كذبنا أو صدقنا .

ذهاب أمهات الأطفال لعيادة الأستاذ

١٦٠٠– في الصباح ذهب أولاء الأمهات ، كان الأستاذ نائما وكأنه شديد المرض .

– كان قد تصبب عرقا من كثرة الأغطية ، وربط رأسه ولف وجهه في سجاف اللحاف .

– كان يطلق الآهات بوهن ، فأخذن جميعا يحوقلن قائلات .

– خيراً يا أستاذ ، هذا الصداع « الذي ألم بك » ، بحق روحك لم يكن لنا علم به ؟

---

(١) هذا البيت زائد في نسخة استعلامي .

- قال : أنا نفسي لم يكن لي علم به ، لكن أولاد الفواحش أخبروني به .

١٦٠٥- لقد كنت غافلا مشغولا بقال وقيل ، وكان في داخلي مثل هذا الألم الثقيل .

- وعندما يكون المرء مشغولا بالجد ، فإنه يكون أعمي عن رؤية الألم « الذي يحيق به » .

- لقد صار يوسف سمرا بين نسوة مصر ، بحيث فقدن الوعي من انشغالهن به .

- ولقد قطعن أيديهن ومزقنها إربا ، وروح الواله لا تري قدامها أو وراءها .

- وما أكثر الرجال الصناديد في الحرب ، الذي يجرح الطعان منهم اليد أو القدم .

١٦١٠- وهم منهمكون فيما هم فيه من النزال ، ظنا منهم أنهم صامدون في أماكنهم .

- ثم يدرك المرء منهم أن يده قد ضاعت في المعركة ، وأن دما كثيراً قد نزف منه دون علم منه .

فى بيان أن الجسد هو بمثابة لباس للروح وأن هذه اليد هى كم ليد الروح وأن هذا القدم حذاء للروح

- وذلك حتي تعلم أن الجسد كاللباس ، فاذهب وابحث عن اللابس ولا تلعق اللباس.

- وأفضل للروح توحيد الله ، غير ما يبدو في الظاهر توجد يد أخري وقدم أخري .

- إنك تري في النوم اليد والقدم « تعملان » في ائتلاف ، فاعلم أن هذا الأمر حقيقة ولا تعده من جزاف القول .

١٦١٥- فأنت الذي تكون بلا بدن تملك البدن ، ومن ثم لا تخف من خروج الروح من الجسد (١) .

حكاية ذلك الدرويش الذى كان قد اعتزل فى جبل وبيان حلاوة الانقطاع والخلوة والدخول فى هذه المنقبة القائلة :

أنا جليس من ذكرنى وأنيس من استأنس بى

لو أنك مع الناس جميعا فأنت بدونهم جميعا إذا كنت بدونى
ولو أنك بدون الجميع فأنت معهم جميعا إذا كنت معى (٢)

- كان هناك أحد الدروايش قد أقام في جبل ، كانت الخلوة ضجيعا له ونديما

- ولما كانت الشمول تنصب له من الخالق ، فقد كان ملولا من أنفاس الرجال والنساء

- وكما يكون الحضر سهلا بالنسبة لنا ، يكون السفر سهلا بالنسبة لقوم آخرين .

- وكما يكون أحدهم عاشقا للسيادة ، يكون آخر عاشقا للحدادة .

١٦٢٠- لقد خلق الله كل إنسان من أجل عمل ما وألقي الميل إلي هذا العمل في قلبه .

- ومتي تتحرك اليد والقدم دون ميل؟ ومتي يمضي الشوك والقذي دون ريح وماء ؟

- فإذا كنت تري ميلك نحو السماء فافتح جناح الدولة كأنك طائر البلُح .

---

(١) ج/٧ - ٣٣٣ : فللروح بدون البدن جلبة وشأن ،و والطائر فى االقفص يكون شديد القلق - فإنتظر حتى يخرج الطائر من القفص ، حتى ترى الأفلاك السبعة مساكين أمامه

(٢) ج /٧ - ٣٣٦ : ولاقصن عليك حكاية إن سمعتها ، لملت حقيقة إلى الحقيقة .

- وإذا كنت تري ميلك نحو الأرض ، فأكثر النواح ولا تقعد عن التفجع .

- والعقلاء هم الذين يبادرون بالنواح ، لكن الجهال هم الذين يلطمون الخدود عند عواقب الأمور .

١٦٢٥- فانظر إلي عواقب الأمور من بدايتها ، حتي لاتصير نادما يوم الدين .

• رؤية الصائغ لعاقبة الأمر وحديثه
إلى مستعير الميزان وفقا للعاقبة

- جاء أحدهم إلي صائغ قائلا : أعرني ميزانك فسوف أزن ذهبا .

- قال الصائغ : اذهب فليس عندي غربال ، فقال : أعطني الميزان ودعك من هذه السخرية .

- قال : ليس عندي مكنسة في الدكان ، قال : كفاك كفاك وتوقف عن هذا الهزل .

- أعطني الميزان الذي أطلبه ، ولا تتظاهر بالصمم وتنتقل من موضوع إلي موضوع.

١٦٣٠- قال : لقد سمعت كلامك ولست بالأصم ، وحتي لاتظن أنني أتحدث بكلام لامعني له .

- لقد سمعت ماتقول لكنك شيخ مرتعش ، تهتز يدك وجسمك ليس بالمنتعش .

- وذلك الذهب الذي لديك هو برادة ذهب حقيرة ولا قيمة لها ، ويدك ترتعش ، ومن ثم فسوف تسقط منك برادة الذهب .

- وسوف تقول : أيها السيد هات المكنسة ، حتي أبحث عن ذهبي في التراب .

– وعندما تكنس التراب سوف تجمعه ، وتقول لي : أريد غربالا أيها الهمام [1] .

١٦٣٥ – ومنذ البداية رأيت النهاية تماما ، فاذهب من هنا إلي مكان أخر ، والسلام [2] .

قصة ذلك الزاهد المعتزل فى الجبل الذى كان قد نذر قائلا : إننى لن أقطع ثمرة من شجرة جبلية ، ولن أهز الشجرة ولن أطلب من أحد تصريحا أو كناية أن يهزها ، وما آكله هو ما تسقطه الريح من الشجرة

– كان [3] في ذلك الجبل أشجار وثمار ، وكانت الكمثري الجبلية في ذلك المكان لاتحصي ولا تعد .

– وقال ذلك الدرويش : يارب إنني أتعهد أمامك ألا أقطف من هذه « الثمار » في أي وقت .

– « ولن أقرب » إلا تلك الثمار التي تسقطها الريح ، وفيما عدا ذلك لن أقطف من هذه الأشجار النضرة .

– وقد أوفي بعهده فترة من الزمن ، حتي حلت به امتحانات القضاء .

١٦٤٠ – ولهذا السبب قال تعالي أن « استثنوا » ، قولوا : إن شاء الله ثم عاهدوا.

– ذلك أنني في كل لحظة أضع في القلب ميلا ما ، وفي كل نفس اسم القلب بوسم مختلف

---

(١) ج/ ٧ : ٣٤٢٠ : إن من يري البداية فحسب يكون أعمي ، وكل من يري العاقبة باله من صاحب معني – وكل من ينظر في بداية الأمر إلي نهايته ، لايكون خجلا في نهايته – ولما كان الحكم قائماً علي العاقبة ، فإن المكولة عبدة للفقر الصوفي ، والناظرون إلي العاقبه هم أهل إشاد ، فانظر والله أعلم بالسداد .

(٢) ج/٧ – ٣٤٢ :حتي أغربل التراب وافصل عنه الذهب ، وحتي يكون غربال في محلي ؟ !

(٣) ج/ ٧ : ٣٤٤٠ :هذا الكلام لانهاية له فتحدث عن السر وقل قصة هذا الرجل الزاهد . تمم الحديث الشيخ الفريد ، الذي كان عيشه في ذلك الجبل .

- « كل إصباح لنـــا شأن جديد : كل شيء عن مرادي لايحيد[1] .

- وقد ورد من الحديث « الشريف » أن القلب مثل قشة في فلاة رهن بريح صرصر.

- فالريح تسوق القشة نحو كل صوب كيفما اتفق ، حينا ذات اليمين وحينا ذات اليسار وباختلاف شديد .

١٦٤٥- وورد في حديث آخر أن : اعلم أن هذا القلب كما يكون الماء الذي يغلي من النار في قدر .

- ففي كل لحظة يكون للقلب رأي مـــخـتلف ، وليس هذا منه بل من موضع آخر .

- إذن : لماذا تكون مطمئنا إلي رأي القلب ، وتتعهد ثم تصير خجلا في النهاية ؟

- إن هذا أيضا من تأثير الحكم والقدر ، أن تري البئر ولا تستطيع منه الحذر .

- وليس عجيبا من الطائر المحلق ألا يري الشراك ثم يسقط في العطب .

١٦٥٠- إن العجيب هو أن يري الشراك ويري الوتد ، ويسقط فيه طوعا أو كرها .

- فهو مفتوح العين مفتوح الأذن والشراك أمامه ، لكنه يطير نحو ذلك الشراك بجناحيه .

تشبيه قيود القضاء وشراكه بصورة خفية ذات أثر واضح

- إنك تري ابنا لعظيم عاري الرأس مهلهلا في الأسمال ساقطا في البلاء .

- قد احترق في هوي بغي ، فباع ثيابه وأملاكه .

- صار فاقدا لكل أملاكه ذليلا سيئ السمعة ، تجري عليه مشيئة العدو كأي مدبر مشئوم .

---

(١) في المتن بالعربية .

١٦٥٥- فيري زاهدا فيصيح به : أيها العظيم ، همتك في الدعاء من أجلي لوجه الله الكريم .

- فلقد سقطت في هذا الإدبار القبيح ، وفقدت المال والذهب والنعم .

- همتك في الدعاء لعلي أنجو من هذا المصير ، وقد أقفز بقدمي خارج هذا الطين الكدر .

- ولايفتأ يطلب الدعاء من العامي وممن هو من الخواص ، هاتفا : الخلاص الخلاص الخلاص .

- فيده مطلقة ، وقدمه مطلقة ، ولا قيد ، ولا حارس فوق رأسه ولا أغلال من حديد تغله .

١٦٦٠- فمن أي قيد ياترى تريد « ياهذا » الخلاص ، ومن أي سجن تبحث عن الملاذ ؟

- إنه قيد القضاء والتقدير الخفي ، ذلك الذي لاتبصره إلا روح الصفي !!!

- فهو - وإن لم يكن الأمر ظاهرا - في ورطة ، أسوأ من السجن ومن الغل الحديدي.

- ذلك أن الأغلال الحديدية يحطمها الحداد ، كما أن الحفار يستطيع أن ينقب جدار السجن .

- فوا عجبا من هذا القيد الخفي الثقيل الذي يعجز الحدادون عن تحطيمه .

١٦٦٥- إن رؤية أمثال هذه القيود قد تيسرت لأحمد ، « عندما أبصره » علي حلق من عقدت حبلا من مسد .

- وقد أبصر علي ظهر زوجة أبي لهب ، حملا من الحطب فلقبها : حمالة الحطب .

- ولم تر الحبل أو الحطب عين سواه ، وذلك لأن كل خفي كان يظهر له .

- والباقون جميعا قد أولوا هذا الأمر ، وذلك لأنهم واعون بينما تبدو هذه الصورة مما وراء الوعي .

- لكن ظهره كان محنيا من تأثيره ، وكان شاكيا أمامك .

١٦٧٠- قائلا : همتك بالدعاء حتي أنجو ، وحتي أتخلص من هذا القيد الخفي .

- ذلك الذي يري هذه الأمارات عيانا ، كيف لايعرف الشقي من السعيد .

- إنه يعرف لكنه يكتم بأمر ذي الجلال ، إذ لا يكون كشف سر أودعه إياه الحق من قبيل الحلال .

- وهذا الكلام لانهاية له ، إن ذلك الدرويش قد ضعف من الجوع وانهد جسده .

اضطرار الدرويش الذى نذر إلى قطع الكمثرى من الشجرة ، ووصول عقاب الله على الفور

- ولم تسقط تلك الريح ثمرة واحدة من ثمار الكمثري طيلة خمسة أيام ، ومن نار الجوع فر الصبر منه .

١٦٧٥- وفي طرف غصن رأي عددا من ثمار الكمثري ، لكنه صبر وكبح جماح نفسه .

- وهبت الريح وانحني الغصن ، وأرغم الطبع علي أكل « الثمار » .

- فالضعف والجوع وقوة جذب القضاء ، جعل الزاهد يحنث بعهده .

- وعندما تدلت الثمار من شجرة الكمثري ، صار واهنا في نذره وعهده .

– وأيضا وفي تلك اللحظة وصل عقاب الحق ، فتح عينيه وعرك أذنيه[1] .

إتهام هذا الشيخ مع اللصوص وقطع يدة

١٦٨٠– كان ذلك المكان عشرون من اللصوص أو ما يزيد ، أخذوا يقسمون مسروقاتهم.

– وكان أحد « البصاصين » قد أخبر الشرطة ، فهجم رجال الشرطة سريعا .

– وفي نفس المكان بتروا أرجلهم اليسري وأيديهم اليمني وارتفع الضجيج والعويل .

– وقطعت يد الشيخ علي سبيل الخطأ ، وهموا أيضا بقطع رجله .

– ووصل في التو واللحظة فارس من المصطفين ، فصاح بالجلاد : تنبه أيها الكلب.

١٦٨٥– إن هذا الرجل هو فلان الشيخ من أبدال الله فلماذا قطعت يده ؟

– فمزق ذلك الجلاد ثيابه ، وجري إلي رئيس الشرطة ينبهه مضطربا .

– فتقدم الشرطي حافي القدم معتذرا قائلا : لم أعلم والله شاهدي .

– هيا اجعلني في حل من هذا العمل القبيح ، ياكريما ويازعيما لأهل الجنة .

– قال الشيخ : إنني أعلم سبب هذا العقاب ، وأنا أعلم الذنب الذي « به أخذت » .

---

(١) ج / ٧– ٣٥٣ – : والمخلصون دائماً في خطر عظيم ، وهناك امتحانات في الطريق يابني – فإما الا تنذر ما لاتستطيع الوفاء به ، ولا تعقد في مواضع الخطر واقفز منها سريعاً . – وينبغي الوفاء بالنذر في طريق الحق ، لكن الحق نفسه من يعطي السبق . ولقد عاجدنا كثيراً في الأمور ، ونذرنا في السير مرار . فأين تلك القوة لنفي بها ، ونحن عجزة غير مقتدرين مضطرون . وان لم يأخذ فضله بأيدينا ، فيا ويلنا .. أية فضيحة تحيق بنا – ولأعد إلي قصة الفقير عندما حنث بالعهد ، سقط أسيراً في التو وعاقبتة غيرة الحق سريعاً ، إذ قال : أوفوا بالعقود .

١٦٩٠- لقد اعتديت علي حرمة إيمانه ، فلا شك أن محكمته قد حكمت بقطع يميني.

- لقد نكثت بالعهد وعملت أن هذا « أمر » سيئ ، حتي حاق شؤم جرأتي هذه بيدي .

- ولتكن أيدينا وأرجلنا وألبابنا وجلودنا فداء أيها الوالي لحكم الحبيب .

- كان هذا قدري وقد جعلتك في حل منه وسامحتك فيه ، فلم تكن تعلم ولن يصيبك وبال .

- ومنفذ الأمر هو أعلم مني ومنك ، فأي موضع هنا للجدال مع الله .

١٦٩٥- ورب طائر محلق باحث عن الحب ، مزق حلقه ذاته حلقومه .

- ورب طائر بسبب معدته وشدة جوعه ، صار حبيسا في قفص قريب من السقف .

- ورب سمكة في أعماق الماء ، صارت فريسة للشص من حرص حلقها .

- ورب مخدرة عقيلة كانت في حجابها ، فضحها شؤم الفرج والحلق .

- ورب قاض حبر حسن الطوية ، اصفر وجهه من جراء حلقه ومن « تعاطيه » الرشوة .

١٧٠٠- بل إن هذا الشراب كان بالنسبة لهاروت وماروت مانعا من العروج إلي العرش .

- ومن أجل هذا احترز أبو اليزيد ، عندما رأي في نفسه كسلا في الصلاة .

- وفكر ذو اللباب ذاك في سبب هذا البلاء ، فرأي أن العلة هي شرب الكثير من الماء .

- فقال « معاهدا » : لن أشرب الماء ولمدة عام ، وبر بعهده فرزقه الله الاحتمال .

- وقــد كــان هذا أقل جـهد له في الدين ، فـصـار سـلطانا للعـارفين وقطبا لهم .

١٧٠٥- وعــندما بترت اليد مــن جراء الحلق ، أغلق الرجل الزاهـد باب الشكوي .

- وصــار اسمـه عند الخلق الشيخ الأقـطع ، وجعلتـه آفات الحلق مـعروفـا بهذه الصفة [1] . .

كرامات الشيخ الأقطع وقيامه بجدل الزنبيل بكلتا يديه

- رآه أحد الزائرين في عريشه ، وهـو يـجدل زنبيلا بكلتا يديه .

- فقال له « الشيـخ » يا عدوا لـروحك ، لقـد جئت إلي كوخي وتجسـسـت « علّي » .

- فلمــاذا تسـرعت هكذا « وكـأنك » في سـبـاق ؟ فـأجابه : مـن فـرط الحب والاشـتياق.

١٧١٠- فبش له قائلا : ادخل الآن ، ولكن أكتم عني هذا الأمر أيها العظيم المبجل.

- ولا تحــدث أحــداً بـهــذا الأمــر حــتــي مــوتي ، قـرينـا كـان أو حـبـيـبـا أو حقيراً .

- ثم أطل عليه قـوم أخـرون من كـوة كـوخـه ، واطلعـوا علي مـايقـوم به من عمل .

- فـقـــال « مـنـاجـيـا » : إنك تعلـم الحكمـة في هذا يا ربـي ، إنني أخـفي وأنت تعلـن .

- فجـاءه الإلـهام بأن الناس منذ فترة وهـم ينكرون عليك هذه المحنة قائلين :

---

[1] (١) ج / ٧- ٣٦٢ : وإذا أردت اسمه الأول ، فاعلم أنه أبو الخير التيناتي .

– ربما كان مرائيا في الطريق ، بحيث فضحه الله من بين أقرانه .

– وأنا لا أريد أن يكفر هذا القطيع ، ويمضون ضالين في ظن السوء .

– ومن هنا أظهرنا هذه الكرامة ، إننا نرد إليك يدك عندما تقوم بالعمل .

– حتي لايرد هؤلاء المساكين سيئي الظن عن جناب السماء .

– ومن قبل أن أهبك هذه الكرامات ، كنت أهبك السلوي من ذاتي .

– ومتي وهبتك هذه الكرامة من أجلهم ، ووضعت لك هذا المصباح لهذا السبب .

– وقد جاوزت أنت مرتبة أن تخشي من موت الجسد ومن تفرق أعضاء البدن .

– فالخوف من انفصال الرأس والقدم قد مضي عنك ، ورزقت درعا شديد العِظم لدفع الوهم « عنك » .

سبب جرأة سحرة فرعون على قطع أيديهم وأرجلهم

– ألم يهدد فرعون اللعين السحرة بالعقاب في الحياة الدنيا قائلا لهم :

– لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لأصلبنكم ، ولن أعفيكم من هذا العقاب .

– وكان يظن أنهم لا يزالون «مقيمين» علي نفس الوهم والخوف والوسواس والظن .

– وأنهم كانوا يرتعدون فرقا وهلعا من الأوهام وتهديدات النفس .

– لم يكن يدري أنهم قد نجوا ، وجلسوا علي كوة نور القلب .

– وميزوا بين ظلالهم وذواتهم فهم مسرعون نشطاء متحملون مرحون .

– فلو أن هاون الفلك قد دقهم ومزقهم إلي مائة قطعة في موطن الطين هذا !

١٧٣٠- ما داموا قد رأوا أصل هذا التركيب ، فقد قل خوفهم من فروع الوهم .

- فهذه الدنيا حلم فلا تتوقف علي « الحلم » والظن ، فإذا بترت يد في حلم فلا بأس .

- واذا بترت رأسك في الحلم ، « فاعلم » أن عمرك طويل ، ورأسك « الحقيقية » لاتزال في مكانها .

- وإذا رأيت نفسك في النوم مشطورا إلي نصفين ، فأنت إذا قمت تقوم صحيح الجسد ولست بالسقيم .

- والخلاصة أن نقصان البدن في النوم لاخوف منه حتي وإن تمزق إلي مائتي قطعة .

١٧٣٥- لقد قال الرسول عليه السلام : إن هذه الدنيا الموجودة بصورتها هي حلم نائم ، وقد صدقت هذا علي سبيل التقليد .

- أما السالكون فقد رأوا هذا الأمر عيانا ، حتي وإن لم يخبرهم به الرسول .

- وأنت نائم في رابعة النهار ، لاتقل ليس هذا بنوم ، إن الظل فرع ولا أصل إلا ضوء القمر .

- فاعلم أيها السيد السند أن نومك ويقظتك يشبهان ما يراه النائم الذي غرق في النوم .

- لقد ظن وقال علي سبيل هذا الظن : إنني نائم الآن ، وهو غافل عن أنه في النوم الثاني .

١٧٤٠- والفخاري إذا كسر الإناء ، هو نفسه الذي يستطيع أن يصلحه ثانية .

- والأعمي يخشي من البئر في كل خطوة ، ويسير في الطريق بخوف لا نهاية له [١] .

---

(١) حرفيا : مع مائة ألف من أنواع الخوف .

- والبصير يري عـرض الطريق ، فيعلم أين تكون الحفر وأين يكون البئر
- ولا تـرتـعـد قـدمـاه وركبـتـاه فـي كـل لحـظـة ، فـمـتي يعـبس بـوجـهـه مـن كـل هـم « يلـم بـه » .
- فاستيقظ يا فرعون ، فنحن لسنا من أولئك الذين يتوقفون من جراء كل صوت وكل « غول » .

١٧٤٥- ومزق خرقنا فالحائك موجود ، وإلا فإن العري أفضل بالنسبة لنا .
- عـراةً نكونُ وهـذا المعشـوق إلي جـوارنا ، وهذا أمـر تـحـبـذه أيها العدو الفاسد .
- وليس هناك أجـمـل من التـجرد من الجسد ومن الطبيعة ، يا فـرعـون الأبلة عـديم الإلهام .

شكوى البغل للجمل قائلا : إننى أسقط كثيرا في الطريق وأنت لا تسقط إلا نادرا

- قال البغل للجمل : أيها الرفيق الطيب ، إنك في المرتفعات والمنخفضات والطريق شديدة الضيق .
- لا تسـقط علي رأسك وتسـير بيسـر، فكيـف أسـقط أنا علي رأسي كالغوي ؟

١٧٥٠- إنني أنكب علي وجـهي كل آن ، سـواء في الأرض اليـابسـة أو الأرض المرطوبة .
- فقل لي ما هو السبب ؛ حتي أعلم بدوري كيف ينبغي العيش ؟
- قال « الجمل » إن عيني أقوي إبصاراً من عينيك ، ثم إنهـا ناظرة من عل
- وعندما أصعد فوق جبل عال فإنني أري آخر العقبه منتبها.
- إذن : فالإله هو الذي فتح عيني علي كل مرتفعات الطريق ومنخفضاته .

١٧٥٥- فأخطو كل خطوة بتوجيه من الرؤية ، وأنجو من العثار والسقوط .

- وأنت لاتري أمامك إلا بخطوة أو خطوتين ، إنك تري الحب ولا تري عناء الفخ .

- « يستوي الأعمي لديكم والبصير في المقام والنزول والمسير » [١].

- وعندما يهب الله الجنين الحياة في البطن ، فإنه يخلق في مزاجه جذب الأشياء .

- فيجذب الأجزاء من الطعام ، وينسج بها سدي جسده ولحمته .

١٧٦٠- وحتي سن الأربعين جعله الله حريصا علي جذب الأشياء من أجل أن يتم النمو .

- لقد علم الروح جذب الأشياء ، فكيف لا يعلم الملك الفرد جذب الأشياء ؟

- إن شمس الوجود جامعة لهذه الذرات ، وتستطيع أن تجذب أجزاءك خطفا دون غذاء .

- ففي تلك اللحظة التي يستيقظ فيها من النوم ، يستدعي الوحي والإحساس الغائبين سريعاً .

- حتي تعلم أنه لايغيب عنه ، وأنه يعود عندما يأمره قائلا : عد .

اجتماع أجزاء حمار عزير بعد تحللها وجمعها معا وتركيبها بإذن الله أمام بصر عزير

١٧٦٥- هيا ياعزير : انظر إلي حمارك الذي تحلل وتبعثرت أعضاؤه إلي جوارك .

- ولنجمع أجزاءه أمام بصرك ، رأسه وذيله ورجله .

- فلا يد لكنه « سبحانه » يضع الجزء فوق الجزء ، ويمنح الأشتات

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

الاجتماع .

- فانظر إلي صنعة الرتق ، فهو الذي يرتق الشيء المهترئ دون سم خياط .

- فلا خيط ولاسم خياط عند الرتق ، وهو يخيط بحيث لايظهر الرفو .

١٧٧٠- افتح عينيك وانظر إلي الحشر عيانا ، حتي لايبقي لديك شك في يوم الدين .

- وحتي تري كيف أجمع « الأجزاء » بشكل تام ، وحتي لاترتعد عند الموت من الهم .

- فهو كما تكون عند النوم آمنا ، من فوت كل أحاسيس البدن .

- ولا ترتعد خوفا علي حواسك عند النوم ، بالرغم من أنها تتحرك وتتفرق .

عدم جزع أحد المشايخ على موت أبنائه

- كان فيما مضي أحد الشيوخ المرشدين ، كان شمعا سماويا فوق الأرض .

١٧٧٥- كان كالرسول بين أمته ، فاتحا لأبواب روضه دار الجنان .

- قال الرسول إن الشيخ الواصل ، يكون كالنبي بين قومه .

- وذات صباح قالت له زوجته : كيف تكون قاسي القلب يا طيب السجايا .

- إننا من موت أبنائك ورحيلهم ، ننوح وقد انقصمت ظهورنا .

- فلماذا لاتبكي أنت ولا تنوح ؟ أتري قلبك لا تحل فيه الرحمة أيها العظيم ؟

١٧٨٠- وإذا كان باطنك خاليا من الرحمة ، فأي أمل يكون لنا فيك الآن ؟

- ونحن علي أمل فيك أيها المرشد ، ألا تتركنا في العدم .

- وعندما يزينون العرش يوم الحشر ، فأنت نفسك شفيعنا في هذا اليوم

العصيب .

- ونحن في مثل ذلك اليوم والليل اللذين لا أمان فيهما « نحيا » على رجاء إكرامك .

- فأيدينا وأطراف ثوبك في ذلك الزمان، الذي لايكون فيه لمجرم أمان أبدا .

١٧٨٥- لقد قال الرسول عليه السلام : متي أترك المجرمين يوم الحشر يذرفون الدموع .

- فسوف أكون شفيعا للعصاة بكل ما وسعني ، وذلك حتي أنجيهم من العذاب الأليم .

- فأنجي العصاة وأهل الكبائر بكل جهد ، من عقاب نقضهم للعهد .

- أما علماء أمتي فهم أنفسهم فارغون من شفاعات يوم العقاب .

- بل تكون لهم هم أنفسهم شفاعات ، وتجري أقوالهم كأنها الحكم النافذ .

١٧٩٠- ولا يزر وازر قط وزر آخر ، ولست بالوازر هكذا رفعني الإله .

- ومن هو بلا وزر شيخ أيها الشاب ، هو في قبول الحق كما يكون القوس في اليد.

- ومن هو الشيخ ؟ أهو كبير السن أشيب الشعر ، فاعرف معني هذا الشعر يا ذا الأمل الباطل !!

- إن الشعر الأسود هو وجوده ، ومعني الشيب ألا يبقي من وجوده مقدار شعرة واحدة .

- وما لم يبق من وجوده شيء فهو شيخ ، ولو كان أسود الشعر أو أشمط .

١٧٩٥- فذلك الشعر الأسود هو صفات البشرية ، وليس المقصود به شعر الرأس أو شعر اللحية .

- فعيسي في المهد أطلق النفير قائلا : إنني أنا الشيخ والمرشد وأنا لم أبلغ الصبا بعد .

- لكن « المرء » إذا تخلص من بعض أوصاف البشر ، لايكون شيخا بل يكون كهلا يابني .

- وعندما لاتبقي فيه شعرة واحدة مما وصفناه أنفا ، فهو شيخ ومقبول من الله .

- وإذا كان أشيب الشعر وكان مع ذاته فهو ليس بشيخ وليس من خاصة الله

١٨٠٠- وإذا بقي من وصفه مقدار طرف شعرة ، فهو ليس من العرش بل من الآفاق (١) .

اعتذار الشيخ على عدم بكائه على أبنائه

- قال لها الشيخ : لاتظني أيتها الرفيقة ، أنني خال من الرحمة والحنان وليس لي قلب شفيق .

- فإننا نحس بالرحمة حتي بالنسبة لكل الكفار ، بالرغم من أن أرواحهم جميعا كافرة بالنعمة .

- وعلي الكلاب مني رحمة وعطاء ، و « دوما أتساءل » لماذا ترمي دائما بالحجارة عقابا ؟

- إنني أدعو لذلك الكلب العقور ، قائلا : يا إلهي خلصه من هذه الخصلة .

١٨٠٥- فَحُلْ أيضا بين هؤلاء الكلاب وبين التفكير في العقر ، بحيث لايتعرضون للحجارة من الناس .

---

(١) ج/ ٧- ٣٧٧ - ونحن كلنا علي رجاء منك ، وجلمعو فتات مائدة إحسانك - لكن مع كل هذا أنت بلا شفقة ، فلماذا تخلو من الرأفة علي أولادك - أو ربما لا يرق قلبك ، حدثنا ياشيخ عن أحوالك .

- ومن أجل هذا أتي بالأولياء إلي الأرض ، وذلك لكي يجعل منهم رحمة للعالمين .

- إنهم يدعون الناس إلي العتبة الخاصة ، ويدعون الحق قائلين اجعل الخلاص وافرا.

- وهم يقومون بكل جهدهم في الدنيا من أجل الوعظ ، وعندما لا تؤثر عظاتهم يدعون قائلين : يا إلهي لا تغلق الأبواب .

- إن الرحمة الجزئية إنما توهب للعوام ، لكن الرحمة الكلية تذهب لأهل الهمة .

١٨١٠- ذلك لأن رحمتهم الجزئية قد اتصلت بالرحمة الكلية ، ورحمة البحر تكون هادية للسبل .

- فجاهد لتجعل الرحمة الجزئية لديك متصلة بالكلية ، وانظر إلي الرحمة الكلية هادية وامض في سبيلك .

- وما دام المرء جزئيا فهو لايعرف طريق البحر ، وكل غدير يجعله من أشباه البحر .

- إنه يتصل بالبحر عندما يسلك الطريق إلي البحر كما يفعل السيل والنهر .

١٨١٥- وإذا كان يقوم بالدعوة فهو يقوم بها علي سبيل التقليد ، لامن العيان والوعي والتأييد .

- قالت الزوجة : « إذن ما دمت تشعر بالرحمة تجاه الجميع ، وأنت كالراعي حول هذا القطيع .

- فكيف لاتنوح جزعا علي أولادك ، عندما يخزهم فصاد الأجل بمبضعه ؟

- وإذا كانت دموع العين علامة علي الرحمة ، فلماذا « أري » عينيك خاليتين من البكاء والدموع .

- فالتفت إلي المرأة قائلا : أيتها العجوز ، لايكون « زمهرير » شهر ديماه مثل هجير « تموز » .

١٨٢٠- فسواء كانوا جميعا أحياء أو أمواتا ، متي كانوا غائبين عن عين القلب .

- ومادمت أراهم عيانا أمامي ، فلا سبب لكي أصك الوجه وأخمشه مثلك ؟

- إنهم وإن كانوا خارج دوران الزمان ، فإنهم حولي يلعبون .

- والبكاء يكون من الهجر أو من الفراق ، لكني مع أعزائي في وصال وعناق .

- إن الناس يرونهم فى النوم ، لكني لازلت أراهم في اليقظة عيانا .

١٨٢٥- إنني أخفي نفسي برهة من الزمان عن هذه الدنيا ، وأنفض أوراق الحس عن شجرة (الوجود) .

- وكما يكون الحس أسيرا للعقل ياهذي ، اعلمي أن العقل بدوره أسير للروح .

- وقد غلت الروح يد العقل وقيدتها ، وجعلته معتادا علي الأمور المحدودة .

- والأحاسيس والأفكار فوق الماء الصافي ، تكون كالقذي فوق سطح الماء

- لكن يد العقل تزيح هذا القذي دفعة واحدة ، فيظهر الماء « صافيا » أمام العقل .

١٨٣٠- فالقذي يكون متراكما فوق الجدول كالحباب ، وعندما يزاح القذي جانبا يظهر الماء .

- وعندما لايفتح الله علي قدرة العقل ، فإن القذي يزداد من الجو فوق مائنا .

- إنه يجعل الماء مختفيا لحظة بعد أخري ، ويكون الجو ضاحكا بينما يكون العقل باكيا .

- وعندما تقيد التقوي يد الهوي ، فإن الحق يفك الأغلال عن كلتا يدي العقل .

- فتصير الحواس الغالبة طوع أمرك ، ما دام العقل قد صار سيدا ومخدوما لك .

١٨٣٥- إنه يجعل الحواس في نوم دون أن يكون هناك نوم ، حتي تطل الغيوب من الروح .

- فتري الأحلام في اليقظة ، وتتفتح الأبواب من الفلك .

قصة قراءة الشيخ الضرير فى المصحف وهو أمامه وعودة إبصاره إليه وقت القراءة

- رأي ذلك الشيخ الفقير في الأيام السالفة، مصحفا في منزل شيخ ضرير .

- كان ضيفا عليه في هجير أيام تموز واجتمع الزاهدان عدة أيام .

- فقال لنفسه : عجبا ؟ لماذا يوجد المصحف هنا ؟ مادام هذا الدرويش الصادق ضريرا !!

١٨٤٠- وزاد تفكرا من هذا التساؤل ، إذ لم يكن سواه في ذلك المكان رائح أو غاد .

- إنه وحيد وقد وضع مصحفا « في صومعته » ، وأنا لست بالمجترئ علي السؤال أو المختلط عليه .

- حتي أوجه إليه السؤال ، لا ، صمتا ولأصبر ، حتي أصل إلي مرادي بالصبر (١) .

- فصبر وظل فترة في حرج ، ثم انكشف له الأمر ، فالصبر مفتاح الفرج .

---

(١) ج/٧- ٣٩٩ : فالصبر كنز فاصبر يابني ، حتي تجد الشفاء من دائك القديم . والصبر هو الرائد لكشف كل سر ، والصبر مر لكن ثمرة حلو .

صبر لقمان عندما رأى داود عليه السلام يصنع الحلقات عن سؤاله ، بنية أن الصبر عن السؤال يوجب الفرج

– ذهب لقمان نحو داود الصفاء ، فرآه يضع حلقات من الحديد .

– كان يوصلها كلها ببعضها، «وكان يصنعها» من الفولاذ ذلك الملك رفيع الشأن .

– لم يكن قد رأي صنعة الزراد إلا قليلا ، فظل متعجبا وزاد وسواسه .

– « وأخذ يتساءل بينه وبين نفسه » ماذا يمكن أن يكون هذا ؟ فلأسأله : ماذا تصنع بهذه الحلقات المتداخلة ؟

– ثم قال لنفسه : إن الصبر أولي ، فإن الصبر أسرع في إبلاغ المقصود .

– وعندما لاتسأل تتكشف لك الأمور سريعا ، وطائر الصبر أسرع في طيرانه من بقية الطيور .

– وإن تسأل يتأخر المراد في الحصول ، والسهل دون صبر منك يصير صعبا.

– وعندما سلم لقمان الأمر وفي نفس اللحظ ، كان داود قد أتم ما يقوم بصنعه .

– كان قد صنع درعا ولبسه أمام لقمان الكريم الصبور .

– وقال له : هذا لباس جيد أيها الفتي ، فهو مانع للجراح في الحرب والوغي .

– فقال لقمان : إن الصبر أيضا درع طيب ، فهو ملاذ ودافع للحزن في كل مكان .

– ولقد قرن الصبر بالحق أيضا يافلان ، فاقرأ آخر « والعصر » بوعي .

– لقد خلق الحق مئات الآلاف من أنواع الكيمياء ،لكن الإنسان لم ير كيمياء أفضل من الصبر .

بقية حكاية الأعمى والمصحف

– فصبر الرجل الضيف ، وفجأة انكشف أمامه حل المشكل في لحظة .

– ففي منتصف الليل سمع صوت « تلاوة » القرآن ، فاستيقظ قافزا من النوم وشاهد تلك العجائب .

– كان الأعمي يقرأ من المصحف قراءة صحيحة ، فنفد صبره وسأله عن سر « ذلك الحال » .

١٨٦٠– وقال له : عجبا ، كيف وأنت ذو عين ضريرة تقرأ ؟ وكيف تري السطور ؟

– إنك تقع « ببصرك » علي ماتقرأ ، وتقع يدك علي كلماته ؟

– وأصبعك في حركتها « علي السطور » تبين أنك تركز بصرك علي الألفاظ ؟

– فأجابه : يا من صرت مفصولا من جهل الجسد ، هل تتعجب في هذا من صنع الله ؟

– لقد طلبت من الحق ودعوته قائلا : يامستعان إنني حريص علي التلاوة حرصي علي الروح .

١٨٦٥– ولست بالحافظ فهب عيني نوراً عند القراءة بلا أشكال .

– ورد عليّ بصري عندما أحمل المصحف حتي أقرأ عيانا ؟

– فهتف بي هاتف من الحضرة قائلا : يا رجل العمل ، يا من أنت راجيا فينا عند كل ألم .

– إن عندك حسن الظن والأمل الحلو الذي يقول لك في كل لحظة ارتفع واسم .

– فعندما تريد أن تقرأ ، أو تحتاج إلى التلاوة من المصحف .

١٨٧٠- سوف أرد عليك بصرك في تلك اللحظة ، حتي تقرأ يا أيها الجوهر العظيم.
- وهكذا حدث ، وكلما فتحت المصحف ، وطفقت أقرأ .
- فإن ذلك العظيم الخبير الذي لايغفل عن أمر ، وذلك الملك الكريم رب « العباد » .
- يهبني بصري ثانية ذلك المليك الفرد في نوره ، ويصبح كأنه مصباح الساري .
- ولهذا السبب لايكون عند الولي اعتراض ، وذلك أن كل ما يأخذه « الله » يرسل عوضا عنه .
١٨٧٥- فإن احترقت حديقتك يهبك كرمة ، وفي قلب المأتم يهبك عرسا .
- فيعطي ذلك الأكتع الذي لايد له يدا ، ويهب منجم الهموم قلبا سعيداً .
- لا ، إننا نسلم وقد ذهب عنا الاعتراض ، ما دام العوض يأتي عن هذا المفقود عظيما .
- وما دامت الحرارة تصل إلينا دون وجود نار فنحن راضون حتي ولو جذبتنا النيران (١) .
- وما دام يهبك نوراً ددون مصباح ، فلماذا تجأر بالشكوي إذا ضاع مصباحك ؟

صفة بعض الأولياء الراضين بالأحكام
فلا يدعون ولا يشكون قائلين :
ارفع عنا هذه الأحكام

١٨٨٠- استمع الآن إلي قصة أولئك السالكين الذين لا اعتراض عندهم في هذه الدنيا .

---

(١) ج/٧ - ٤٠٧ : ومادام يهبك النور دون عين ، ويكون هذا العمي كعين مبصرة .

– وهم غير أولئك الأولياء أهل الدعاء ، الذين يرتقون حينا وحينا يفتقون .

– فأنا أعرف قوما آخرين من الأولياء ، قد انغلقت أفواههم عن الدعاء .

– إن هؤلاء الكرام مستكينون رضا ، صار طلب دفع القضاء عندهم من قبيل الحرام.

– فهم يرون في القضاء متعة خاصة ، وطلب الخلاص بالنسبة لهم من قبيل الكفر .

١٨٨٥– لقد تفتح حسن الظن في قلوبهم ، فهم لا يلبسون عند الغم لباس الحداد الأزرق [١] .

استفسار بهلول من ذلك الدرويش

– قال بهلول لأحد الدراويش : كيف أنت أيها الدرويش ، اجعلني واقفا علي أحوالك .

– فأجاب : كيف يكون من تسير الدنيا وأمورها دوما وفق هواه ؟

– تتدفق السيول والأنهار وفق مراده ، وتصير الكواكب علي النسق الذي يريدها أن تكون عليه .

– والحياة والموت حراس له ، يسيران وفق مراده حيا بحي .

١٨٩٠– وحينما يريد يرسل التعزية ، وحيثما ينبغي يهب التهنئة .

– وسالكو الطريق أيضا وفق هواه ، والعاجزون علي الطريق في شراكه .

– ولا يضحك سن في الدنيا ، دون رضا ذلك النافذ الأمر وأمره [٢] .

---

(١) ج/ ٧– ٤١٢ : وكل مايتاتي يكون عندهم حلوا ، يكون ماء حياة وإن كان ناراً ، يكون السم في حلوقهم سكرا ، ويكون الحصي في طريقهم جوهرا استوي عندهم الخير والشر ومن أي شي هذا من حسن الظن . والدعاء عندهم كفر وأن يقولوا يا الهي حول عنا هذا القضاء .

(٢) ج/٧ – ٤١٦ : ولا تسقط ورقة دون رضاه ، ولايتاتي موت دون قضائه . ولا يتحرك عرق دون مراده ، في الدنيا من أوج الثريا إلي أعماق الأرض .

– قال : صدقت أيها السلطان ، فهذا واضح من بهائك وسيماك .

– هذا لك وأضعافه أيها الصادق ، لكن : اشرح هذا الأمر وبينه جيداً .

١٨٩٥– بحيث يكون مقبولا عند أسماع أهل الفضل وأهل الفضول عندما يبلغها.

– اشرحه وبينه بالتفصيل ، بحيث يستفيد منه عقل العامي .

– فإن الناطق الكامل عندما يكون مادا للسماط ، يكون سماطه مليئا بكل أنواع الحساء .

– بحيث لايبقي ضيف بلا نوال ، ويجد كل إنسان غذاءه الخاص به .

– مثل القرآن الذي هو بمعناه سبعة أبطن ، للخاص والعام مطعم من داخله .

١٩٠٠– قال : أليس قد صار يقينا عند الجميع ، أن الدنيا في دورانها مطيعة لأمر الله ؟

– فلا تسقط ورقة من شجرة قط ، بلا قضاء سلطان الإقبال ذاك وحكمه .

– ولا تسري لقمة من الفم إلي الحلق ، مالم يأمرها الحق بأن تسري إليه .

– والميل والرغبة وفي يديهما زمام الآدمي ، حركتهما طوع أمر ذلك السني ؟!!

– ولا ذرة ولا قشة تتحرك أو تطير في السموات والأرضين .

١٩٠٥– إلا بأمره القديم النافذ ، ولايمكن أن نشرح أكثر كما أن الجلد علي هذا ليس علي مايرام .

– بحيث تستطيع أن تعد أوراق الشجرة كلها ، فمتي يمكن أن يصير المرء منطلقا في نطقه عن اللانهائي .

– فاستمع إلي هذا القدر : إنه لما كان الأمر كله لايتحول إلا بأمر الله سبحانه وتعالي .

– ولما كان قضاء الحق هو رضا العبد ، صار العبد مريدا لحكمه .

– لاتكلفا ولا من أجل الأجر والثواب ، بل لأن طبعه قد استطاب هذا الأمر .

– إنه لايريد حياته من أجل نفسه ، ولا من أجل لذة الحياة المنعمة .

– وحيثما يكون مسار لأمر القدم ، فإن الحياة والموت بالنسبة له سيان .

– إنه يعيش من أجل الله لامن أجل الكنز ، ويموت من أجل الله لا من الخوف أو التعب .

– بل إن إيمانه من أجل إرادة الله ، لامن أجل الجنة أو الأشجار والأنهار .

– وتركه الكفر أيضا من أجل الحق، لامن أجل خوفه من الورود علي النار .

– وهذا أمر في طبعه من الأصل ، لا من الرياضة الروحية ولا من الطلب والسعي .

– إنه يضحك رضا عندما يحل به القضاء ، فهو بالنسبة له كأنه الحلوي بالسكر .

– والعبد الذي تكون هكذا خلقته وجبلته ، ألا تسير الدنيا وفق أمره وحكمه ؟

– فلماذا يشكو إذن ولماذا يدعو قائلا : يا الله حول عني هذا القضاء .

– وموته وموت أبنائه يكونان عنده من أجل الحق كالحلوي في الحلق .

– ونزع الأبناء عن ذلك الوفي ، كأنه حلوي القطائف أمام المحروم .

– إذن لماذا يدعو قائلا : يا الله ، إلا إذا كان يري في الدعاء رضا الخالق .

- وتلك الشفاعة وذلك الدعاء لايقوم بهما ذلك العبد ذو الرشد عن شفقة .

- لقد أحرق « ذاته » شفقة في نفس تلك اللحظة التي أشعل فيها مصباح الحق .

- فالعشق جحيم أوصافه ، قد أحرق فيه كل أوصافه شعرة بشعرة .

١٩٢٥- ومتي فهم كل طارق هذه الفروق ، إلا « الدقوقي » الذي صال في هذه الدولة .

قصة الدقوقي وكراماته

- كان الدقوقي ذاك بهي الطلعة ، كان سيدا عاشقا صاحب كرامة .

- كان يمضي علي الأرض كالقمر في كبد السماء ، صار للسارين منه روح نيرة .

- وقليلا ما اتخذ من مقام مسكنا ، وقليلا مامكث يومين في قرية واحدة .

- وقال : لو مكثت يومين في مسكن واحد ، فإن عشق ذلك المسكن يتأجج في داخلي .

١٩٣٠ - « غرة المسكن أحاذره أنا   انقلي يا نفس سافر للغنا

- لا أعود خلق قلبي بالمكان   كي يكون خالصا في الامتحان »[1] .

- كان نهاره تجوالا وليله صلاة ، وعينه مفتوحة علي المليك كأنها عين البازي .

- كان منقطعا عن الخلق لا عن سوء طوية ، كان « مفردا » عن الرجال والنساء لامن الإثنينية .

- وكان مشفقا علي الخلق نافعا كالماء ، كان شفيعا طيباً مستجاب الدعاء .

١٩٣٥- وكان حنونا علي الطيب وعلي الشرير ، وكان ملاذا أفضل من الأم وأكثر حنانا من الأب .

---

(١) بالعربية في المتن .

- فقد قال الرسول عليه السلام : إنني لكم أيها العظماء شفيق مثل الأب وحنون .

- وذلك لأنكم جميعا أجزاء مني ، فلماذا تفصلون الجزء عن الكل ؟

- فإذا انقطع الجزء عن الكل صار بلا نفع ، وإذا انقطع العضو عن الجسد صار ميتة .

- وما لم يتصل بالكل مرة ثانية ، يكون ميتا لاخبر عنده عن الروح .

١٩٤٠- وإذا تحرك فليس هذا في حد ذاته دليلا « علي حياته » فإن العضو الذي بتر حديثا يختلج أيضا .

- وإذا قطع الجزء من هذا الكل يضيع تماما ، إذ لا يصبح بعدها « كلا » ذلك الذي انقطع .

- إن قطعة ووصله لايتأتيان في مقال ، لقد قبل شيء ناقص علي سبيل المثال .

عودة إلى قصة الدقوقي

- لقد سمي الرسول « عليا » أسدا علي سبيل المثال ، والأسد لايكون مثله حتي علي سبيل المثال .

- وانصرف عن المثال والمثل والفرق بينهما أيها الفتي ، « وعد » إلي قصة الدقوقي.

١٩٤٥- ذلك الذي كان في الفتوي إماما للخلق ، كان يختطف كرة التقوي من الملائكة .

- ذلك الذي كان يزري بالقمر في سيره ، بل كان الدين نفسه يحسده علي تدينه .

- ومع وجود التقوي والأوراد والقيام ، كان طالبا لخواص الحق علي الدوام .

- وفي أثناء سياحاته كان منتهى مراده ، أن يغتنم لحظة حضور علي عبد خصه الله .

- وكان دائما يدعو عندما يمضي في الطريق ، يا إلهي اجعلني قرينا لخواصك .

١٩٥٠- يارب ، إنني عبد عاقد الحزام « خدمة » لأولئك الذين يعرفهم قلبي ، شاكر لجميلهم ،

- أما من لا أعرفه منهم يارب الروح ، فاجعله شفيقا عليَّ أنا المحجوب عنه .

- كان هاتف الحضرة يصل إليه قائلا : أيها الصدر العظيم ، أي عشق هذا وأي استسقاء ؟

- إنك محاط بحبي فلماذا تبحث عن الغير ؟ وما دام الله معك فكيف تبحث عن البشر ؟

- فكان يجيب : يا إلهي ، يا عالما بالسر ، إنك أنت الذي فتحت في قلبي طريق الاحتياج .

١٩٥٥- ولو أنني وجدت في قلب البحر ، لطمعت أيضا في ماء الجرة .

- إنني مثل داود لي تسع وتسعون نعجة [١] ، وتحرك في قلبي الطمع إلي نعجة أخي !!

- إن الحرص والطمع في عشقك فخر وجاه ، والحرص والطمع فيما هو سواك عار وفساد .

- إن الشهوة والحرص كمال عند الرجال ، لكنه عند المخنثين عار وسوء سلوك .

- إن الحرص لدي الرجال من قبيل الكمال ، وعند المخنثين يكون ضعة وانحطاطا .

---

(١) في المتن مثل داود ، ولي تسعون نعجة .

١٩٦٠- فالحرص عند ذاك من كمال الرجولة، أما عند هذا فهو افتضاح وسخف .

- آه ، فإن ثمة سرا خفيا شديد الخفاء بحيث يصير موسي مسرعا في أثر الخضر .

- ومثل المستسقي الذي لا يرتوي من الماء ، لا تتوقف - بالله عليك - علي كل ما وجدت [١].

- إن هذا العتبة حضرة لا نهاية لها ، فاترك الصدر ، فصدرك هو الطريق و « الطلب » .

سر طلب موسى للخضر مع كمال نبوته وقربه

- تعلم من كليم الحق أيها الكريم ، وانظر إلي ما يقوله الكليم من الشوق .

١٩٦٥- ومع ما كان له من نبوة وجاه ، « قال » : أنا طالب للخضر بريء من الغرور .

- يا موسي لقد هجرت قومك ، وصرت شريدا في إثر مبارك القوم .

- أيها العظيم لقد نجوت من الخوف والرجاء ، فحتام تسعي وحتام تبحث ؟ وإلي أين ؟

- إن مطلوبك معك وأنت واقف عليه ، أيتها السماء حتام تقطعين الأرض ؟

- قال موسي : قللوا من هذا الملام ، وقللوا قطع الطريق علي الشمس والقمر .

١٩٧٠- إنني أمضي إلي مجمع البحرين ، حتي أصير في صحبة سلطان الزمن .

- « اجعل الخضر لأمري سببا ، ذاك أو أمضي وأسري حقباً » [١] .

(١) ج/٧- ٤٢٩ : وعندما عبرت من واحدة ، تصل أحدث منها ، تصل تلك التي تكون أرفع درجة منها .

(٢) بالعربية في المتن .

– ولأحلق سنوات بالجناح والقوادم ، وماذا تكون السنوات ؟ بل آلاف السنوات .

– أجل لأمشِ ، أليس يستحق هذا ذاك ؟ ، فلا تعتبر عشق الأحبة أقل من عشق الخبز !!

– هذا الكلام لانهاية له أيها العم ، فارو لنا قصة الدقوقي ذاك .

عودة إلى قصة الدقوقى

١٩٧٥– قال الدقوقي ذاك رحمة الله عليك « لقد سافرت مدي في خافقيه » .

– وسحت السنين والشهور من عشق الحبيب ، غافلا عن الطريق حائرا في الإله .

– « وكم سئل » : أتمشي حافيا علي الشوك والحصي ؟ فكان يجيب : إني حائر غافل عن نفسي مذهول .

– فلا تنظر إلي هذه الأقدام علي الأرض ، ذلك أن العاشق يمشي علي قلبه يقينا .

– وماذا يدري القلب وهو ثمل بالمحبوب عن الطريق إلي المنزل قريبا كان أو بعيدا ؟

١٩٨٠– إن ذلك « القريب » و « البعيد » أو صاف للجسد ، وسير الأرواح سير آخر .

– لقد سافرت أنت من النطفة إلي العقل ، لا بالخطو ، فلا منزل ولا نقل .

– وسير الروح يكون بلا كيفية في زمان أو مكان ، فيا أجسادنا تعلمي السير من الروح .

– ولقد ترك « الدقوقي » السير بالجسد الآن ، إنه يمضي « كالروح » بلا كيفية مختفيا في كيفية « الجسم » .

- قال : كنت أسير ذات يوم كالمشتاق ، حتي أري في البشر أنوار الحبيب .

١٩٨٥- حتي أري بحرا « قد تجلي » في قطرة ، وحتي أري « شمسا » قد اختفت في ذرة .

- وعندما وصلت بخطوي إلي ساحل ما ، كانت الشمس قد آذنت بالمغيب وحل وقت الغروب .

ظهور مثال سبع شموع على الساحل

- فرأيت فجأة علي البعد سبعاً من الشموع علي ذلك الساحل ، فأسرعت إليها .

- وكان لهب كل شمعة منها قد ارتفع إلي عنان السماء .

- فاحترت حيرة شديدة وزادت حيرتي حيرة ، وتجاوزت أمواج الحيرة قمة العقل .

١٩٩٠- كيف أن هذه الشموع مشتعلة وقد أعرضت عنها عيون الخلق ؟

- صار الخلق باحثين عن مصباح في وجود هذه الشموع التي كان نورها يفوق نور القمر .

- إن إغماض العيون عجيب ، فواعجباه علي العيون التي أغمضها ، إنه يهدي من يشاء .

تحول هذه الشموع إلى مثال شمعة واحدة

- ثم أخذت أري الشموع تتحول إلي شمعة واحدة ، كان نورها يشق جيب الفلك .

- ثم صارت دفعة واحدة سبع شموع ، فزاد سكري وتضخمت حيرتي .

١٩٩٥- وكانت هناك اتصالات بين الشموع ، لا يتأتي « وصفها » علي ألسنتنا وفي أحاديثنا .

– وذلك الذي تـدركه نظـرة واحـدة ، لا يمـكن أن يجـري علي اللسـان في أعوام !

– وما يدركه اللب في لحظة واحدة ، لايمكن سماعه بالأذن في أعوام !

– وما دام الأمـر بلا نهاية ، فاذهب صـوب ما يقـال له « إليك » (الملاذ) وقل له : « لا أحصي ثناء عليك » .

– فتقدمت مسرعاً لأدرك ماذا تكون هذه الشموع من دلائل الكبرياء .

٢٠٠٠– وكنت أغيب عن الوعي وأحس بالدهشـة ودبيب الخـدر حتي سـقطت من عجلتي وسرعتي .

– وأثناء ذلك سقطت فترة من الزمن علي الأرض بلا وعي ولا عقل .

– ثم عـدت إلي وعـيـي فنهـضـت ، « أجـد » فـي السـيـر كـأنه لا رأس لي ولاقدم .

ظهور تلك الشموع للنظر سبعة رجال

– بـدت تلك الشـموع السـبـعة رجـال أمام النـظـر أنوارهم كـانت تسطع حتي السقف اللازوردي .

– وأمـام هذه الأنوار يكـون ضـوء النهـار كدرا ، كـانت تمـحـو كل الأنوار من تألقها الشـديد[1] .

تحول تلك الشموع إلى سبع أشجار

٢٠٠٥– ثم تحـول كل رجـل إلي شـكل شـجـرة ، تسـعـد الأبصـار من نضـرة خضرتها .

– ولا غـصـن يبدو منهـا من كثافـة الأوراق ، والأوراق نفسـهـا قـد اختـفت من وفرة الثمار .

– ومـدت كل شـجـرة أغـصـانهـا إلي سـدرة المنتـهي ، ومـاذا يكون السـدرة لقـد تجاوزت الأفلاك لي حيث الخلاء والفراغ .

---

(١) ج/٧ – ٤٥١ : فحرت ثانية في صنع الرب ، كيف صار هذا الشكل هكذا للعجب ، فتقدمت أكثر لانظر جيداً ، أي حال هذا الذي يدير رأسي .

- ومدت كل شجرة جذورها إلي أعماق الأرض بحيث كانت تلك الجذور أدني من الثور والحوت .

- كانت جذورها أكثر نضرة من فروعها ، وصار عالي العقل سافله من الإشكال الذي أحدثته له .

٢٠١٠- وكانت ثمارها تتشقق من قوتها ، وكان وميض النور ينشق منها كأنه الماء .

اختفاء تلك الأشجار عن عيون الخلق

- وأعجب من هذا أن مئات الآلاف من الخلق ، كانوا يمرون عليها من الصحراء والوادي .

- كانوا يضحون بالأرواح في سبيل ظل ، ويجعلون من أغطيتهم مظلات عليهم .

- لكنهم لم يكونوا يرون ظلالها قط ، فأف لهذه الأبصار المحجوبة .

- لقد ختم قهر الحق علي الأبصار ، بحيث لا تري القمر بل تري السها .

٢٠١٥- إنها تري ذرة الهباء ولا تري الشمس ، لكنها ليست قانطة من اللطف والكرم .

- إن القوافل تمضي بلا زاد ، وهذه الثمار تسقط ناضجة ، فأي سحر هذا يا إلهي ؟

- إن الخلق يقطفون التفاح المهتري ، ومن القحط يلجأون إلي السلب والنهب .

- وقالت كل ورقة وكل برعمة من هذه الشجرة ، لحظة بلحظة ، « يا ليت قومي يعلمون » .

- وكان يأتي نداء من ناحية كل شجرة قائلا : هلموا إلينا أيها الخلق المدبرون .

٢٠٢٠- وكان النداء يرد من الغيرة « الإلهية » نحو الشجرة ، لقد أغمضنا عيونهم ، كلا لاوزر .

- فلو أن أحدا قال لهم: امضوا هذه الناحية حتي تسعدوا من هذه الأشجار ؟

- لقال الجميع : إن هذا المسكين الثمل، قد أصيب بمس من الجنون من قضاء الله .

- ومن السوداء المزمنة ، ومن كثرة الرياضة ، صار مخ هذا المسكين فاسدا كأنه بصلة .

- ويظل هو مندهشا قائلا : ما هذا الحال يارب ؟ وماهذا الحجاب والضلال عند الخلق .

٢٠٢٥- والخلق علي أنواعهم مع ما فيهم من أنواع العقول والآراء ، لاينقلون أقدامهم إلي هذه الناحية خطوة واحدة .

- وعقلاؤهم وأذكياؤهم في اتفاق ، صاروا منكرين لهذا البستان عاقين له ،

- أو تراني صرت مجنونا مضطربا ، أو كأنه الشيطان قد أصابني بمس في رأسي .

- وأخذت أحك عيني في كل لحظة .. أتراني في حلم أو في خيال يقظة ؟

- أي نوم يكون ؟ إنني أسير تحت ظلال هذه الأشجار ، آكل من ثمارها فكيف لا أعتقد فيها .

٢٠٣٠- ثم إنني كنت أنظر إلي المنكرين ، الذين يبتعدون عن هذا البستان .

- ومع شدة احتياجهم وافتقارهم ، ومع أنهم كانوا يهلكون أرواحهم في سبيل نصف حبة حصرم .

– ومع أنهم من الشوق والحرص علي ورقة شجرة ، كان أولئك المحرمون يطلقون الآهات الحري .

– إلا أنهم فراراً من هذه الأشجار وهذه الثمار ، كانوا يضمون الآلاف والآلاف .

– وأقول ثانية : عجبا !! أأنا غائب عن وعيي ، أمسك في يدي بغصن وهمي ؟

٢٠٣٥– فقل ﴿ حتي إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا ﴾ .

– واقرأها بهذه القراءة أي تخفيف « كذب » ، فتري نفسك بهذه القراءة محتجبا .

– لقد سقطت أرواح الأنبياء في الشك ، من اتفاق الأشقياء علي الإنكار .

– وجاءهم بعد التشكك نصرنا ، فاترك « هؤلاء الأشقياء » وتعالي إلي شجرة الروح .

– وكل منها وأعط ؛ فإن عطاءها في كل نفس ولحظة معلم للسحر .

٢٠٤٠– والخلق قائلون : عجبا !! ما هذا الصوت ؟ إن الصحراء خالية من الشجر والثمر .

– لقد صرنا مذهولين من أقوال المصابين بالسوداء « المالخوليا » ، التي هي بالنسبة لكم بستان وسماط .

– إننا نحك عيوننا ولا بستان هنا ، فإما صحراء وإما طريق وعر .

– فوا عجبا لهذا الحديث الطويل !! كيف يكون عبثا ؟ وإذا كان حقا فأين هو « هذا البستان » ؟

– وأنا أقول مثلهم : عجبا ، لماذا ختم صنع الله الرب « عليهم » مثل هذا الختم ؟

٢٠٤٥- ومن هــذا الجــدال يصــيــر « مــحــمــد » في عــجب ، وكـذلك بقي أبو لـهب متعجبا .

- وبين هـذا التـعـجب وذاك فـرق عظيم ، إلي مـا شـاء اللـه السـلطان الـعظيم أن يفعل .

- فـيا دقوقـي ، يـامتــدفـقـا فــي الــحـديـث اصــمــت ، فـحــتــام تحـدث حتـام وهــنــاك قحــط فـــي الآذان .

تحول الأشجار السبعة إلى شجرة واحدة

- قال « الدقـوقي » : فتقـدمت أنا السـعـيد « بهذه المشـاهـدات » فتـحـولت تلك الأشـجار السـبعة إلي شـجرة واحدة .

- كــانت تتـحـول إلي سبع أشـجـار ثم إلي شــجرة واحـدة في لـحظة واحـدة ، وكم كانت الحيرة تأخذ بمـجامعي .

٢٠٥٠- ثم رأيت الأشـجار وقد اصطفت للـصلاة كأنها في جماعة .

- وشـجرة تتقدمها كأنها الإمـام ، والأشـجار الأخري وراءها في قيام .

- وذلك القيـام والركوع والسـجـود الذي كانت تقـوم به الأشـجار أجج الـحـيرة في داخلـي .

- وحينذاك تذكرت قوله تعالـي : ﴿ والنجم والشـجـر يسـجدان ﴾ .

- ولـيس لتلـك الأشـجـار ركب في أواسـطها ، فـأي تـرتـيب لـلـصـلاة علي ذلك النسق ؟

٢٠٥٥- فهتف بي إلـهام من الله : يا ذا الضـياء ، ألا زلت تعجب من أمرنا ؟

تحول تلك الأشجار السبعة إلى سبعة رجال

- وبعــد فــتــرة تــحولت الأشـجار السـبعة إلي سـبعة رجال ، كلـهم قاعدون من أجل الإلـه الفرد .

١

- وأنا أحك عيني متسائلا : من هم هؤلاء الأسود السبعة ؟ وماذا لديهم من الدنيا؟

- وعندما اقتربت منهم ، قرأت عليهم السلام منتبها .

- فأجاب القوم السلام علي قائلين : السلام عليك يادقوقي يا تاج الكرام وفخرهم .

٢٠٦٠- قلت : وكيف عرفوني إذن ؟ ولم تقع أنظارهم عليّ من قبل .

- وعرفوا من ضميري هذا التساؤل ، وهم ينظرون بعضهم إلي بعض من طرف خفي.

- وأجابوني ضاحكين : أيها العزيز ، هل لا يزال هذا خافيا عليك أيضا .

- متي يختفي شيء من يسار أو يمين علي القلب الذي هو في تحير مع الله ؟

- قلت : إنهم وإن كانوا مكشوفين علي الحقائق ، كيف وقفوا علي الرسم واللفظ ؟

٢٠٦٥- قال أحدهم : إذا غاب الاسم عن الولي ، اعتبر ذلك من الاستغراق لا من الجهل .

- ثم قالوا لي : إن بنا رغبة في أن تؤمنا في الصلاة أيها الصديق الطاهر .

- قلت : سمعا وطاعة ، لكن أمهلوني برهة فأنا أواجه بعض المشكلات من دوران الزمان .

- فلعلها تحل بالصحبة الطاهرة ، فمن الصحبة ينبت الكرم ، من التراب .

- والبذرة المليئة باللب ، قامت بخلوة وصحبة من التراب الكدر وذلك من الكرم .

٢٠٧٠- لقد محت نفسها كلية في التراب ، حتي لم يبق ثم لون ولا رائحة ولا حمرة ولا صفرة .

- ومن بعد هذا المحو لم يبق لديها قبض ، مضت الصورة وتجلي معناها .

- وهز الرجال رءوسهم قائلين : الأمر لك ، فارتفعت الحرارة من القلب بمثل هذه الهزة .

- ومكثت ساعة مع تلك الجماعة المختفية « عن أعين الخلق » كأنني المراقب ، منفصل عن نفسي .

٢٠٧٥- وفي تلك الساعة تخلصت الروح من الزمان ، ذلك أن ساعة واحدة تحول الشاب إلي شيخ .

- وكل التلوينات قد ظهرت من الساعة « الزمان » ، وقد نجا من التلوين من نجا من الزمان .

- وعندما تخرج برهة من إسار الزمان ، لاتبقي الكيفية وتصير مأذونا لمن لا كيفية له [(١)] .

- ولا خبر للزمان عن اللازمان ، وليس لها إلي تلك الناحية من طريق إلا الحيرة .

- فكل امرئ إنما ربط علي حظيرته الخاصة به في هذه الدنيا التي هي دنيا السعي والكدح .

٢٠٨٠- وهناك رائض قائم علي كل حظيرة ، بحيث لا يدخلها رافض إلا بإذن .

- ولو ضاق بحظيرته هوسا ، وأطل برأسه في حظائر الآخرين .

- فإن السائسين النشطين الطيبين في لحظة واحدة ، يأخذون بطرف زمامه ويسحبونه « خارجا » .

- وإذا كنت لا تري الحفظة أيها العيار ، فانظر إلي اختيارك دون اختيار منك .

---

(١) ج/٧- ٤٦٧ : فاخرج برهة عن الزمان أيها القلب حتي تنجو من الكيفية والسببية .

- إنك تختار لكن اليد والقدم يجرانك « بعيداً » عن هذا الاختيار ، فلماذا أنت في حبس لماذا ؟

٢٠٨٥- ورفعت وجهك منكرا لحافظك ، وسميته بالتهديدات النفسية .

تقدم الدقوقى للإمامة

- ليس هذا الحدث من نهاية فدعك منه ، وانتبه فقد قامت الصلاة ، والدقوقي هو الإمام.

- لقد قالوا له : أيها الفرد أدِّ بنا ركعتين ، حتي يزدان بك الزمان .

- فيا أيها الإمام المستنير البصر هيا ، ينبغي للإمام عين مستنيرة .

- فمكروه في الشريعة أيها العظيم ، أن يؤم الأعمي المصلين .

٢٠٩٠- حتي ولو كان حافظا ماهرا فقيها ، فالبصير أفضل ولو كان سفيها .

- فليس عند الأعمي اتقاء من النجاسة ، فالعين هي أصل الاتقاء والحذر .

- إنه لا يري النجاسة عند عبور « الطريق » ، فلا كان المؤمن قط عين عمياء .

- والعمي الظاهر « مختص » بنجاسات الظاهر ، لكن عمي الباطن « مختص » بنجاسات الباطن .

- وهذه النجاسة الظاهرة تنقضي بالماء ، لكن هذه النجاسات الباطنة تزداد .

٢٠٩٥- ولا يكون غسلها إلا بدمع العين ، أقصد نجاسات الباطن إذ صارت عيانا .

- ولما كان الله قد سمي الكافر نجسا ، فليس المقصود إذن بالنجاسة الظاهرة .

- وذلك أن ظاهر الكافر ليس ملوثا ، لأن تلك النجاسة (التي وصف بها) في الأخلاق والدين .

- فالنجاسة « الظاهرة » تفوح رائحتها لعشرين خطوة ، لكن نجاسة الباطن

– بل إن نتنها يرتفع إلي السموات ، فتزكم أنوف الحور « وأنف » رضوان .

٢١٠٠– إن ما أقوله هو بقدر فهمك ، ولقد مت حسرة « بحثا عن » الفهم الصحيح .

– والفهم ماء ، ووجود الجسد كالجرة ، وعندما تنكسر الجرة يسيل الماء منها .

– وفي هذه الجرة خمسة ثقوب عميقة ، فلا يبقي فيها ماء بل إن الثلج نفسه لا يبقي فيها .

– لقد سمعت الأمر بـ « غضوا أبصاركم » ، لكنك لم تضع حافرك في الموضع الصحيح .

– فالنطق من فمك يقضي علي فهمك ، والأذن كأنها الرمل تمتص هذا الفهم فيك .

٢١٠٥– وهكذا فإن ثقوبك الأخري ، تسحب خارجا ماء فهمك المضمر .

– فإذا أخرجت الماء من البحر دون عوض ، فإنك تحول هذا البحر إلي صحراء .

– فالوقت غير مناسب وإلا حدثتك بالحال ، وشرحت لك مدخل الأعواض ومدخل البدائل .

– ومن أين تأتي هذه الأعواض والبدائل إلي البحر من بعد كل هذا الإنفاق ؟

– إن مئات الآلاف من أنواع الحيوان تشرب منه ، والسحب أيضا تجذب الماء خارجه .

٢١١٠– ثم يجذب البحر هذه الأعواض ، فمن أين يعلم ذلك أصحاب الرشد ؟

– لقد بدأنا القصص ومن التسرع ، صارت بلا نتيجة داخل هذا الكتاب .

- فيا ضياء الحق ياحسام الدين العظيم ، يامن لم يلد الفلك والأركان مثلك ملكا .

- إنك نادراً ما تحل في الروح والقلب ، يامن تحس الروح ويحس القلب بالخجل منك.

- لطالما مدحت السالفين من الناس ، وكنت أنت مقصدي من هذا « المدح » اقتضاء.

٢١١٥- إن الدعاء في حد ذاته يعلم المنزل الموجه إليه ، فوجه أنت الثناء باسم من تشاء .

- ومن أجل كتمان المديح عن من ليس بأهل له ، وضع الحق هذه الحكايات والأمثال.

- وإذا كان هذا المدح يخجل منك ، فإن الله يقبل جهد المقل .

- فالحق يقبل كسرة واحدة ويعفو بها ، إذ تكفي قطرتا « دمع » من عين الأعمي .

- إن الطيور والأسماك تعرف هذا الإبهام ، « وتعلم » أنني مدحت مجملا هذا الاسم المبجل .

٢١٢٠- وذلك حتي تهب عليه رياح الحاسدين قليلا ، وحتي لايعض الأنامل من الغيظ علي خيال يظنه هو .

- فمن أين يدرك الحسود حتي خياله، ومتي يرقد الببغاء في جحر الفأر ؟!

- إن خياله هذا « بالنسبة للحسود » مجرد اختيال ، إنه شعرة من حاجبة وليس الهلال .

- إنني أسوق المدح فيك خارج « الحواس » الخمسة و « الأفلاك » السبعة ، فاكتب الآن : إن الدقوقي قد أم .

تقدم الدقوقى لإمامة هؤلاء القوم

– في تحيات الصالحين وسلامهم ، يكون مدح كل الأنبياء متضمنا .

٢١٢٥– لقد امتزجت المدائح بأجمعها ، وانصبت كل الكئوس في حوض واحد .

– ذلك أن الممدوح في حد ذاته ليس إلا واحدا ، والأديان من هنا ليست إلا دين واحد .

– فاعلم أن كل مدح إنما يمضي إلي نور الحق ، ويكون عارية علي الصور والأشخاص.

– فمتي يقوم « المادحون » بالمديح إلا لمن يستحق ؟ لكن « الآخرين » يضلون بالظن .

– مثل نور قد انعكس علي جدار ، والجدار كأنه قيد لهذه الأنوار .

٢١٣٠– أو أن انعكاسا لقمر قد ظهر في بئر ، فطأطأ الضال رأسه في البئر وطفق يثني عليه .

– فلا جرم أنه ما دام الظل عندما يسرع نحو الأصل ، فإن الضال يفقد القمر ويعجز عن الثناء .

– فهو في الحقيقة مادح للقمر ، بالرغم من أن جهله قد حول وجهته إلي صورته .

– فمدحه « موجه » إلي القمر لا إلي هذه الصورة ، وصار كفره به لخطئه في أصل الأمور .

– فقد ضل هذا الشجاع من الشقاء ، إن القمر أعلي لكنه ظن أنه أسفل .

٢١٣٥ – واضطراب الخلق إنما يكون من هذه الأصنام ، فيتبعون شهواتهم ثم يندمون .

- ذلك أن الشهوة قد تأججت بخيال ، وتخلف هو بعيدا جداً عن الحقيقة .

- وعندما يكون لميلك جناح من الخيال ، فمتي يحلق نحو الحقيقة بهذا الخيال ؟

- وعندما سقطت في شهوة تساقط جناحك ، فصرت أعرج ، وهرب منك ذلك الخيال .

- فحافظ علي الجناح ولا تتبع الشهوات ، حتي يحملك جناح الميل نحو الجنان .

٢١٤٠- إن الخلق يظنون أنهم يلهون ، وينتزعون أجنحتهم من أجل خيال .

- لقد صرت مدينا بشرح هذه النقطة ، فأمهلني إذ إنني معسر ومن هنا سكت .

اقتداء القوم بالدقوقي

(١)

- لقد أمهم الدقوقي ذاك في الصلاة ، كان القوم كأنهم « الثوب » الأطلس وهو زينته .

- واقتدي هؤلاء الملوك واصطفوا خلف هذا المقتدي الشهير .

- وعندما كبروا ، خرجوا من الدنيا كأنهم الأضحيات .

٢١٤٥- وهذا هو معني التكبير أيها الإمام ، معناه : يا إلهي لقد صرنا فداء لك .

- إنك تكبر عندما تذبح، وهكذا يجب عند « ذبح » النفس الجديرة بالذبح (٢) .

- إن الجسد كإسماعيل والروح كالخليل ، وقد كبرت الروح علي الجسم النبيل .

- لقد ذبحت الشهوات والحرص في الجسد ، وصار بالبسملة كالطائر الذبيح من الصلاة .

---

(١) ج/ ٧ - ٤٩٤ : لقد عدت ، إذ طالت القصة ، والوقت ضيق ، والقوم قد وقفوا للصلاة .

(٢) ج/ ٧ - ٤٩٤- فقل : الله أكبر واذبح تلك المشئومة حتي تنجو من الفناء .

كالطائر الذبيح من الصلاة .
– ومثل القيامة اصطفت الصفوف أمام الحق ، وهناك مئات « الألوان » من الحساب والمناجاة والضراعات .
٢١٥٠– لقد وقفت أمام الخالق ذرّافاً الدمع ، كالواقف مستقيما يوم الحشر .
– فيقول لك الحق : ماذا أحضرت لي من تلك المهلة التي أعطيتك إياها؟
– وفيم أنهيت عمرك ؟ وفيم أفنيت قوتك وقُوَّتك ؟
– وأين أبليت جوهر البصر ؟ وفي أي موضع ضيعت حواسك الخمس ؟ .
– لقد أنفقت العين والأذن والعقل وجواهر العرش ، فماذا اشتريت « بها » من الأرض ؟
٢١٥٥– لقد أعطيتك اليد والقدم كالفأس والرفش ، لقد وهبتها من لدني ، فمتي صارت من لدن نفسها ؟
– وعلي هذا النسق تأتي مئات الآلاف من الرسائل المؤلمة من لدن الحضرة.
– وفي القيام يعود هذا البدن ، ومن الخجل ينحني راكعا .
– لا يتبقي له جلد علي الوقوف من الخجل ، فيتلو تسابيحه خجلا عند الركوع .
– ثم يصله الأمر أن ارفع رأسك من الركوع، وأجب الحق علي ما سألك عنه.
٢١٦٠– فيرفع رأسه من الركوع ذلك الخجل ، ثم يسقط علي وجهه ذلك الساذج في أموره .
– ثم يصله الأمر ثانية أن ارفع رأسك من السجود ، وحدثنا بأخبار أفعالك .
– فيرفع رأسه مرة أخري خجلا ، ثم يسقط ثانية علي وجهه كأنه الثعبان .
– فيقول له ثانية : ارفع رأسك وتحدث ، إنني سوف أطلب منك الحديث عن كل ما بدر منك شعرة بشعرة .
– فلا تبقي له قوة علي الوقوف ، ذلك أن خطاب الهيبة قد أصاب سويداء روحه .
٢١٦٥– ثم يجلس قاعدا من ذلك الخجل الشديد ، فيقول له : تحدث حديثا مفصلا ومفهوما !!

- لقد وهبتك النعمة فقل لي : ماذا كان شكرك ؟ لقد أعطيتك رأس المال فهيا بين فائدته [1] .

- فيلتفت إلي اليمين مسلما علي أرواح الأنبياء وأولئك الكرام .

- أي : يا ملوك الشفاعة إن هذا اللئيم ، قد بقيت قدماه وجسده مغروسة تماما في الطين .

بيان أن إشارة التسليم نحو الناحية اليمنى في القيام من هيبته محاسبة الحق وطلب العون والشفاعة من الأنبياء

- يقول له الأنبياء : لقد مضي يوم الوسيلة ، كانت الوسيلة هناك وكانت الآلة متوفرة .

٢١٧٠- إنك طائر تغرد في غير أوان فامض أيها المشئوم واتركنا ، ولاتتسلل إلي دمائنا .

- فيلتفت إلي الناحية اليسري ، أي إلي قومه وأهله فيقولون له : خسئت .

- هيا وأجب الخالق ، فمن تكون أيها السيد ، أقلع عن مطاردتنا !!

- فلا هو وجد حيلة في هذا الجانب أو ذاك الجانب ، وتحطمت روح ذلك المسكين داخل قلبه إلي مائة قطعة .

- لقد يئس من الجميع ذلك المسكين الأصل ، فأخذ يرفع يديه داعيا .

٢١٧٥- قائلا : لقد يئست من الكل يا الله ، وأنت الأول والآخر والمنتهي[2]

- فانظر في الصلاة إلي هذه الإشارات الحسنة ، حتي تعلم أن هذا هو الذي سوف يحدث يقينا [3].

- فأخرج الفرخ من بيضة الصلاة ، ولا تحرك رأسك كطير لا تعظيم عنده ولا تغريد.

---

(١) ج/٧ - ٤٩٤ : ولما لم يكن لديه لا رأس مال ولا فائدة فإنه يريد شفيعاً يعتذر له سريعاً .

(٢) ج/ ٧- ٢٠٥ : وهذا هو معني التسليم أيها المقتدي ، أي : إنك أنت الهادي أيها الحق وأنا المهتدي - فكل ما تأمر به نحن منقادون فيه ، وبقضائك نحن مسرورون.

(٣) ج/ ٧- ٢٠٥ : فإن كان ثم رجاء تصل العناية ويصبح أمنا من « حبل من مسد » .

سماع الدقوقى فى أثناء الصلاة لصراخ تلك السفينة التى كانت موشكة على الغرق

- لقد أم الدقوقي ذاك ، واستغرق في الصلاة علي ذلك الساحل .
- وتلك الجماعة وراءه في قيام ، فيا لهم من قوم حسان ويا له من إمام مختار .

٢١٨٠- وفجأة وقع بصره علي البحر ، عندما سمع صيحات الاستغاثة قادمة من جهته .

- ورأي سفينة بين الأمواج ، « تتلاعب » بها أيدي القضاء والبلاء والمحنة .
- كان الليل والغيوم والموج العظيم معا ، هذه الظلمات الثلاث ثم الرعب من الأعماق .
- وهب إعصار كأنه ملك الموت ، وتلاطمت الأمواج ذات اليسار وذات اليمين .
- وركاب السفينة قد انهدت قواهم من الخوف ، فانبعثت منهم صرخات واويلاه !

٢١٨٥- كانوا يلطمون رءوسهم بأيديهم نائحين ، والكافر والملحد كلاهما صار مخلصا .

- وأصبح يتوجه إلي الله بتضرع حار في تلك اللحظة ، وكم نذروا النذور وأخذوا علي أنفسهم المواثيق الشديدة .
- كانوا ساجدين مكشوفي الرءوس ، أولئك الذين لم يسجدوا من قبل قط اعوجاجا.
- لقد قيل : إنه لا فائدة من تلك العبودية ، لكنهم رأوا فيها مائة حياة في اللحظات .
- كانوا قد قطعوا الأمل تماما من الجميع ، من الأصدقاء والأخوال والأعمام والآباء والأمهات .

٢١٩٠- صار الزاهد والفاسق كلاهما تقيا في تلك اللحظة ، مثلما يكون الشقي

عند الاحتضار .

- فلا كانت لهم حيلة لا من أيما نهم أو من شمائلهم وعندما تنقضي الحيل ، فهذا أوان الدعاء .

- كانوا في دعاء وتضرع وابتهال وتأوه ، وقد تلبد الفلك منهم بدخان أسود .

- ومن عداوته لهم ظهر لهم الشيطان آنذاك ، وصاح فيهم : الفراق !! الفراق يا عبدة الكلاب ، جعل الله لكم علتين .

- فالموت والحسرة يا أهل الإنكار والنفاق ، سوف يصيران آفة هذا الاتفاق .

٢١٩٥- وتندي عيونكم بالدمع من بعد الخلاص ، فأنتم تصبحون من أجل الشهوة شياطين خواص .

- فلا تتذكرون أنه ذات يوم في الخطر ، أخذ الله بأيديكم من القضاء والقدر.

- كان هذا النداء يأتي من الشيطان ، لكن لم تسمع هذا النداء إلا الآذان الطيبة .

- ولقد صدق المصطفي معنا ، ذلك القطب وملك الملوك وبحر الصفاء ،

- « عندما قال » : إن ما يراه الجاهل في النهاية ، يراه العقلاء منذ الوهلة الأولي .

٢٢٠٠- فالأمور من بداياتها بالرغم من أنها غيب وسر ، يراها العاقل منذ بدايتها أما المصر فيراها في أواخرها .

- إن أولها محجوب ، لكن أواخرها يراها العاقل والجاهل عيانا .

- فإن لم تر وقائع الغيب أيها العنود ، فمتي يختطف السيل الحزم ؟!

- وماذا يكون الحزم ؟ ، إنه سوء الظن بالدنيا ، وتوقع البلاء المفاجئ منها لحظة بلحظة .

تصورات الرجل الحـازم

– مـثـل هــذا إن أســدا قــد ظهــر فـجأة ، فـاخـتطف رجـلا وأخـذ يجـره إلي أجمته .

٢٢٠٥– فـفي أي شـيء يفكر والأسد يحمله ؟ فتمعن وفـكر علي نفس النسق يا أستاذ الدين .

– إن أســد القـضاء يجـرنا نـحـو الغابـات ، بينما أرواحنا مـشـغولة بالـحـرف والأعمال .

– وهــكذا يخاف الخلق من الفقر ، وغرقوا في المــاء المـالح حتي حلوقهم .

– ولو أنهــم كــانــوا يخـافـون من خـالق الفــقــر ، لتكشـفت لهـم الكنوز من الأرض .

– وهـم جميعا من خوف الغم في غم، وفي سبيل الوجود سقطوا في العدم

دعاء الدقوقى وشفاعته فى خلاص السفينة

٢٢١٠– وعنــدمـا رأي الدقوقي تلك الضـجة ، تحـركت فيـه نوازع الرحمـة وسـال دمعه .

– وقال : يارب ، لا تنظر إلي أفعالهم ، وخذ بأيديهم يا ملكا حسن الفعال .

– وردهم إلي الساحل بسلام ، يا من وصلت يدك إلي البر والبحر .

– أيها الـكريم ، أيها الرحـيم السـرمدي ، تجـاوز للـخـبـثاء المـاكـرين عن هذه السيئات .

– يا من وهبت بلا مقابل مـائة عين وأذن ، ووهبت العقل والوعي دون عطاء منا .

٢٢١٥– ووهبت العطاء قبل الاستحقاق ، ورأيت منا جميعا الكفران والزلل .

– يا أيها العظيم ، إنك تستطيع في حرمك أن تعفو عن الذنوب العظيمة منا

– لقـد أحــرقنــا أنفســـنا حــرصــا وطمـعــا ، وتعلمنا منـك أنت أيضــا هــذه

– يا أيها العظيم ، إنك تستطيع في حرمك أن تعفو عن الذنوب العظيمة منا

– لقد أحرقنا أنفسنا حرصا وطمعا ، وتعلمنا منك أنت أيضا هذه الأدعية .

– وبحرمة ذلك الذي علمته الدعاء ، وأشعلت به مصباحاً في مثل تلك الظلمة .

– هكذا أخذ يردد الدعاء آنذاك كالأمهات الوفيات [(١)] .

٢٢٢٠– كان الدمع يسيل من عينيه وذلك الدعاء ، كان دون وعي منه يرتفع إلي عنان السماء .

– إن دعاء الذين فنوا عن ذواتهم في حد ذاته شيء آخر ، فذلك الدعاء ليس منهم إنه من الحق .

– فذلك الدعاء يقوم به الحق لأن « الداعي » إلي فناء ، فذلك الدعاء وتلك الاستجابة من الله .

– ولا وساطة من مخلوق بينهما ، والجسم والروح يقومان بهذا الدعاء .

– وعبيد الحق رحماء صبورون ، يعرفون طبع الحق في إصلاح الأمور .

٢٢٢٥– فهم رحماء ظهراء بلا أجر ، في الموقف الصعب وفي اليوم الثقيل .

– فهيا وابحث عن هؤلاء القوم أيها المبتلي ، هيا واغتنم صحبتهم قبل البلاء

– لقد نجت السفينة بأنفاس ذلك الهمام ، بينما يظن أهل السفينة أن هذا الأمر حدث بجهدهم .

– إذ لعل سواعدهم عند الحذر ، أطلقت سهما من الفضل أصاب الهدف .

– إن القدم تخلص الثعلب أثناء الصيد ، بينما أولئك يعتبرون ذلك الخلاص من ذيله ، أولئك الثعالب المغرورة .

---

(١) ج/ ٧– ٥١١ : خذ بأيديهم وأبدِ لهم الطريق ووفقهم وتجاوز عن جرمهم ، واعف ، وحل المشكلات .

أرواحنا من الكمين .

– أيها الثعلب ، حافظ علي قدمك من أن ترشق بالأحجار ، فأي نفع للذيل إن لم يكن قدم ، أيها الوقح .

– إننا كالثعالب وأقدامنا أيها الكرام ، تخلصنا من أنواع كثيرة من الانتقام .

– وحيلنا الماهرة هي بمثابة ذيولنا ، ونحن نزاول العشق مع الذيول يساراً ويمينا .

– ونحرك ذيولنا عند الاستدلال من المكر ، حتي يزداد دهشة منا زيد وبكر .

٢٢٣٥– وصرنا طالبين لإعجاب الخلق ، ومددنا أيدي الطمع في الألوهية .

– حتي نصير ملاك القلوب بالشعوذة ، غافلين عن رؤية أنفسنا ساقطين في حفرة .

– إنك في حفرة وفي بئر أيها الديوث ، فارفع يدك إذن عن شوارب الآخرين « وكف عن إرشادهم » .

– وعندما تصل إلي بستان جميل وطيب ، خذ إذن بأطراف ثياب الخلق واجذبهم نحوك .

– فيا مقيما في سجن « العناصر » الأربعة ، و « الحواس » الخمسة ، و « الجهات » الستة ، اجذب الآخرين إذن إلي مكان طيب .

٢٢٤٠– ويا من كالمكاري صرت ملازما لمؤخرة الحمار ، لقد وجدت موضعا للقبل ، فخذنا معك !!

– وما دام الحبيب لم يهبك قدرة علي العبودية ، من أين إذن ظهر لديك الميل إلي الملوكية ؟

– وغراما منك أن يقول لك الآخرون : مرحي ، قد ربطت وترا في عنق

روحك .

– فيا أيها الثعلب ، اترك ذيل الحيلة هذا ، واجعل القلب وقفا علي أصحاب القلوب.

– وفـــي حِمَي الأســـد لا يـكـون الشـــواء قـــليلا ، فكفاك اتجاها إلي الجيف إذن أيها الثعلب .

٢٢٤٥– ويا أيها الثعلب إنك تصير منظورا للحق ، عندما تمضي كجزء نحو الكل الذي أنـت جـزء منه .

– فالحق لايفتأ يقول : إن أنظارنا علي القلب ، وليست علي الصورة التي هي من ماء وطين .

– وأنــت لا تفتأ تـقـول : أنا أيضـا لي قـلب ، إن القـلب يـكـون فـــوق الـعـــرش لا في الأذلين .

– وفي الطـين الكدر يوجد أيضا مـاء ، لكن لا يصح لك الوضـوء من هذا المـاء

– ذلك أنه وإن كان ماء فالطين يغلب عليه ، فلا تسم قلبك إذن قلبا .

٢٢٥٠– وذلك القلب الذي هو أعلي من السموات ، هو قلب الرسول عليه السلام أو من قلوب الأبْـدَال .

– لقد تطهر من الطين وصفا ، وأخذ في الزيادة وصار وافيا .

– لقـد هـجر الطين ، واتجه صوب البحر ، ونجا من سجن الطين وصار بحريا .

– وقد صار ماؤنا محبوسا في الطين ، فهيا يا بحر الرحمة واجذبنا من الطين .

– ويقول البحر : إنني أجذبك إلي داخلي ، لكنك تثرثر قائلا : إنني ماء عذب

٢٢٥٥– وثرثرتك هنا تبقيك محروما ، فاترك هذا الظن ثم ادخل إليّ .

– إن المـاء الممتزج بالطين يريد أن يمضي نحو البحر ، لكن الطين يمسك بقدم المـاء ويجذبه إليه .

– فإن خلص قدمه من سيطرة الطين ، لجف الطين ، ولاستقل هو عنه .

– فما هو جذب المـاء من الطين ؟ إنه جذبك للنقل والشراب والزلال .

– وشبيه بهذا كل شهوة في الدنيا ، جاها كانت أو مالا أو قوتا (١) .

٢٢٦٠– إن كل واحد منها يجعلك ثملا ، وعندما لا تجده يصيبك الخمار .

– وهذا الهم الذي يصيبك بالخمار ، دليل علي أن سكرك كان بهذا « الشيء » المفقود .

– فلا تأخذ منه إلا بالقدر الضروري ، حتي لا يتحكم فيك ويصير غالبا عليك .

– لقد تمردت وعاندت قائلا : إنني صاحب قلب ، ولا حاجة بي إلي الغير فأنا واصل .

– وهكذا يعاند المـاء الممتزج بالطين قائلا: أنا ماء ، ولماذا أبحث عن المدد ؟

٢٢٦٥– لقد ظننت أن قلبك هو هذا الملوث ، فلا جرم أنك فصلت القلب عن أصحاب القلوب .

– وهل تجيز أنت نفسك أن يكون ذلك الذي يكون عاشقا للبن والعسل قلبا ؟

– إن لطف اللبن والعسل انعكاس للقلب ، وإن كان ثمة لذة ، فهي حاصلة من القلب .

– ومن ثم فإن القلب جوهر والعالم عرض ، فكيف يكون عرض القلب غرضا للقلب؟

– وذلك القلب الذي يكون عاشقا للمال والجاه ، أو مقهوراً لهذا الطين

---

(١) ج / ٧– ٥١٣ – : سواء كانت سيفا أو بستانا أو بلطة أو مجنا سواءً كانت ملكا أوداراً أو أولاداً .

والمـاء العكر.

٢٢٧٠- أو متعلقا بخيالات يعبدها في الظلمات أجل القيل والقال .

- لا يكون قلبا ، فليس بقلب غير ذلك البحر من النور ، إنه موضع نظر الله ، فهل يتفق أن يكون هكذا ويكون أعمي ؟!!

- إن هذا لا ينطبق علي قلب واحد من مئات الألوف من قلوب الخواص والعوام ، إنه في واحد من ذلك العدد فأيهم يكون أيهم ؟

- فاترك فُتات القلوب وابحث عن القلب ، حتي يصبح ذلك الفتات كأنه الجبل منه .

- فالقلب محيط بهذا الجزء من الوجود ، إنه ينثر الذهب من الإحسان والجود .

٢٢٧٥- ومن سلام الحق ، يهب السلام لهذا العالم جودا وطوعا واختيارا .

- وكل من يملك حجرا جاهزا ومعدا وصحيحا ، فإن نثار القلب وعطاءه يصلان إليه .

- وحجرك هو الضراعة والحضور ، فانتبه ولا تلق في حجرك بحجر الفجور .

- حتي لايتمزق حجرك بتلك الحجارة ، وحتي تعلم النقد الصحيح من الألوان « المزيفة » .

- لقد ملأت حجرك بالحصي في الدنيا ، من حصي الفضة والذهب كما يفعل الأطفال .

٢٢٨٠- ومن خيال الفضة والذهب إن لم يكن هناك ذهب ، تمزق حجر رداء صدقك وزاد حزنك .

- ومتي تبدو للأطفال قيمة الحصي ، ما لم يأخذ العقل بأطراف أثوابهم في

قبضته ؟

– إنه شيخ العقل، لا ذاك الشيخ أبيض الشعر ، يكون الإقبال والرجاء « معه » كاملين لا يتسعان لشعرة « بينهما » .

إنكار تلك الجماعة على دعاء الدقوقى وشفاعته وغيبتهم واختفاؤهم فى حجب الغيب وحيرة الدقوقى هل ذهبوا فى الهواء أو على الأرض

– عندما نجت تلك السفينة وبلغت مرادها ، تمت صلاة تلك الجماعة أيضا

– وجري همس بينهم ، وأخذ بعضهم يقول لبعض : من هو هذا « الفضولي » بيننا أيها الأب ؟

٢٢٨٥– أخذ كل منهم يهمس للآخر في السر ، مستترا من وراء ظهر الدقوقي .

– وقال كل واحد منهم : أنا لم أوجه هذا الدعاء الآن ظاهرا أو باطنا .

– قال أحدهم : لعل إمامنا هذا قد أحس بالألم ، فغلبه الفضول وناجي ربه .

– وقال آخر : إن الأمر يبدو لي علي هذا الوجه يقينا أيها الرفيق .

– كان فضوليا ، ومن القبض الذي ألم به اعترض علي المختار المطلق .

٢٢٩٠– قال الدقوقي : وعندما التفت بعد ذلك ، لكي أسمع ما يقول أهل الكرم .

– لم أجد واحدا منهم في المقام ، كانوا قد انصرفوا عن مكانهم جميعا .

– ولا عن شمالي ولا عن يميني ولا أعلي ولا أسفل ، لم تظفر عيني الحادة بهؤلاء القوم .

– كانوا كأنهم من الدر وعادوا إلي الماء ، فلا أثر لقدم ولا غبار في الصحراء .

– انتقلوا جميعا إلي « قباب » الحق في تلك اللحظة ، فتري إلي أية روضة

– كانوا كأنهم من الدر وعادوا إلي الماء ، فلا أثر لقدم ولا غبار في الصحراء .

– انتقلوا جميعا إلي « قباب » الحق في تلك اللحظة ، فتري إلي أية روضة ذهبت تلك الجماعة ؟

٢٢٩٥– وأخذت الحيرة بتلابيبي وأنا « أتساءل » : كيف أخفي الحق هذه الجماعة عن أعيننا ؟

– هكذا اختفوا عن ناظريه ، وكأنهم أسماك غاصت في جدول .

– وبقي سنوات في حسرة عليهم ، وذرف الدموع أعمارا شوقا إليهم .

– وأنت لا زلت تقول : كيف يذكر رجل الحق – عند النظر – البشر وهو مع الله تعالي ؟

– إن الحمار يرقد هنا يا فلان (١) ، إنك رأيتهم بشرا ولم ترهم أرواحا .

٢٣٠٠– ومن هنا فقد فسد الأمر أيها الرجل الساذج ، ذلك أنك كالعوام رأيتهم بشرا .

– كما رأيت أيضا أن إبليس اللعين ، قال : أنا من نار وآدم من طين .

– فاغمض عينيك الإبليسية لحظة واحدة ، فحتام تنظر إلي الصورة حتام حتام ؟ !

– ويا دقوقي ، بعينيك اللتين تشبهان جدولا « من الدمع » هيا لا تقطع الأمل وابحث عنهم .

– هيا ، وابحث فإن ركن الدولة في البحث ، وكل انبساط في القلب من القبض .

٢٣٠٥– لقد تجاوزت كل أمور الدنيا ، فداوم علي قولك « أين ؟ ، أين ؟ » مثل الفاختة .

– وانظر إلي هذا جيدا أيها المحتجب ، فقد ربط الله تعالي الدعاء بـ « استجب » !

– وكل من صار له قلب طاهر من الاعتلال ، يمضي دعاؤه حتي ذي الجلال .

---

(١) أي أن الجاهل يقنع بهذا التفسير هنا .

عودة إلى شرح حكاية ذلك الذى كان طالبا للرزق الحلال بلا كسب وتعب فى عهد داود عليه السلام والاستجابة إلى دعائه

– يذكرني ذلك بتلك الحكاية ؛ أن هذا الفقير كان يجأر بالصياح والضراعة ليل نهار.

– وكان يطلب من الله الرزق الحلال ، بلا صيد أو تعب أو كسب وانتقال .

٢٣١٠– لقد ذكرنا من قبل بعض أحواله ، لكن حدث بعض التأخير وتضاعف وامتد (١) .

– ونحن نقول له : إلي أين كان سيمضي ؟ عندما انصبت الحكمة عن سحاب فضل الحق ؟

– لقد رآه صاحب الثور وقال له : توقف ، يا من صار ثوري بظلمك رهينا لديه .

– وانتبه وقل لي لماذا ذبحت ثوري ، أيها الأبله السارق ؟ أنصف وأصدق في الجواب .

– فأجاب: كنت كل يوم أطلب الرزق من الله ، وكنت أزين القبلة بضراعتي (٢) .

٢٣١٥– فاستجيب لي دعائي القديم ، كان رزقا لي ، وذبحته ، هذا هو الجواب .

– فاتجه إليه غاضبا وأخذ بخناقه ، ولطمه عدة لطمات شديدة علي وجهه بلا توقف أو إمهال .

---

(١) حرفيا : صارت خمسة مضاعفة .

(٢) ج/ ٨ – ٤٦ : (محمد تقي جعفري تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد بلخي – قسمت سوم ازدفتر سوم – ط ١١ تهران ١٣٦٦ . فيما بعد ج/ ٨) :– لقد بعد كان عملي لسنوات هو الدعاء ، حتي أرسل لي الله تعالي النور وعندما رأيت الثور نهضت ، كان رزقي وأردت ذبحه .

ذهاب الخصمين إلى داود عليه السلام

– وأخذ يجره إلي داود النبي ، قائلا له : هيا أيها الظالم الأبله الغبي !!

– واترك هـــذه الحجة السخيفة أيها المحتال ، وأعد عقلك إلي جسدك وعد إلي وعيك .

– مـا هـــذا الذي تقول ؟ أي دعاء يكون ؟ لا تسـخـر من رأسي ولحيتي ومن نفسك أيها الفاسد .

٢٣٢٠ – فقال: لقد توجهت إلي الله بدعاء عريض، وكدحت كثيرا في هذا الدعاء .

– وأنا موقن بأن الله استجاب لدعائي ، فاضرب رأسك بعرض الحائط يافاحش القول .

– فـقـــال : تجـمـعـوا هنـا يامسلمـين ، وانـظروا إلي هــزل هـــذا الحـقـير وهذيانه (١)

– و « خبروني » أيها المسلمون كيف يجعل الدعاء ما لي له بحق الله !!

– ولو كان الأمر هكذا لكان كل الناس بهذا قد اغتصبوا حقدا أملاك الآخرين بدعاء واحد !!

٢٣٢٥ – ولو كان الأمر هكذا لصار الشحاذون والعميان من الأغنياء والأمراء .

– فهم ليل نهار في دعاء وثناء ملحين قائلين : أرزقنا وأعطنا يا الله .

– فما دمت لا تعطي فلا أحد يعطي يقينا ، افتح علينا يا فتاح مشكل هذا الأمر .

– وتجارة العميان هي الضراعة والدعاء ، فلا يجدون من العطاء إلا لقمة تملأ الفم .

– وقال الناس : لقد صدق هذا المسلم ، أما هذا المتاجر بالدعاء فهو ظالم .

---

(١) ج/٨–٤٩ : أيها المحتال ، إلام هذا الهذيان ؟ ، قل حجة قاطعة .. فماذا يكون الدعاء ؟!

٢٣٣٠ - فمتي يكون الدعاء من أسباب الملك ، ومتي سلكت الشريعة هذا القول في مسلكها ؟

- فالبيع أو الهبة أو الوصية أو العطاء ، أو ما هو من جنس ذلك يجعل الشيء لك .

- ففي أي دفتر هذه الشريعة الجديدة ، رد الثور إلي صاحبه أو فامض إلي السجن .

- فكان يوجه وجهه نحو السماء ، قائلا : لا يعرف مابيننا سواك .

- لقد ألقيت أنت هذا الدعاء في قلبي ، وأشعلت كثيرا من الآمال بين جوانحي .

٢٣٣٥ - ولم أكن أنا أوجه هذا الدعاء جزافا ، إنني مثل يوسف كنت قد رأيت الأحلام .

- لقد رأي يوسف الشمس والكواكب ساجدة أمامه كأنها الأتباع .

- كان اعتماده علي الرؤيا الصادقة ، ولم يكن في الجب والسجن يبحث إلا عنها .

- ومن ثقته في هذا الأمر لم يطرأ عليه أي حزن أو اهتمام من العبودية أو من العطاء والمنع والملام .

- كان واثقا في رؤياه التي كانت تضيء له الطريق كأنها شمعة أمامه .

٢٣٤٠ - وعندما ألقوا بيوسف في البئر ، هتف به هاتف من الإله .

- قائلا : إنك في يوم من الأيام سوف تصير ملكا أيها البطل . حتي تنتقم منهم لهذه القسوة التي عاملوك بها .

- والهاتف بهذا النداء لا يبدو للنظر ، لكن القلب عرف القائل من آثاره .

- ووقر في قلبه من هذا النداء ، قوة وراحة وثقة .

- فصار البئر عليه بهذا النداء الجليل ، روضة ومحفلا كما صارت النار علي الخليل .

٢٣٤٥ – وكان كل جفاء يحل به بعد ذلك ، يجذبه إليه بقوة وفرح وعلي هذا النسق .

– فإن لذة نداء « الست » في قلب كل مؤمن حتي يوم الحشر .

– وذلك حتي لا يبقي لديهم علي البلاء اعتراض ، ولايكون عندهم من أمر الحق ونهية انقباض .

– فإنه يجعل لقمة الحكم التي تصيب بالمرارة ، سائغة كمنقوع السكر بالورد .

– وعندما لا يكون عند أحد ثقة في منقوع السكر بالورد ، فإنه يقييء هذا الشراب منكرا له .

٢٣٥٠ – وكل من رأي رؤيا يوم « ألست » يصير ثملا في طريق الطاعات .

– ويتحمل كالجمل المنتشي هذا الجوال ، بلا فتور وبلا شك وبلا ملال .

– فإن زبد تصديقه حول فمه ، صار دليلا علي سكره وحرقته .

– فصار البعير من قوته كأنه الأسد الهصور ، قليل الطعام يحمل الأحمال الثقال .

– والذي من شوقه إلي الناقة يحس بشدة الفاقة ، يبدو الجبل أمامه كأنه الشعرة .

٢٣٥٥ – أما الذي لم ير هذه الرؤيا « ألست » فإنه لم يصبح في هذه الدنيا عبدا ومريدا .

– ولو أصبح ، يكون في شكه ذا مائة قلب ، يكون شكره لحظة وشكواة سنة .

– إنه يخطو خطوة إلي الأمام وخطوة إلي الخلف في طريق الدين ، مع كثير من التردد وبلا يقين .

– إنني مدين بشرح هذا أو هأنذا أقوم به ، وإن كنت في عجلة فاستمع إلي « ألم نشرح » .

– وما دام شرح هذا المعني بلا نهاية ، فسق مركب [1] القول نحو مدعي الثور .

٢٣٦٠ – قال : لقد دعاني أعمي من هذا الجرم ذلك المحتال ، لقد قاس كإبليس يا الله .

– فمتي كنت أوجه الدعاء كالعميان ، ومتي تكديت إلا من الخالق ؟

– إن الأعمي يطمع في الخلق من جهله ، وأنا أطمع فيك فكل صعب منك سهل.

– إن هذا الرجل قد اعتبرني أعمي من العميان ، إنه لم ير ضراعة روحي وإخلاصها .

– إن عماي هذا هو عمي العشق ، والحب يعمي ويصم يا حسن .

٢٣٦٥ – إنني أعمي عمن هو غير الله مبصر به ، وهذا هو ما يقتضيه العشق .

– وأنت أيها البصير لا تعتبرني من العميان إنني دائر حول لطفك أيها المدار .

– وكما أبديت الرؤيا ليوسف الصديق وجعلتها له سندا .

– فإن لطفك أيضا قد أبدي لي رؤيا، ودعائي الذي حد له هذا لم يكن لهوا

– والخلق جميعا لا يعرفون أسراري . ومن ثم يعتبرون أقوالي من قبيل الهذيان ٠

٢٣٧٠ – والحق معهم فمن الذي يعلم سر الغيب إلا علام السر وستار العيب ٠

– فقال له الخصم : « التفت إلي وقل الصدق ، فأي اتجاه لك نحو السماء ياعماه ؟ »

– إنك تقوم بالألاعيب وتغالط ، وتتشدق بحديث العشق وكلمات القرب.

– فبأي وجه ما دمت ميت القلب قد اتجهت إلي السماء ؟

– فوقعت ضجة في المدينة من هذا الأمر وذلك المسلم يطأطئ بوجهه إلي الأرض ٠

٢٣٧٥ – قائلا : يا الله لاتفضح عبدك هذا ، وإذا كنت شريرا لاتكشف سري .

---

(١) حرفيا سق الحمار .

- إنك تعلم ،والليالي الطويلة التي كنت أتجه فيها إليك بالدعاء شديد التضرع .

- وإذا لم يكن لهذا قيمة عند الخلق ، فهو عندك كأنه المصباح المنير (١) .

استماع داود عليه السلام كلام كل من الخصمين وسؤاله المدعى عليه

- وعندما خرج إليهم النبي داود قال : هيه :.. ما هذه الأحوال ، وماذا يجري ؟

- فقال المدعي : الغياث يا نبي الله ، لقد وقع ثوري علي منزله فقتله ·

٢٣٨٠ - فسله : لماذا ؟ لماذا ذبح ثوري ؟ ولْيفسرٌ ما حدث ·

- فقال له داود : قل يا أبا الكرم : كيف أتلفت أملاك هذا المحترم ؟

- هيا ولا تتحدث كحاطب ليل وبين حجتك ، حتي يفصل في هذه الدعوي وينتهي الأمر ·

- قال : يا داود لي سبع سنوات وأنا مشغول بالدعاء والسؤال ليل نهار ·

- وهكذا كنت أطلب من الله داعيا : يا الله أريد رزقا حلالا بلا كسب · ·

٢٣٨٥ - والرجال والنساء يعرفون تضرعي ، حتي الأطفال يمكنهم أن يصفوه لك ·

- فسل أي إنسان تريد عن هذا الخبر ، ينبئك به بلا قسر ولاضرر ·

- اسأل الخلق في السر واسألهم في العلن ، عما كان يقوله هذا الفقير المهلهل الثياب.

- وبعد كل هذا الدعاء وكل هذه الضراعة ، رأيت ثورا في منزلى فجأة .

- وغشي بصري ، ليس من أجل قطع اللحم ، كان فرحى لأن الله استجاب لقنوتي ·

٢٣٩٠ - فذبحته من فوري وتصدقت بلحمه شكرا علي أن عالم الغيب قد استمع لدعائي ·

---

(١) ج / ٨ - ٥١ : إنهم يريدون الثور مني يا الله ، وأنت الذي أرسلته وأنا لم أخطيء

حكم داود على قاتل الثور

– قال داود : دعك من هذا الكلام ، وقدم لنا حجة شرعية في هذه الدعوي ٠

– فهل تجيز أنت أن أسن سنة باطلة في المدينة دون حجة ؟

– هل وهبك إياه ؟ هل اشتريته ؟ هل ورثته ؟ كيف تأخذ الريع ؟ هل أنت شريكه في حرثه ؟

– فاعلم أن الكسب كالزراعة يا عماه ، ما لم تزرع لا تحصد ٠

٢٣٩٥ – وما تزرعه تحصده ويكون لك ، وإلا فقد ثبت عليك هذا الظلم ٠

– فامض وأد إلي المسلم ماله ولا تتشدق بالكلام وامض واقترض وأد ماله عليك ، ولاتطلب الباطل ٠

– قال أيها الملك إن ما تقوله لي ، هو نفس ما يقوله الظلمة !!

تضرع ذلك الشخص في حكم داود عليه السلام

– وسجد وقال : يا عالما بالحرقة ، ألق في قلب داود ذلك النور !!

– ضع في قلبه ما قد ألقيت في قلبي سرا يا متفضلا علي ٠

٢٤٠٠ – قال هذا وانفجر في بكاء مرير ، حتي انخلع قلب داود من موضعه ٠

– وقال : انصرف اليوم يا طالب الثور ، أمهلني ولاتثر هذه الدعوي ٠

– حتي أمضي نحو الخلوة وأصلي ، وأسأل عالم الأسرار عن تلك الأحوال ٠

– فإن من عادتي أن « يأتيني » هذا العطاء في الصلاة ، وهذا هو معني « قرة عيني في الصلاة » ٠

– تكون كوة روحي مفتوحة من الصفاء ، فتصل الرسائل من الله تعالي بلا واسطة ٠

٢٤٠٥ – تنزل الرسالة والمطر والنور من كوتي إلي منزلي من لدن أصلي ومعدني ٠

– إن تلك الدار التي تفتقر إلي كوة تكون جحيما ، وأصل الدين أيها العبد هو فتح هذه الكوة ·

– فقلل الدق ببلطتك فوق كل أجمة ، ودق ببلطتك في فتح هذه الكوة ، هيا ·

– أو أنك لاتدري أن ضوء الشمس هو انعكاس الشمس الخارجة عن الحجاب ·

– فإذا كنت تعتبر أن هذا النور هو الذى رآه الحيوان ، إذن فما قيمة « كرمنا » بالنسبة لآدم ؟

٢٤١٠ – وأنا كالشمس غارق في أعماق النور ، ولا أستطيع أن أفصل ما بين نفسي وبين النور .

– لكن ذهابي إلي الصلاة وتلك الخلوة، ليس إلا من أجل تعليم الخلق الطريق·

– إنني أمضي في طريق متعرج لكي تستوي هذه الدنيا، وهذا هو معني « الحرب خدعة » أيها البطل ·

– وليس هناك إذن إلا لكان الغبار قد ارتفع من بحر السر ·

– وهكذا ظل داود يتحدث علي هذا النسق ، حتي أوشكت عقول الخلق علي الاحتراق

٢٤١٥ – فأخذ أحدهم بخناقة من خلفه ، قائلا له : اصمت لا شك عندنا في وحدانيته ·

– فعاد إلي وعيه وكف عن الحديث ، وزم شفتيه وعزم علي الخلوة ·

ذهاب داود إلى الخلوة حتى يظهر الحق

– أغلق بابه ، وانصرف حينذاك سريعا ، نحو المحراب والدعاء المستجاب ·

– فأبدي له الحق ما أبداه له علي وجه التمام ، وصار واقفا علي جزاء الانتقام · (١)

(١) ج / ٨ – ٦٦ : رأي أحوالا لم يقف أحد عليها ، وسرا خفيا يزيد الحيرة ·

– وفي اليوم التالي أتي المتخاصمان ، ووقفا علي السوية أمام داود النبي .

٢٤٢٠ – ثم جري ما جري علي النحو السابق ، وأخذ ذلك المدعي يلقى بالتشنيع القبيح . (١)

حكم داود على صاحب الثور قائلا له : اترك حقك فى هذا الثور ، وتشنيع صاحب الثور على داود عليه السلام

– قال له داود : اصمت ودعك من هذا ، واجعل هذا المسلم في حل من ثورك .

– ومادام الله قد ستر عليك أيها الشاب ، فاذهب واصمت وأد لهذا الستر حقه !!

– فقال : واويلاه !! أي حكم هذا وأي عدل !! هل ستضع من أجلي شريعة جديدة ؟

– لقد ذاعت شهرة عدلك بحيث عطرت منه السماء والأرض .

٢٤٢٥ – لكن هذا الظلم لم يجر حتي علي الكلاب العمياء ، لقد انشق الحجر والجبل من هذا التعدي وتمزقا إربا .

– وهكذا أخذ يشنع علي الملأ صائحا : اجتمعوا !! اجتمعوا !! هذا أوان الظلم . (٢)

حكم داود على صاحب الثور أن : أعطه كل مالك

– ثم قال له داود : أيها العنود ، هبه كل مالك سريعا .

– وإلا شق عليك الأمر قلت لك ، وحتي لايفتضح من جراء هذا ظلمك .

---

(١) ج / ٨ – ٩٦ :أعطني ثوري سريعا أيها المحتال ، واخجل من إلهك ومثل هذا الظلم الواضح الذي لا يليق ، يحري في عهد النبي .. هيا ، لقد أكلت الثور المذبوح بلا خوف ولا وجل وتزيد في الجواب أيها اللئيم ، قائلا لقد دعوت لسنوات – وطلبت من الحق فأعطاني إياه – فهل يجوز هذا يا رسول الحق – أن يكون الثور ثوري و يعطيه له الله ؟ !

(٢) ج / ٨ – ٦٨ : فلا توجه إلي هذا الظلم والخطأ ، لا تتحدث يا نبي الله عن هذا الفسق .

– فحثا التراب علي رأسه ومزق ثوبه قائلا : إنك لتزيدن في الظلم كل لحظة ؟

٢٤٣٠ – ثم انطلق مرة أخري في هذا التشنيع ، فاستدعاه دواد إليه .

– وقال : لما لم يكن لك حظ أيها التعس ، فإن ظلمك قد افتضح قليلا قليلا .

– لقد نجست « بالظلم » وآنذاك تطلب الصدر والحضرة ، وأسفاه عليك من حمار « تأكل » التبن والقش .

– اذهب فإن أبناءك وزوجتك ، قد صاروا عبيدا له فلا تزد في القول !!

– فأخذ يدق صدره بحجر بكلتا يده ، وأخذ يقفز من جهله وغضبه إلي أعلي ثم ينزل .

٢٤٣٥ – وبدأ الخلق أيضا في اللوم ، إذ كانوا غافلين عن فعله .

– فمتي يعرف الظالم من المظلوم ذلك الذي يكون في مهب هواه ، كأنه القذي ؟

– إن من يعرف الظالم من المظلوم هو ذلك الشخص الذي يقطع رأس « نفسه » الظلوم .

– وإلا فإن ذلك الظلوم الذي هو النفس تكون من باطنها خصما للمظلومين ، وهذا من جنونها .

– والكلب العقور هو الذى يحمل علي المسكين ، وبقدر ما يستطيع يعقر ذلك المسكين .

٢٤٤٠ – فاعلم أن الحياء من « صفات » الأسود لا الكلاب ، فهي لاتسلب الصيد من جيرانها .

– والعوام قتلة للمظلوم عبدة للظلمة ، خرجت « كلاب » غضبهم من مكامنها قافزة علي داود .

– فاتجهوا إلي داود قائلين : أيها النبي المجتبي الشفيق بنا .

– إن هذا لا يليق منك فهو ظلم بين ، ولقد قهرت بريئا بلا داع ·

عزم داود عليه السلام على دعوة الخلق إلى الخلاء حيث يفشى السر ويقطع كل الحجج

– قال : أيها الرفاق ، لقد حان الوقت الذي ينكشف فيه سره الخفي ·

٢٤٤٥ – فهيا جميعا حتي نمضي خارجا ، وحتي نعلم هذا السر الخفي .

– ففي صحراء كذا شجرة ضخمة ، فروعها كثيفة وممتدة ومتشابكة ،

– وجذعها راسخ وجذورها ممتدة ، لكن رائحة الدم تهب علي أنفي من جذورها .

– لقد سفك دم تحت هذه الشجرة الطيبة ، إذ إن هذا المشئوم قتل سيده[١] .

– وحتي الآن ستر حلم الله هذا الأمر ، وفي النهاية من جحود هذا الديوث ،

٢٤٥٠ – الذي لم يقم مرة واحدة بزيارة أهل سيده ، لا في عيد النوروز ولا في أيام الأعياد ·

– ولم يقدم لأولئك المساكين لقمة واحدة ، ولم يذكر الحقوق الأولي ·

– بل وحتي الآن من أجل ثور ، يقوم ذلك اللعين بإهانة ابن سيده !

– فهو إذن نفسه الذي رفع الحجاب عن ذنبه ، وإلا فإن الله كان يستر علي جرمه .

– إن الكافر والفاسق في هذا الزمان اللعين ، هما اللذان يمزقان ستريهما بأيديهما !!

---

(١) ج / ٨ – ٧٥ : وسلب ماله هذا الديوث ، وهو غلامه ، أيها الأحرار وهذا الشاب هو إبن هذا السيد ، كان طفلا ، لاخبر له عن الأمر .

٢٤٥٥ – والظلم مستور في غياهب أسرار الروح ، لكن الظالم هو الذي يعلنه علي الملأ .

– قائلا : انظروا ثور الجحيم علي الملأ ، انظروا إليّ ، فأنا ذو قرون .

شهادة اليد والقدم واللسان على سر الظالم وهو لازال فى الدنيا

– ومن ثم : فيدك وقدمك بارتكاب الأذي ، تشهدان علي ضميرك « المستتر في باطنك » .

– وعندما يصبح الضمير موكلا بك ، فإنه لا يزال يقول لك : أعلن اعتقادك علي الملأ ، لا تخفه .

– « وهذا يحدث » خاصة عند الغضب والجدال ، فإن سرك يظهر برمته وتفصيلاته .

٢٤٦٠ – وعندما يسيطر عليك الظلم والجفاء ، فإنه يقول : أظهريني أيتها اليد ، أعلنيني أيتها القدم .

– وعندما يأخذ الضمير بالزمام « ويسيطر عليك ما في باطنك » ، خاصة عند الانفعال والغضب والانتقام .

– فإنه يوكلك أنت نفسك ، وذلك حتي تنشر لواء السر علي الملأ .

– وهو « سبحانه وتعالي » يستطيع أن يخلق موكلين آخرين يوم الحشر من أجل النشر .

– فيا من أبديت كل قواك [١] في الظلم والحقد ، إن جوهرك واضح ولا حاجة بك إلي إعلانه .

٢٤٦٥ – وليست هناك حاجة بك إلي شهرة في الأذي ، إنهم واقفون علي ضميرك الناري .

---

(١) حرفيا : عشرة أيدي .

- إن نفسك تطلق كل لحظة مئات من الشرر ، قائلة : انظروا إليَّ فأنا من أصحاب النار .

- إنني جزء من النار وأمضي إلي الكل الخاص بي ، وأنا لست بالنور حتي أمضي صوب الحضرة .

- مثلما قام هذا الظالم الجحود بارتكاب عدد من الأخطاء من أجل ثور .

- فأخذ الآخر منه مائة ثور ومائة جمل ، وهذه هي النفس أيها الأب فاهجرها .

٢٤٧٠ - وأيضا فإنه لم يقم يوما واحدا بالتضرع إلي الله ، ولم تصدر منه « يارب » مرة واحدة بألم .

- ولم يقل : يا الله اجعل خصمي قانعا ، ولو كنت ألحقت به الخسارة فعوضه عنها ربحا » .

- وإذا كنت قد أخطأت فالدية علي العاقلة ، وأنت « عاقلة » روحي منذ يوم « الست » !!

- وإنها « أي النفس » لا تعطي حجرا عوضا عن در ، وهذا هو إنصافها يا حر الروح !!

خروج الناس صوب تلك الشجرة

٢٤٧٥ - وعنما خرجوا نحو تلك الشجرة، قال « داود » قيدوا يديه بإحكام خلف ظهره

- حتي أكشف عن ذنبه وجرمه ، وحتي أنشر لواء العدل علي الملأ .

- وقال له : أيها الكلب ، لقد قتلت جد هذا الرجل ، وكنت غلاما له وبهذا القتل صرت سيدا .

- لقد قتلت سيدك وسلبت ماله ، وها هو ذا الله قد كشف حاله .

- وكانت زوجتك جارية عنده ، وقد اشتركت معك في عقوق هذا السيد .

- فكل ما ولدته من ذكر وأنثي ، يكون كله ملكا لوريثه .

– وأنت غلام فكل عملك وكسبك ملك له ، لقد طلبت حكم الشرع ، هاكه وامض فهذا خير لك .

– لقد قتلت سيدك ظلما وصبرا ، وفي نفس هذا المكان كان السيد يصرخ : واغوثاه .

– ودفنت السكين تحت التراب مسرعا ، من ذلك الخاطر المفزع الذي خطر لك .

– ولا يزال السكين مع رأسه الآن تحت الأرض ، وهكذا فاحفروا هذه الأرض ثانية .

– واسم هذا الكلب مكتوب علي السكين ، وهو الذي مكر بسيده وارتكب هذا الجرم .

– وهكذا فعلوا ، وعندما حفروا وجدوا تلك السكين والرأس تحت الأرض .

– وقامت ضجة بين الخلق أنذاك، وشق كل منهم زناره عن وسطه « داخلا في الدين ».

– ثم قال : تعال أيها المتظلم وخذ بحقك منه ، لقد افتضح أمره .

أمر داود عليه السلام بالقصاص من القاتل بعد إلزامه الحجة

– أمر « داود » بالقصاص منه بنفس سلاحه ، فمتي يخلصه مكره من علم الحق ؟

– فهو وإن كان يستر كثيرا ويتغاضي ، إلا أنه يفضح عندما يزيد « المجرم » في إجرامه عن الحد .

– والدم لا ينام ، بل يسقط في كل قلب الميل نحو البحث والتقصي عن كشف المشكل .

– وباقتضاء حكم رب الدين ، يخرج السر ،بين هذا وذاك ،

- « إذ يتساءل الناس » : ماذا جري لفلان ؟ وكيف حاله ؟ وكيف هو ؟ وهذا كما ينبثق النبات من الرياض .
- وغليان الدم هو هذه التساؤلات ، وقلق القلوب والبحث عما جري .
- وعندما انكشف سر عمله ، شاعت معجزة داود وتضاعفت .

٢٤٩٥ - فأتي الناس جميعا مكشوفي الرءوس ، وأخذوا يسجدون علي الأرض قائلين :
- إننا كنا عميانا في الأصل ، مع ما رأيناه منك من مئات المعجزات .
- لقد تحدث الحجر معك وهذا أمر شهير ، قائلا لك : خذني من أجل غزو طالوت .
- ثم أتيت ومعك أحجار ثلاثة ومقلاع ، ففرقت جمع مئات الآلاف من الرجال .
- تفتت حجارتك الثلاثة إلي مئات الالاف من الحجارة ، جندل كل حجر منها أحد الخصوم .

٢٥٠٠ - وصار الحديد في يدك كالشمع ، عندما صار أمر صناعتك للدروع معلوما .
- والجبال أوبت معك وصارت شكورة « لله » ، وهي تقرأ معك عندما تقرأ الزبور ! .
- ولقد فتحت مئات الآلاف من أعين القلوب من أنفاسك ، وصارت مستعدة لتلقي الغيث .
- وما هو أقوي من هذا كله لأنه دائم ، هو هبة الحياة التي تظل قائمة إلي الأبد .
- وروح كل المعجزات من هذا هي تلك المعجزة التي تهب الميت الحياة الأبدية .

٢٥٠٥ - لقد قتل ظالم واحد فانبعثت دنيا بأكملها حية . وصار كل إنسان عابدا لله من جديد .

بيان أن نفس الإنسان هى بمثابة ذلك السفاك الذى كان قد ادعى ملكيته الثور ، وإن ذابح الثور هو العقل ، وداود هوالحق والشيخ نائب الحق ، والذى بقوته وعونه يمكن قتل الظالم والغنى برزق دون كسب وحساب

– اقتل نفسك « التي بين جنبيك » وأحيي دنيا بأكملها ، لقد قتلت السيد فاجعلها أمة !!

– إن مدعي الثور هو نفسك فانتبه ، لقد جعلتك بهذا « الادعاء » سيدا وعظيما .

– وذابح الثور هو عقلك فامض ، ولا تكن منكرا لقاتل ثور جسدك .

– إن العقل أسير ولا يفتأ يريد من الحق ، رزقا بلا تعب ونعمة حاضرة (١) .

٢٥١٠ – فعلام يتوقف رزقه الذي بلا تعب ؟ علي أن يقتل الثور وهو أصل الشر.

– فتقول النفس : كيف تقتل ثوري ؟ ذلك أن ثور النفس هو صورة الجسد .

– وابن السيد هو العقل بقي بلا زاد ، لأن النفس السفاكة قد قتلت السيد والمرشد .

– أتعلم إذن ما هو الرزق بلا تعب ؟ إنه قوت الأرواح وأرزاق النبي .

– لكنه متوقف علي ذبح الثور ، فاعلم أن الكنز في « إهاب » الثور أيها الطلعة المدقق .

٢٥١٥ – إنني ليلة الأمس قد أكلت شيئا ما ، وإلا لأعطيتك في يدك زمام الفهم تماما .

---

(١) حرفيا : علي الطبق .

– « ليلة الأمس أكلت شيئا » إن هذا مجرد ذريعة وأسطورة ، لأن كل ما يأتي إنما يأتي من منزل السر .

– فلأي شيء تعلقنا بالأسباب وتركيز أبصارنا عليها ، إذا كنا قد تعلمنا الغمز بالعيون من حسان العيون .

– وهناك فوق الأسباب أسباب أخري ، لاتنظر إلي الأسباب بل انظر إلي تلك الأسباب الأخري .

– لقد جاء الأنبياء لقطع الأسباب ، وطامنوا بمعجزاتهم فلك عطارد .

٢٥٢٠ – فشقوا البحر دون وسائل وأسباب ، وأنبتوا سنابل القمح دون زرع .

– وصارت الرمال دقيقا من سعيهم ، كما صار شعر الماعز حريرا ممتدا .

– والقرآن بأجمعه قطع للأسباب ، هو عز للفقير وهلاك لأبي لهب .

– وطير الأبابيل رمي بحجر أو حجرين فهزم جيش الأحباش الضخم .

– وألقي بالفيل مجندلا مليئا بالثقوب، ذلك الحجر الذي ألقي به الطائر المحلق عاليا .

٢٥٢٥ – فاضرب القتيل بذيل البقرة المذبوحة ، حتي يبعث حيا في كفنه في اللحظة نفسها .

– يقفز في مكانه وهو مقطوع الحلق ، ويطلب ثأره من قاتله .

– وهكذا من أول القرآن إلي آخره ، رفض للأسباب والعلل والسلام .

– وكشف هذا لا يكون من العقل الذي يعقد الأمور، فزاول العبودية حتي يكشف لك .

– فالمشتغل بالفلسفة أسير للمعقولات ، بينما امتطي الصفي عقل العقل .

٢٥٣٠ – إن عقل العقل هو بالنسبة لك لب وعقلك قشر ، ومعدة الحيوان غالبا ما تطلب القشر .

- وطالب اللب يمل القشور أشد الملل ، لكن اللب صار حلالا للأذكياء .
- وبينما يقدم قشر العقل مائة برهان،متي يخطو العقل الكلي خطوة واحدة دون يقين ؟
- إن العقل يسود الدفاتر كلها لكن عقل العقل ذو آفاق مليئة بالأقمار .
- فهو فارغ من السواد « الحبر » ومن البياض « الورق » ، ونور قمره بازغ من القلب والروح .

٢٥٣٥ - وإذا كانت هذه الكتب قد وجدت القدر ، فمن ليلة القدر تلك (١) التي تألقت كأنها الكوكب

- فقيمة الهميان والأكياس تكون من الذهب ، وبلا ذهب تكون الهميان والأكياس ناقصة لاقيمة لها .
- وكذلك فإن قدر الجسد يكون من الروح ، وقدر الروح من ضياء الأحبة.
- فإذا كانت الأرواح لم تحي حتي الآن بالنور الإلهي ، لما قال الله قط إن الكفار موتي .
- فهيا تحدث ، إن النفس الناطقة تشق جدولا ، يجري فيه الماء حتي بعد قرن من وفاتنا .

٢٥٤٠ - وبالرغم من أنه يوجد في كل آت بالكلم ، فإن كلام السلف يكون عونا له .

- أليست التوراة والإنجيل والزبور قد صارت شاهدا علي صدق القرآن أيها الشكور ؟
- فابحث عن رزق دون تعب وحساب ، ومن الجنة يأتيك جبريل بثمار التفاح .
- بل إن رزقا من رب الجنان ، يأتيك بلا تعب من الناطور وبلا كدح في الزراعة .

---

(١) أي عقل العقل أو العقل الكلي .

- ذلك أنه وهب في الخبز نفع الخبز ، وهو الذي يهبك هذا النفع دون واسطة من القشور .

٢٥٤٥ - إن اللذة خفية ، وصورة الخبز كغطاء المائدة ، لكن الولي ذو نصيب من الخبز دون صورته .

- فمتي تحصل علي رزق الروح بالسعي والبحث والهم ، إن هذا ليس إلا بعدك عن الشيخ الذي هو داود بالنسبة لك .

- وعندما تري النفس خطوك مع شيخ ، فإنها تصبح - وأنفها راغم - مطيعة لك .

- مثلما صار صاحب الثور مستسلما هادئا ، عندما صار عليما من أنفاس دواد .

- ويصير العقل غالبا في الصيد ، عندما يصير الشيخ معينا علي « كلب » نفسك .

٢٥٥٠ - والنفس أفعي ذات قوة شديدة واحتيال ، ووجه الشيخ بالنسبة لها كالزمرد يقتلع عينها (١) .

- فإذا أردت أن يكون صاحب الثور ضعيفا ، فسقه واخزا إياه بالسفود كالحمر نحو تلك الناحية أيها الحرون .

- وعندما يقترب من ولي الله ، يقصر لسانه الذي يبلغ طوله مائة ذراع .

- فهو ذو مائة لسان وكل لسان يتحدث مائة لغة ، ولا يوصف خبثه واحتياله .

- إن النفس فصيحة تدعي ملكية « الثور » تأتي بمئات الآلاف من الحجج وكلها غير صحيحة .

٢٥٥٥ - إنها تخدع المدينة كلها إلا الملك ، ولاتستطيع أن تقطع الطريق علي ملك الوعي .

(١) ج/ ٨-٩٦: فإذا أردت الأمن من الأفاعي ، فلا تترك طرف ثوبه لحظة واحدة ، وكن ترابا أمام الشيخ الصفي ، حتي تنبت في ترابك كيمياء التبديل .

– فالنفس تمسك بالمصحف والمسبحة في يمينها،لكنها تخفي السيف والخنجر في كمها.

– فلا تصدق مصحفها ورياءها ، ولا تجعل نفسك نجيا وقرينا لها .

– إنها تصحبك حتي الحوض بحجة الوضوء ، لكنها تلقي بك إلي قاعه .

– إن العقل « نوراني » وطالب مجد، فكيف تكون النفس « الظلمانية » غالبة عليه .

٢٥٦٠ – ذلك أنها من أهل الدار وعقلك غريب ، ويكون الكلب علي باب داره كالأسد المهيب .

– فانتظر حينئذ الأُسد إلي الآجام ، وتميل تلك الكلاب العمياء إلي ذلك المكان .

– إن عموم أهل المدينة لايعلمون مكر النفس وللجسد ، ويعلمون أنها لا تقهر إلا بوحي من القلب .

– وكل ما يكون من جنسها يكون محبا لها رفيقا بها ، فمن يصلح لها إلا داود الذي هو شيخ لك .

– إنما بُدِّل ولم يبق من جنس الجسد، كل من وضعه الله في مقام القلب.

٢٥٦٥ – إن الخلق جميعا من أنصار العلة في بواطنهم ، ويقينا أن نصير العلة يكون مريضا .

– وكل خسيس يدعي الداوودية ، ويستمسك به كل من هو بلا تمييز .

– إن ذلك الطائر الأبله يسمع من الصياد صفير الطير فيمضي نحوه .

– ولايعرف ذلك الغوي النقل من النقد « الحاضر » ، فاهرب منه حتي وإن كان مشتغلا بالمعاني .

– فإن الناجي والأسير سيان عنده ، وهو في شك وإن كان يدعي اليقين .

٢٥٧٠ – والمرء وإن كان ذكيا علي الإطلاق ، هو غبي إن لم يكن لديه تمييز .

– فاهرب منه كما يهرب الغزال من الأسد ، ولاتسرع نحوه أيها العالم الشجاع

هروب عيسى عليه السلام من الحمقى نحو جبل

– كان عيسي بن مريم يهرب متجها إلي جبل ، وكأن أسدا كان يهم بسفك دمه .

– فأخذ أحدهم يعدو خلفه صائحا : خيرا؟ ليس وراءك أحد ، فلماذا تهرب كالطير ؟

– لكنه أخذ يعدو بسرعة ، حتي إنه لم يكن قادرا علي رد الجواب من شدة سرعته .

٢٥٧٥ – فأسرع ذلك الرجل منزلا أو منزلين خلف عيسي ، ثم نادي عيسي جادا في النداء .

– قائلا : قف برهة من الزمن ، فإني من هربك في مشكلة .

– من أي شيء تهرب نحو تلك الناحية أيها الكريم ، فلا أسد في أثرك ولا خصم ، ولا خوف لديك أو هلع ؟

– قال : إنني هارب من الأحمق فامض ، إنني أنجى نفسي منه فلا تعطلنى .

– قال : ألست أنت المسيح آخر الأمر ، الذي يبرىء الأعمى والأصم ؟

٢٥٨٠ – قال : بلي قال : ألست أنت ذلك الملك الذي أصبح موضع طلسم الغيب ؟

– وعندما تقرأ هذا الطلسم علي ميت ، يقفز كأسد وجد صيدا ؟

– قال بلي ، أنا هو. قال : ألست أنت الذي تجعل من الطين طيرا يا جميل الوجه (١) ؟

– قال : بلي . قال : إذن أيها الروح الطاهرة ، إن كل ما تريده تفعله فمم تخاف ؟

– مع مثل هذا البرهان الذي لك في الدنيا ، وليس لأحد غيرك في عباد الله ؟

---

(١) ج / ٨ – ١٥١ : تنفخ فيه فترتد فيه الروح سريعا ، ويطير لتوه في الهواء .

٢٥٨٥ - قال عيسي : بذات الله الطاهرة ، مبدع الجسد خالق الروح ·

- وحرمة ذاته وصفاته الطاهرة ، التي تجعل من الفلك عاشقا ممزق الجيب ·

- إن ذلك الطلسم والاسم الأعظم الذي قرأته أنا علي الأصم والأعمي فشفيا ·

- وقرأته علي الجبل والحجر فانشق ، ومزق خرقته من علي جسده حتي سرته ·

- وقرأته علي جثة الميت فبعث حيا ، وعلي اللاشيء فصار شيئا ·

٢٥٩٠ - قرأته علي قلب الأحمق مئات المرات ، لكن الله لم يمن عليه بالشفاء ·

- صار حجرا أصم لم يرجع عن طبعه ، صار رملا لم ينبت فيه أي نبات.

- قال الرجل : وما الحكمة في أن اسم الله أجدي في مواضع عديدة ولم يجد في هذا الموضع ؟

- إنه داء مثل أي داء فلماذا عالج بقية الداءات ولم يجد فيه ؟

- قال عيسي : إن داء الحمق غضب من الله ، أما داء العمي فليس مرضا إنه ابتلاء ·

٢٥٩٥ - ومرض الابتلاء يثير الشفقة ، لكن الحمق داء يسبب الجراح ·

- وذلك الذي ختم بميسم الحمق ، لايمكن أن تجد له حيلة ·

- فاهرب من الحمقي كما هرب عيسي ، فما أكثر الدماء التي أسالتها صحبة الحمقي(١) ·

- فكما يسرق الهواء الماء قليلا قليلا ، يسرق الأحمق الدين منكم ·

- إنه يسلبك حماسك ويهبك الفتور ، إنه مثل ذلك الذي يضع تحت مقعده حجرا ·

---

(١) ج / ٨ - ١٥٢ : وإن مرض الحمقي ليصب الجراح علي أم الرأس ، ولا رحمة علي توسل ذلك الأحمق بالحيلة .

٢٦٠٠ – لم يكن هروب عيسي خوفا ، فقد كان آمنا ، كان هروبه من أجل التعليم .

– فإذا ملأ الزمهرير الآفاق ، أي حزن عند تلك الشمس ذات الإشراق ؟

قصة أهل سبأ وحمقهم وعدم تأثير نصيحة الانبياء فى الحمقى

– يحضرني في هذا المقام قصة سبأ و إذ صارت رياح الصبا عندهم وباء من أنفاسهم الحمقاء .

– كانت سبأ هذه مدينة كبيرة جدا، استمع إلي حكايتها كحكاية من حكايات الأطفال .

– إن الأطفال يقصون الحكايات ، وتحتوي حكاياتهم علي كثير من الأمثال والعظات .

٢٦٠٥ – إنهم يتحدثون بكثير من الهزل في حكاياتهم ، فداوم علي البحث عن الكنوز في الخرابات .

– كانت هناك مدينة كبيرة جدا وضخمة ، لكن حجمها لم يكن يزيد عن حجم الفنجان .

– كانت ضخمة جدا واسعة مترامية الأطراف ، واسعة شديدة الازدحام بحجم بصلة .

– اجتمع فيها سكان عشرة مدن ، لكن مجموعهم كان ثلاثة أشخاص من الأنجاس .

– كان سكانها خلقا بلا عد أو حصر ، لكنهم في مجموعهم ثلاثة من السذج آكلي ما يجدونه .

٢٦١٠ – إن الروح التي لم تسع في سبيل الأحبة ، إن كانت في الآلاف فإنهم لا يبلغون « قيمة » نصف شخص .

– كان أولهم حاد النظر جدا لكنه أعمي البصر ، أعمي عن مثل سليمان لكنه أبصر رجل النملة .

– وكان ثانيهم حاد السمع لكنه أصم ، كان كنزا ليس فيه مثقال حبة شعير من ذهب .

– وكان ثالثهم عاريا تماما كأنه الجيفة ، لكن أطراف ثوبه كانت شديدة الطول .

– قال الأعمي : هذا جيش يتقدم ، إنني أري أي قوم هم ، وأري كم عددهم

٢٦١٥ – قال الأصم : إنني أسمع أصواتهم ، وماذا يقولون في العلن والسر .

– فقال العاري : أخشي ما أخشاه أن يسلبوني قدرا من ذيل ثوبي .

– قال الأعمي : لقد اقتربوا الآن ، انهضوا فلنهرب قبل أن يعملوا فينا الطعن والأسر .

– وقال الأصم : أجل ، فإن ضجيجهم يقترب أكثر ، هيا يارفاق .

– فقال العاري : واحسرتاه علي ثوبي ، سوف يسلبونه طمعا، إنني لا أحس بالأمان !!

٢٦٢٠ – فتركوا المدينة وخرجوا منها ، وفي فرارهم دخلوا إحدي القري .

– ووجدوا في تلك القرية طائرا سمينا ، ليس علي جسده ذرة واحدة من لحم أو شحم (١) .

– كان طائرا ميتا متيبسا ، ومن نقر الغربان صار عظاما مهترئة كالهشيم (٢) .

– فأكلوا منه جميعا كما يأكل الأسد من صيده ، وشبع كل منهم من أكله كالفيل .

---

(١) ج / ٨ – ١٥٦ : رآه الأعمي ، وسمع الأصم تغريده ، واخذه العاري في حجره .

(٢) ج / ٨ – ١٥٦ : فطلبوا قدرا ووجدوه ، لا غطاء له ولا قاع وأسرعوا . فوضعوه علي النار أولئك الثلاثة ، ذلك الطائر السمين كثير الدسم . وأنضجوه فوق النار كثيرا حتي نضجت عظامه ولاخبر عن اللحم .

– أكلوا منه ثلاثتهم فازدادوا سمنة ، صار الثلاثة من الفيلة الضخمة الفخمة .

٢٦٢٥ – وأصبح كل واحد من هؤلاء الفتيان الثلاثة من سمنته بحيث لاتتسع له الدنيا من ضخامته .

– وبرغم هذه الضخامة وتضخم الأعضاء ، خرجوا من شق باب ومضوا إلي حال سبيلهم .

– إن طريق الموت بالنسبة للخلق طريق خفي ، ولايبدو للنظر ذلك الطريق الذي لامكان له .

– والقوافل الآن تقتفي آثار بعضها البعض ، من فرجة الباب هذه المختفية

– وإذا بحثت عن الباب فلن تجد هذا الشق ، إنه شديد الاختفاء وإن كان يتم عن طريقه كثير من حفلات الزفاف .

تفسير ذلك الأعمى حاد النظر ، وذلك الأصم حاد السمع ، وذلك العارى سابغ الثوب

٢٦٣٠ – إن الأصم هو الأمل الذي سمع بموتنا ، ولم يسمع بموت نفسه ولم ير نقل ذاته .

– والأعمي هو الحَرِصُ الذي يري عيوب الخلق بأجمعها ، ويتحدث عنها مفصلا إياها .

– ولا تري ذرة واحدة من عيوبه عينه العمياء ، بالرغم من أنه باحث عن العيوب .

– والعاري الذي يخشي من سرقة ثوبه . فتري متي يمزق الناس ثوب رجل عار ؟

– إنه رجل الدنيا مفلس وخائف ، ولا يملك شيئا قط ، ومع ذلك فهو خائف من اللصوص .

٢٦٣٥ – لقد جاء عاريا ويمضي عاريا ، لكنه من خوف أن يسرق يدمي كبده .

– وفي وقت موته عندما يتقدم جنازته النواح والعويل ، تضحك روحه سخرية من ذلك الخوف الذي كان يعانيه .

– ويعلم الغني في تلك اللحظة أنه لا ذهب لديه ، كما يعلم الذكي أنه كان خاليا من الفضل .

– ويكون الأمر كما يمتليء حجر طفل بقطع الفخار ، فيرتعد خوفا عليه كما يكون رب المال .

– فيبكي إن أخذت منه قطعة من الفخار ، ويضحك إن رددتها إليه .

٢٦٤٠ – ولما لم يكن عند الطفل دثار من العلم ، فلا اعتبار هناك لبكائه أو ضحكه .

– وعندما يري الغني العارية ملكا ، فإنه يربت « بلطف » علي ذلك المال المملوك بالباطل .

– ويعتبر أن لديه أموالا ، ويخشي من أن يخطف اللص « الجوال » .

– وعندما يفزعه من نومه هذا عارك لأذنيه ، يسخر كثيرا من خوفه .

– وشبيه بهذا الخوف الشديد الموجود عند هؤلاء العلماء يملكون علوم هذه الدنيا والعقل الجدير بها .

٢٦٤٥ – وفي شأن هؤلاء العقلاء ذوي الفنون ، قال الله تعالي في القرآن أنهم لا يعلمون .

– كل واحد منهم خائف من سرقة أحد (له أو لعلمه) ويظنون لأنفسهم علما غزيرا .

– فيقول : إنهم يسرقون وقتي ، وليس له هو نفسه وقت نافع .

– ويقول : إن الخلق يشغلونني عن عملي ، وروحه غارقة في البطالة حتي الحلق .

– وهكذا العاري خائف قائلا : إنهم يجذبون طرف ثوبي ، كيف أخلص طرف الثوب من أيديهم ؟!

٢٦٥٠ – إنه يعلم مئات آلاف الفصول من العلوم ، لكنه لا يعرف روحه ذلك الظلوم .

– وهو يعلم خاصية كل جوهر ، لكنه في بيان جوهره هو كالحمار . ويقول :

– إنني أعلم ما يجوز ، وأنا أقول له : أنت نفسك لا تعلم أنك في مرتبة تقليد التصديق (١) .

– إنك تعلم أن هذا جائز وهذا غير جائز ، فانظر جيدا هل أنت جائز أم غير جائز ؟

– وإنك تعلم ما هي قيمة كل بضاعة ، لكنك لا تعرف قيمتك وهذا حمق .

٢٦٥٥ – ولقد علمت مطالع السعد النحس ، ولم تنظر هل أنت سعد أم نحس وشؤم .

– وإن روح كل العلوم هي هذي : أن تعلم من تكون يوم الدين (٢) .

– ولقد علمت أصول الدين تلك ، لكن : أنظر إلي أصلك إذا كان جيدا .

– فأصولك أفضل من « الأصولين » (٣) اللذين تعرفهما ، وأفضل أن تعرف أصولك أيها الرجل الكريم .

صفة رخاء مدينة أهل سبأ وجحودهم

– كان أصلهم سيئا أهل سبأ هؤلاء ، كانوا يفرون من أسباب اللقاء .

٢٦٦٠ – لقد وهبهم اللّه تعالي كثيرا من الضياع والبساتين والمراعي ، عن يسار ويمين لكي يتسني لهم الفراغ .

---

(١) حرفيا : لا تعلم أنك « تجوز » أو « عجوز » أي تؤمن إيمان العجائز .

(٢) ج/ ٨ – ١٦١ : وروح كل العلوم هذا في حد ذاته، أن تهبك كلها الروح الأبدية . إن الغني يعتبر العارية مـلكـا له ، ويرتعد لهذه الأموال ذلك الدني .

(٣) أصول الفقه وأصول الكلام .

– ومن كثرة تساقط الثمار من وفرتها ، كان الطريق يضيق علي عابره .

– كانت الفاكهة المتساقطة تسد الطريق ، وكان المار من كثرتها يصاب بالدهشة الشديدة .

– وكانت السلة علي الرأس في بساتينهم ، تمتليء بالثمار عن غير قصد منهم

– كانت الرياح تسقط هذه الفاكهة دون أن يسقطها أحد ، وكانت حجور كثيرة تمتليء بهذه الفاكهة .

٢٦٦٥ – وكانت العناقيد الضخمة المتدلية ، تتساقط علي وجوه المارة ورءوسهم .

– ومن كثرة الذهب ، حتي الوقاد في الحمام كان يعقد حول منطقته حزاما ذهبيا .

– كان الكلب يدوس الفطائر بقدميه ، كما كان ذئب الصحراء متخما من الزاد(١) .

– كانت المدينة آمنة والقرية آمنة من الذئب واللص ، ولم يكن الماعز يخاف من الذئب المفترس .

– ولو أنني تحدثت عن نعم القوم ، التي كانت تزداد يوما بعد يوم .

٢٦٧٠ – لصرفني ذلك عن قول ما هو أهم ، وقد أهم بلغنا الأنبياء الأمر بـ : استقم .

مجيء الأنبياء من الحق لنصح أهل سبأ

(٢) – جاء ثلاثة عشر نبيا إلي ذلك المكان وأخذوا جميعا يرشدون الضالين

---

(١) ج / ٨ – ١٦٤ : وعندما كانت ثيابهم تتسخ ، كانت النار لهم بمثابة الصابون– كانوا يلقون بالثوب في التنور ، وبعد برهة يصير نظيفا .

(٢) ج / ٨ – ١٦٦ : وعندما زاد جحودهم عن الحد ، فعلت غيرة الحق فعلها في التو واللحظة .

- قائلين : هيا فالنعمة قد زادت وأين الشكر ؟ فإذا رقدت مطية الشكر حركوها .

- إن شكر المنعم واجب بمقتضي العقل ، وإلا انفتح باب الغضب الأبدي .

- هيا ، أنظروا إلي الكرم ، فهل يمكن أن يقدمه شخص ؟ أيمكن أن يتأتي من شخص يشكر مرة واحدة علي كل هذه النعم ؟

٢٦٧٥ - إنه يهب رأسا ويريد الشكر عليها سجدة ، ويهب قدما ويريد الشكر عليها « قعدة طاعة » (١) .

- قال القوم : لقد سرق « الغول » شكرنا ، لقد صرنا ملولين من النعمة والشكر (٢) .

- لقد صرنا مترهلين من العطاء ، بحيث لم نعد نحس بلذة في طاعة أو معصية .

- نحن لا نريد النعم أو البساتين ، ولا نريد الأسباب ولا الفراغ .

- قال الأنبياء : إن في قلوبكم علة وغرضا ، وهي أفة تحول دون الاعتراف بالحق .

٢٦٨٠ - بحيث تصير نعمته سبحانه وتعالي علة للجميع، ومتي يصير الطعام قوة للمريض ؟

- لقد قدم لك العديد من النعم أيها المبصر ، فانقلبت كلها إلي نقمة وصار صافيها كدرا .

- وصرت أنت عدوا لهذه النعم ، فانقلب إلي قبيح كل ما تلمسه بكفك .

- فكل من صار صديقا لك مؤتلفا معك ، انقلب إلي ذليل وحقير أمام ناظريك .

---

(١) ج / ٨ - ١٦٦ : إن شكر النعمة يزيد في النعمة ، وتنبت في الأشواك مئات الورود .

(٢) ج / ٨ - ١٦٦ : أية نعمة ، لقد شبعت أرواحنا منها ، وأي شكر نشكره ، هيا ، أشكروا - إن هذه النعمة محنة بالنسبة لنا ، ولا يشكر أحد عليّ المحنة أيها الفتي .

– وكل من صار غريبا عنك نافرا منك ، صار في نظرك شديد العظمة والاحترام .

٢٦٨٥ – وهذا كله من تأثير المرض ، إن سمه سار في كل الأرواح .

– وينبغي أن تعالجوا هذه العلة من فوركم ، فهي التي تجعل السكر يبدو بُرازا عندكم .

– وكل خير يصيبك ينقلب إلي سوء ،ولو عثرت علي ماء الحيوان فإنه يتحول إلي نار.

– وتلك صفة كيمياء الموت والألم ، بحيث يصبح الموت هو العافية الوحيدة لك في هذه الحياة .

– وكثير من الغذاء الذي يحيا به القلب ، عندما يدخل جسدك يصير متعفنا .

٢٦٩٠ – وكثيرا ما تظفر بوصال عزيز بعد دلال ، لكنك عندما تظفر به تزهده .

– ومعرفة العقل للعقل من الصفاء ، وعندما تتم يزداد الولاء فيها كل لحظة .

– ومعرفة النفس مع كل نفس دنية ، اعلم يقينا أنها تقل وتضعف لحظة بعد لحظة .

– ذلك أن النفس تدور حول علة ، فتفسد المعرفة والصداقة منها سريعا .

– وإن لم ترد أن يتحول الحبيب إلي عدو لك في الغد ، فاعقد حبال الود مع العقل ومع العاقل .

٢٦٩٥ – ومادمت ذا علة من سموم النفس ، فكل ما تظفر به يكون سببا للمرض.

– فإذا ظفرت بجوهرة تحولت إلي حجر ، ولو ظفرت بحب القلب تحول إلي حرب .

– وإذا توصلت إلي فكرة مبتكرة ولطيفة ، تحولت عند إدراكك إياها إلي قاقدة للذوق ومستهجنة .

– فتقول : لقد سمعتها كثيرا وصارت مبتذلة قديمة ، فهيا قل غيرها أيها السيد السند !

– « فيقول لك » : إليك فكرة جديدة سمعتها أخيرا ، وفي الغد تصبح ملولا منها ونفورا .

٢٧٠٠ – فعالج العلة فعندما تقضي علي العلة ، يكون كل حديث قديم جديدا بالنسبة لك .

– بل إن ذلك القديم يورق من جديد ، ويتفتح من جذوره الممتدة في الحفرة مائة عنقود « جديد » .

– ونحن « الأنبياء » أطباء وتلاميذ الحق ، لقد رآنا بحر القلزم فانفلق .

– لكن أطباء الطبيعة شيء آخر ، إنهم ينظرون إلي القلب عن طريق النبض .

– لكننا ننظر إلي القلب جيدا بلا واسطة ، فنحن من الفراسة ننظر من عل .

٢٧٠٥ – أما أولئك فهم أطباء الغذاء والثمر ، والروح الحيوانية قائمة بهم .

– ونحن أطباء الفعال والمقال ، وملهمنا هو ضياء نور الجلال .

– « ونقول لك » إن هذا الفعل يصلح لك ، أما ذاك الفعل فهو قاطع للطريق .

– إن مثل هذا القول يدفعك إلي الأمام ، أما مثل ذلك القول فيعرضك للعقاب [١] .

– إن البول هو دليل أولئك الأطباء ، لكن دليلنا هو الوحي الجليل .

(١) ج / ٨ – ١٦٧ : مثل هذا ومثل ذاك من القبيح والحسن ، نضعه أمامك ، ونبدي الخير ، فاختر هذا إن شئت أو ذاك ، فقد صار السم والسكر والحجر والجوهر عيانا .

٢٧١٠ – ونحن لا نريد أجرا من أحد ، فأجرنا يصل إلينا من حضرة القدس .
– فهيا تعالوا يامرضي الجراح التي لا تشفي ، فنحن الدواء للمرضي واحدا بعد آخر .

طلب القوم المعجزة من الرسل

– قال القوم : ياجماعة من المدعين .. أين الدليل علي علم الطب والنفع ؟
– وما دمتم تأكلون وتنامون كما نأكل وننام فكونوا مثلنا واحشوا بطونكم في القرية بالطعام .
– وما دمتم في شراك هذا الجسد الذي هو من الماء والطين ، متي تكونون صيادي عنقاء القلوب ؟
٢٧١٥ – بل هو حب الجاه والرئاسة قد دفعكم إلي اعتبار أنفسكم من الأنبياء .
– ونحن لا نريد هذا النفاج والكذب في آذاننا ثم السقوط من ذلك في اللبن المخيض .
– قال الأنبياء : إن هذا هو من تلك العلة ، وأساس العمي حجاب الرؤية .
– إنكم تسمعون دعوتنا ، وترون هذه الجواهر في أيدينا .
– فهذه الجواهر امتحان للخلق ، نديرها نحن أمام العيون .
٢٧٢٠ – وكل من يسألنا أين الدليل ؟ قوله هو الدليل لكنه لا يري الجواهر من سجن عماه .
– فإذا تحدثت إليك الشمس وقالت لك : انهض ، فقد طلع النهار انهض وكفاك عنادا .
– فتقول أنت : وأين الدليل أيتها الشمس ؟ سوف تقول لك : أيها الأعمي أطلب من الله بصرا .
– وكل من يطلب في النهار المنير مصباحا ، فإن هذا الطلب في حد ذاته ينبيء عن عماه .
– وإذا لم تر فإنك تظن أن المصباح هلك لأنك في حجاب .

---

(١) أي تجرع الخديعة .

٢٧٢٥ - فلا تفش سر عماك علي الملأ بهذا القول ، وأصمت وكن في انتظار العقل « من الله » (١).

- فالقول في وضح النهار « أين النهار ؟ » هو فضح للنفس يا باحثا عن النهار.

- والصبر والصمت جاذبان للرحمة ، والبحث عن الدليل علي هذا دليل علي علة .

- فاقبل « انصتوا » حتي يصل لروحك من الأحبة جزاء « انصتوا » ! .

- وأذا أردت ألا تنتكس أمام هذا الطبيب ، فألق أمامه علي الأرض بالروح والمـــال أيها اللبيب .

٢٧٣٠ - وبع قولك الزائد واشتر بذل الروح والتخلي عن الجاه وإنفاق الذهب .

- حتي يتحدث فضله مثنيا عليك ، بحيث يحسدك الفلك علي جاهك .

- وعندما تراعون الأطباء حق الرعاية ، تنظرون إلي أنفسكم وتخجلون من أنفسكم .

- إن دفع هذا العمي ليس في أيدي الخلق، لكنه إكرام من الهدي للأطباء .

- فكن عبدا بروحك لهؤلاء الأطباء ، حتي تضمخ بالمسك والعنبر .

اتهام القوم للأنبيا

٢٧٣٥ - قال القوم : إن هذا كله حيلة ومكر ، فمتي ينيب اللّه عنه أمثال زيد وبكر ؟

- وكل رســول للملك لا بد أن يكون من جنسه ، فأين المـــاء والطين من خالق الأفلاك ؟

- إننا نكون أغبياء (٢) لو اعتبرنا - مثلما تفعلون - أن البعوضة يمكن لها أن تكون موضع سرطائر البُلح ؟ (٣) .

---

(١) ج / ٨ - ١٨٠ : ربما لحقك فضل « بلا علة » وتحول قلبك عن هذا الشقاء وإلا بقيت في عمي الأبد ذاك ، وتختبيء مرأتك تحت اللباد .

(٢) حرفيا : أكلنا مخ حمار .

(٣) ج / ٨ - ١٨٦ : فأين البعوضة من العنقاء وأين الطين من الله ؟! وأين ذرة الهباء من شمس السماء ؟!

– فأية نسبة بين هذه وأية صلة ؟ حتي يصدقها عقل أو تدخل إلي لب ؟ (١)

حكاية الأرانب التى أرسلت أحدها برسالة إلى الفيل قائلة له : قل : إننى رسول قمر السماء إليك ويأمرك قائلا : ابتعد عن عين الماء تلك كما هو مذكور بتمامه فى كتاب كليلة ودمنة

٢٧٤٠ – إن هذا شبيه بما قاله ذلك الأرنب « حين قال » : أنا رسول القمر وقرين القمر .

– فمن قطيع الفيلة علي تلك العين الزلال ، صارت كل الأرانب في وبال .

– لقد حرموا منها جميعا وابتعدوا عن العين خوفا ، وقد احتالوا إذا كانوا يفتقدون القوة .

– فصاح أرنب عجوز من فوق الجبل ، « موجها خطابه » إلي الفيلة في ليلة غرة الهلال .

– قائلا : تعال في الليلة الرابعة عشرة يا ملك الفيلة ، حتي تري الدليل داخل عين الماء .

٢٧٤٥ – يا ملك الفيلة أنا رسول إليك ، فقف أمامي ، إذا لاقيد ولا غضب علي الرسل ولا عقاب لهم .

– يقول القمر : اذهبوا أيها الفيلة ، إن عين الماء لنا ، فابتعدوا عنها .

– وإلا فإنني سوف أعميكم عقابا، وهأنذا قد ألقيت بقولي هذا عن كاهلي!

– اتركوا عين الماء هذه وامضوا ، حتي تأمنوا ضربات سيف القمر .

– والدليل أن القمر سوف يضطرب في عين الماء عندما يشرب منها أحد الفيلة .

٢٧٥٠ – ففي ليلة كذا تعال يا ملك الفيلة ، حتي تجد الدليل من داخل العين .

---

(٣) ج / ٨ – ١٦٦ : وأين نحن من هذا الكلام الفارغ ؟ فأي احتيال هذا ومكر ورياء .. وأين السماء من الحبل ، إن مخا واحدا لا يصدق هذه الأساطير . وفي الغالب لدينا عقل نستطيع أن يميز من الكرات والجزر !!

– وعندما مرت سبع (ليال) ثم ثمان من الشهر جاء ملك الفيلة وأخذ يشرب من العين .

– وعندما مد الفيل خرطومه تلك الليلة إلي الماء ، اضطرب الماء واضطرب « انعكاس » القمر فيه .

– فصدق الفيل منه ذلك الخطاب ، عندما « رأي » القمر مضطربا داخل العين .

– ولسنا نحن من تلك الفيلة المخدوعة أيها القوم ، بحيث يجعلنا اضطراب « انعكاس القمر في خوف » .

٢٧٥٥ – قال الأنبياء : أواه فإن هذه النصيحة المخلصة ، قد جعلت أغلالكم أكثر إحكاما أيها السفهاء .

جواب الأنبياء على طعنهم وعلى المثال الذي ضربوه

– وا أسفاه ، فإن الدواء في مرضكم ، قد تحول إلي سم انتوي قهر أرواحكم .

– لقد زاد هذا المصباح الظلمة أمام تلك العين ، عندما أبدي اللّه تعالي حجاب غضبه .

– فأية رئاسة نطلبها عليكم ، وقد نزلت إلينا الرئاسة من السماء ؟ .

– وأي شرف ينشده بحر الدر من السفين ، خاصة تلك السفينة المحملة بالبعر ؟

٢٧٦٠ – وا أسفاه من تلك العين العمياء المظلمة ، التي ظهرت أمامها شمس وكأنها الذرة !

– ومن آدم الذي لم يكن له مثيل أوندٌ ، لم تر عين إبليس إلا قبضة من الطين .

– ولقد أبدت عين المجنون الربيع له زمهريرا ، فتحرك من تلك الناحية التي كانت له منزلا .

– وكثيرا ما يصادف الإقبال علي حين غرة مدبرا فيتحول عن طريقه .

– ورب معشوق أتي متنكرا إلي تعيس لا يستطيع أن يمارس الحب [1] .

---

(١) ج / ٨ – ١٩٠ : فلماذا هذا الحرمان بالنسبة للحمقي ؟ ولماذا لا يعتاد الضالون علي الطريق المستقيم ؟!

٢٧٦٥ – إن الذي يوقع الأبصار في الخطأ هو حرماننا ، وهذا الذي يقلب القلب هو سوء القضاء .

– وعندما صار صنم من الحجر قبلة لكم ، فإن اللعنة والعمي قد صارا ظلة لكم .

– فكيف يجوز أن يكون صنمكم شريكا للحق ؟ ثم لا يجوز أن يكون العقل والروح موطنا لسر الحق ؟

– لقد صارت بعوضة ميتة شريكا لطائر البُلح ، فكيف لا يجوز أن تكون بعوضة حية موضعا لسر المليك .

– أو أن هذا لأن البعوضة الميتة من صنعكم ،في حين أن البعوضة الحية من صنع اللّه ؟

٢٧٧٠ – إنكم عشاق لأنفسكم ولشيء صنعته أنفسكم ، وذيول الحيات تابعة لرؤس الحيات !

– فلا في ذلك الذيل دولة أو نعمة ، ولا في ذلك الرأس راحة أو لذة .

– إن ذيل الحية يكون دائرا حول رأسها ، كلاهما لائق بالآخر مناسب له ، هذان الرفيقان .

– وكذلك ما يقوله الحكيم الغزنوي ، في « إلهي نامه » إذا كنت تستمع جيدا .

– فقلل الفضول في حكم القدر ، فإن جسد الحمار مناسب لأذن الحمار .

٢٧٧٥ – إن الأعضاء تتناسب مع الأبدان ، كما أن الأوصاف تناسب الأرواح .

– ووصف كل روح يكون لها التناسب بلا شك مع « النمط » الذي خلقها اللّه عليه .

– وما دام قد قرن الصفة بالروح ، فأعلم أنهما متناسبان كالعين والوجه .

– صارت أوصافها مناسبة لها في الحسن والقبح ، كما تناسبت الكلمات التي كتبها اللّه .

– والعين والقلب كلاهما بين أصبعين ، مثل القلم في يد الكاتب يا حسين [1] .

٢٧٨٠ – فإصبع للطف وإصبع للقهر وبينهما قلم الكاتب ذو قبض وبسط من هذا البنان .

– فيأيها القلم أنظر إذا كنت مشمولا بلطف ذي الجلال بين إصبعي من تكون ؟

– فكل القصد والحركة من هذا الإصبع ، وسنك (أيها القلم) مجموع علي مفترق الطرق .

– إن حروف أحوالك هذه من نسخه ، وعزمك وفسخك هما أيضا من عزمه وفسخه .

– وليس إلا الحاجة والتضرع طريقا ، وليس كل قلم عالما بهذا التقلب .

٢٧٨٥ – وهذا القلم يعرف ولكن معرفته بقدره ، ويكتشف بقدر علمه قدره في الخير والشر .

– وكل ما نسبوه إلي حكاية الأرنب والفيل ، قد مزجوه منذ الأزل بالحيل .

بيان أن كل شخص لا يصل إلى ضرب الأمثال خاصة فى الأمور الإلهية

– ومتي يليق بكم ضرب الأمثال ، والتوجه بها نحو تلك العتبة الطاهرة ؟

– إن ضرب المثل هو لتلك الحضرة ، التي هي آية إلي علم السر والجهر .

– فأي علم لك ما دمت أقرع وتأتي بمثل عن الجدائل أو عن الوجه « الحسن » .

٢٧٩٠ – لقد رآها موسي عصا ولم تكن كذلك ، كانت أفعي وسرها يفتح فمه .

(١) المقصود حسن حسام الدين .

– وإذا لم يكن مثل ذلك الملك يعلم سر العصا ، فأي علم لك بأسرار الفخاخ والحبوب « التي توضع فيها » ؟ .

– وإذا كانت عين موسي قد أخطأت عند المثل ، فكيف يجعل فأر إلي الفضول مدخلا ؟

– إنه يجعل لك هذا المثال كالأفعي ، حتي تمزقك إربا جوابا عليك .

– إن إبليس اللعين قد أورد المثال فصار ملعونا من الحق حتي يوم الدين.

٢٧٩٥ – وأورد قارون المثال من اللجاج ، حتي غاص في الأرض ومعه العرش والتاج (١).

– فأعلم أن مثالك هذا كالزاغ والبوم ، ذلت من « شؤمها » مئات من العشائر .

ضرب قوم نوح للأمثال استهزاء
عند قيامه بصناعة الفلك

– لقد صنع نوح سفينة في البادية ، فهاجمه مائة من قائلي الأمثال ساخرين .

– إنه يصنع سفينة في صحراء ليس فيها بئر فياله من جاهل أبله .

– كان أحدهم يقول : سيري أيتها السفينة ، وكان آخر يقول : ألا فلتصنع لها جناحا أيضا (٢) .

٢٨٠٠ – وأخذ نوح يجيب : إن هذا كله بأمر اللّه ، ولن تنقص بمثل هذا الهزل والسخرية .

---

(١) ج / ٨ – ١٩٧ : وأورد المثال النمرود الجهول ، حتي أكلت بعوضة مخه في عجلة – وفكر قوم عاد في الأمثلة ، حتي هشمت الريح عظامهم تهشيما – وهذا المثل أورده شداد اللئيم ، حتي حرم من نعم الدنيا والآخرة – وأورد فرعون المثال من الخلط ، حتي نفق في ماء البحر – وهذا المثال يأتي به الشقي الدون ، حتي يسقط منقلبا في الجحيم .

(٢) ج / ٨ – ٢٠٠ : وكان أحدهم يقول : مؤخرتها معوجة ، وكان آخر يقول : بل ظهرها شديد الإعوجاج . كان أحدهم يقول : وأين سرجها ؟ وكان آخر يقول : ولماذا قدمها ملوية ؟! وكان أحدهم يقول : هذه قربة فارغة ، وكان آخر يقول : لأي شيء هذا الحمار ؟! وكان أحدهم يقول : كيف تأكل الشعير وإلا فمتي تحمل حملك ! إلي منزل . كان أحدهم يقول : هل أنت بلا عمل ؟! أو قد شخت وخرفت ؟!

حكاية ذلك اللص الذى سئل : ماذا تفعل فى منتصف الليل أسفل هذا الجدار فقال : أدق الطبول

– استمع إلي ذلك المثل ، حدث ذات ليلة أن أخذ لص عنيد يحفر حفرة أسفل جدار .

– فسمع مريض كان بين النوم واليقظة صوت حفره الذي كان خافتا .

– فصعد إلي السطح وأطل برأسه وقال : ماذا تفعل هنا أيها الأب ؟

– خيرا ؟ ماذا تفعل في منتصف الليل ؟ ومن تكون ؟ فأجاب : طبال ياسيدي .

٢٨٠٥ – وماذا تفعل ؟ قال : أدق الطبل . فقال : فأين أصوات الطبول ياعالما بالطرق ؟

– قال : غدا تسمع هذه الأصوات وهي صياحك : وا حسرتاه وا ويلاه [١] .

– « قال الأنبياء لأهل سبأ » : إن ذلك المثل « الذي قدمتموه » باطل ومصطنع ولم تعلموا سر ذلك الباطل [٢] .

جواب ذلك المثل الذى قاله المنكرون عن رسالة الأرنب إلى الفيل من قمر السماء

– أعلم أن معني ذلك الأرنب هو شيطان الفضول ، الذي جاء رسولا إلي نفسك .

– حتي جعل النفس المخدوعة محرومة من ماء الحيوان الذي شرب منه الخضر .

---

(١) ج / ٨ – ٢٠٢ : عندما أمضي تسمع صوت الطبول ، وتفهم تلك اللحظة المجمل والتفصيل .

(٢) ج / ٨ – ٢٠٢ : لقد سقطت في الخطأ يا نصيف ساذج فصر ناضجا في النار والسلام .

– لـقـد قلبتم معناها ونطقتم كفرا فاستعدوا للعقاب .

– وقلتم إن اضـطراب القـمـر في المـاء الزلال ، وأن الذي خـوف الفـيلة هـو الأرنب (١) .

– وتضـربون مـثـلا بقصـة الفـيل والأرنب والمـاء ، وخشـيـة الفيلة من القمر في اهتزازه ؟

– فأي شبه لهذا آخر الأمر أيهـا السـذج ، مع القمر الذي صار مغلوبا له الخواص والعوام ؟

– ومـا القمـر ؟ وما الشـمس ؟ ومـا الفلك و وما الـعقـول ؟ وما النفـوس ؟ وما الملك ؟ (٢)

– إنه شـمس الشـمس ، ماذا أقول ؟ لعلي في نوم .

– إن غضب الملوك أيها الضـالون الأشـرار قد خرب مئات الآلاف من المدن .

– ومن تجليـه ينشق الجبل علي نـفسـه مـائة شق ، وشـمس في طواف كأنها الطاحون (٣) .

– وغـضـب رجـال « الله » يجـعل السـمـاء تجف ، وغـضـب قلوبهم جـعل العالم خرابا .

– فأنظروا يا موتي بلا حنوط ، إلي موضـع عقاب مدينة لوط .

– ومـاذا يكون الفـيـل في حـد ذاته ؟ وثلاثة من الطيـور المحـلقة دقت عظام تلك الفيلة الحقيرة ؟

---

(١) في المتن : ابن أوي لمجرد حيك القافية .

(٢) ج / ٨ - ٢٠٤ : وما الوحـوش وما الطيـور وما الجماد ، وما المـلـوك ، وما الشحاذ وكيقباد ؟ – وما البلاد وما الجبال وما البحار .. ومـا الشـهـر ومـا السنة ومـا الليل والنهار – ومـا التـراب والهـواء والمـاء والنار .. وما الخريف ومـا الصيف وما الشتاء وما الربيع .كلها في أمـره وتحت حكمه .. كأنها الكرة في انحناءة الصولجان .

(٣) في رواية أخري : وشمس من الكسوف الذي يحيق بها منه في جنون .

– وأضعف الطيور وهو طير الأبابيل ، قد مزق الفيل بحيث لا يقبل الشفاء .

– وأين ذلك الذي لم يسمع بطوفان نوح ، أو حرب فرعون مع الروح ؟

– لقد تحطمت أرواحهم وسالت في البحر ، وأخذ الماء يفتتها ذرة ذرة .

– ومن الذي لم يسمع أحوال ثمود ، وأن الريح الصرصر كانت تختطف قوم عاد ؟

٢٨٢٥ – فافتح عين الإرادة علي أمثال تلك الفيلة ، التي كانت تجندل الفيلة في الوغي .

– وأمثال أولئك الفيلة والملوك الظلمة ، كانوا تحت غضب القلب في رجوم علي الدوام .

– وإلي الأبد يمضون من ظلمة إلي ظلمة ، ولا غوث ولا رحمة .

– ألم تستمعوا إلي الذكر الحسن والذكر القبيح ، لقد خبرها الجميع أفلم تروها أنتم ؟

– إنكم تتجاهلون ، لكن الموت هو الذي يفتح عيونكم جيدا .

٢٨٣٠ – ولنفرض أن العالم مليء بالشمس والضياء ، فكيف تمضي في ظلمة كأنها القبر ؟ .

– تظل بلا نصيب من هذا النور العظيم ، وتصير مغلق الكوة أمام القمر الكريم .

– وقد تركت القصر منصرفا إلي قاع الجب ، فأي ذنب للعوالم الواسعة ؟

– وتلك الروح التي بقيت في صفات الذئبية ، قل لي : كيف تري نور يوسف الصديق ؟ قل .

– لقد وصلت ألحان داود إلي الحجارة والجبل ، وقليلا ما سمعتها أذان قساة القلوب .

٢٨٣٥ – وليكن هناك ثناء « من اللّه » علي العقل والإنصاف ، كل زمان واللّه أعلم بالرشاد .

« صدقوا رسلا كراما يا سبا | صدقوا روحا سباها من سبا
صدقوهم هم شموس طالعة | يؤمنوكم من مخازى القارعة
صدقوهم هم بدور زاهرة | قبل أن يلقوكم بالساهرة
صدقوهم هم مصابيح الدجى | أكرموهم هم مفاتيح الرضا
٢٨٤٠ – صدقوا من ليس يرجو ضركم (١) | لا تضلوا لا تصدوا غيركم (٢)

– ولنتحدث بالفارسية فهيا أترك العربية ، وكن غلاما لذلك المحبوب ياأيها الماء والطين . (٣)

– هيا واستمعوا إلي براهين الملوك ، لقد مالت السماوات فميلوا أنتم أيضا .

معنى الحزم و مثال الرجل الحازم

– « قال الأنبياء لأهل سبأ » تعالوا وأنظروا إلي أحوال الأوائل ، أو انطلقوا سريعا نحو العافية بحزم .

– وماذا يكون الحزم ؟ إنه الاحتياط بين تدبيرين ، واختيار تدبير من بينهما يكون بعيدا عن التخبط .

٢٨٤٥ – إن أحدهم يقول : في هذا الطريق الذي يستغرق سبعة أيام ، لا يوجد ماء بل رمل « محرق للقدم » .

– ويقول آخر : هذا هراء فانطلق ، فسوف تصادف كل ليلة عين ماء جياشة .

(١) في النص بالعربية خيركم وهذا لا يستقيم كما هو واضح .

(٢) ما بين الأقواس في المتن بالعربية .

(٣) حرفيا : كن هنديا لذلك التركي .

– والحـــــزم هـــو أن تحمل المـــاء معك ، حتي تنجو من الحُزْن وتكون علي « جادة الصواب » .

– فإذا كانت هناك عين ماء في الطريق أرق ما معك ، وإن لم يكن فواويلاه علي المرء المجادل .

– فيا أبناء الخليفة اعدلوا ، واحزموا « أمركم » من أجل اليوم الموعود .

٢٨٥٠ – وجروا ذلك العدو الذي انتقم من أبيكم نحو السجن من عليين .

– لقد هزم ملك شطرنج « القلب » ذاك ، ونقله من جنته ، وجعله سخرة للآفات .

– لقد حصره بضع مرات في النزال ، حتي جندله في الصراع وجعله شاحب الوجه .

– وهكذا فعل مع بطل مثله ، فلا تنظروا إليه أنتم أيها الآخرون باستهانة.

– فإن ذلك الحسود اختطف من أمنا وأبينا التاج والزينة بسرعة وحذق .

٢٨٥٥ – وجعلهما هناك ذليلين عاريين ضعيفين ، فبكي آدم نائحا سنوات وسنوات .

– بحيث نما النبات من دمع عينيه ، وهو « يتساءل باكيا » لماذا أثبت في جريدة النفي ؟

– فقس أنت علي هذا لصوصية « إبليس » تلك ، بحيث انعدمت حيلة ذلك العظيم أمامه [١] .

– فحذار من شره يا عباد الطين ، واضربوه فوق رأسه بسيف « لا حول ولا قوة إلا باللّه » .

– فإنه يراكم من مكمنه ، بحيث لا ترونه أنتم فحذار .

---

(١) حرفيا : يقتلع شعر لحيته .

٢٨٦٠ – فالصياد دائما يبذر « الحبوب » إلي جوار الفخ ، فالحبوب ظاهرة أما الفخ فهو مستتر .

– فحذار كلما رأيت حبة، حتي لا يطبق الشراك علي جناحك وقوادمك (١).

– ذلك أن الطائر الذي ترك الحب ، التقط الحب من الصحراء التي لاخداع فيها .

– وقنع بها ونجا من الشراك، ولم يطبق شراك قط علي جناحه وقوادمه .

وخاتمة أمر ذلك الطائر الذي ترك

الحزم من الحرص والهوى

– ثم إن طائرا حط فوق جدار ، وقد سمر بصره حول حبة في شراك .

٢٨٦٥ – فهو ينظر نظرة نحو الخلاء ، بينما يشده حرصه إلي الحبة بنظرة أخري .

– وتصارعت هـــذه النظرة مع تلك النظرة ، فسلبته العقل فجاة .

– لكن الطائر الذي ترك ذلك التردد ، أقلع عن تلك النظرة وسمر بصره علي الخلاء .

– فهو مطلق الجناح والقوادم فبخ بخ له ، لقد صار إماما لكل الأحرار .

– وكل من يجعله قدوة له فقد نجا ، وأقام في مقام الأمن والحرية .

٢٨٧٠ – ذلك أن قلبه كان ملك الحازمين ، فصارت الرياض والبساتين منزلا له .

– فالحزم راض عنه وهو راض عن الحزم ، وهكذا فافعل إن كنت تقوم بالتدبير والعزم .

– فلقد سقطت مرات في شراك الحرص ، وأسلمت حلقك للذبح .

– ثم إن ذلك التواب الرحيم قد نجاك ، وقبل توبتك وأسعدك .

– قال : « إن عدتم كذا عدنا كذا ... نحن زوجنا الفعال بالجزاء (٢) .

---

(١) ج / ٨ – ٢١١ : وما أسعده في طائر الذي ترك الحب ، فقد تفتحت له الورود في رياض القدس .

(٢) بالعربية في المتن .

٢٨٧٥ – وعندما أحضر زوجا إلي جواري ، فإن زوجه يأتي مسرعا بلا شك .
– ولقد زوجنا الفعال بالأثر ، عندما يصل إلي زوج الآخر .
– وعندما يختطف مغير زوجا من زوجته، فإن الزوجة تأتي من بعده باحثة عن زوجها.
– وإن مجيئك نحو هذا الشراك ثانية ، بمثابة حثوك التراب في عين التوبة .
– ويحل لك التواب تلك العقدة مرة ثانية ، قائلا : انتبه .. اهرب لا تتجه إلي هذه الناحية .
٢٨٨٠ – وثانية عندما تصل فراشة النسيان ، فإنها تجذب أرواحكم نحو النيران .
– فكفاك يا فراشة النسيان والشك ، وانظري مرة واحدة إلي جناحك المحترق .
– وما دمت قد نجوت فإن الشكر هو ألا تحوم حول هذه الحبة أبدا .
– وما دمت تشكر فإنه يهبك رزقا بلا شراك ولا خوف من عدو .
– والشكر علي نعمة أنه أنجاكم ، هو التذكر الدائم لنعمة الخالق .
٢٨٨٥ – فحتام وأنت في المتاعب والعناد تدعو قائلا : « نجني من هذا الفخ يا اللّه » .
– حتي أطيعك وأقوم بالإحسان ، وأحثو بالتراب عين الشيطان » ؟ (١) .

حكاية نذر الكلاب كل شتاء قائلة : وعندما يحل الصيف أبني منزلا من أجل الشتاء

– في الشتاء يقعي الكلب جامعا عظامه بينما يمزقه لسع البرد بحيث يقول :
– ينبغي لجسدي وهو علي هذا الحال ، أن أبني له منزلا من الحجر .
– وعندما يأتي الصيف سأصنع بمخالبي منزلا من الحجارة تحسبا للبرد .

(١) ج / ٨ – ٢١٦ : وعندما خلصك الحق من الامتحان ، ظللت علي ما أنت عليه تماما . عندما نجاك نسيته ، وجعلت روحك ثملة فاقدة الوعي .

٢٨٩٠ – وعندما يحل الصيف ، تمتد العظام من السعة ويمتليء الجلد نضرة ورواء .

– وعندما يري نفسه سمينا يقول : أي منزل يسعك إذن أيها العظيم ؟

– إنه يسمن ويمد قدمه في الظل كسولا متفرجا مغرورا معجبا برأيه .

– ويقول له قلبه : ابنِ منزلا يا عماه ، فيرد عليه : أي منزل يسعني قل .

– « وهكذا » عظام حرصك أوان الألم ، تنكمش وتتحطم في المعركة .

٢٨٩٥ – فتقول : لأبنِ منزلا من « التوبة » ، يكون وقاء لي في الشتاء .

– وعندما ينتفي الألم ، يحل فيك الحرص والهوي ، وتمضي عنك الرغبة في المنزل كما مضت عن الكلب .

– إن الشكر علي النعمة أفضل من النعمة ، ومتي يمضي الشكور نحو النعمة (١) ؟

– إن الشكر هو روح النعمة والنعمة كالجلد بالنسبة له ، فالشكر هو الذي يأتي بك حتي باب الحبيب .

– فالنعمة تصيب بالغفلة أما الشكر فهو اليقظة ، فصد النعمة بشبكة شكر المليك .

٢٩٠٠ – وشكر النعمة يجعلك قانع العين أبدا ، بحيث تؤثر الفقير بالنعم الكثيرة .

– وتشرب حتي الارتواء من طعام الحق ونقله ، بحيث تشفي من البطنة والسل (٢) .

---

(١) أي أنه شكور سواء أصابته نعمة أو لم تصبه ...

(٢) في النص : دق ودق بمعني النحول الناتج عن السل ، ويمكن أن تترجم بدق العربية أي الاحتياج إلي الخلق ودق أبوابهم . وبعده في ج / ٨ – ٢١٩ : – فأشكروا نعمة الوهاب حتي لا تتحطم رؤوسكم المشئومة . أن الشكر جذاب لنعمة أوفر وكفران النعمة يجعل المرء كافرا .

منع المفكرين الأنبياء عليهم السلام من النصيحة وإيراد حجة جبرية

- قال القوم : كفاكم أيها الناصحون ما قلتم ، فلو أن شخصا واحدا في القرية (١) .
- لقد وضع الحق أقفالا علي قلوبنا ، ولا يستطيع أحد أن يتغلب علي الخالق .
- فهكذا جعل هذا المصور صورنا ، ولن تكون بالقيل والقال شيئا آخر .

٢٩٠٥ - إنك تقول للحجر مائة سنة كن ياقوتا، وتخاطب القديم مائة سنة قائلا له : كن جديدا .

- وتقول للتراب : خذ صفات الماء ، وتقول للماء : كن عسلا أو لبنا (٢) .
- وخالق الأفلاك وما في الأفلاك ، وخالق الماء والتراب ومن هم من التراب .
- وهب الماء السيولة والصفاء ، وللماء والطين كدر الوجه والقدرة علي الإنماء .
- فمتي تستطيع السماء تقبل الكدر؟، ومتي يستطيع الماء والتراب شراء الصفاء؟ .

٢٩١٠ - لقد قُسِّم لكل واحد منا طريق ، فمتي يصير الجبل بالجهد كأنه القشة؟

جواب الأنبياء عليهم السلام على الجبريين

- قال الأنبياء : أجل لقد خلق اللّه صفات لا يمكن تحويلها أو تبديلها .
- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبغوض محبوبا .
- فإن قلت للحجر : كن ذهبا فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس : كن ذهبا فهناك سبيل .

---

(١) تكفي كلمة واحدة لو أن شخصا واحدا في الدار .

(٢) ج / ٨ - ٢٢٣ : أو تقول للنار كوني نوراً محضا ، أو تقول للبعوضة تعرضي للرياح - أو تقول للزيف .. كن درا طاهرا أو كن اكسيرا وأبذل الجهد !! ولا يتغير شيء من أوصافها قط ، فمتي يصير الماء عسلاً أيها الذكي !

– وإن قلت للرمل كن زهرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب كن زهرا فهذا جائز .

٢٩١٥ – وقد خلق اللّه أمراضا لا حيلة لها كالعرج والفطس والعمي .

– كما خلق أمراضا لها علاج كاللقوة والصداع .

– صنع تلك الأدوات علي سبيل الائتلاف ، وليست هذه الداءات والأدواء بالأمر العشوائي .

– بل إن لأغلب الأمراض علاجا ، عندما تبحث بجد تحصل عليه .

تكرار الكفار للحجج الجبرية

– قال القوم : أيتها الجماعة ، إن مرضنا ليس من قبيل هذا المرض الذي يقبل الدواء .

٢٩٢٠ – لقد تحدثتم لسنوات بهذه الرقي والمواعظ ، وفي كل لحظة كان القيد يزداد إحكاما علينا .

– فلو كان هذا المرض قابلا للدواء ، لزالت منه ذرة واحدة آخر الأمر .

– فعندما تكون «السدة » لا يصل الماء إلي الكبد ، وإذا شرب المريض بها بحرا فإنه يمضي إلي مكان آخر .

– فلا جرم أن تتورم اليد والقدم ، ولا يكسر هذا الارتواء حدة العطش .

جواب الأنبياء « عليهم السلام » عليهم

– قال الأنبياء : إن اليأس أمرٌ قبيح ، ولاحد لفضل الباري ورحمته .

٢٩٢٥ – ولا يجوز القنوط من محسن مثله ، فتشبثوا بسمط (١) تلك الرحمة .

– وما أكثر الأمور التي بدت صعبة في أولها ، ثم تيسرت وانتهت الشدة .

– ومن بعد اليأس هناك آمال ، ومن بعد الظلمة هناك كثير من الشموس.

– وهبكم قد أصبحتم كالحجارة ، وهبكم وضعتم أقفالا علي آذانكم وقلوبكم .

---

(١) السمط : أهداب السرج .

- فليس عندنا أدني اهتمام بقبولكم ، إن عملنا هو التسليم وتنفيذ الأمر.

٢٩٣٠ - لقد أمرنا أن نبدي هذه العبودية ، وليست هذه الأقوال من لدنا .

- ولقد نفخ فينا الروح من أجل أوامره ، فلو أمرنا بزراعة الرمل زرعناه .

- وليس لروح النبي من رفيق إلا الحق، وليس له شأن بقبول أو رد من الخلق .

- وأجرنا علي تبليغ رسالته عليه سبحانه وتعالي ، لقد صرنا قبحاء كريهي الوجوه (في أعينكم) من أجل الحبيب .

- ولسنا نحس بملل أو حزن علي هذه العتبة ، حتي نقف في كل مكان من بُعدِ الطريق.

٢٩٣٥ - إنما يكون قانطا ملولا وحزينا ذلك الشخص الذي يكون من فراق الحبيب في محبس .

- لكن حبيبنا ومطلوبنا حاضر معنا ، والروح شاكرة من نثار رحمته .

- وفي قلوبنا « تتفتح » رياض زهور الشقائق والبساتين ، وليس للشيخوخة أو الذبول طريق إلينا .

- نحن دائما في نضرة وشباب ولطفاء ، متهللون ، ذوو جمال ، ضاحكون ظرفاء .

- وفي عرفنا تكون المائة سنة والبرهة الواحدة سيين ، فالبعيد والقريب لا معني لهما عندنا .

٢٩٤٠ - ذلك أن البعد والقرب من صفات الأجسام ، وأين يكون ذلك البعد والقرب في الأرواح ؟

- وثلاثمائة وتسع من السنين عند أصحاب الكهف ، كيوم واحد لا هم فيه ولا لهفة .

- ثم إنه أبداه لهم يوما واحدا أيضا ، عندما عادت الأرواح من عالم « العدم » إلي الأجساد .

- وعندما ينتفي الليل والنهار والشهور والسنين ، فمتي « يحل بالمرء » السأم والملل والشيخوخة ؟

- وعندما تكون منتفيا عن ذاتك في روضة العدم ، تكون ثملا من كأس اللطف الالهي .

٢٩٤٥ - « من لم يذق لم يدر » وهكذا كل من لم يذق ، فمتي يتوهم الجعل أنفاس الورد ؟.

- فليس هذا بالأمر الذي سيتوهم وإن كان بالذي يتوهم ، فسوف يكون معدوما ككل الأمور المتوهمة !!

- وكيف يتوهم الجحيم الجنة ؟ إن الطلعة الحسنة لا تتأتي من الخنزير القبيح

- فهيا أيها العظيم ولا تسلم نفسك للذبح ، فإن مثل هذه اللقمة « الحلوة » قد وصلت إلي الفم .

- لقد قطعنا الطرق الوعرة إلي نهايتها ، « حتي نعبد الطريق » ونجعله سهلا أمام أهلنا . (١)

تكرار القوم الاعتراض على رجاء الأنبياء عليهم السلام

٢٩٥٠ - قال القوم : إنكم وإن كنتم سعدا علي أنفسكم ، فأنتم نَحس علينا وأعداء ، وقد رددناكم .

- لقد كانت أرواحنا فارغة من الأفكار «والهموم» ، فألقيتم بنا في الغم والعناء .

- كانت توجد بيننا لذة الجماعة والاتحاد ، فصار من شؤمكم مائة افتراق

- كنا ببغاوات « مغردة » قاضمة للسكر ، فصرنا منكم طيورا « كئيبة » تفكر في الموت .

(١) ج / ٨ - ٢٣٢ : هيا وابحثوا عن الطريق من نجوم السعد ، ذلك أنتم في ظلمه وفي قاع الجب ، وكل من صار تابعا لنا نجا من النار ودخل الجنة ومن لم يسمع نصحنا في شقاء ، ابتلي بالعذاب إلي الأبد .

– ففي كل موضع منكم حكاية تثير الغم ، وفي كل ركن نداء مستنكر .

٢٩٥٥ – وفي كل موضع في الدنيا فأل سيىء ، وفي كل ناحية مسخ ونكال ومأخذ « علينا » .

– وفي أمثلتكم وحكاياتكم وفألكم ، شهرة لكم في إثارة الحزن .

جواب الأنبياء عليهم السلام

– قال الأنبياء : إن الفأل الحسن والفأل السيىء ، إنما يأخذان المدد من سويداء أرواحكم .

– فإذا كنت نائما في مكان خطر ، وأفعي تزحف نحوك من حيث لا تراها .

– وأشفق عليك إنسان فنبهك قائلا لك : انهض سريعا وإلا لدغتك الأفعي

٢٩٦٠ – أتقول له : كيف تقدم لي هذا الفأل السيىء ؟ إذن عليه أن يقول لك انهض وانظر في النور .

– إنني أنا الذي ينجيك من فأل السوء ، ويحملك مصطحبا إياك نحو قصور « الجنان » .

– فلأي شيء يكون النبي منبئا عن السر ؟ أقول لك : لأنه رأي مالم ير أهل الدنيا .

– وإذا قال لك طبيب : لاتأكل الحصرم ، إنه مضر ، يسبب لك مرضا شديدا .

– أتقول له : كيف تقوم بفأل السوء ؟ ، إنك إذن تؤثم الناصح .

٢٩٦٥ – بينما إذا قال لك منجم : لاتقم اليوم أبدا بالفعل كذا أو لاتدبر لكذا .

– فإذا كنت قد رأيت التنجيم كذبا مرة ، لكنه صدق معك مرة أو مرتين فإنك تصدقه وتثق في قوله .

– ونجومنا هذه لم تخطيء النبوءه قط ، فلأي شيء بقي وبينك وبينها حجاب ؟

– وذلك الطبيب وذلك المنجم يخبرانك من الظن ، في حين أننا نخبرك عيانا .

– إننا نري الدخان والنار تحمل من ركن ما نحو الكفار مهاجمة إياهم .

٢٩٧٠ – وأنت لا تفتأ تقول : أصمت عن هذا المقال ، فهذا القول خسارة علينا وفأل سيىء .

– فيا من لا تسمع نصح الناصحين ، إن طائرك في عنقك حيثما تمضي (١) .

– إن أفعي تزحف علي ظهرك ، ويراها آخر من فوق السقف وينبهك .

– فتقول له : أصمت ، ولا تصبني بالحزن ، فيقول لك : هنيئا لقد مضي « أوان » الكلام .

– وعندما تلدغك الأفعي في عنقك ، يتحول كل بحثك عن السرور إلي مرارة .

٢٩٧٥ – فتصيح به : أهكذا كان الأمر يا فلان ؟ لماذا لم تمزق ثوبك عندما كنت تصرخ في ؟

– أو « ليتك » ألقمتني بحجر من عل ، حتي تبدي لي هذا الشر بشكل جدي .

– فيقول لك : لأنك كنت متأذيا ، فتقول له : كنت قد أسعدتني كثيرا .

– قال : لقد أبديت الفتوة بنصحي إياك ، حتي أخلصك من هذا الغل الشديد .

– لكنك من لؤمك لم تقر بهذا الجميل ، ووضعت أساس الأذي والطغيان.

٢٩٨٠ – وهذا هو طبع اللئام الأدنياء ، إنهم يسيئون إليك عندما تحسن إليهم .

– فمن هنا عود « النفس » علي الصبر ، وأهنها « تواضعا » ، فهي لئيمة لا تتواءم مع الإحسان .

---

(١) حرفيا : الفأل السيىء معك حيثما تمضي .

– وأفعل الخير مع الكريم فهو خليق به ، فإنه يجازي على الحسنة الواحدة بسبعمائة ضعف .

– وإنك إذا عاملت اللئيم بغلظة وجفاء ، فإنه يصير عبدا لك ذا وفاء .

– والكفار هم الذين يزرعون الجفاء في النعمة ، ثم يكون نداؤهم في الجحيم «ربنا أخرجنا منها» .

حكمة خلق جهنم في الآخرة والسجن في الدنيا ليكون معبدا للمتكبرين مصداقا للآية الكريمة : ﴿ أئتيا طوعا أو كرها ﴾

٢٩٨٥ – إن اللئام يَصْفُون في الجفاء ، وعندما يرون الوفاء فإنهم يجفون .

– ومن هنا فإن معبد طاعاتهم هو الجحيم ، كما يكون الفخ ملازما لقدم الطائر البري .

– والسجن هو صومعة اللص واللئيم ، ففيه يقيم على ذكر الحق .

– ولما كان المقصود من خلق البشر هو العبادة ، صارت سقر معبدا للعصاة .

– والإنسان ذو قدرة في كل أمر ، لكن المقصود « من خلقه » كان هذه الطاعة .

٢٩٩٠ – فأقرأ ﴿ ، ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، فليس هناك من قصد من الدنيا سوى العبادة .

– وبالرغم من أن المقصود من الكتاب هو محتواه من علم ، فإنك إن جعلت منه وسادة يصبح كذلك .

– في حين أن المقصود منه لم يكن تلك الوسادة ، وكان المقصود النفع بالعلم والمعرفة والإرشاد .

- وإنك إن جعلت من مسمار سيفاً لك ، فإنما تكون قد اخترت الإدبار علي الظفر .
- وبالرغم من أن المقصود من « خلق » البشر العلم والهدي ، فإن لكل إنسان معبدا خاصا به .

٢٩٩٥ – فمعبد الرجل الكريم هو إكرامك له ، ومعبد الرجل اللئيم هو إسقامك إياه .

- فاضرب اللئام لكي يطأطئوا الرءوس ، وأعط الكرام لكي يعطو بدورهم ثمرا ونفعا.
- فلا جرم أن الحق « قد خلق كلا المعبدين ، « الجحيم » لأولئك « اللئام » والزيادة لهؤلاء « الكرام » .
- لقد وضع موسي بابا منخفضا صغيرا في القدس ، حتي يطأطيء القوم المتكبرون رءوسهم .
- وذلك لأنهم كانوا جبارين متكبرين ، والجحيم بالنسبة لهم هو ذلك الباب المنخفض « الذي يدفعهم » إلي التذلل .

بيان أن الله تعالى خلق الملوك الصوريين « ملوك الأرض » لتسخير الجبارين الذين لا يخضعون للحق ، كما أن موسى عليه السلام وضع بابا صغيرا منخفضا على ربض القدس ليركع جبارو بنى إسرائيل عند دخولهم مصداقا للآية الكريمة ﴿ ادخلو الباب سجدا وقولوا حطة ﴾

٣٠٠٠ – وكذلك فإن الحق صنع من اللحم والعظام بابا صغيرا يتمثل في الملوك فانتبه إلي « حكمته في هذا » .

- هذا ليجعل منهم أهل الدنيا مسجدا لهم ، لأنهم أعداء للسجود لله وحده سبحانه وتعالي .

– وصنع من المزابل محاريب « لهـــذه المساجد » ، وأسمـاء هذه المحاريب : الأمير والبطل !!

– فلستم جديرين بهـــذه الحضرة الطاهرة ، فالأطهار بمثابة قصب السكر وأنتم بوص خال .

– وهؤلاء الأخساء يخضعون لأولئك الكلاب ، وعارٌ علي الأسد أن يكون ميلهم إليه .

– ويكون القط شرطيا لكل من فيه طبيعة الفئران ، ومن يكون الفأر حتي يخاف من الأسد ؟

– إن خوفهم إنما يكون من كلاب الحق ، فمتي يتسني لهم أن يخافوا من شمس الحق ؟

– إن « ربي الأعلي» هو ورد لأولئك العظماء ، لكن « ربي الأدني » « ورد » لائق بهؤلاء البلهاء .

– فمتي يخـــاف الفأر أسد الوغي ، إنما تخافه تلك الغزلان الجافلة ذات النافجة المسكية !

– فامض إلي لاعق الأطباق يا لاعق القدور ، واكتب في شأنه أنه سيدك وولي نعمتك.

– ولأقصر القول ، فإذا بسطت في هـذا الحديث وقدمت شرحا عميقا ، فسوف يغضب الأمير لأنه يعلم أن الأمر هكذا !

– الخلاصة أن:أسيء أيها الكريم إلي اللئام حتي يطأطئوا الرءوس من خستهم ولؤمهم .

– ومن هنا فإنه إذا أحسن إلي النفس اللئيمة ، فإن النفس الشريرة ترد بالجحود كما يفعل اللئام .

– ولهذا السبب أيضا يكون أهل المحنة شاكرين ، ويكون أهل النعمة طغاة ماكرين .

– والطاغية أمير ذهبي القباء ، بينما يكون الشاكر منكسرا صاحب عباء.

– فمتي ينبثق الشكر من الأملاك والنعم ؟ إنما ينبت الشكر من البلاء والسقم .

قصة عشق صوفى لسفرة خالية

– رأي أحد الصوفية ذات يوم سفرة خالية معلقة علي مسمار ، فأخذ يدور كما تدور العجلة ويمزق ثيابه .

– وأخذ يصيح : يا زادا لمن لا زاد له ، ويا من أنت الدواء للقحط والآلام .

– وعندما زادت حرقته واستمر هياجه ووجده ، انضم إليه وصاحبه في ذلك كل من وُجِد من الصوفية .

– وأخذوا يصيحون بصيحات الوجد ويدقون بأقدامهم ، حتي صاروا بضعة من السكاري فاقدي الوعي .

– فقال أحد الفضوليين للصوفي : ما هذا ؟ إن السفرة معلقة وخالية من الخبز .

– فقال له : اذهب ، اذهب ، فأنت صورة بلا معني ، وابحث أنت عن الوجود لأنك لست عاشقا .

– إن عشق الخبز بلا خبز غذاء « للعاشق » ، ومن هو صادق ليس في قيد الوجود .

– وليس للعاشقين اهتمام بالوجود ، فإن للعشاق نفعا بلا رأسمال .

– ولا أجنحة لديهم ، لكنهم يطوفون حول العالم ، ولا أيدي لهم لكنهم يخطفون كرة « السبق » من الميدان .

– وذلك الفقير الذي وجد النذر اليسير من « عالم » المعني ، جدل الزنبيل وهو مقطوع اليد .

– لقد نصب العشاق خيامهم في العدم ، فهم كالعدم ذوو لون واحد ونفس واحدة .

– ومتي يعلم الرضيع طعم قطعات اللحم ؟ والجني دسمه وقوته من الرائحة .

– ومتي يشم الآدمي رائحة من الروائح التي يشمها الجني ، وطبيعة « الآدمي » مضادة لطبيعة « الجني » .

– إن ذلك الجني الذي يجذب إليه الرائحة ، يجد فيها مالا تجده أنت في الدسم الكثير والقوت .

٣٠٣٠ – وماء النيل الذي صار دما لآل فرعون ، يظل ماءً لقوم موسي .

– ويكون البحر طريقا لبني إسرائيل ، لكنه يكون مهلكا لفرعون الطاغية (١)

اختصاص يعقوب عليه السلام بتذوق كأس الحق من وجه يوسف وشمه لرائحة الحق من ريح يوسف وحرمان إخوته وغيرهم من هذين الأمرين

– إن ما رآه يعقوب من وجه يوسف كان خاصا به فمتي أدركه أخوته ؟!

– فهو من عشقه إياه يلقي نفسه في بيت الأحزان (٢) ، في حين أن إخوته في حقدهم عليه يحفرون له بئرا .

– كانت سفرته أمام إخواته خالية من الخبز، لكنها كانت أمام يعقوب مليئة بكل ما هو مشتهي .

٣٠٣٥ – ومن لم يغتسل لايري وجه الحور ، وقال عليه السلام « لا صلاة إلا بطهور ».

– والعشق هو اللحم والقوت بالنسبة للأرواح ، ومن ثم فالجوع هو قوت الأرواح .

– كان يعقوب يحس نحو يوسف « بما يشبه » الجوع ، فكانت رائحة خبزه تصل إليه من مكان قصي .

---

(١) ج / ٨ – ٢٦٢ : وكانت الريح علي قوم عاد كالهراوة والطير ، لكنهم كانت ظفرا لهود وقومه – والنار صارت روضة علي إبراهيم ، لكنها صارت سم حية علي النمرود. والنار تكون للسمندل مأوي ، لكنها تكون ضررا علي كل الطيور وعند العاشق الحزن والألم حلوي لكن الحلوي علي الأخساء بلوي .

(٢) حرفيا :البئر .

– وذلك الذي كان يحمل القميص مسرعا ، لم يكن يجد ريح يوسف .

– والذي كان علي بعد مائة فرسخ منه ، كان يشم الرائحة ، لأنه كان يعقوب .

٣٠٤٠ – ورب عالم لا نصيب له من العلم ، ذلك أنه حافظ للعلم وليس حبيبا .

– بينما قد يجد المستمع إليه نصيبا ولو ضئيلا من علمه ، حتي وإن كان ذلك المستمع من العوام .

– كان ذلك القميص عارية في يده ، مثلما تكون الجارية في يد النخاس .

– إن الجارية عند النخاس لا فائدة منها له ، لأنها في كفه من أجل المشتري .

– وقسمة الحق أنه يهب الرزق ، وليس لرزق أحد طريق إلي آخر .

٣٠٤٥ – وثمة خيال حسن صار لامرئ بستانا ، وثمة خيال قبيح قطع الطريق علي آخر[(١)].

– والله تعالي هو الذي جعل من خيال ما بستانا ، وجعل من خيال آخر جحيما مذيبا للأجساد .

– ومن الذي يعرف إذن الطريق إلي رياضه ؟ ومن الذي يدري إذن مواضع مزابله ؟

– وإن حارس القلب لا يري في مجال رؤيته ، من أي ركن يَرِدُ هذا الخيال إلي الروح [(٢)] .

– ولو كان قد رأي مطلعه لاحتال من أجل قطع الطريق علي كل خيال سيئ .

٣٠٥٠ – ومتي تصل قدم جاسوس إلي ذلك المكان الذي هو مرصاد للعدم وسد لبابه ؟

– فاستمسك بطرف رداء فضله كالأعمي ، ومثل هذا « عندنا » هو قبض الأعمي أيها الرفيق .

(١) ج / ٨ – ٢٦٥ : ذلك الخيال صار بستانا من الأثر ، وهذا الخيال أصاب العالم بالاضطراب .

(٢) ج / ٨ – ٢٦٥ : اللهم إلا ذلك القلب الذي له عون الحق وكون الحق أقتي كونه .

- إن طرف ردائه هو أمره ونهيه ، وسعيد من يكون التُّقي روحا له .
- إن أحدهم يـــكون فــي مرج تجري فيه الأنهار ، وآخر إلي جواره يكون في عذاب بئيس .
- فالأخير في عجب يتساءل : من أي شــيء ياتري هذه اللذة التي يحس بها ؟ والأول أيضا في عجب : في حبس من ياتري سقط هذا ؟

٣٠٥٥ - فيقول له : انتبه .. لمـــاذا أنت فـي ذبول ؟ إن عيون المـــاء هنا كثيرة ، هيا لمـــاذا أنت أصفر الوجه ، وهنا مائة دواء .
- فادخل أيها الجليس الرياض ، لكنه يجيب : أيها الحبيب ، أنا لا أستطيع الدخول (١) .

حكاية الأمير وغلامه الذى كان مغرما بالصلاة وكان يحس بأنس عظيم فى الصلاة ومناجاة الحق

(٢)

احتاج الأمير إلي حمام عند الفجر، فصاح: يا « سنقر » انتبه واستيقظ.
- خذ الـــكأس والمنشفة (وحَجَر) الطفـــل من الجارية « ألتون » حتي نمضي إلي الحمام يا من لا غني عنك .
- ومن فوره أخذ سنقر طاسا ومنشفة جيدة وأسرع يسير إلي جواره خطوة خطوة .

٣٠٦٠ - وكان هناك مسجد في الطريق ، وبلغ الآذان مسامع سنقر وهو بين الناس .

---

(١) ج / ٨ - ٢٦٦ : تعال ياحبيبي فقدمك ليست مقيدة .. فيقول : لا ، لا أستطيع ، توقف أنت .

(٢) ج / ٨ - ٢٧٦ : ولقد عن لي مثلٌ في هذا المعني ، ربما نجد من هذا البيان سرا خفيا .. ولأقل قصة في هذا المعني ، فافتح أذنيك حتي تظفر منها بنصيب . كان هناك في مضي أميرٌ من الكرام ، عنده غلام اسمه سنقر.

- وكان « سنقر » شديد الولع بالصلاة ، فقال: يا أميري يامكرما لعبدك.

- انتظر برهة علي هذا النجد ، حتي أؤدي الفرض وأقرأ « لم يكن ». (1)

- وعندما خرج الإمام والمصلون من الصلاة وفرغوا من الأوراد .

- ظل « سنقر » داخل المسجد حتي الضحي ، والأمير في انتظار « سنقر » فترة من الزمن .

٣٠٦٥ - فصاح به : يا سنقر لماذا لا تخرج ؟ فأجاب : إن صاحب الأفضال هذا لا يتركني أخرج .

- فاصبر ، أنا قادم يا نور عيني ، وليست بالغافل ، وكلامك في أذني .

- فصبر عليه ، وهكذا ظل يصبر عليه ويناديه سبع مرات ، حتي ضاق الرجل به وبإهماله .

- وكان جوابه المستمر ، أنه لا يزال يمنعني من الخروج أيها المحترم .

- ثم قال « الأمير » : لم يبق أحد داخل المسجد آخر الأمر ، فمن الذي يعطلك هناك ومن الذي يجلسك « في مقامك هذا » ؟

٣٠٧٠ - قال سنقر : ذلك الذي قيدك خارج « المسجد » ، هو نفسه الذي يقيدني داخله .

- إن ذلك الذي لا يسمح لك بالدخول ، هو نفسه الذي لا يسمح لي بالخروج .

- ذلك الذي لا يأذن لك بخطوة واحدة تخطوها داخل هذا المكان ، هو نفسه الذي عقد قدم السالك هنا .

- إن البحر لا يأذن للسمك بالخروج منه ، ولا يأذن لسكان البر بالدخول إليه .

---

(1) ج / ٨ - ٢٧٦ : وذهب سنقر ، وجلس الأمير علي نجد ، منتظرا ثملا من خمر الطين لقد توقف الأمير من أجل يقظ القلب ذاك .

- وأصل السمكة من الماء والحي من الطين ، والحيلة والتدبير باطلان هنا .

٣٠٧٥ - فالقفل ضخم والمفتاح هو الله ، وليس لك إلا أن تستمسك بالتسليم والرضا .

- والذرات وإن تحولت ذرة ذرة إلي مفاتيح ، فليس لهذا القفل من فتح إلا من الحق .

- وعندما تنسي تدبيرك فإنك تجد ذلك الإقبال الفَتِي من شيخك .

- وعندما تنسي « ذاتيتك » فإنهم يذكرونك ، لقد صرت عبدا وآنذاك يحررونك .[1]

يأس الأنبياء من قبول المنكرين مصداقا لقوله تعالى

﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾

- حدث الأنبياء أنفسهم قائلين ،حتام نقدم النصيحة والوعظ لهذا وذاك ؟

٣٠٨٠ - وحتام ندق علي الحديد البارد من الغي ؟ انتبه !! حتام النفخ في القفص ؟[2]

- إن الحركة من الخلق في حكم القضاء وفي ميعاد ، وتكون حدة الأسنان من حرقة المعدة .

- إنه يزجي النفس الكلية الأولي علي النفس الجزئية الثانية ، والسمكة تتعفن من رأسها لا من ذيلها .

(١) ج / ٨ - ٢٧٧ : فدعك من ذاتك حتي تجد الله ، وكن فانيا في الحق حتي تجد البقاء - وإذا أردت الوصال الحقيقي ، فانمحِ ، والله أعلم بالغيب .

(٢) ج/٨ - ٢٨٠ وحتام قياس ذيل الحمار ، مادام لايزيد شيئا سوي السخرية .

- لكن اعلم أن الأمر هكذا وانطلق في العمل [١] كالسهم ، ومادام اللّه تعالي قد قال : « بلغ ما أنزل إليك » فلا محيص .

- إنك لا تعلم من تكون من بين اثنين ، فجاهد بحيث تعلم من تكون منهما .

٣٠٨٥ - إنك عندما ما تضع الأحمال علي ظهر السفينة، فإنك تقوم بهذا العمل علي التوكل .

- وأنت لا تعلم من ستكون من بين اثنين ، هل ستغرق في سفرك هذا أو تنجو .

- فإذا قلت : ما لم أعلم مصيري ، فإنني لن أسوق السفينة أو أركب اليم.

- هل أنا في سبيلي إلي الغرق أو النجاة ؟، اكشف لي من أية فرقة سوف أكون ؟

- ولن أمضي في هذا الطريق علي سبيل الظن كالآخرين علي أمل أنني سوف « أرسو » علي اليابسة .

٣٠٩٠ - فلن تتأتي منك تجارة أبدا ، ذلك أن سر النجاة أو الغرق مستور في حجب « الغيب » .

- فالتاجر ذو الطبع الخائف هش الروح [٢] ، لا يبلغ نفعا أو خسارة في سعيه .

- بل إنه يخسر إذ إنه محروم وذليل ، إنما يجد النور من يكون مجاهدا وساعيا [٣] .

- وما دامت كل الأمور قائمة علي الاحتمالات ، فإن من الأولي بك أن تجد الخلاص من هذا عن طريق الدين .

- وليس من أذن في هذا الموضع إلا الرجاء ، فاقرع الباب ، واللّه أعلم بالصواب

---

(١) حرفيا : سق الحمار .

(٢) حرفيا : زجاجي الروح .

(٣) حرفيا : آكلا للنار .

بيان أن إيمان المقلد هو الخوف والرجاء

٣٠٩٥ – إن المحرك لكل حرفة هو الأمل والاحتمال ، هذا بالرغم من أن الرقاب قد صارت من السعي كالمغزل .

– وعندما يذهب « المرء » في الصباح إلي الحانوت ، إنما يسرع إليه أملا في الرزق منتظرا له .

– وإن لم يكن لديك احتمال الرزق فكيف تسعي ؟ وإن كان كل إحساسك هو الخوف من الحرمان .. فكيف تكون جلدا «علي العمل » ؟

– وكيف لم يجعلك خوفك الأزلي من الحرمان من الدسم واهناً في سعيك ومطلبك ؟

– فترد قائلا : بالرغم من أن الخوف من الحرمان يتقدمني ، فإن خوف الحرمان يكون أكثر في الكسل !!

٣١٠٠ – فالأمل « المعقود » علي السعي يكون أكثر ، والخطر زائد لدي في الكسل .

– لماذا إذن في أمور الدين يأتي الظن ، يتشبث بطرف ردائك الخوف من الخسران ؟

– أو أنك لم تر أهل سوقنا هذا في أي كسب هم الأنبياء والأولياء .

– أي منجم يكشف لهم من الذهاب إلي هذا الدكان ، وكيف يربحون من هذا السوق ؟

– صارت النار مطيعة لهم كأنها الخلخال ، وصار البحر لهم مستأنسا مطيعا هادئا حمالا (١) .

٣١٠٥ – وصار الحديد لينا في أيديهم كالشمع ، وصارت الرياح تحت أمرهم مطيعة لهم (٢).

---

(١) ج / ٨ – ٢٨٧ : ومن نفس ذاك بعث الميت حيا ، والغمام صار مظلة لآخر .

(٢) ج / ٨ – ٢٨٧ : وصارت العصا لذاك في دفع العدو كالحية ، وصار العنكبوت حاجبا لهذا .

بيان أن الرسول عليه السلام قال : إن لله تعالى أولياء أخفياء

– وهناك « غيرهم » قوم آخرون يسيرون في خفاء شديد ، فمتي يصيرون مشهورين بين أهل الظاهر ؟

– إنهم يملكون كل هذا « الذي للأنبياء » لكن عين أحد لاتقع علي عظمتهم لحظة واحدة .

– ولهم الكرامات وهم في الستر الإلهي ، والأبدال أنفسهم لا يسمعون أسماءهم .

– أو أنك لا تدري كرم اللّه سبحانه وتعالي ، الذي يناديك من تلك الناحية قائلا : تعال .

٣١١٠ – وجهات العالم الست إكرام له ، وحيثما تنظر فإنك تجد أعلامه .

– وعندما يأمرك كريم بأن تدخل النار ، فادخل من فورك ولا تقل : إنها تحرقني .(١)

حكاية إلقاء أنس رضي الله عنه بمنديل داخل تنور مشتعل وعدم احتراقه

– روي أن شخصا نزل ضيفا علي أنس بن مالك رضي اللّه عنه .

– فروي أنه بعد الطعام ، رأي أنس أن مفرش المائدة أصفر اللون .

– كان « المفرش » قذرا ملويا ، فصاح : ياخادمة ألقيه في النار لحظة من الزمن .

٣١١٥ – فألقت به في تنور مشتعل ، وهي علي وعي تام بما تفعل .

– فتحير كل الضيوف في ذلك الأمر ، وكانوا في انتظار « أن يشاهدوا » الدخان يتصاعد من المفرش .

– وبعد برهة أخرجته من التنور ، نظيفا أبيض نقيا من الأوساخ .

---

(١) ج / ٨ – ٢٩١ : – فالنار في الحقيقة هيبة منهم كأنها اللبن ، هي غاسلة لمفارش موائد الأنبياء .

– فقال القوم : أيها الصحابي العزيز ، كيف لم يحترق المنديل بل صار أكثر نقاء ونظافة ؟

– قال : لأن المصطفي عليه السلام قد جفف يده وفمه في هذا المفرش .

٣١٢٠ – فيا خائف القلب من الجحيم والعذاب ، اقترب من أمثال تلك اليد والشفة .

– وإذا كان الجماد قد نال مثل هذا التشريف ، فما الذي يفتح لروح العاشق ياترى :

– ألم يجعل حجر الكعبة كالقبلة ، فكوني ترابا « تحت أقدام » الرجال سعيا أيتها الروح .

– ثم قالوا للخادمة : إنك لا تحدثيننا عن أحوالك في هذا الأمر كله .

– كيف ألقيت بالمنديل سريعا بمجرد أمره ؟ وهبه قد فهم الأسرار !!

٣١٢٥ – فكيف ألقيت بهذا المفرش القيم في النار ياسيدتي ؟

– قالت : إنني أثق في الكرام ، ولست قانطة من إكرامهم إياي .

– وماذا يكون مئزر ؟ إنه إن قال لي : أقذفي بنفسك في النار دون ندم .

– لألقيت بنفسي فيها وأنا كلي ثقة ، فأنا راجية في عباد الله « المخلصين » .

– ولألقين برأسي لا بهذا المفرش ، ثقة في كل كريم عالم بالأسرار .

٣١٣٠ – فيأيها الأخ ، أعرض نفسك علي هذا الأكسير ، إذ لا ينبغي أن يكون صدق الرجل أقل من صدق المرأة .

– وإن قلب الرجل الذي يكون أقل من أمراة ، لا يكون قلبا بل يكون أقل من بطن .

قصة نجدة الرسول عليه السلام لقافلة من العرب هدها الظمأ وقلة الماء واستسلمت للموت وقد تدلت ألسنة الخلق والإبل من أفواههم

– كانت قافلة من العرب في ذلك الوادي ، قد جفت قربها من انحباس المطر .

- وقد بقيت وسط تلك الصحراء تنادي موتها .

- وفجأة ظهر علي الطريق مغيث الكونين ، أي المصطفي عليه السلام من أجل عون « تلك القافلة » .

٣١٣٥ - فأبصر في ذلك المكان قافلة كبيرة العدد ، « متساقطة » علي هجير الرمال في طريق صعب ووعر .

- وقد أخرجت إبلهم ألسنتها ، وتساقط القوم علي الرمال في كل صوب.

- فأشفق عليهم : هيا قوموا سريعا ، وليسرع عدد من الصحاب نحو تلك الكثبان .

- فإن عبدا أسود سائر بقربة علي بعير يحملها إلي سيده متعجلا .

- فهاتوا هذا الجمّال الأسود بما يحمله إلي كرها « إن لم يأت طوعا » .

٣١٤٠ - وأسرع أولئك الطلاب نحو الكثبان ، وبعد برهة رأوا الأمر تماما كما قال عليه السلام .

- كان هناك عبد أسود يمضي علي جمل عليه قربة مليئة بالماء كأنها الهدْيَة تحمل الهدية .

- فقالوا له : يستدعيك في هذه الناحية فخر البشر وخير الوري ،

- قال لا أعرف من تقصدون .. فقال آخر : إنه قمري الوجه حلو الطباع (١) .

- وأخذوا يمدحونه عليه السلام بما فيه ، فقال : يبدو أنكم تقصدون ذلك الشاعر ،

٣١٤٥ - الذي جعل جماعة من الناس عاجزة أمامه بسحره ؟ ولن أتقدم إليه ولو نصف شبر .

- فأتوا به جارين إياه نحو ذلك المكان ، فرفع عقيرته يالشتم وأخذ يبصق بغضب .

- وعندما أتوا به أمام ذلك العزيز ، قال : اشربوا الماء وخذوا منه حاجتكم .

---

(١) ج / ٨ - ٢٩٦ : السيد والزعيم محمد نور الروح ، الأعظم والأقيم شفيع المجرمين .

– فارتوي الجميع من تلك القربة ، وشربت منها الإبل ، كما ارتوى كل إنسان .

– كما ملأ الراويات [١] من قربته تلك، فنظر سحاب السماء مشدوها حسدا له .

– ورأي ذلك الشخص أنه من قربة واحدة ، قد بردت حرارة العديد من أمثال هاوية « الجحيم » .

– ورأي هذا الشخص أنه من قربة واحدة من الماء ، امتلأت قرب عديدة دون « أدني » اضطراب .

– كانت قربته في حد ذاتها مجرد حجاب ، أما أمواج الفضل فقد كانت تصل بأمره من البحر الأصلي .

– فالماء من الغليان يتحول إلي بخار ، ثم يتحول البخار من البرودة إلي ماء .

– بل إنه بلا علة وخارج عن هذا الترتيب ، كان يجري الماء مكونا إياه من العدم .

– وأنت من طفولتك عندما رأيت الأسباب ، قد تعلقت بها وهذا من جهلك بالسبب الأصلي .

– ولأنك غافل بالأسباب عن المسبب ، فإنك تميل إلي تلك الحجب .

– وعندما تنتفي الأسباب فإنك تقوم بالضرب علي رأسك « ندما » قائلا : ربنا ربنا .

– فيجيبك الإله: أمض نحو السبب ما دمت قد ذكرتني من صنعي وياللعجب .

– قال : من الآن فصاعدا سوف أراك في كل شيء ، ولن أنظر إلي السبب أو إلي مظاهره الخادعة .

– فيقول له « الإله » : « ولو ردوا لعادوا » إن هذا هو ديدنك ، يا من أنت واهن في التوبة والميثاق .

– لكني لا ألقي بالا إلي الأمر وأرحمك ، فرحمتي واسعة ، وأن مداري هو الرحمة .

---

(١) الروايات : القرب الكبيرة .

– ولا أنظر إلي نكوصك عن العهد ، وأعطيك عطاء الكرم ما دمت تدعوني في هذه اللحظة (١) .

– صارت القافلة حائرة من عمله هذا ، قائلة، يا محمد إن طبعك من طبع البحر

– وقد جعلت من قربة صغيرة مجرد وسيلة ، فأغرقت بها العرب والكرد « فضلا » .

ملء قربة ذلك الغلام من الغيب بالماء معجزة منه عليه السلام وتحويل هذا الغلام الأسود إلى أبيض بإذن الله تعالى

٣١٦٥ – أنظر أيها الغلام الآن إلي قربتك مليئة بالماء ، حتي لا تتحدث شاكيا بخير أو شر .

– فتحير ذلك الأسود من برهانه عليه السلام ، وأخذ إيمانه يتفتح من اللامكان .

– لقد رأي عين ماء سيالة من الهواء ، ورأي قربته دريئة لفيضها .

– ومن تلك النظرة ، مزق الوسائل أيضا ، حتي رأي عين الغيب عيانا .

– فامتلأت عينا الغلام بالدموع لتلك اللحظة ، ونسي سيده ومقامه .

٣١٧٠ – وعجزت قدماه عن السير في الطريق ويداه عن الحركة ، وأحدث الإله في روحه زلزالا .

– ثم فك إساره من أجل المصلحة ، قائلا له : عد إلي وعيك ، وعد في طريقك أيها المستفيد .

– ليس هذا بأوان الحيرة فالحيرة أمامك ، فامض في الطريق سريعا جلدا من فورك .

---

(١) ع / ٨ – ٢٩٧ : والحاصل أنك تعلقت بالسبب ، لكنك معذور فلم ترَ سواه .

- ووضع المصطفي يده علي وجهه ، فقبلها بوجد ، وأمطرها بالقبلات .
- ومسح المصطفي آنذاك وجهه بيده المباركة ، وجعله من السعداء .

٣١٧٥ - صار أبيض « البشرة » ذلك الزنجي وليد الحبش ، صار كالبدر وصار ليله كالنهار المضيء .

- صار كيوسف الصديق في جماله وفي رقته ، فقال له المصطفي : امض الآن إلي قريتك وارو عن الأحوال .
- فأخذ يسير دون رأس أو قدم ثملا ، لم يكن ليعرف له رأسا من قدم عند السير .
- ثم أتي بقربتين مليئتين بالماء الجاري ، نحو سيده في موضع القافلة (١) .

رؤية السيد لغلامه أبيض البشرة ، وعدم معرفته إياه ، وقوله له : لقد قتلت غلامي وأخذك القصاص ، فرمي بك الله بين يدي

- رآه السيد من علي البعد وأخذته الدهشة، ومن دهشته نادي أهل تلك القرية.

٣١٨٠ - قائلا لهم : هذه قربتنا وهذا بعيرنا ، فإلي أين مضي العبد الأسود ؟

- إن ذاك الذي يأتي من بعيد بدر ، يزري نور وجهه بنور النهار .
- فأين غلامنا ؟ أتراه ضل الطريق ؟ أو ظفر به أحد الذئاب وفتك به (٢)؟
- وعندما وصل إليه سأله : من أنت ؟ هل أنت تركي أو مولود في اليمن؟
- وقل : ماذا صنعت بغلامي وانطق بالصدق ، واعترف إن كنت قد قتلته ، وإياك والاحتيال .

---

(١) ج / ٨ - ٣٠١ : كان سيده قد جلس منتظرا علي الطريق ، هل يأتي غلامه ذاك سريعا أو متأخرا .

(٢) ج / ٨ - ٣٠٣ : أو ربما قتله هذا المجرم ، وأتي به بعيره إلي هنا من قدره .

٣١٨٥ – قال : لو كنت قتلته كيف أتي إليك ؟ وكيف أتي بقدمي إلي موضع القصاص [١] ؟

– أين غلامي ؟ قال : هو أنا ، وقد جعلتني يد فضل اللّه ذا ضياء .

– هه ؟ ماذا تقول ؟ أين غلامي ؟ حذار لن تنجو مني إلا بالصدق .

– فقال له : إن الأسرار التي بينك وبين هذا الغلام ، أرويها لك كلها سرا سرا .

– أقول لك كل ما حدث منذ أن اشتريتني حتي الآن .

٣١٩٠ – حتي تعلم كما أنني مازلت حيا ، وإن كان صبح قد تفتح من دجاي .

– لقد تغير اللون ، لكن الروح الطاهرة فارغة من الألوان والأركان والتراب .

– إن العارفين بالأجساد سرعان ما ينكروننا ، لكن شاربي الماء من العين يتركون القرب والدنان .

– والعارفون بالأرواح فارغون من الأعداد ، وهم غارقون في البحر الذي لا كيفية له ولا مقدار .

– فصر روحا وعن طريق الروح اعرف الحبيب ، وكن رفيقا للرؤية لا ابنا للقياس .

٣١٩٥ – وعندما جعل الملَك مع العقل في سلك واحد ، جعلهما علي صورتين لحكمة يعلمها .

– فاتخذ الملَك جناحا وقوادم كالطير ، أما العقل فقد ترك الجناح واختار المجد .

– فلا جرم أن كليهما كان نصيرا للآخر ، وكلاهما حسن الوجه دائر حول الآخر .

---

(١) ج / ٨ – ٣٠٢ : قال .. لا .. إن هذا لا يقنعني وينبغي أن تصدقني القول عن سر مكرك .

- وكلاهما أي الملك والعقل مدركان للحق ، وكلاهما معين للإنسان وساجد له .
- والنفس والشيطان كانا « مادة » واحدة من البداية ، كانا عدوين وحاسدين لآدم .

٣٢٠٠ - فالذي رأي آدم طينا نفر منه ، لكن من رآه نورا من اللّه سجد له .
- ومنه - سبحانه وتعالي - كان هذان « أي العقل والملك » مستنيري البصر ، بينما لم تر أبصار النفس والشيطان إلا الطين .
- لقد عجز هـــذا البيان الآن كحمار في ثلج ، ولا يجوز لك أن تتلو الإنجيل علي يهودي .
- وكيف يمكن الحديث مع شيعي عن عمر ؟ وكيف يمكن عزف العود أمام أصم ؟
- لكن لو كان في ركن من القرية إنسان واحد ، لكانت صيحات الوجد التي أبوح بها أكثر من هذا .

٣٢٠٥ - ولو كان هناك مستحق للشرح لنطق له الحجر والمدر وصارا شارحين ذوي رسوخ .

بيان أن الحق تعالى فى كل ما أعطاه وخلقه من السموات والأرضين والأعيان والأعراض خلقه كله باستدعاء الحاجة وينبغى أن يحتاج المرء شيئا لكى يعطيه إياه مصداقا للآية الكريمة ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ فالاضطرار هو دليل الاستحقاق

- إن تضرع مريم وألمها ، هو الذي جعل طفلا مثل ذلك الطفل يشرع في الكلام .
- إن جزءاً منها قد تحدث من أجلها وذلك دون تدخل منها ، ومن ثم فأجزاؤك ذات حديث في السر جزءا جزءا .

- ويشهد علي هـــذه الأجزاء يداك ورجلاك أيها السالك ، فحتام تجعل للمنكر يدا وقدما ؟

- وإذا لم تكن مستحقا للشرح والقول ، فإن ناطقة الناطق قد شاهدتك ثم نامت .

٣٢١٠ - وكل ما ظهر في الوجود إنما ظهر من أجل محتاج ، وحتي يجد الطالب الشيء الذي يبحث عنه .

- وإذا كان الحق تعالي قد خلق السموات ، فقد خلقها من أجل دفع حاجات .

- وحيثما يكون ألم يمضي إليه الدواء ، وحيثما يكون فقر يمضي إليه الزاد ،

- وحيثما يكون مشكل فالجواب متوجه إليه ، وحيثما تكون سفينة يجري المـــاء .

- فقلل البحث عن المـــاء وأحصل علي الظمأ ، حتي يتفجر المـــاء « لك » من أعلي ومن أسفل .

٣٢١٥ - وما لم يولد الطفل رقيق الحلق ، متي يجري له اللبن من ثدي أمه ؟

- فامض إلي تلك الأعالي ، وأسرع إلي تلك الأســافل ، حتي تصير ظمأن رهن الحرارة .

- وبعد ذلك ابحث عن خرير المياه مستهديا بطنين زنبور الهواء « الرعد » لكي تشرب أيها العظيم .

- وليست حاجتك أقل من حاجة النبات ، فهو يأخذ المـــــاء ويجذبه نحوه.

- أو تأتي أنت وتحول جزءا من المـاء ، نحو الزرع اليابس حتي يجد به النضرة .

٣٢٢٠ - فاجذب الجواهر المضمرة إلي زرع الروح فإن سحاب الرحمة ملآن بماء الكوثر .

- وكن ظامئا حتي يأتيك الخطاب بـــ « سقاهم ربهم » واللّه أعلم بالصواب .

مجئ تلك المرأة الكافرة بطفلها الرضيع
إلى المصطفى عليه السلام ، ونطقه
كعيسى بمعجزات الرسول ﷺ

– وكان من تلك القرية أيضا امرأة من الكفار ، أسرعت إلي الرسول من أجل الامتحان .

– قدمت إلي الرسول عليه السلام في خمارها ، وفي حضنها طفل رضيع يبلغ الشهرين من العمر .

– فقال الطفل « سلم اللّه عليك ، يارسول اللّه جئنا إليك » (١) .

٣٢٢٥ – قالت له أمه غاضبة : اصمت !! من الذي لقنك هذه الشهادة في أذنيك ؟

– ومن الذي علمك هذا أيها الطفل الصغير، حتي صار لسانك في طفولتك .فصيحا مفوها (٢)

– قال لقد علمه الحق ، ثم جبريل ، وهو يردد معي الآن هذا البيان .

– قالت : فأين هو إذن ؟ قال : فوق رأسك وأنت لاترينه فانظرى إلي أعلي .

– إن جبريل واقف فوق رأسك ، صار لي دليلا في كل أمر من الأمور .

٣٢٣٠ – قالت : فهل تراه أنت ؟ قال : بلي ، إنه متألق فوق رأسك كأنه بدر التمام.

– إنه يعلمني وصف الرسول ، ويخلصني من عليائه من الانحطاط « الذي أنا فيه » .

– ثم قال له الرسول : أيها الطفيل الرضيع ، ما اسمك ، قله لي وكن مطيعا !!

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) حرفيا مثل جرير وذكر جرير هنا محال بالطبع .

– قال : إن اسمي عند الله هو عبد العزيز ، لكنه عند هذه الشرذمة من المخنثين عبد العزي .

– وأنا بريء من العزي ونفور ونظيف ، بحق من أعطاك هذه النبوة .

٣٢٣٥ – وهكذا ألقي الطفل ذو الشهرين كبدر التمام ، درسا بليغا كأنه « العلماء الجالسون » في الصدر .

– ثم هبت رائحة حنوط في تلك اللحظة من الجنة ، شمها أنف الطفل وأنف الأم .

– فقال كلاهما : إن تسليم الروح علي رائحة تلك الحنوط أفضل من « العيش » مع خوف السقوط .

– وذلك الذي يعرف به الحق ، فإن الجامد والحي يجيبانه بالآف من التصديق .

– وذلك الذي يكون الله له حافظا ، تكون الطيور والأسماك حارسة له .

اختطاف العقاب نعل المصطفى عليه السلام ، وحمله إلى الهواء وقلبه وسقوط حية سوداء من النعل

٣٢٤٠ – بينما كانوا في هذا الأمر، إذ سمع المصطفي أذان الصلاة قادما من العلا

– فطلب ماء وجدد وضوءه ، وغسل يده ووجهه بهذا الماء البارد .

– وغسل قدميه واتجه إلي نعله ، لكن عقابا اختطف منه النعل .

– وحمله في الهواء وكأنه الريح ، ثم قلبه وسقطت منه حية .

– مد يده نحو النعل ذلك الحسن الخطاب ، لكن العقاب اختطف النعل من يده (١) .

٣٢٤٥ – سقطت من النعل حية سوداء ، ومن تلك العناية صار العقاب مريدا لخيره .

(١) ج / ٨ – ٣٢٢ : ثم طار به في الهواء كالريح ، وقلبه فسقطت منه حية .

– ثم هبط العقاب بالنعل ثانية قائلا له : هذا هو فخذه واتجه إلي صلاتك.

– لقد توقحت هكذا من أجل الضرورة ، وأنا الذي لا أستطيع أذي .

– واويلاه لذلك الذي يمشي اختيالا بلا ضرورة وإن افتاه الهوي بذلك .

– فشكره الرسول عليه السلام وقال له : لقد رأيناه جفاء وهو في حد ذاته عين الوفاء .

٣٢٥٠ – لقد اختطفت نعلي وكنت في حيرة من هذا الأمر ، كنت تحمل همي بينما كنت مشغولا بشيء آخر .

– هذا وإن كان الله قد أبدي لي كل غيب ، إلا أن القلب كان مشغولا بنفسه في تلك اللحظة .

– قال « العقاب » : حاشاك أن تحل بك غفلة ، إن رؤيتي لذلك الغيب هي انعكاس وجودك أيضا .

– وأن أري الحية في النعل من الجو ليس مني ، بل من صورتك أيضا أيها المصطفي .

– إن الوجود النوراني نور بأجمعه ، أما الوجود الظلماني فهو بأجمعه مزبلة .

٣٢٥٥ – ويكون الوجود الصوري لعبد اللّه كله نورا، أما الوجود الصوري للمبعد فكله عمي .

– فاعلم صورة كل إنسان وانظر إليها أيها الحبيب ، داوم علي معاشرة من تراه من جنسك .

وجه الاعتبار من هذه الحكاية والعلم يقينا أن مع العسر يسرا

– إن هذه الحكاية عبرة من أجلك أيها الحبيب ، حتي تكون راضيا في حكم اللّه .

– حتي تكون فطنا وحسن الظن ، عندما تتعرض لحادثة سيئة فجأة .

- وبينما تصفر وجوه الآخرين خوفا منها، تكون أنت ضاحكا كالورد عند النفع والضر.

٣٢٦٠ - ذلك أنك تقوم بانتزاع الورق من الوردة ورقة ورقة ، لكنها لاتترك الضحك ولا تنثني ؟

- وتقول : كيف أهتم بالشوك وأنا الذي جعلت الضحك والسرور ينبثق من الشوك ؟

- وكل ما يجعلك شاكيا من القضاء ، أعلم يقينا أنه قد اشتراك من بلاء (أشد) .

- « ما التصوف ؟ قال : وجدان الفرح في الفؤاد عن إتيان الترح [١] » .

- فاعلم أن عقابه عقاب اختطف النعل من المصطفي الذي وصف بحسن الخلق .

٣٢٦٥ - حتي ينجي قدمه من لدغ الحية ، وما أسعد العقل الذي ينفض عن نفسه الغبار .

- قال « لا تأسوا علي ما فاتكم » « أن أتي السرحان وأردي شاتكم [٢] » [٣]

- فإن هذا البلاء دفع لبلايا عظيمة ، وتلك الخسارة منع لخسارات جسيمة [٤] .

طلب ذلك الرجل من موسى تعلم لسان الدواب والطير

- قال أحد الشبان لموسي : علمني لسان الحيوان .

- ربما أحصل علي عبرة في ديني من منطق الحيوانات والوحوش .

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) بالعربية في المتن .

(٣) ج / ٨ - ٣٢٦ : لكنه قال : ذاك قد فات فلا تغتم ، وإن صار قديما ، فسوف يعود جديدا .

(٤) ج / ٨ - ٣٢٦ : وفوات المال كان راحة للروح أيها الحبيب ، فالمال عندما اجتمع ، صار وبالا للروح

٣٢٧٠ – فإن ألسنة بني آدم بأجمعهم ، لا تتحدث إلا عن الماء والخبز والحيلة والاحتيال .

– فلعل للحيوانات اهتمامات أخري ، تبديها عند تدبير أمورها في هذه الدنيا !!

– فقال له موسي : امض ودعك من هذا الهوس ، فإن في هذا خطرا عظيما « عليك » من قدام ووراء .

– فاطلب العبرة واليقظة من الله العلي ، لا من الكتاب ولا من المقال ولا من الحرف والشفة .

– فصار الرجل من رده أكثر إلحاحا ، ذلك أن الإنسان أكثر حرصا علي ما منع.

٣٢٧٥ – فقال يا موسي عندما سطع نورك ، وجد كل شي شيئا من « إنعامك وإحسانك » .

– وإن حرماني من هذا المراد ، لا يليق بلطفك أيها الجواد .

– فأنت في زماننا نائب للحق علي الأرض ، وإن منعتني أودي بي هذا المنع إلي « هاوية » القنوط .

– قال موسي : يارب ، إن هذا الرجل الساذج ، يبدو أن الشيطان الرجيم قد تسلط عليه .

– وإذا علمته ما يطلب ينقلب الأمر وبالا عليه ، وإن لم أعلمه ضاق صدره مني .

٣٢٨٠ – قال الله : ياموسي علمه ، فإننا لم نرد دعاء قط رفع إلينا وهذا من كرمنا .

– قال موسي : يارب ، إنه سوف يندم ، سوف يعض علي يديه ويمزق الثياب « عن جسده » .

– فالقدرة ليست خليقة بكل إنسان ، والعجز أفضل ، فهو أساس التقي

– ومن هنا كان الفقر فخرا إلي الأبد ، فأولئك الذين لا تصل أيديهم يبقون متقين .

– ومن هنا فالغِني والغني مردودان ، لأنهما من القدرة قد ودعا الصبر

٣٢٨٥ – فالعجز والفقر أمان للإنسان ، فهو من ابتلاء النفس شديد الحرص ومغتم .

– وذلك الغم يحل به من الرغبات التي لا لزوم لها ، التي اعتاد عليها ذلك الذي سقط فريسة للأوهام (١) .

– وتسيطر الرغبة في الطين علي أكل الطين ، ولا يحلو الورد بالسكر لذلك المسكين .

الوحي إلى موسى بأن : علمه ما يحتاجه الأمر أو بعضه (٢)

– قال الله تعالي : أعطه مايلزمه فحسب ، وأطلق يديه في الاختيار .

– والاختيار هو ملح العبادة ، وإلا لدار الفلك بالرغم منه .

٣٢٩٠ – فإن دورانه لا طمعا في ثواب أو خوفا من عقاب ، فالاختيار فضل عند الحساب .

– وكل العالم مسبح لله سبحانه وتعالي ، وليس هذا التسبيح الجبري مقابل أجر .

– فضع السيف في يد « المرء » وخلصه من عجزه ، فإما يصير غازيا أو قاطع طريق .

– ومن هنا صار الاختيار للإنسان « من كرمنا » ، فصار نصفهم نحل عسل ونصفهم حيات .

– والكفار في حد ذاتهم منبع للسم كالحيات ، في حين أن المؤمنين منبع للعسل كنحل العسل .

٣٢٩٥ – لقد امتصوا الرحيق المختار من النبات ، حتي صاروا كالنحل ريقهم حياة .

---

(١) في النص : سقط فريسة للغول .

(٢) ج / ٨ – ٣٣٦ : ثم هبط رسل الوحي من الحضرة قائلا له : استمع إلي كل ما يتحدث به من لطفك .

- بينما شرب الكافر شربة من صديد ، ومن قوته هذا ظهر السم فيه .
- فأهل إلهام الله هم عين الحياة ، أهل تسويل الهوي هم سم الممات .
- وهذا المدح والتحسين والإعجاب في الدنيا ، من الاختيار والحفاظ علي الوعي بالخير .
- وكل الفسقة عندما يدخلون السجن ، يتحولون إلي تقاة زهاد داعين للحق .

٣٣٠٠ - فعندما مضت القدرة كسد العمل ، فانتبه حتي لا يأخذ الأجل رأس المال .

- وقدرتك هي رأسمال تجارتك فانتبه ، وحافظ علي أوان القدرة وانتظر .
- والإنسان يمتطي جواد « كرمنا » ، وعنان الاختيار في كف إدراكه .
- ثم نصحه موسي بحب وقال له : إن مرادك هذا سوف يرتد عليك وسوف يفضحك [1] .
- فأترك هذا الهوس واتق اللّه ، فقد أعطاك الشيطان درسا ليمكر بك [2]

قناعة ذلك الطالب بتعلم لسان الدواجن والكلاب وإجابة موسى عليه السلام

٣٣٠٥ - قال الشاب : يكفي نطق الكلاب ، فالكلب حارس الباب ، ونطق الطائر الداجن ذي الجناح .

- قال له موسي : هيا ، ها أنت ذا تعلم فامض ، لقد وصل إليك « ما طلبت » ويكشف لك منطق هذين .
- وفي الصباح لكي يمتحن الأمر ، وقف منتظرا علي عتبة داره .

---

(١) حرفيا : سوف يصيب وجهك بالشحوب .

(٢) ج / ٨ - ٣٣٦ : هيا وامض ، وادع بأن يقل صداعك ، فإن مرادك هذا سوف يلقي بك في مائة تعب .

– ونفضت الخادمة السفرة فسقط منها فتات الخبز البائت من بقايا الطعام .

– فاختطفها ديك كأنها غنيمة له ، قال الكلب له : لقد ظلمتني فامض .

– إنك تستطيع أن تلتقط حبوب القمح في حين أني عاجز عن أكل الحبوب في الدار .

– إنك تستطيع أن تأكل القمح والشعير وبقية الحبوب وأنا لا أستطيع ذلك أيها الطروب .

– إن هذه اللقمة من العيش هي كل مئونتنا من العيش ، فحتي هذا القدر هل تختطفه من الكلاب ؟

جواب الديك على الكلب

– فقال له الديك : اسكت ولا تغتم ، فإن الله سوف يعوضك عن هذا « الفتات » بخير منه .

– إن جواد هذا السيد سوف ينفق ، وكل غدا حتي تشبع ، وكفاك حزنا .

– أليس موت الجواد عيدا عند الكلاب ، بحيث يكون رزقا وافرا دون جهد وكدح .

– وعندما سمع الرجل باع الجواد ، فصار ديكه خجلا أمام الكلب .

– وفي اليوم التالي اختطف الديك فتات الخبز أيضا ،وأطلق عليه الكلب لسان عذله .

– قائلا له : أيها الديك المخادع، حتام هذا الباطل : إنك ظالم كاذب محتال

– أين الجواد الذي قلت : إنه سوف ينفق ، أيها المنجم الأعمي المحروم من الصدق ؟

– فقال له ذلك الديك العارف ، لقد نفق الجواد لكن في مكان آخر .

– لقد باع الجواد ونجا من الخسارة ، وألقي بخسارته علي « كواهل » الآخرين .

– لكن بغله سوف ينفق غدا ، وتكون هذه النعمة قاصرة علي الكلاب .

– فباع البغل سريعا ذلك الحريص ، ووجد مهربا من الحزن والخسران من فوره .

– وفي اليوم الثالث قال الكلب لذلك الديك : يا أمير الكاذبين يا من دقت الطبول والكوس « إعلانا بكذبك » (١) .

٣٣٢٥ – قال : لقد باع البغل سريعا ، وغدا سوف يصاب غلامه .

– وعندما يموت ذلك الغلام ، فإن أهله سوف يوزعون الخبز علي الكلاب والسائلين .

– فسمع هذا وباع غلامه ، ونجا من الخسارة وتهلل وجهه .

– وأخذ يؤدي الشكر ويبدي السرور قائلا : لقد نجوت من ثلاث كوارث في زمن وجيز.

– ومنذ أن تعلمت لغة الدجاج والكلاب ، تخطت عيني سوء القضاء .

٣٣٣٠ – وفي اليوم التالي قال ذلك الكلب المحروم : أيها الديك المخرف أين حساباتك هذه التي تحدثت عنها ؟

خجل الديك أمام الكلب بسبب كذبه فى المرات الثلاث

– حتام كذبك ومكرك آخر الأمر ، فلا يطير من كنك سوي الكذب .

– قال : حاشاني وبني جنسي أن نمتحن بالكذب .

– ونحن الديكة ما دمنا المؤذنين الصادقين، فنحن رقباء الشمس منتبهون إلي الأوقات.

– نحن مراقبون للشمس من الباطن ، حتي ولو وضعنا تحت طست مقلوب .

---

(١) ج / ٨ – ٣٤٣ : فحتام تتحدث بالكذب يا خالياً من الضياء ، إنك مخيض أيها الخسيس مخيض مخيض .

٣٣٣٥ – ورقباء الشمس هم الأولياء ، وهم الواقفون من البشر علي أسرار الله .

– وأصلنا أهداه الحق إلي الإنسان من أجل أن يقوم بالأذان في سفينة « نوح » .

– ولو جري علينا السهو فجأة في الأذان ، لكان في ذلك مقتلنا .

– وإن قول « حي علي الفلاح » في غير وقت ، تجعل دمنا رخيصا مباحا.

– وذلك الذي هو معصوم وبريء من الغلط ، هو ديك روح الوحي فحسب .

٣٣٤٠ – لقد مات غلامه ذاك عند مشتريه ، وصار بأجمعه خسارة علي المشتري .

– لقد استطاع أن يهرب ماله لكنه سفك دمه فانتبه إلي ذلك جيدا .

– فخسارة واحدة تكون منعا لخسارات عديدة ، إن أجسادنا وأموالنا فداء لأرواحنا .

– إنك عند الملوك وقت توقيع العقاب ، تدفع المال لكي تشتري رأسك .

– فكيف صرت متجاهلا في أمور القضاء فطفقت تهرب أموالك من الحاكم (الفرد) .

إخبار الديك عن موت السيد

٣٣٤٥ – لكنه سوف يموت في الغد علي وجه اليقين ، وسوف يذبح وارثه في مأتمه بقرة .

– سوف يموت رب الدار ويمضى ، وغدا تحصل على قطع اللحم الضخمة .

– ولقيمات الخبز والزلة « قطع اللحم » والطعام ، سوف يجدها وسط الشارع الخاص والعام .

– ولحم البقرة المذبوحة والفطائر الرقيقة ، سوف تنصب في يسر على الـكلاب والسائلين .

– إن موت الجواد والبغل وموت الغلام ، كانت فداء من القضاء لهذا الغر الساذج .

٣٣٥٠ – لقد هرب من خسارة الأموال وما تسببه من آلام ، فزاد ماله لكنه سفك دمه .

– ولماذا تكون هذه الرياضات من الدراويش ، لأن هذه البلايا على الجسد بقاء للأرواح .

– فإنما لا يجد السالك البقاء « لروحه » ، مالم يسقم جسده ويهلكه .

– ومتى تتحرك اليد بالإيثار والعمل مالم تر العطاء لروحها في مقابله ؟.

– وذلك الذي يعطي دون انتظار لمنفعة ، هو الله ، هو الله ، هو الله .

٣٣٥٥ – أو ولى الله الذي تخلق بأخلاق الله ، فصار نورا وتقبل النور المطلق .

– وأنه سبحانه وتعالى – هو الغنى وغيره كلهم فقراء ، ومتي يقول فقير خذ بلا عوض ؟ !!

– وما لم ير الطفل أن التفاح موجود ، فإنه لا يسلم البصلة المتعفنة من يده ؟!

– وهذا السوق كله من أجل هذا الغرض كلهم جالسون في الحانوت على أمل العوض .

– إنهم يعرضون مائة صنف من المتاع الجيد ، وتطوف آمال قلوبهم حول مايتلقونه عوضا عنها .

٣٣٦٠ – وأنت لا تسمع سلاما واحدا يا رجل الدين ، لا يمسك آخره بطرف ثوبك (١) .

---

(١) أى لا يطلب منك من سلم عليك بعده شيئا .

– وأنا لم أسمع سلاما واحدا من خاص أو عام دون طمع أيها الأخ والسلام .

– هذا اللهم الإسلام الحق ، فهيا ابحث عنه من منزل إلي منزل ومن موضع إلى موضع ومن شارع إلي شارع .

– لكن من لسان الإنسان حلو المشام ، سمعت رسالة الحق معها أيضا السلام .

– أما سلام الباقين فعلى على رائحة ذلك السلام لا أزال أتشربه بالقلب ، أحلى من الروح .

٣٣٦٥ – من ذلك الذي صار سلامه هو سلام الحق ، لأنه قد أضرم النيران في نسل « نفسه » .

– لقد مات عن « نفسه » وصار حيا بالرب ، ومن هنا تكون علي شفتيه دائما أسرار الحق .

– إن موت الجسد في الرياضة « الصوفية » هو الحياة ، وتعب هذا الجسد ثبات للروح .

– وكان ذلك الرجل الخبيث قد تنصت وأخذ يسمع من ديكه ذلك الحديث .

إسراع ذلك الشخص خائفا إلى موسى عندما استمع من الديك نبوءة وفاته

– وعندما استمع هذا الحديث انطلق مسرعا قلقا مضطربا وذهب إلى باب كليم الله موسى .

٣٣٧٠ – أخذ يمرغ وجهه في ترابه من الخوف ، قائلا : أغثنى يا كليم الله .

– فقال له : اذهب وبع نفسك وانج ، وما دمت قد أصبحت أستاذا فاقفز من هذه الورطة (١).

(١) حرفيا : البئر .

- وإنني أرى في لبنة هذا القضاء الذي ظهر لك عيانا في المرآة .
- إن العاقل يري العاقبة منذ البداية بقلبه ، ومن يراها في آخر الأمر فهو مقل في المعرفة .

٣٣٧٥ - فجأر بالصراخ ثانية قائلا : يا حميد الخصال لا تحقرني [١] ولا تصفعني علي وجهي .
- لقد بدر هذا كله مني لأنني كنت غير مستحق ، فقابل أنت إساءتي بالإحسان .
- قال : لقد انطلق السهم يا بني من الإبهام ، وليس في العادة أن يرتد إلي مبدئه .
- لكني سأطلب من الحكم العدل ، أن تصطحب معك إيمانك عندما يجيء أجلك .
- فإنك إذا اصطحبت الإيمان تكون حيا ، وعندما تمضي بإيمانك تمضي ثابتا .

٣٣٨٠ - وفي تلك اللحظة انقلب حال السيد وهاجت بطنه وأحضروا له الطست
- كان هياج الموت لا هيضة الطعام ، وماذا يجديك القيء أيها التعس الساذج ؟
- فحمله أربعة أشخاص إلي منزله ، وهو يلف الساق بالساق .
- إنك لم تستمع إلي نصيحة موسي واستهنت بها ، فعرضت نفسك علي سيف فولاذي .
- ولايستحيي هذا السيف من « نزع » روحك ، فهو لك أيها الأخ وجدير بك .

دعاء موسى لذلك الشخص حتى يمضى بإيمانه من الدنيا

٣٣٨٥ - وأخذ موسي في مناجاة ربه ذلك السحر قائلا : يا إلهي لا تقبض روحه

---

(١) حرفيا : لا تضربني علي رأسي .

وقد سلبته الإيمان (١) .

- وزاول معه الملوكية ، واعف عنه ، فقد وقع في السهو والتوقح والغلو .
- لقد قلت له إن هذا العلم ليس جديرا بك فظنه رداً واستهانة .
- إن الإنسان الذي تتحول العصا إلي أفعي في يده ، هو الذي « يمكن له» أن يضع يده علي الأفعي .
- وتعليم سر الغيب جدير بذلك الشخص الذي يستطيع إطباق شفتيه عن الكلام .

٣٣٩٠ - ولم يصبح جديرا بالبحر إلا الطائر المائي فافهم هذا والله أعلم بالصواب .

- لقد ذهب إلي البحر ولم يكن طائرا مائيا ، فغرق ، فخذ بيده أيها الودود .

استجابة الحق لدعاء موسى عليه السلام

(٢)

- قال : لقد وهبته الإيمان ، أجل ، ولو أردت أحييته في التو واللحظة .
- بل أحيي كل الموتي من القبور في هذه اللحظة من أجلك أنت .
- قال موسي: إن هذه هي دار الفناء،فابعثه في تلك الدار حيث النور والضياء

٣٣٩٥ - وما دام موضع الفناء هذا ليس بعالم للوجود ، فإن عودة العارية إليه عديمة الجدوي .

- فانثر رحمتك عليهم أجمعين ، في منزل سر « لدينا محضرين » .
- هذا حتي تعلم - « أيها السالك » - إن خسارة الجسم والمال تكون نفعا للروح وتخلصها من الوبال .
- ومن ثم كن شاريا للرياضة بكل ما وسعك ، فما دمت قد جعلت الجسد في الطاعة فقد ظفرت بالروح .

---

(١) وزاول معه الملوكية ، واعف عنه ، فقد وقع في السهو والتوقح والغلو .
لقد قلت له إن هذا العلم ليس جديرا بك فظنه رباً واستهانه .

(١) ج / ٨ ٣٥٣ : واستجاب الله تعالي لهذا الدعاء ورحمه لعجزه وافتقاره .

– وإذا وهبت الرياضة دون اختيار ، فطأطيء لها الرأس وأد حق شكرها أيها الموفق .

٣٤٠٠ – وما دام الحق قد وهبك تلك الرياضة فاشكره ، إن الأمر لم يكن بحولك بل جذبك هو بأمر « كن » .

حكاية تلك المرأة التى لم يكن يعيش لها ابن فناحت ، فجاءها الجواب : إن هذا أجر رياضتك ولك عليه أجر جهاد المجاهدين

(١)

– كانت إحدي النساء تضع كل سنة إبنا ، فلم يكن يعمر أكثر من ستة شهور .

– كان يموت بعد ثلاثة شهور أو أربعة ، فناحت تلك المرأة قائلة : واغوثاه أيها الإله !!

– أأحمل تسعة شهور وأفرح ثلاثة أشهر ؟! إن نعمتي أسرع في زوالها من قوس قزح .

– وأخذت تلك المرأة تضج بالشكوي إلي رجال الله « باكية ضارعة » من ألم النذير .

٣٤٠٥ – وهكذا فقد مضي لها عشرون ابنا نحو القبر ، وكأن نارا حامية قد أضرمت في أرواحهم .

– حتي أبدي لها « الله » ذات ليلة «فيما يري النائم» جنة باقية خضراء أكلها دائم .

– لقد سميت النعمة التي لاتوصف بالجنة، لكنها أصل النعم ومجموع الجنان.

---

(١) ع / ٨ – ٢٥٥ : – استمع إلي هذه الحكاية واعتبرها غطة حتي لا تصبح متعباً من النقص والضرر .

– وإلا فأي وصف بالحديقة ينطبق علي « ما لا عين رأت » .. « إن هذا يشبه » قول الله تعالي عن نور الغيب بأنه مصباح .

– وليس هذا مثلا بل هو مثال ، « ضرب » ؛ لكي يفهم ذلك الذي يكون حائرا في معانيه .

٣٤١٠ – لقد رأت تلك المرأة الحديقة فثملت ، وخارت قوي تلك السيدة من ذلك التجلي.

– ورأت أن اسمها قد كتب علي قصر، وعرفت أنه لها ..تلك السيدة المحبوبة المسلك .

– ثم أخبرت بأن ذلك النعيم لها ، ذلك أنها لم تقم بفداء الروح إلا بصدق .

– إذ ينبغي القيام بطاعات كثيرة ، حتي تكون جديرا بتذوق هذا الطعام .

– « وقيل لها » : لقد كنت تتكاسلين في الالتجاء إلي اللّه تعالي ، فوهبك هذه المصائب عوضا « جزاء صدقك » .

٣٤١٥ – قالت يارب ، حتي مائة سنة أو يزيد ، ليكن هكذا عطاؤك لي ، اسفك دمي .

– وعندما سارت في ذلك البستان ، رأت فيه أولادها العشرين .

– وقالت : لقد ضاعوا مني ولم يضيعوا منك ، وبدون نظرة الغيب لم يصبح أحد إنسانا .

– إنك لم تفصد ، وسال من الأنف دم كثير ، حتي نجت روحك من الحمي .

– وإن لب كل ثمرة أفضل من قشرها ، فاعتبر الجسد قشرا ولبه الحبيب

٣٤٢٠ – وإن الإنسان ذو لب ذكي آخر الأمر ، فاطلبه لحظة إذ كان لديك نفس الإنسان .

دخول حمزة رضى اللّه عنه ميدان

« الحرب » دون درع(١)

– عندما كان حمزة – رضي الله عنه – يدخل المعركة في نهاية عمره ، كان يغزو دون درع مثخنا بالطعان .

– كان يتقدم مفتوح الصدر عاري الجسد ، ضاربا بسيفه (شاقا) للصفوف .

– فسأله الخلق قائلين : يا عم الرسول أيها الضيغم شاق الصفوف ملك الفحول .

– ألم تقرأ « ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة » في ذلك الكتاب الذي أنزله الله علي الرسول .

٣٤٢٥ – إذن لماذا لا تفتأ تلقي بنفسك إلي التهلكة ، « وتخوض » – علي هذا المنوال – المعركة ؟

– وعندما كنت شابا شديد الرمي بالقوس ، لم تكن تشق الصفوف هكذا دون درع

– ألأنك صرت شيخا ضعيفا منحنيا ، فإنك لا تفتأ تعزف ألحان اللامبالاة(٢) ؟

– ومثل الذي لا يبالي تلتحم بالسيف والسنان ملقيا بنفسك في الكريهة؟

– إن سيف « العدو » لا يحترم الشيخ ، ومتي يكون عند السيف والرمح تمييز(٣) ؟

(١) ج / ٨ – ٣٥٨ : في شبابه كان حمزة عم المصطفي ، يدخل المعركة دائما في درعه .

(٢) ترجمها نيكلسون تدق علي ستائر اللامبالاة .

(٣) ج / ٨ – ٣٥٨ : ومتي يجوز أن يقتل أسد مثلك علي أيدي الأعداء ؟

٣٤٣٠ – وعلي هذا النسق فإن أولئك المهتمين الغافلين ، أخذوا يعظونه من محبتهم له وغيرتهم عليه .

جواب حمزة على الخلق

– قال حمزة – رضي اللّه عنه – : إنني عندما كنت شابا ، كنت أري الموت وداعا لهذه الدنيا .

– ومتي يذهب إنسان برغبته إلي الموت ؟ ومتي يذهب عاريا إلي الأفعي ؟

– لكنني الآن لست بالعاجز ، وهذا من نور محمد ، أمام هذه الدنيا الفانية .

– ومن خارج الحس أري معسكر المليك ، وأري الجيش مليئا بنور الحق .

٣٤٣٥ – خيامه قائمة وطنبها محكمة والشكر لله تعالي علي أنه أيقظني من النوم .

– وذلك الذي يكون الموت بالنسبة له تهلكه ، يتمسك بأمر « لا تلقوا » .

– أما ذلك الذي يكون الموت أمامه فتحا للباب ، فإنما تأتيه آية « سارعوا » عند الخطاب .

– الحذر يا من ترونه موتا بادروا إلي الهرب ، والعجل العجل يا من ترونه حشرا « سارعوا » .

– هيا تجمعوا يا من ترونه لطفا (افرحوا) ، وفروا من البلاء يا من ترونه قهرا و « اترحوا » [١] .

٣٤٤٠ – وكل من رآه « علي مثال » يوسف الصديق فداه بروحه ، وكل من رآه ذئبا ارتد عن الهدي .

– وموت كل إنسان يكون من نفس جبلته [٢] إنه عدو بالنسبة للعدو حبيب بالنسبة للحبيب .

---

(١) الكلمات ما بين الأقواس بالعربية في النص .

(٢) حرفيا : لونه .

– إن المرآة في مواجهة التركي جميلة اللون ، وهي أيضا زنجية في مواجهة الزنجي .

– إن ما تخشاه من الموت في فرارك « منه » هو أنك قد أخفْت نفسك أيها الحبيب فانتبه .

– إنه وجهك القبيح ليس وجه الموت ، فروحك كالشجرة والموت أوراقها .

٣٤٤٥ – لقد انبثق « كل شيء » منك خيرا كان أو شرا ، فالخير والشر مضمران في نفسك .

– فإن أدمي الشوك قدميك فقد زرعته بنفسك ، وإن كنت في حرير وديباج فقد نسجته حول نفسك .

– وأعلم كذلك أن الفعل لا يكون في لون الجزاء ، وليست هناك خدمة في لون العطاء نفسه .

– والأجر الذي يأخذه الفعلة لا يشبه العمل « الذي يقومون به » ، فالأجر عرض أما العمل فهو جوهر وثابت .

– والعمل كله شقاء وجهد وعرق ، والأجر كله فضة وذهب وزاد حاضر.

٣٤٥٠ – وإن وجهت إليك تهمة من مكان ما ، ودعا عليك مظلوم فوقعت في محنة .

– فأنت لا تفتأ تقول : إنني بريء ، ولم أوجه تهمة إلي أحد ما ...

– لقد أذنبت أنت لكن بشكل آخر ، لقد زرعت البذرة ومتي تكون البذرة كثمرتها ؟

– لقد ارتكب أحدهم جرم الزنا وكان عقابه مائة جلدة .. فلا يزال يقول : متي ضربت أحدا بعود ؟

– وليس ذلك جزاء الزنا بل هو بلاء ، ومتي يشبه الجلد علي الملأ الزنا في الخلاء ؟

٣٤٥٥ – ومتي تشبه العصا الحية أيها الكليم ومتي يشبه الألم الدواء أيها الحكيم .

– إنك عندما تقذف بمنيك بدلا من هذه العصا « حيث يجب أن يقذف » فإن نتاجه يكون إنسانا سويا .

– وسواء صار منيك هذا صديقا أو حية ، كيف تدهش إذن من تلك العصا ؟

– وهل يشبه ماؤك هذا ابنك علي أي وجه ؟ وهل يشبه قصب السكر السكر علي أي وجه ؟

– وإذا كان ذلك الرجل الزارع ذا ركوع أو سجود ، فإن سجوده في الدار الآخرة ينقلب إلي جنة .

٣٤٦٠ – وعندما انطلق من لسانه حمد الحق ، جعله له طائرا في الجنة رب الفلق

– وحمدك وتسبيحك لا يشبهان الطائر ، بالرغم من أن نطفة الطائر الريح والهواء .

– وعندما نبت في يدك إيثار الزكاة ، صارت هذه اليد في تلك الناحية نخلا ونباتا .

– وصار ماء صبرك نهرا في الخلد من الماء ، وصار ودك وحنانك في الخلد نهرا من اللبن .

– وصارت لذة الطاعة نهرا من العسل ، وسكرك « الإلهي » وشوقك « إلي الملأ الأعلي » هما نهر الخمر ، فتأمل .

٣٤٦٥ – إن هذه الأسباب لا تشبه الآثار ، ولا يعرف أحد كيف غرست في مواضعها .

– لما كانت هذه الأسباب طوع أمرك ، فإن الأنهار الأربعة قد « انقادت لك» وأبدت لك طاعتها .

– وحيثما تريد تقوم بتسييرها ، وكيفما تكون صفاتها فإنك أنت الذي تقوم بها هنا .

– مثل منيك الذي هو طوع إرادتك ، وسريعا ما يكون نسلك الناتج عنه طوع أمرك .

– يسرع ذلك الابن الفتي وفق أمرك ، قائلا : أنا جزء منك، إذ جعلته أنت في قراره .

٣٤٧٠ – وتلك الصفة تكون طوع أمرك في هذه الدنيا ، فتجري منك الأنهار هناك طوع أمرك .

– وتكون تلك الأشجار « هناك » منفذة لأوامرك ، ذلك لأن تلك الأشجار مثمرة من صفاتك .

– ومادامت هذه الصفات طوع أمرك هنا ، فإن ذلك الجزاء طوع أمرك هناك .

– وعندما يصاب مظلوم بجرح من يدك ، فقد صار « هذا الجرح » غرسا نبتت منه شجرة الزقوم .

– وعندما أضرمت بغضبك نارا في القلوب ، فقد وضعت أساسا لنار جهنم .

٣٤٧٥ – ومادامت نارك هنا محرقة للبشر ، فإن جزاء ذلك أنها تحرقك أنت نفسك هناك « في الجحيم » .

– وإن نارك التي تهاجم الناس هنا ، يضرم نتاجها « هناك » فتجتاح الخلق « هناك »

– وكلماتك هذه التي تشبه الحيات والعقارب ، قد صارت « هناك » حيات وعقارب تمسك بذيلك .

– وقد جعلت أولياء الله هنا منتظرين ، ومن « ثم » يكون الانتظار رفيقا لك يوم الحشر .

- وتسويفك بالغد وما بعد الغد ، يكون جزاؤه انتظارا منك يوم الحشر فويل لك .

٣٤٨٠ - فتبقي منتظرا الحساب في ذلك اليوم الطويل تحت الشمس التي تذيب الروح .

- ذلك أنك كنت تجعل السماء تنتظر ، وكنت تزرع بذور « التسويف » قائلا غدا سأسير .

- وإن غضبك هو بذور الجحيم ، فهيا اقض علي جحيمك هنا فهو فخ .

- ولا يكون إطفاء هذه النار إلا بالنور ، «فأقرأ» (نورك أطفأ نارنا أيها الشكور) . (١)

- وإن كنت بلا نور وتتظاهر بالحلم فهذا أمر سيىء ، فإن نارك تظل حية لكن تحت الرماد .

٣٤٨٥ - وهذا يكون تكلفا وليس اقتناعا فانتبه ، فالنار لا يطفئها إلا نور الدين

- فما لم تر نور الدين فلن تكون آمنا ، فالنار الكامنة تظهر في يوم ما .

- فاعلم أن النور بمثابة الماء فاستمسك بالماء ، ولا تخش النار ما دام الماء لديك .

- فالماء يقتل النار لأن النار بطبعها تحرق نسله وأبناءه .

- وسر نحو تلك الطيور المائية بضعة أيام ، حتي تجذبك نحو ماء الحيوان .

٣٤٩٠ - فطير البحر وطير اليابسة متشابهان في الجسد ، لكنهما ضدان « لا يمتزجان » « كالماء والزيت » .

- وكل منهما يكون عابدا لأصله ، فحذار من هذا التشابه « الظاهري » بينهما .

---

(١) بالعربية في المتن .

– وكذلك تكون وســـوســـة « الشيطان » ووحي « يوم ألست » ، كلاهما من عالم العقل ، وبينهما بون شاسع .

– وكلاهما دلال في سوق الضمير ، وكل منهما يقوم بمدح متاعه أيها الأمير .

– فإذا كنت صرافا للقلب فاعرف الفكرة ، وفرق ما بين سر الفكرتين كما يفعل النخاس

٣٤٩٥ – وإن كنت لا تعرف هاتين الفكرتين من « سقوطك في » الظن ، فأفضل لك أن تقول « لا خلابة » ولا تسرع ولا تنطلق (١) .

حيلة دفع الغبن في البيع والشراء

– قال أحد الصحابة للرسول عليه السلام : إنني دائما أغبن في البيوع .

– وإن مكر كل إنسان يبيعني شيئا أو يشريه مني ، يكون كأنه السحر يضلني .

– فقال عليه السلام : في كل بيع تخشي فيه الغبن ، اشترط ثلاثة أيام « من المهلة » اختبارا لنفسك .

– فالتأني هو من الرحمن علي وجه اليقين ، أما العجلة فهي من الشيطان اللعين .

٣٥٠٠ – وعندما تلقي بلقمة إلي كلب يشمها ثم يأكلها أيها المعتني .

– وهو يشم بالأنف ، بينما « نشم » نحن بالعقل ، إذ نشمها نحن والعقل ينتقد .

– وبالتأني خلقت هذه الأراضي والأفلاك من لدن الرحمن في ستة أيام .

– وإلا فإنه كان قادرا علي خلق مائة أرض وفلك بكن فيكون .

---

(١) ج / ٨ – ٣٦٢ : حتي لا تبقي روحك في تفكر ، وحتي لاتصاب روحك بغبن أو متاعك .

– وذلك العظيم يجعل من الإنسان رجلا كاملا .. علي مراحل وقليلا قليلا حتي سن الأربعين .

– هذا بالرغم من أنه كان قادرا علي أن يجعل خمسين رجلا يتخلقون من العدم في نفس واحد .

– وعيسي كان قادرا بدعاء علي أن يجعل الميت يبعث حيا من فوره .

– وخالق عيسي يستطيع في التو واللحظة أن يأتي بالناس إلي الوجود زرافات وجماعات .

– هذا التأني من أجل تعليمك ، ومعناه أنه ينبغي الطلب رويدا رويدا ودون توقف .

– والجدول الصغير الذي هو دائم الجريان ، لا يصير (ماؤه) نجسا ولا يأسن .

– ومن هذا التأني تولد الإقبال والسرور ، وهذا التأني كالبيضة والدولة كالطيور .

– ومتي تشبه البيضة الطائر أيها العنيد ، بالرغم من أنه ينطلق منها إلي الوجود .

– فانتظر حتي تصبح أعضاؤك بيضا يخرج لك طيورا في النهاية .

– وبالرغم من أن بيضة الحية تشبه بيضة العصفور ، إلا أن البون بينهما شاسع .

– وبذرة السفرجل أيضا تشبه بذرة التفاح ، لكن أعلم أيها العزيز أن بينهما فروقا .

– والأوراق تبدو للنظر متشابهة في ألوانها ، لكن لكل واحدة منها من الثمار نوعا آخر .

- ولم يره « حقيقة » سوي إنسان عين المؤمنين « عليه السلام » ، فمن الذي أدرك سواه لونه « الحقيقي » ؟

- ومن ثم فكل من كانوا سواه عليه السلام قد تحدثوا علي التقليد ، عندما ذكروا صفات إنسان العين الرفيع السامي ذاك !!

- قالت زوجته : إنه الفراق ياحميد الخصال ، قال : لا - لا بل هو الوصال الوصال .

٣٥٣٠ - قالت : الليلة تمضي « وتصير » غريبا ، وتغيب عن أهلك وولدك .

- قال : لا . لا ، بل تعود الليلة روحي من الغربة إلي الوطن .

- قالت : فأين ياتري نري وجهك ، قال : في حلقة خاصة الله .

- وحلقته الخاصة متصلة به ، لو تنظرين إلي أعلي لا إلي أسفل .

- وفي تلك الحلقة يتألق النور من رب العالمين ، كما يتألق الفص من الخاتم « الثمين »

٣٥٣٥ - قالت : وا أسفاه .. لقد خرب هذا المنزل ، قال : انظري إلي القمر ، ولاتنظري إلي السحاب .

- لقد خربه حتي يجعله أكثر عمرانا ، فقومي كُثْر لكن الدار ضيقة .

حكمة خراب الجسد بالموت

- كنت مثل أدم من البداية في حبس وكرب ، وامتلأ الشرق والغرب الآن بنسل روحي .

- كنت شحاذا في هذا المنزل الشبيه بالجب ، وصرت ملكا ، والملك في حاجة إلي قصر .

- ذلك أن الملوك يأنسون إلي القصور، أما الموتي فيكفيهم القبر منزلا ومكانا .

٣٥٤٠ - لقد ضاقت هذه الدنيا علي الأنبياء ، فمضوا كالملوك إلي اللامكان .

- لكنها أبدت عظمتها للموتي ، فهي شديدة الفخامة في ظاهرها ، لكنها ضيقة المجال في معناها .

- وأوراق الأجسام متشابهة فيما بينها لكن كل واحدة منها حية بربيع معين [1] .

- والخلق يمضون في الأسواق وكلهم متشابهون ، لكن أحدهم في سعادة والآخر في ألم « مقيم » .

- أيضا نمضي كلنا في الموت متساوين ، لكن نصفنا في خسران ، ونصفنا الآخر من السادة .

وفاة بلال رضى الله عنه بسرور

- عندما صار بلال « رضي الله عنه » من الضعف كأنه الهلال ، ووقع لون الموت علي وجهه .

٣٥٢٠ - أبصرته زوجته فقالت : واحرياه ، فقال لها بلال : لا .. لا .. بل واطرباه.

- إنني حتي الآن كنت في حرب من الحياة ، فما علمك بأن الموت كالسرور وما أدراك به ؟

- هكذا كان يقول ووجهه عند هذا القول يتفتح بالنرجس والورد وأزهار الشقائق .

- وكانت نضرة وجهه وعيناه المليئتان بالأنوار ، تدل علي « صدقه » في قوله .

- كان كل أسود قلب يراه « مجرد » أسود ، فلماذا كان إنسان العين إذن ذا لون أسود ؟

٣٥٢٥ - وفاقدو البصيرة إنما يكونون من المفتضحين ، أما الذي في منزله إنسان العين فيكون مرآة للقمر .

- ومن الذي يري إنسان عينك في هذه الحياة الدنيا اللهم إلا ذوي البصائر النافذة ؟

---

(١) أي بقوة معينة .

- وإن لم تكن ضيقة فلماذا هذا الصراخ ؟ وكيف انحني كل من عاش فيها طويلا ؟

- وكيف تحررت الروح عند النوم من ذلك المكان ؟ وكيف صارت من نومها هذا بادية السعادة .

- لقد تخلص الظالم ثانية من ظلم الطبع ، وانقلب السجين « خارجا » من تفكيره في السجن .

٣٥٤٥ - وهذه الدنيا شديدة الاتساع بأرضها وسمائها ، تبدو لك شديدة الضيق عندما تهم بالنوم .

- فهي كغمامة علي العين شديدة الاتساع وشديدة الضيق ، ضحكها كله بكاء وفخرها بأجمعه عار .

تشبيه الدنيا واتساعها الظاهر وضيقها الحقيقى وتشبيه النوم بأنه خلاص من هذا الضيق

- إنها كالحمام الذي تشعل داخله النار ، يشتد ضيقك منه وتذبل روحك.

- حتي وإن كان الحمام متسعا ، فإن روحك تَكِلُّ وتضيق من هذه الحرارة .

- وما لم تغادره فإن قلبك لا يحس بالراحة ، إذن فبماذا يجديك اتساع منزلك ؟

٣٥٥٠ - وأنت تلبس نعلا ضيقا أيها الغوي ، وتسير في صحراء شديدة الاتساع.

- فتضيق بك هذه الصحراء بما رحبت ، وتنقلب هذه الصحراء وهذا الوادي إلي سجن « بغيض » بالنسبة لك .

- وكل من يراك عن بعد يقول : لقد تفتح في هذه الصحراء كزهرة الشقائق النضرة .

- وهو لايعلم أنك -كالظالمين ، تبدو في الظاهر كأنك في روضة في حين

أن روحك في صراخ « وعويل » .

– إن النوم بالنسبة لك بمثابة خلع لذلك النعل ، وتصير روحك حرة من جسدك برهة من الزمن .

٣٥٥٥ – فالنوم هو ملك الأولياء يا هذا، إنهم وهم في الدنيا يشبهون أهل الكهف

– إنهم يرون الأحلام حيث لا نوم ، ويدخلون إلي عالم الغيب ولا باب .

– فالمنزل ضيق ، وداخله الروح في اختلاج ، ولابد أن تخربه حتي تجعل منه قصرا للملوك .

– وأنا مصلوب ومختلج مثل الجنين داخل الرحم ، أتممت تسعة شهور وصار هذا الانتقال واجبا .

– ولو لم تحل آلام المخاض بأمي ، لبقيت رهين هذا السجين بين النيران.

٣٥٦٠ – ومن ثم فإن أم طبعي تشق طريقا خوف موتها حتي تخلص الحمل من « رحم » الشاة .

– حتي يرعي ذلك الحمل في صحراء خضراء ، هيا فشق الرحم ، فقد صار ذلك الحمل متضخما .

– وألم المخاض وإن كان مشقة بالنسبة للحامل ، إلا أنه بالنسبة للجنين تحطيم للسجن .

– فالحامل باكية في المخاض قائلة : أين المناص ؟ والجنين ضاحك إذ اقترب الخلاص .

– وكل من تحت هذا الفلك أمهات سواء من الجماد أومن الحيوان أو من النبات.

٣٥٦٥ – وكل واحدة منهن غافلة عن ألم الأخري ، اللهم إلا من اتصفت بالكمال والذكاء

– وذلك الذي لا يعلم « أحوال » الأجرد من بيوت الآخرين ، فمتي يعلم « أحوال » كث اللحية في منزله ؟

– لكن صاحب القلب يعلم أحوالك ، بينما لا تعلم أنت شيئا من أحوال نفسك أيها العم ![1] .

بيان أن كل ما هو غفلة وكسل وظلمة كله من الجسد فهو أرضي وسفلي

– إن الغفلة من الجسد ، وعندما يصير الجسد روحا ، فإنه يري الأسرار دون أدني بد .

– وعندما تغيب الأرض من جو الفلك ، فلا ليل ولا ظل ، سواء بالنسبة لي أو بالنسبة لك .

٣٥٧٠ – وحيثما يكون ظل أو موضع ظل ، فهو من الأرض لامن الأفلاك ولا من القمر .

– والدخان المتكاثف المتصل ، يكون من الحطب وليس من النيران المستعرة .

– والوهم يسقط في الأخطاء والغلط ، ولكن « ميدان » العقل هو الصواب فقط .

– وكل ثقل وكسل فهو من الجسد ، والروح من خفتها دائما في طيران .

– وأحمرار الوجه يكون من غلبة الدم ، واصفراره إنما يكون من تحرك الصفراء .

٣٥٧٥ – وبياض الوجه إنما يكون من غلبة البلغم ، ومن السوداء يكون الوجه أدهم .

– والحقيقة أنه سبحانه وتعالي خالق هذه الآثار ، لكن أهل الظاهر لايرون سوي العلة .

---

(١) ج / ٨ – ٤٣٩ : وما يراه أهل القلوب مكتوبا علي جبينك ، متي تراه أنت في نفسك أيها الخجل ؟!

- واللب الذي لايكون بعيدا عن القشور ، لابد له من « الإيمان » بالطبيب وبالعلة .

- وعندما يولد المرء للمرة الثانية ، فإنه يضع قدمه فوق مفرق العلل .

- فلا تكون العلة الأولي دينا له ، ولا تحقد عليه العلة الجزئية أو تعاديه .

٣٥٨٠ - فيطير كالشمس في الأفق مع عروس الصدق ، والصورة كالحجاب بالنسبة له .

- بل إنه خارج الأفق والأفلاك ، يكون بلا مكان كالأرواح والنهي .

- بل تكون عقولنا ظلالا بالنسبة له ، تسقط كالظلال تحت أقدامه .

- وعندما يكون المجتهد عالما بالنص ، فإنه في تلك الحالة لا يفكر في القياس .

- وعندما لا يجد نصا بالنسبة لصورة ما ، فإنه آنذاك يبدي من القياس عبرة .

تشبيه النص والقياس

٣٥٨٥ - اعلم أن النص هو وحي الروح القدسي يقينا ، وأن قياس العقل الجزئي ذاك أدني منه .

- فالعقل صار من الروح ذا إدراك وعظمة ، فمتي تصير الروح تحت إشرافه ؟

- إن الروح ذات تأثير علي العقل ، ومن ذلك التأثير يدبر العقل « في الأمور » .

- فإن صدقتك الروح في داخلك كنوح ، فأين أليم والسفينة وأين طوفان نوح ؟

- والعقل يظن أن أثر الروح هو الروح ، في حين أن قرص الشمس بعيد جدا عن الشمس .

٣٥٩٠ – ومن هنا فقد قنع السالك بقرص واحد من الخبز ، حتي ألقي به النور ساميا به إلي قرص الشمس .

– وذلك لأن هذا النور الموجود في الأسافل ، ليس دائما ليل نهار بل هو أفل .

– وذلك الذي له قرص الشمس مسكن ومكان ، يكون غارقا في ذلك النور دائما .

– فلا السحاب يقطع الطريق عليه ولا الغروب ، لقد نجا من الفراق الذي يسبب الدق علي الصدور .

– ومثل هذا الشخص أصله من الأفلاك ، وإن كان من التراب فقد تبدل .

٣٥٩٥ – فلا قدرة للمخلوق من تراب علي أن يشرق عليه شعاع شمس « الحقيقة » علي الدوام .

– ولو كان نور الشمس يشرق علي التراب دائما ، لاحترق بحيث لا يتأتي منه ثمر .

– ودائما ما يكون عيش السمك في الماء ، فمتي تكون للحية رفقة معه؟

– لكن الحية في الجبل ذات فنون ، وتقوم في ذلك الجبل بما يقوم به السمك في الماء .

– وإذا كان مكرها يفتن الخلق ، يظل نفورها من البحر فاضحا إياها .

٣٦٠٠ – وفي هذا اليم تكون الأسماك ذوات فنون كثيرة ، بحيث تحول الحية من سحرها إلي سمكة . (١)

– وحيتان قاع بحر ذي الجلال ، قد علمها البحر السحر الحلال .

– وقد صار المحال من قدرتها حالا ، لقد ذهب إليها شؤما فصار حسن الفأل . (٢)

---

(١) ج / ٨ – ٤٤٧ : فإن كنت حية كن قرينا للأسماك ، حتي تصبح في سير دائم كالأسماك .

(٢) ج / ٨ – ٤٤٧ – ٤٤٨ :- لقد مضي السم إلي هناك وصار شهدا يقينا ، ومضي الحجر إلي هناك وصار درا ثمينا – وصار التراب ذهبا والحصي درا والقدم رأسا ، ولاتري عين البشر .

– وإن حدثتك حتي القيامة هذا الحديث، فإنما تمضي مائة قيامة ويظل ناقصا .

آداب المستمعين والمريدين عند فيض الحكمة من لسان الشيخ

– إن تكرار هذا الكلام علي « أسماع » الحزاني ، هو بالنسبة لي اكتساب عمر متجدد .

٣٦٠٥ – وضوء الشمعة أفضل من البرق المتكرر ، والتراب من الحرارة المتوالية يصير ذهبا .

– وإن كان هناك آلاف الطلاب وأحدهم ملول ، لتعطل الرسول عن أداء الرسالة .

– فهؤلاء الرسل هم المتحدثون بضمير السر ، ويريدون مستمعا له طبع إسرافيل .

– وعندهم قوة الملوك وكبرياؤهم ويريدون من أهل الدنيا الطاعة والتوقير .

– وما دمت لا تقدر آدابهم حق قدرها ، فكيف تستفيد من رسالاتهم ؟

٣٦١٠ – ومتي يوصلون تلك الأمانة إليك ، ما لم تكن راكعا أمامهم ومنحنيا ؟

– ولماذا يكون كل أدب من أدبهم مقبولا مستحسنا؟هذا لأنهم قد جاءوا من الإيوان العالي .

– وليسوا بالشحاذين ، يمنون عليك كل خدمة يؤدونها لك أيها المزور !

– لكن ، حتي علي من لا رغبة لديهم أيها الضمير، انثر صدقة السلطان ولا تحبسها عنهم .

– ويا رسول السماء انطلق بجوادك عاديا ، ولا تلق بالا إلي هؤلاء الملولين في الدنيا .

٣٦١٥ – وسعيد ذلك التركي الذي يسعر الوغي ، ويقفز جواده في خندق النار .

– ويجعل جواده منطلقا « هائجا » متحمسا ، بحيث يتجه به إلي عنان السماء .

– وقد أغمض عينيه عن الغير « والغيرية » ، وأحرق الأخضر واليابس كأنه النار .

– وإن عاب عليه نادم وعذله ، فإنه قد أضرم النار في الندم منذ البداية .

– والندم نفسه لا ينجو من العدم ، عندما يتعرض لحرارة صاحب قدم .

معرفة كل حيوان لرائحة عدوه وحذره منه

وبطالة ذلك الشخص وخسارته ذلك الذى

يكون عدوا لأحد لا يمكن الحذر منه

ولا الفرار ولا اللقاء معه

٣٦٢٠ – إن الجواد يعرف زئير الأسد ورائحته ، هذا بالرغم من أنه حيوان إلا فيما ندر .

– بل إن كل حيوان يعرف عدوه ، «يعرفه» من رائحته أو من الآثار « التي يتركها خلفه » .

– وفي النهار لا يجرؤ الخفاش علي الطيران ، فيخرج ليلا كاللصوص يلتمس قوته .

– فهو أكثر حرمانا من كل المخلوقات ذلك الخفاش ، وذلك لأنه عدو للشمس « الساطعة » المنتشرة .

– فلا هو يستطيع أن يطعنها في قتال ،ولا يستطيع أن يجعلها مكروهة بلعناته .

٣٦٢٥ – وأين هي الشمس التي تتواري بالحجاب ، من جراء حزن الخفاش أو غضبه .

– فهي في غاية اللطف والكمال ، ومتي يصير مجرد « خفاش » واقفا في طريقها ؟

– فإذا عاديت ، عاد علي قدر طاقتك ، حتي يكون ممكنا أن تتغلب علي عدوك .

– وعندما تتحدي قطرة الماء المحيط ، فهي بلهاء تقتلع لحيتها عبثا .

– وحيلتها هذه لاتجاوز شواربها ، وكيف تمزق دائرة حجرة الشمس ؟ .

٣٦٣٠ – وهذا هو ملامي لعدو الشمس يا عدو شمس الشمس .

– يا عدو الشمس التي من عظمتها ، ترتعد الشمس « ويرتعد معها » كل كوكبها .

– وأنت لست عدوا لها بل عدو لنفسك ، وأي بأس علي النار إن صرت حطبا لها ؟

– فواعجباه إن أصابتها قلة من احتراقك ، أو إن امتلأت غماً من ألم احتراقك .

– إن رحمته سبحانه وتعالي مختلفة عن رحمة الإنسان فإن رحمة الإنسان غالبا ما تكون ممتزجة بالشفقة .

٣٦٣٥ – فرحمة المخلوق تكون ممتزجة بالشفقة إذن ، ورحمة الخالق مبرأة من الغم والحزن .

– فأعلم أيها الأب أن رحمة من لا مثيل له هي هكذا ، ولا يمكن أن تتصور إلا أثارها !!

الفرق بين معرفة الشئ بالمثال والتقليد
ومعرفة ماهية هذا الشئ

– إن آثار رحمته وثمارها ظاهرة ، لكن متي يعرف – غيره سبحانه – ماهيتها .

– ولا يعرف أحد مطلقا ماهيات أوصاف الكمال اللهم إلا بالآثار والمثال .

– إن الطفل لا يعرف ماهية الجماع ، إلا أن تقول له : إنه كالحلوي بالنسبة لك .

٣٦٤٠ – ومتي تكون ماهية لذة الجماع مثل الحلوي أيها السيد المطاع ؟

– لكن ذلك العاقل مثل لك المتعة ما دمت كالطفل

– وذلك حتي يعرفها الطفل بالمثال ، إن لم يعرف الماهية وعين الحال .

– إذن فإن قلت أعلم ، فالأمر ليس ببعيد ، وإن قلت : لا أعلم فقولك ليس كذبا وبهتانا .

– وإذا سألك أحد : هل تعرف « نوحا » ؟ رسول الحق ذلك ونور الروح .

٣٦٤٥ – فإذا قلت : كيف لا أعرفه وذاك القمر ، أكثر شهرة من الشمس والقمر .

– والأطفال الصغار في الكتاتيب ، وأولئك الأئمة جميعا في المحاريب .

– يقرأون أسمه عيانا في القرآن ، ويرددون سيرته بفصاحة من « كتب » الماضين .

– فأنت صادق إذ تعرفه من وصفه ، بالرغم من أن ماهية نوح لم تكشف لك .

– وإذا قلت : أي علم لي بنوح ، إنما يعرفه من هو مثله أيها الفتي .

٣٦٥٠ – إنني نملة عرجاء فأي علم لي بالفيـــــل ، ومتي « يتأتي » للبعوضة أن تعرف إسرافيل ؟ .

– فهذا الكلام أيضا صدق .. لأنك لم تعرف ماهيته يا هذا .

– والعجز عن إدراك الماهية يا عماه ، حالة العامي فلا تتحدث علي الإطلاق .

– وذلك أن الماهيات وأسرار أسرارها ، تكون أمام عيون الكاملين عيانا .

– فأي شئ أكثر بعدا عن الفهم والاستبصار ، من سر الحق وذاته ؟

٣٦٥٥ – وما دام « هذا السر » لا يخفي عمن أذن لهم ، فأي ذات وأي صفات تبقي في الخفاء ؟

– إن عقل البحث يقول : إن هذا أمر عميق بعيد « الغور » ، وهو بدون تأويل محال فقلل الاستماع إليه .

– فيرد القطب قائلا : ياواهن الحال ، أهناك محال يأتيك فوق حالك ؟

– والواقعات التي كشفت لك الآن ، ألم تكن تبدو لك في البداية محالا ؟

– وما دام الحق قد حررك من السجون العشرة ، فلا تجعل التيه حبسا ظالما لك (١) .

الجمع والتوفيق بين النفى والإثبات لشئ واحد عن طريق النسبة وإختلاف الجهة

٣٦٦٠ – إن نفي الشيء الواحد وإثباته في الوقت نفسه « أمر جائز » ، فعندما تختلف الوجهة تكون النسبة اثنتين .

– فآية « مارميت إذا رميت » من وجهة نظر النسبة ، نفي وإثبات وكلاهما قائم .

– إنك قد رميت إذا إن الأمر قد تم علي يدك ، وأنت « مارميت » إذ إن القوة من الله سبحانه وتعالي .

(١) – ج / ٨ – ٤٦٦ : وما دمت قد وجدت الخلاص من مائة بلاء مر ، فلا تجعل الفقر عليك عناء ونصبا – وخذه هونا حتي لا يصير بالنسبة لك مشكلة صار السكر سما قاتلا لك فامض نحو بحثك يا أبا الحسن يكفي لهذا الكلام نهاية يا عزيزي .

– وقوة الآدمي ذات حدود ، ومتي كان لقبضة تراب هزيمة جيش ؟

– إن القبضة قبضتك والرمي منا ، ومن هنا يجوز إثباتها ويجوز نفيها .

٣٦٦٥ – يعرفون الأنبياء أضدادهم ، مثلما لا يشتبه أولادهم [١] .

– « نعم » ، إنهم يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم ، يعرفهم أولئك المنكرون بمائة دليل ومائة علامة .

– لكنهم يخفون هذه المعرفة حقدا وحسدا ، ويتظاهرون بأنهم لا يعرفون.

– وما دام يعرف هذا الأمر ، كيف قيل في موضع آخر : لا يعرفهم غيري فذر الحديث « عنهم » جانبا .

– إنهم تحت قبابي كامنون ، لا يعرفهم إلا الله سبحانه وتعالي وعن تجربة وامتحان .

٣٦٧٠ – فافترض هذا الموضوع أيضا علي سبيل النسبة ، كما « تفترض » أنك تعرف نوحا ولا تعرفه [٢] .

مسألة فناء الدرويش وبقائه

– قال قائل : ليس في الدنيا درويش ، وإن كان ثم درويش فليس بدرويش.

– فهو « باق » من ناحية بقاء ذاته ، لكنه أفني صفاته في صفات الحق .

– مثل شعلة الشمعة أمام الشمس ، تكون فانية لكنها موجودة في الحساب .

– وتكون ذاتها موجودة بحيث إنك عندما تضع قطعة من القطن «عليها » تحترق من لهبها .

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) ج / ٨ – ٤٧٢ : وكثير من أمثال هذا ورد في الخبر ، يمكن يا عزيزي أن يكون بالنسبة معتبرا .

٣٦٧٥ – وتكون فانية فهي لا تمنحك ضياء ، إذ تكون الشمس قد أفنتها «في نورها» .

– وعندما تضع في مائتي « من » من الشهد أوقية واحدة من الخل وتذيبها فيها .

– لا تجد طعم الخل موجودا عندما تتذوق الشهد ، لكن هناك أوقية زائدة عندما تزن «الشهد» .

– وأمام أحد الأسود فقد أحد الغزلان الوعي ، وصار وجوده محجوبا أمام وجود «الأسد» .

– وهذا هو قياس الناقصين في أمر الرب ، إنه يشبه غليان العشق وليس من ترك الأدب .

٣٦٨٠ – إن نبض العاشق ليقفز متزايدا بلا أدب ، فيضع نفسه في كفة واحدة مع المليك .

– فليس هناك من هو أقل أدبا منه في العالم ، لكن ليس في الحقيقة من هو أكثر منه تأدبا .

– فاعتبر هذين الضدين : مؤدب أو بلا أدب على سبيل النسبة أيضا أيها المنتجب .

– إنه بلا أدب عندما تنظر نظرة ظاهرية ، فدعوي العشق عنده مطامنة «لمن لا يطامن» !!

– وعندما تنظر نظرة الباطن فأين الدعوي : إنه ودعواه فانيان أمام ذلك المليك !!

٣٦٨٥ – وفي عبارة « مات زيد » إذا كان زيد فاعلا ، إنه ليس بالفاعل إنه مجرد عاطل!!

– إنه حقيقة – من الناحية النحوية – فاعل ، وإلا فهو « في الحقيقة » مفعول به والموت قاتله .

– فأي فاعل هذا الذي صار مهزوما هكذا ، بحيث انتفت عنه كل الأفعال

قصة وكيل صدر جهان الذي أتهم وهرب من بخارى خوفا على حياته ، ثم جذبه عشقه مسحوبا على وجهه ذلك أن أمر الروح يهون على العاشقين

– في بخاري اتهم عبد لصدر جهان ، فاختفي بعيدا عن أنظار « صدره » هذا .

– وساح شريدا طيلة عشر سنوات ، حينا في خراسان وحينا في قوهستان وحينا في رشت.

٣٦٩٠ – وبعد هذه السنوات العشر صار مهدودا من الاشتياق ومن مكابدة أيام الفراق .

– فقال : لم يتبق لي طاقة علي بعد ، وكيف يستطيع الصبر أن يطفئ « لواعج » الاستئصال .

– فمن الفراق يسرع الخراب نحو هذه الأراضي ، ويصفر الماء ويصيد أسنا كدرا .

– والريح التي تنعش الأرواح تصير وخمة رتتحول إلي وباء ،والنار تصير ترابا ثم هباء

– والحديقة التي تشبه الجنة تصير دار مرض ، تصفر أوراقها وتتساقط نحو الهلاك .

٣٦٩٥ – والعقل الدراك يصير من فراق الأحبة ، كأنه رام بالسهم قد كسر قوسه.

– وقد صار الجحيم هكذا محرقا من الفراق ، وصار الشيخ مرتعدا هكذا من الفراق !!

– وإن تحدثت عن الفراق الذي هو كالشرر حتي القيامة ، فإن ما أقوله لايزيد علي جزء من مائة ألف جزء .

- إذن فلتقصر القول في وصف حرقته ، وقل : يارب سلم ،يارب سلم ، فحسب .

- وكل ما تصير فرحا منه في الدنيا ، فكر في فراقه « في لحظة الفرح به نفسها » .

٣٧٠٠ - فرب شخص فرح مما فرحت به ، ثم تسرب من يديه وصار كالهباء .

- وهو لا محالة سوف يتسرب منك فلا تعلق القلب به ، وفر أنت منه قبل أن يفر هو منك .

ظهور الروح القدس فى صورة إنسان لمريم عليها السلام بينما كانت عارية تغتسل ولجوءها إلى الله تعالى

- ومثل مريم عليها السلام ، قل قبل فوت المِلْك « إني أعوذ بالرحمن منك » .

- رأت مريم وجودا صوريا شديد الفتنة منعشا للروح سالبا للقلب بينما كانت في خلوتها .

- انبثق أمامها ذلك الروح الأمين فوق الأرض ، وكأنه القمر « في بهائه » والشمس معا :

٣٧٠٥ - أنبثق من لأرض جميلا بلا نقاب ، مثلما تنبثق الشمس من المشرق .

- وارتعدت فرائص مريم ، فقد كانت عارية ، وخافت من الغواية .

- ذلك أنه قد ظهر في « صورة » لو شاهدها يوسف عيانا ، لقطع يديه كما فعلت النسوة .

- وكالوردة نبت أمامها من الطين ،، مثل خيال يطل من القلب .

- فغابت مريم عن وعيها ، وفي إغمائها ، قالت : إنني أفر وألجأ إلي حمي الله .

٣٧١٠ – ذلك انها اعتادت ، طاهرة الذيل تلك ، أن تلقي أحمالها عند الفرار علي الغيب .

– وعندما رأت الدنيا ملكا بلا قرار ، اتخذت بحزم حصنا من تلك الحضرة .

– وحتي يكون لها حصن عند الموت ، وكي لا يجد الخصم طريقا إلي مقصده .

– لم تر حصنا أفضل من ملاذ الحق ، فاختارت مفرا لها بالقرب من ذلك الحصن .

– وعندما رأت تلك النظرات المحرقة للعقل ، والتي كانت تصيب بسهامها الأكباد .

٣٧١٥ – بحيث صار الملك وجيشه عبيدا لها ، وسادة الوعي صاروا بلا وعي أمامها .

– ومئات الآلاف من الملـــوك سقطوا في رقها ، ومئات الآلاف من البدور أضناهم النحول .

– ولا جرأة لكوكب الزهرة علي التنفس أمامها ، وعندما يراها العقل الكلي يكف عن الحديث .

– وماذا أقول ؟ لقد سمرني في مكاني ، ومنبع أنفاسه أحرق منبع أنفاسي ! .

– وأنا دخان لهذه النار ، وأنا دليل علي وجودها ، لا : حاشاه هذا المليك ، « باطل » ما عبروا !! .

٣٧٢٠ – فلا يكون دليلا علي الشمس ، إلا نور الشمس الشامل الممتد !! .

– فماذا يكون الظل حتي يكون عليه دليلا ؟ إنما يكفيه أن يكون له دليلا !!

- وكفـاه جـــلاله دليلا صادقا عليـه ، وكل الإدراكات مـن بعده فهو سابق « عليها » .

- وكل الإدراكـات « تسعي » علي حـمر عـرجاء ، وهـو بمثـابة الراكب علي الريح المنطلقة كالسـهم .

- فإن فـر لا يلحق أحد بغـبار جواد المليك ، وإن فـروا هـم فإنه يأخـذ عليهم الطريق « من نهايته » .

٣٧٢٥ - وليس لـكل الإدراكـات راحـة أو هـجـوع ، إنه أوان المعـركـة ولـيس وقت الكأس.

- فذاك عابد لوهم ، يطير كالبازي ، وأخر كالسـهم يمزق ما ينفذ منه .

- والثالث كسفينة ذات شـراع ، والرابع يسير القهقري في كل لحظة .

- وعنـدمـا يبـدو لهـا صـيـد علي البـعـد ، تزيـد تلك الطيـور كلهـا في هجومها .

- وعندمـا يختفي « هذا الصيد » تزداد حيرتـها وتطيـر كالبوم نـحو كل خرابة .

٣٧٣٠ - وتنتظر بـعـين مـغـمـضـة وعـين مـفـتـوحـة ، حـتي يظهـر ذلك الصـيد المشتهي.

- وعندمـا يطول الانتظار تقـول مـن الحـزن والملال : عـجـبـا ؟! أكـان هـذا صيدا أو خيالا .

- وأولي بها ، وممـا تقتضـيه المصلحـة ، أن تسـتـرد « هذه الطيور » قـوتها وقدرتها من ساعة راحة .

- فإذا لـم يكن ثم ليل لأحرق كل الخلق أنفسهم سعيا ودأبا وحركة .

- ولأهلك كل إنسـان بـدنه هـوسـا ، وحـرصـا من أجل جمع مـا يسـتطيع جمعه « من منفعة» .

٣٧٣٥ – ويحل بهم الليل كأنه كنز الرحمة ، حتي يخلصهم من حرصهم ساعة من الزمان .

– وعندما يحل بك القبض أيها السالك فهو صلاح لك ، فلا تكن محترق القلب « من هذا القبض » .

– ذلك أنك من البسط تكون في حال سعة وإنفاق ، ولكي ينفق المرء لا بد وأن يكون له دخل .

– ولو كان فصل الصيف علي البستان سرمدا ، وسطعت عليه دائما حرارة الشمس .

– لأحرقت منابته من الجذور ، بحيث لا تخضر ثانية تلك « الجذور » القديمة .

٣٧٤٠ – وبالرغم من أن شهر « ديماه » عابس إلا أنه مشفق ، في حين أن الصيف ضاحك لكنه محرق .

– وعندما يحل بك القبض فانظر فيه إلي البسط ، وكن متهللا ولا تقطب الجبين .

– فالأطفال ضاحكون ، والعلماء عابسون ، مثلما يكون الكبد في حزن وتكون الرئة في سرور .

– وعين الطفل تكون كما تكون عين الحمار مركزه علي معلف ، وعين العاقل دائما متأملة في حساب العاقبة .

– فذاك يري العلف دسما في المعلف ، وهذا يري لنفسه آخر الأمر من القصاب التلف .

٣٧٤٥ – وإن ذلك العلف الذي يضعه القصاب مر ؛ لأنه وضع « من البداية » نيرانا للحمنا .

– فامض وخذ غذاءك من الحكمة ، فقد أعطاها الله بلا غرض ، من محض العطاء .

- وعندما قال لك الحق أيها السالك « كلوا من رزقه » فهمت أن المقصود هو الخبز «ولم تفهم » أنه الحكمة .

- ورزق الحق هو الحكمة في المقام الأول ، ذلك لأنها لا تأخذ بحلقك في نهاية الأمر .

- فإن أغلقت هذا الفم « الذي في الجسد » ، لانفتح لك ذلك الفم الذي يأكل لقيمات السر .

٣٧٥٠ - وإن فطمت جسدك عن لبن الشيطان ، فإنك تأكل كثيرا من النعم بعد هذا العظام .

- لقد شرحت هذا الأمر نصف شرح كما يغلي الترك اللحم نصف غلية ، فاستمع إلي تمامه من الحكيم الغزنوي .

- إن حكيم الغيب ذاك وفخر العارفين ، يشرح هذا الأمر في « إلهي نامه» .

- لتغتم لكل إياك وخبز الذين يزيدون لك الغم ، لأن العاقل يقتات علي الغم ، لكن الطفل هو الذي يأكل السكر .

- وسكر السرور هو ثمرة بستان الحزن ، فهذا الفرح جرح وذلك الغم مرهم .

٣٧٥٥ - وعندما تصادف الغم احتضنه بعشق ، وانظر من فوق الربوة إلي دمشق .

- والعاقل يري الخمر في العنب ، والعاشق يري في المعدوم وجوداً .

- فأول أمس ، كان الحمالون يتشاجرون وبعضهم يقول للبعض الآخر ، لا تحمل هذا الحمل حتي أحمله أنا كالأسد .

- ذلك لأنهم كانوا يرون في هذا التعب نفعا ، فكان كل منهم يختطف الحمل من الآخر .

- وأين أجر الله من أجر ذلك الذي لا قيمة له ، إن الله يعطيك أجرك كنزا ، والآخر يعطيك جزءا من الدانق .

٣٧٦٠ - إنه كنز الذهب الذي يكون معك عندما ترقد تحت التراب ولا تتركه من بعدك ميراثا.

- إنه يتقدم جنازتك مسرعا ، ويصير مؤنسا لك في القبر والغربة .

- ومن أجل يوم موتك ، كن ميتا في التو واللحظة ، حتي تصير نديما للعشق السرمدي.

- وأثناء ذلك الصبر تري من حجاب الاجتهاد ، الوجه كزهر الرمان كما « تري » جديلتي المراد .

- والحــــزن هو بمثابة المرآة بالنسبة للمجتهد ، وإلي جوار الضد تتجلي « سمات » الضد .

٣٧٦٥ - فبعد ذلك التعب يبدو ضده الآخر ويسفر عن وجهه أي البسط والعظمة والأبهة .

- وانظر إلي هذين الوصفين في قبضة يدك ، فبعد قبض الكف يأتي البسط يقينا .

- والكـــف إن كانـــت منبسطة علي الدوام أو منقبضـــة علي الدوام فهـــي كالمبتــــلاة ولا جدال .

- ومن هذين الوصفين ينتظم عملها وكسبها ، هي كجناح الطائر هذان الحالان مهمان له ولازمان .

- وعندما اضطربت مريم لحظة من الزمن ، مثلما تنتفض الأسماك عندما توضع علي الأرض .

قول الروح القدس لمريم : أنا رسول الحق إليك فلا تضطربى ولا تحتجبى عنى فهذا هو الأمر .

٣٧٧٠ – صاح بها مظهر الكرم ، إنني أمين الحضرة فلا تجفلي مني .

– ولا تعاندي المتكبرين بالعزة ، ولا تحتجبي عن أولئك الطيبين الذين أذن لهم بالسر.

– هكذا كان يقول ، وشعاع من النور الطاهر ينبعث من فمه في أثر بعضه إلي السماء .

– أتهربين من وجودي إلي العدم ؟ وأنا في « عالم » العدم ملك وصاحب علم ؟

– إن أمري وكسبي كله من العدم ، لكن صورتي فحسب هي التي توجد أمام السيدة العظيمة .

٣٧٧٥ – فانظري يا مريم ، إنني في صورة شديدة الإشكال ، إنني هلال ، وفي القلب خيال .

– وما دام خيال قد حل في قلبك واستقر ، حيثما تهربين يظل « هذا الخيال » معك .

– الهم إلا الخيال العارض الباطل ، الذي يكون كأنه الصبح الكاذب .

– وأنا كالصبح الصادق من نور الرب ، بحيث لا يحوم ليل أبدا حول نهاري .

– فهيا يابنة عمران ، ولا تحوقلي من وجودي ، فإنني جئت إلي هذا المكان من المكان نفسه الذي تلجئين إليه .

٣٧٨٠ – إن الاستعاذة هي أصل من أصولي وغذاء لي ، ونورها موجود فيّ قبل أن تتفوهي بها .

- إنك تفرين مني إلي الحق ، وأنا مخلوق من ذلك الملجأ فيما سبق .
- وأنا الملجأ والملاذ الذي يكون مخلصا لك ، إنك تطلبين الملاذ مني وأنا الملاذ .
- ولا آفة هناك أسوأ من أن يكون المرء غافلا ، أنت إلي جوار الحبيب لكنك لا تستطيعين إبداء العشق له .
- ولا زلت تظنين أن الحبيب من الأغيار ، وتسمين الفرح « بلقائه » ترحا.

٣٧٨٥ - وهذا النخل الذي هو مظهر من مظاهر لطف الحبيب ، إنما يتحول إلي مشنقة لنا إن كنا لصوصا .
- وهذا المضمخ بالمسك الذي هو جديلة أميرنا ، مادمنا بلا عقل ، فهو قيد لنا .
- وهذا اللطف الذي يجري في صورة نيل ، ما دمنا فراعنة فهو يتحول إلي نهر من الدم بالنسبة لنا .
- ويقوم الدم : إنني ماء فلا تسكبني ، وأنا يوسف وتعتبرني ذئبا يا كثير الجدل .
- ألست تري أن الحبيب الذي يتحمل « قسوتك » ، عندما تنقلب عدوا له ينقلب هو إلي حية بالنسبة لك .

٣٧٩٠ - إن لحمه وشحمه لم يتغيرا ، إن هذا السوء الذي حل به إنما يبدو من مظهره .

عزم ذلك الوكيل على الرجوع إلى بخارى بلا مبالاة من شدة عشقة

- أترك شمع مريم مشتعلا ، فإن هذا المحترق يمضي إلي بخاري .
- لقد نفد صبره إلي مالا نهاية ، فهو في تنور مضطرم النيران ، وهو يقول لنفسه أمض نحو صدر جهان ولذ به .

- كانت بخاري هذه منبعا للعلم ، ومن ثم فكل من كان عارفا كان منسوبا إلي بخاري .

- وأنت أمام الشيخ كأنك في بخاري ، فلا تنظرن باحتقار إلي بخاري .

٣٧٩٥ - فإن جزره ومده الصعب لا يترك طريقا إلي بخاري قلبه إلا بإبداء الذلة والخضوع .

- وما أسعد ذلك الذي ذلت نفسه ، وويلاه لذلك الذي يرديه تمرده وعدم تسليمه .

- إن فرقة صدر جهان كانت قد مزقت كيانه إربا .

- فقال : لأنهضن ولأمضين إلي هناك ، فإن من قبيل الكفر أن أميل إلي مكان آخر .

- لأمضين إلي ذلك المكان ولأسقط أمامه ، أمام ذلك الصدر خير الفكر .

٣٨٠٠ - وسوف أقول له : لقد ألقيت بروحي أمامك ، فأحيها أو فاذبحني ذبح الشاة .

- إن القتيل والميت أمامك أيها القمر ، أفضل من ملك الأحياء في مكان آخر .

- لقد جربت الأمر آلاف المرات بل أكثر ، ولا أري عيشي حلوا بدونك .

- غن لي يا منيتي لحن النشور ابركي يا ناقتي تم السرور

- ابلعي يا أرض دمعي قد كفي اشربي يا نفس وردا قد صفا

٣٨٠٥ - عدت يا عيدي إلينا مرحبا نعم ما روحت ياريح الصبا[1] .

- قال : وداعاأيها الرفاق ، إنني ماض نحو ذلك الصدر الذي هو أمير ومطاع .

- إن الحرقة تشويني شيا لحظة بعد لحظة ، إنني ماض إلي هناك وليكن ما يكون .

---

(١) بالعربية في المتن

– وبالرغم من أنه يجعل القلب كحجر الصوان ، فإن روحي ذاهبة إلي بخاري .

– إنها مسكن الحبيب ومدينة قلبي ، وهكذا يكون حب الوطن بالنسبة للعاشق .

سؤال معشوق لعاشقة السياح : أية مدينة من المدن وجدتها أجمل وأكثر أنسا واحتراما وأوفى نعمة وأكثر شرحا للقلب

٣٨١٠ – قال معشوق لعاشق : أيها الفتي ، إنك قد رأيت كثيرا من المدن .

– فأيها أجمل ؟ قال : تلك المدينة التي يكون فيها الحبيب .

– وحيثما كان هناك موضع مليكنا .. هو خلاء وإن كان سم خياط .

– وحيثما يكون يوسف كالقمر ، فهو جنة ولو كان قعر جب [١] .

منع الأصدقاء له من العودة إلى بخارى ، وتهديده وحديثه بلا مبالاة

– قال له ناصح : أيها الغافل ، فكر في العاقبة إن كنت ذا فضل .

٣٨١٥ – وانظر إلي ما وراءك وما أمامك بعقل ، ولا تحرق نفسك كالفراشة .

– وعندما تمضي إلي بخاري فأنت مجنون ، خليق بك القيد وجديدر بك السجن .

– إنه يمضغ الحديد غضبا عليك ، ويبحث عنك ويطلبك بحثا لا حد له !! [٢] .

---

(١) – ج / ٨– ٥٢٠ : والجحيم معك جنة يا مزيدا للروح وبدونك يكون الورود والريحان نار جهنم – وحينما تكون معي أكون سعيد القلب ، وإن كله منزلي قعر قبر وأعظم من الدارين أن أكون معك لقد طال هذا الكلام وعاشق صدر جهان ذارف للدموع من الانتظار .

(٢) حرفيا : يبحث عنك بعشرين عينا .

- إنه يشحذ من أجلك سكينة ، كأنه كلب في قحط ، وأنت بالنسبة له جوال من الدقيق .

- فما دمت قد نجوت وأعطاك الله طريقا .. « فكيف » تمضي إلي السجن وماذا جري لك ؟ .

٣٨٢٠ - ولو أن خلفك عشرة أنواع من العسس ، للزمك عقل حتي تختفي عن أنظارهم .

- وما دام أحد قط لم يوكل « بمطاردتك » ، فمن أي شئ سد عليك الطريق من قدام ووراء ؟ .

- لقد كان العشق الخفي قد أسره ، ولم يكن ذلك النذير يري ذلك الموكل.

- ولكل موكل خفي ، وإلا فمن أي شئ يكون « المرء » في إسار كلب الطبع ؟

- لقد حط غضب ملك العشق علي روحه ، وسد الطريق علي عذابه وافتضاحه .

٣٨٢٥ - إنه يضربه قائلا : هيا داوم علي ضربه ، وصراخي إنما يكون من أولئك العسس المختفين .

- إن كل من تراه ماضيا في الخسران ، إنما يمضي مع جلاد ، بالرغم من أنك تراه يمضي وحيدا .

- ولو كان واقفا علي وجوده لجأر بالشكوي ، وللجأ منه إلي سلطان السلاطين .

- ولحثا رأسه بالتراب أمام المليك ، حتي ينجيه من ذلك الشيطان المخوف.

- لقد رأيت نفسك أميرا يأقل من نملة ، ولأنك لم تر ذلك الجلاد فأنت أعمي .

٣٨٣٠ - وقد أصابك الغرور بهذا الجناح والقوادم المزيفين ، فهما جناح وقوادم يجرانك إلي الوبال .

- فإن ذلك الذي يملك جناحا خفيفا يطير به إلي الأعالي ، وعندما يصير ملوثا بالطين ، فإنه يبدي أنواع الأثقال [1].

رد العاشق على الناصح العاذل

بلا مبالاة من العشق

- قال : أيها الناصح ، أُصبت ، كفاك كفاك ، وقلل من نصحك فإن القيد شديد الإحكام .

- لقد صار القيد عليَّ أكثر قوة من نصحك ، ذلك أن عالمك لم يعرف العشق .

- وفي تلك الناحية التي زاد فيها العشق الألم ، لم يدرس الشافعي وأبو حنيفة .

٣٨٣٥ - ولا تخوفني بالقتل فإنني شديد العطش إلي دمي .

- وللعشاق في كل لحظة موت ، وموت الشعاق في حد ذاته ليس من نوع واحد .

- إن له مائتي روح من الهَدْي ، يضحي بها كلها في لحظة واحدة .

- وكل روح يأخذها يردها بعشرة أرواح ، وأقرأ في القرآن « عشر أمثالها» .

- فإن سفك دمي ذلك الحبيب الوجه ، فإنني أضحي بروحي أمامه راقصا.

٣٨٤٠ - لقد جربت الأمر ، وموتي في حياتي ، وعندما أنجو من هذه الحياة فهذا هو الثبات .

---

(١) ج / ٨ - ٥٢٩ : فجاهد حتي لا تلوث الجناح بالطين ، لكن أذنك صماء ونصيحتي قديمة . لقد نصحة كثيرا ذلك العاذل الخالي من الألم كأنه طائر القفنوس .

- « اقتلوني اقتلوني يا ثقات إن في قتلي حياة في حياة
- يا منير الخد يا روح التقي أجتذب روحي وجد لي باللقا
- لي حبيب حبه يشوي الحشا لو يشا يمشي على عيني مشا[1]

- هيا تحدث بالفارسية بالرغم من أن العربية أحلي ، وللعشق في حد ذاته مائة لغة أخري .

٣٨٤٥ - وعندما يتضوع أريج ذلك الحبيب ، تتحير كل هذه اللغات .

- ولأقصر ، لقد ورد ذكر الحبيب في الحديث ، فاستمع ، والله أعلم بالصواب .

- وعندما يتوب العاشق ، ليحل بك الخوف أنذاك ، فهو كالعيارين يعطي الدروس وهو علي المشنقة .

- وبالرغم من أن هذا العاشق يمضي إلي بخاري ، فإنه يمضي لا إلي درس ولا إلي أستاذ .

- لقد صار حسن الحبيب هو المدرس للعشاق ، ودفترهم ودرسهم وواجبهم المدرسي هو وجهه .

٣٨٥٠ - إنهم صامتون ، لكن صيحات « وجدهم » المتوالية تمضي حتي عرش محبوبهم .

- ودروسهم الضجة والدوران والزلزلة ، لا الزيادات أو باب السلسلة .

- إن سلسلة هؤلاء القوم هي جديلة الحبيب الفواحة بالمسك ، والمسألة هي الدائرة ، لكن حول الحبيب .

- فإن سألك أحد عن مسألة الكيس ، فقل له : لا تتسع الأكياس لكنز الحق .

- وإن جري حديث الخلع والمبارأة ، فلا تنظر نظر السوء فإن ما يدور هو حديث بخاري .

- « قال الضيف » : إنني عاشق قتيل فداء « لا .. إله إلا الله » وروحي هي موضع نوبة طبول البلاء .

- أما الطبلة الصغيرة فهي هذه التهديدات ، وطالما أبصرتها العيون من قبل .

- أيها الرفاق ، إننى لست من أولئك النفر ، بحيث أقف في هذا الطريق من أوهام .

- إننـــي من « الإسماعيلية » ليس عندي ذرة من حذر ، لا ، بل أن مثل إسماعيل عليه السلام فارغ من رأسي .

٤١٠٥ - إنني فارغ من الطنطنة والهباء ، لقد قال : « قل تعالوا » ولقد نادي روحي قائلا لها «تعالي » .

- وقال الرسول عليه السلام « لقد جاد في السلف بالعطية من تيقن بالخلف »[(١)] .

- وكل من يري في العطاء مائة عوض ، يغامر بالعطاء سريعا لهذا الغرض .

- وكل الناس لهذا السبب قبعوا في الأسواق ، لكي يقدموا أموالهم إن كان ثم كسب «من ورائها » .

- لقد جلسوا منتظرين والذهب في أكياسهم ، حتي يبذلوه عن طيب خاطر إن عنّ لهم كسب منه .

٤١١٠ - فعندما يري « أحدكم » بضاعة ذات ربح أكثر ، يقل عنده عشق البضاعة التي بين يديه .

- لقد بقي في هوي بضاعته طالما أنه لم ير عليها ربحا ولم ير فيها مزيدا.

---

(١) بالعربية في المتن .

- وكذلك أيضا العلم والفنون والحرف ، يبقي في هواها ما لم يجد شيئا يزيد عليها في الشرف .

- وما لم يكن هناك أفضل من الروح تظل الروح عزيزة ، وإن وجد ما هو أفضل منها تنقلب إلي شيء لا قيمة له .

- إن اللعبة الميتة تكون بمثابة الروح عند الطفلة ، طالما لم تكبر وتصير هي نفسها ولودا للأطفال .

٤١١٥ - وكل هذه الصور والخيالات بمثابة اللعبة ، وأنت بحاجة إليها طالما ظللت طفلا .

- وعندما تنجو الروح من الطفولة فإنها تصير فى وصال ، فارغة من التصور والحس والخيال .

- وليس ثم مسموح له وإلا تحدثت بلا مواربة ، ومن هنا أسلم والله أعلم بالوفاق .

- فالمـــال والجسد بمثابة الثلج المتساقط نحو الفناء ، والحق مشتريهما مصداقا لقوله ﴿ إن الله اشتري ﴾ .

- والثلج يبدو لك أفضل من الثمن ، لأنك لا تزال فى شك ولا يقين لديك.

٤١٢٠ - وهذا الظن عجيب فيك أيها المهين ، فهو لا يحلق « بك » نحو بستان اليقين .

- وكل ظن ظمآن لليقين يا بني يضرب بجناحيه وقوادمه بشكل متزايد.

- وعندما يصل إلي العلم يصير الجناح قدما ، ويصير علمه هذا مدركا لليقين .

- ذلك أنه فى طريق المفتون يكون العلم أقل من اليقين لكنه فوق الظن .

- فاعلم أن العلم يكون باحثا عن اليقين ، وذلك اليقين يكون باحثا عن الرؤية والعيان.

٣٨٥٥ – وذكر كل شئ يعطي خاصية ما ، وذلك لأن لكل صفة من الصفات ماهية .

– وفي بخاري تكون ناضجا رشيدا في العلم ، وعندما تتجه نحو الذلة تصبح فارغا من هذه الأمور .

– ولم يكن لذلك البخاري اهتمام بالعلم ، كان يقصر بصره علي شمس الأبصار .

– وكل من وجد طريقا إلي الرؤية في الخلوة ، لا يبحث عن مكنة من « العلم » والمعرفة .

– وعندما يصبح قريعا للكأس مع جمال الحبيب ، يصيبه آنذاك الملال من الأخبار والعلم.

٣٨٦٠ – فالرؤية تكون غالبا متقدمة علي العلم ، ذلك أن الدنيا لا تزال تحلو للوهم .

– وهذا لأنهم يرون الدنيا بأجمعها عينا « حاضرا » ، بينما يرون الدار الآخرة «نسيئة» ودينا[١] .

توجه ذلك العبد العاشق إلى بخارى

– اتجه ذلك العاشق الباكي بدموع من دم ، خافق الفؤاد نحو بخاري جادا مسرعا .

– كانت رمال نهر جيحون بالنسبة له كالحرير ، وماء نهر جيحون أمامه كالنبع .

– وكانت تلك الصحراء النسبة له كالروضة ، وكان يتعثر بشرا وسعادة كقاطف الورود.

٣٨٦٥ – والسكر منسوب إلي سمرقند ، لكن شفتيه وجدته من بخاري فصارت مذهبا له .

(١) – ج / ٨ – ٥٣٣ : عد إلى حديث ذلك الشاب ، الذى صار عاجزا من عشقه لصدر رجهان .

– يا بخـاري لقـد كنـت تزيدين في العـقل ، لكنك اخـتطفت مني العـقل والدين .

– إنني أبحث عن البدر ولـذلك صـرت في « نحـول » الهـلال ، وأبحث عن الصدر في صف النعال هذا .

– وعندما أبصر سـواد بخاري ، ظهر بعض البياض في سـواد الغم .

– فسقط سـاعة مغشيا عليه ممددا ، وطار عقله نحو بستان السـر .

٣٨٧٠ – وأخذوا يرشـون علي وجهه ورأسه ماء الورد ، وكانوا غافلين عن ماء ورد عشـقه .

– كـان قـد رأي روضة مـختـفـية « في باطـنه » ، وكانت غـارة العـشـق قـد قطعته عن نفسـه.

– ولسـت جـديرا – أيهـا الغث – بهـذا النفس ، لسـت مـقـرونا بالسـكر وإن كنت بوصـا .

– إن أسـباب عـقلك معك فـأنت إذن عـاقل ، وغافل « عن » مـضـمـون الآية القـائلة «جنودا لـم تروهـا » [١] .

دخـول ذلك العاشق اللامبالى بخارى
وتحذير أصدقائه إياه مـن الظهور

– لقد دخل بخاري سـعيدا ، عند معشـوقة ودار الأمـان .

٣٨٧٥ – مـثل ذلك الـثمل الذي يطير فـوق الأثير ، يحـتـضنه القـمـر ويقـول له : عانقني .

– وكل من رآه في بـخـاري قـال له : أنهض قـبل أن يكـتـشـف أمـرك ، لا تمكث ، اهرب .

---

١ – ج / – ٥٤١ : هذا الكلام لا نهاية له فسق سريعا حتى يمضي ذلك الفتى إلى بخارى .

- فإن ذلك الأمير يبحث عنك غاضبا ، حتي ينتقم منك انتقاما « جديرا بانتظاره إياك» عشر سنوات .

- بالله ، بالله عليك لا تسع في دمك ، وقلل الاعتماد علي مواجيدك وتعاويذك .

- لقد كنت رئيس شرطة صدرجهان وعظيما ، كنت موضع ثقته ومخططا له ، وأستاذا.

٣٨٨٠ - ولقد غدرت وهربت من الجزاء ، ونجوت فلماذا علقت ثانية ؟!!

- لقد هربت من البلاد بمائة حيلة ، فهل جاء بك البله إلي هنا أم الأجل ؟

- ويا من عقلك يسمو علي كوكب عطارد ، إن القضاء يصيب العقل والعاقل بالحمق.

- ومن نحس الأرنب أن يكون باحثا عن الأسد ، فأين ذكاؤك ؟ وأين عقلك ؟ وأين حذقك ؟

- إن ألاعيب القضاء أضعاف هذا « الذي تري » ، لقد قيل : إن جاء القضا ضاق الفضا .

٣٨٨٥ - وهناك مائة طريق ومهرب من اليمين واليسار ، ولكن القضاء يسمر المرء حيث تكون الأفعي .

جواب العاشق على العاذلين والمهددين

- قال : إنني مستسق يجذبني الماء ، مع علمي بأن الماء يقتلني .

- ولا يوجد مصاب بالاستسقاء يهرب من الماء ، ولو قتله مائة مرة وأفناه.

- فإن تورمت مني اليد والبطن ، فإن عشق الماء لن يقل عندي .

- وأقول عندما أسأل عما أحس به في داخلي ، ليت نهرا يجري في باطني .

– فقل لقربة البطن تمزقي من موج الماء ، فإن مت يطيب لي موتي .

– وحيثما أري جدولا أحسده وأقول : ليتني كنت هو .

– إن اليد كالدف والبطن كالطبل ، وأنا أدق طبول عشق الماء كالورود .

– وإن سفك دمي الروح الأمين ذاك ، فإنني أمتص هذا الدم جرعة جرعة كالأرض .

– إنني كالأرض وكالجنين آكل للدم ، ومذ أن صرت عاشقا فهذا هو عملي .

– وإنني أغلي فوق النار طوال الليل كالقدر ، وطوال النهار حتي الليل أتشرب الدم كالرمال .

– وإنني إن ندمت علي شئ ، فإنما ندمي علي أنني دبرت وهربت من مراد غضبه .

– فقل له : سق غضبك علي روحي الثملة ، إنه عيد الأضحي والعاشق أضحيته .

– والبقرة إذ ترقد أو تأكل شيئا ، فإنها إنما تربي من أجل الذبح والعيد .

– فأعلم أن بقرة موسي وهبتني الروح ، وكل جزء مني حشر لكل حر .

– كانت بقرة موسي أضحية لكن أقل جزء منها صار حياة لقتيل .

– لقد قفز ذلك القتيل واقفا ناجيا من الأذي ، عندما خوطب بـ « اضربوه ببعضها » .

– « يا كرامي اذبحوا هذا البقر إن أردتم حشر أرواح النظر[1] .

– لقد مت من الجمادية وصرت ناميا ، ومت من النماء وانقلبت حيوانا .

– ومت من الحيوانية وصرت إنسانا ، إذن فمن أي شيء أخاف ؟ ومتي نقصت من الموت؟

(١) بالعربية في المتن .

٣٩٠٥ – وأموت مرة أخري من البشرية ، حتي أخذ من الملائكة أجنحتها وقوادمها.

– ومن الملائكية ينبغي أن أقلع عن الطلب ، ذلك أن كل شيء هالك إلا وجهه .

– ثم أصير بعدها فداء من الملائكية ، وأصير إلي ما لا يحده وهم .

– إذ أصير عدما والعدم كالأرغنون ، يتغني لي قائلا « إنا إليه راجعون ».

– فاعلم أن الموت هو ما اتفقت عليه الأمة ، من أن ماء الحيوان مخبوء في الظلمة .

٣٩١٠ – وكالنيلوفر إمض من هذا الطرف من الجدول ، وكن كالمستسقي طالبا للموت بحرص .

– إن الماء موته وهو باحث عن الماء لكى يشربه والله أعلم بالصواب .

– فيا أيها العاشق الغث الفاتر ، يا عاشقا ملوث اللباد ، يهرب من الأحبة خوفا على حياته .

– فصوب سيف عشقه يا عارا حتي على النساء ، انظر إلي آلاف الأرواح تصفق فرحة.

– لقد رأيت جدولا فصب إناءك فى الجدول ، فمتي يكون للماء مهرب من الجدول ؟ .

٣٩١٥ – وعندما يصير ماء الإناء (فانيا) فى ماء الجدول ، ينمحي فيه ويصير الجدول إياه .

– لقد فنيت أوصافه وبقيت ذاته ، ومن ذلك الوقت فصاعدا لا ينقص ولا يكون سيئ اللقاء .

– لقد علقت نفسي « مشنوقا » على نخله ، إعتذارا مني علي أنني كنت قد هربت منه .

لقـــاء ذلك العاشق بمعشوقة

عندمـــا نفض اليد من روحه

– وكـالكرة سـاجدا على وجـهـه وعلى رأسـه ، مـشـي صـوب ذلك الصـدر بعين دامعة [1] .

– والخلق جميعا منتظرون كأن على رءوسهم الطير [2] ، « يتساءلون » هل سيشنقـــه أو يصلبه ؟

٣٩٢٠ – ففى هذه اللحظة يبدي الزمان سوء المآل لهذا الأحمق الشديد الحمق .

– إنه كالفراشة رأى الشرر نورا ، فوقع فيه بحمق وفقد فيه روحه .

– لكن شمع العشق ليس كهذا الشمع ، إنه نور فى نور فى نور .

– إنه على عكس الشمـوع النارية ، إذا إنه يبدي النار لكنه بأجمعه خير ولذة .

وصف ذلك المسجد الذى كان قاتلا للعشاق

وذلك العاشق الباحث عن الموت

اللامبالى الذى نزل ضيفا فيه

– استمع إلي حكاية يا مبارك الخطا ، كـان هناك مسجد فى أطراف مدينة الري .

٣٩٢٥ – ولم يكن أحد ينام فيه ليلة فقط ، إلا وتيتم أطفاله من الرعب الذي ينزل به فى تلك الليلة .

– وكثيرا ماذهب إليه غريب لا مأوي له ، وفى تنفس الصباح ذهب إليه قبره كما تمضي النجوم « بعد ذهاب الليل » .

– فاجعل نفسك عارفا بهذا الأمر جيدا ، لقد أتي الصبح فاقصر النوم .

ج / ٨ – ٥٥٦ : وبوجه كالزعفران ودمع جار ، ذهب ذلك المسلوب القلب صوب صدرجهان – وفى يده السيف والكفن لأنه كان عاشقا دائر الرأس

(٢) حرفيا : كأن رءوسهم في الهواء .

– وكان من الناس من يقول : إن فيه جنا غاضبة تقتل الضيوف بسيف مثلوم .

– وكان آخر يقول : إنه سحر وطلسم رصد ليكون عدوا للروح خصما لها .

٣٩٣٠ – وكان ثالث يقول : إن هناك نقشا ظاهرا على بابه فحواه : أيها الضيف لا تبق هنا.

– لا تنم هنا ليلا إن كنت حريصا على حياتك ، وإلا فإن الموت قد نصب لك هنا كمينا.

– وكان رابع يقول : أغلقوه ليلا وإن جاءه غافل فامنعوه .

مجئ ضيف إلى المسجد .

– حتي جاء ضيف في الليل ، كان قد سمع عن هذا الصيت العجيب .

– كان « يريد » أن يجرب الأمر محض التجربة ، إذ كان شديد الرجولة ملولا من حياته .

٣٩٣٥ – قال : إنني لست أبه بالجسد ، فافرض أن حبة من كنز الروح قد ضاعت.

– فقل لصورة الجسد امض فى سبيلك فمن أكون ؟ إن الصور لا تقل ما دمت باقيا !!.

– فما دمت مصداقا لقوله تعالي (نفخت) من لطفه تعالى ، فإنني أكون « فى الحقيقة » نفخة الحق منفصلا عن ناي الجسد .

– حتي لا يسقط صوت نفخته فى هذا الطرف ، وحتي يتخلص هذا الجوهر من ضيق الصدف!!

– وما دام قد قال : (تمنوا الموت إن كنتم صادقين) ، فإني صادق أضحي بروحي على هذا القول .

لوم أهل المسجد لذلك الضيف العاشق علي عزمه النوم فيه ليلا وتهديدهم إيـاه

٣٩٤٠ – قال له القوم : انتبه ولا تنم هنا ، حتى لا يدقك آخذ روحك كالكُسب .

– فإنك غريب ولا تعلم ما هو الحال ، فكل من نام هنا جاءه الزوال .

– وليس هذا الأمر بالصدفة فقد رأيناه مرات ومرات ، وكل أصحاب النُهي رأوه أيضا .

– وكل من جعل هذا المسجد مسكنا له ليلا ، جاءه الموت كسم الهلاهل في منتصف الليل .

– لقد رأينا هذا الأمر ليس مرة بل مائة مرة ، ولم نسمعه من أحد ونقوله علي سبيل التقليد .

٣٩٤٥ – ولقد قال الرسول عليه السلام : « إن الدين النصيحة » ، والنصيحة فى اللغة ضد الخيانة والغلول .

– إن هذه النصيحة استقامة فى الصداقة ، وفي الغلول الخيانة والنتن .

– إن هذه النصيحة لا خيانة فيها ونبديها لك ودا ، فلا ترجع عن « طريق» العقل والعدل .

جواب العاشق على العاذلين

– قال : أيها الناصحون إنني لا أحس بالندم ، ولقد مللت من عالم الحياة.

– إنني مشرد باحث عن الجرح راغب فيه ، فقلل طلب العافية من المشرد فى الطريق .

٣٩٥٠ – وليس بالمشرد الذى يكون باحثا عن الزاد لنفسه ، إنني مشرد لا مبال باحث عن الموت .

– وليس العاطل هو الذى يحصل على المال لكفه ، بل هو السجلّد الذي يعبر هذا الجسر.

– إنه ليس ذلك الذي يعرج على كل دكان ، بل هو الذي يفر من الكون ويحصل على المنجم .

– إن الموت حلو ونقلي من هذه الدار ، مثل ترك الطائر للقفص وطيرانه منه .

– وذلك القفص فى قلب البستان ، بحيث يري الطائر الروضة والشجر .

٣٩٥٥ – وجوقة الطيور خارج القفص حوله ، تغرد سعيدة وتقص القصص عن الحرية .

– والطائر الحبيس ليس له من هذه الروضة طعام ، ولا صبر له عنها ولا قرار .

– إنه يخرج رأسه من كل فجوة ، ربما يخلع هذا الغل من قدميه .

– وإذا كانت روحه وقلبه خارج القفص وهو حبيس ، فكيف يكون الحال عندما يفتح باب هذا القفص ؟

– فهو ليس مثل ذلك الطائر الموجود فى القفص ويتجرع الأحزان ؛ لأن القطط تتحلق حول قفصه هذا .

٣٩٦٠ – فمتي يكون له فى هذا الخوف والحزن رغبة فى الخروج من القفص ؟

– إنه بسبب هذا المترصد السيئ يريد أن تكون مائة قفص أخري حول هذا القفص !! .

عشق جالينوس لهذه الحياة الدنيا ؛ لأن فنه يصلح
لهذا المكان ، ولم يزاول فنا يصلح في ذلك
السوق ومن هنا يرى نفسه مساويا للعوام

– إن هذا يشبه ما قاله جالينوس العظيم ، من هواه فى هذه الدنيا ومن مراده فيها .

– « إنني راض أن تبقي مني نصف روح ، أو أن أري الدنيا من مؤخرة بغل » .

– إنه يري القطط صفا حوله « تترصده » ، فكان طائره يائسا من الطيران .

٣٩٦٥ – أو أنه رأي عدما ما سوي هذه الدنيا ، ولم ير في العدم حشرا كامنا .

– مثل الجنين الذي يجذبه الكرم خارجا ، لكنه يهرب منه متجها نحو البطن .

– إن اللطف يوجهه نحو مصدره ، لكنه يجعل لنفسه مقرا في بطن أمه .

– قائلا : إنني إن خرجت من هذه المدينة التي أحبها ، فهل أري بالعين – واعجباه – هذا المقام ؟

– ولو أن بابا كان موجودا في تلك المدينة الضيقة ، أستطيع أن أنظر منه إلي داخل الرحم ؟

٣٩٧٠ – أو أنه كان لي طريق كسم الخياط بحيث يصير الرحم مرئيا لي وأنا خارجه !!

– فذلك الجنين بدوره غافل عن عالم رحب ، وهو مثل جالينوس لم يؤذن له .

– وهو لا يعلم أن تلك الرطوبات الموجودة حوله ، ذات مدد من عالم خارجي .

– وهي شانها شأن العناصر الأربعة في الدنيا ، تأتي بمائة مدد من مدينة اللامكان .

– وأن « الطائر » وإن كان قد وجد الماء والحب في القفص ، فإنما قد جلبت إليه من البستان والساحة .

٣٩٧٥ – وأن أرواح الأنبياء تري البستان وهي في ذلك القفص في وقت الانتقال والفراغ «من الجسد » .

- ومن ثم فهم فارغون من جالينوس والعالم ، وهم بازغون في الأفلاك كالقمر .

- وإن كان هذا القول لجالينوس قد تقول عليه ، فإن جوابي هذا ليس علي جالينوس .

- وجوابى علي من قال هذا القول ، فلم يكن مقترنا بقلب مليء بالنور .

- صار طائر روحه فأرا باحثا عن جحر ، عندما سمع من القطط قول « عرجوا » !! .

٣٩٨٠ - ولهذا السبب فإن روحه رأت جحر الدنيا هذا وطنا ومستقرا كالفأر .

- بل وقام بالبناء في هذا الجحر ، واكتسب علما جديرا بهذا الجحر .

- والحرف التي كانت بالنسبة له في ازدياد ، قد اختارها بحيث تصلح لهذا الجحر .

- وذلك أنه جعل القلب مصروفا عن الخروج ، فانغلق أمامه طريق الخروج من البدن .

- ولو كان للعنكبوت طبع العنقاء ، فمتي كان « يعن » له أن ينصب خيمة من لعابه ؟

٣٩٨٥ - لقد مدت القطة مخلبها في القفص ، واسم مخلبها هذا : المرض والدوار والمغص .

- والقط هو الموت ، والمرض مخلبه ، يمده نحو الطائر ونحو جناحه وقوادمه .

- فيقفز « المريض » من ركن إلي ركن باحثا عن الدواء ، والموت كالقاضي والمرض كشاهد « الإثبات » .

- ولما كان الشاهد مبعوثا من القاضي ، فإنه يستدعيك حتي مقر الحكم

– وأنت تريد مهلة منه قاصدا الهروب ، فإن قبل تم الأمر ، وإلا قال لك : انهض بنا .

٣٩٩٠ – وطلب المهلة هو الدواء والعلاج ، فأنت ترقع بهاخرقة الجسد .

– ثم يأتيك في النهاية ذات صباح غاضبا قائلا : حتام تمتد هذه المهلة ، ألا فلتخجل آخرا .

– فاطلب عذرك من المليك يا مليئا بالحسد ، قبل أن يحل بك مثل هذا اليوم .

– وذلك الذي يسوق جواده في الظلمة ، يقتلع قلبه من رؤية ذلك النور دفعة واحدة .

– إنه يهرب من الشاهد ومقصده ؛ لأن ذلك الشاهد إنما يدعوه نحو القضاء[1] .

لوم أهل المسجد للضيف مرة أخرى على عزمه النوم في المسجد

٣٩٩٥ – دعك من هذا وانتقل إلي « الحديث » عن ذلك الشخص الذي جاء ضيفا علي المسجد تلك الليلة .

– قال له القوم : لا تتظاهر بالشجاعة وامض ، حتي لا تصير روحك وجسدك رهنا «للأجل » .

– انظر جيداً لذلك الذي يبدو لك سهلا من علي البعد ، إن المعبر سوف يكون شاقا وعرا في نهايته .

– فكثيرا ما ظن الرجل نفسه قويا وشجاعا ، وعند المعمعة يبحث عن معين ومنقذ .

– ومن السهل قبل الواقعات أن يكون في قلوب الناس تصور الخير والشر .

---

(١) ج / ٨ – ٥٦٦ : وفجأة يقبضون عليه ذليلا حقيراً جارين إياه نحو القاضي .

٤٠٠٠ – وعندما يدخل المرء إلي المعمعة ، يصير الأمر ذلك الزمان علي المرء صعبا .

– وما دمت لست بالأسد ، فحذار ولا تخط خطوة واحدة إلي الأمام ، فإن ذلك الأجل ذئب وروحك شاة .

– وإن كنت من الأبْدَال ، وتبدلت شاتك إلي أسد ، فتعال مطمئنا فقد طأطأ الموت رأسه أمامك .

– ومن الأبْدَال ؟ إنه ذلك الذى يصير مبدلا ، وتصير خمْره خلا من تبديل الله .

– لكنك ثمل ، فريسة للأسد تظن نفسك أسدا فانتبه ولا تتقدم .

٤٠٠٥ – وقد قال الحق عن أهل النفاق الخالين من السداد إن بأسهم بينهم شديد.

– إنهم بينهم وبين أنفسهم كالرجال ، لكنهم عند الغزو كالنساء « القابعات » في البيوت .

– وقال الرسول عليه السلام وهو قائد الغيوب : لا شجاعة يا فتي قبل الحروب .

– إنهم عند التشدق بالغزو يدقون الأكف ثملين ، وعند المعمعة كالزبد « يذهبون جفاء» بلا فن.

– وهم عند ذكر الغزو طوال السيوف ، وعند الكر والفر تكون هذه السيوف كأنها بصلة!!

٤٠١٠ – وعند التدبير تكون قلوبهم باحثة عن الطعان ، وبإبرة واحدة تفرغ هذه القرب من الهواء .

– وإنني لأعجب من الباحث عن الصفاء ، الذي يفر في وقت الصقل من الجفاء .

– ولما كانت مقاساة الجفاء هي الدليل علي دعوي العشق ، فإن لم يكن لديك هذا الدليل فدعواك باطلة .

– وعندما يريد هذا القاضي منك الدليل ، فلا يضيقن صدرك ، قبل الحية تجد الكنز .

– وذلك الجفاء لايكون معك يا بني ، لكنه موجه إلي الصفة السيئة التي تكون داخلك.

٤٠١٥ – إن الرجل حين يضرب اللبادة بالخشب ، لم يضرب اللبادة في الحقيقة بل نفض عنها الغبار .

– وإذا كان ذلك الغاضب قد ساط الجواد ، لم يسط الجواد لكنه ساط تعثره .

– حتي يتخلص من التعثر ويصير حسن الخطو ، إنك تحبس العصارة حتي تصير خمرا.

– قال أحدهم : لقد ضربت ذلك اليتيم المسكين كثيرا ، فكيف لم تخش من غضب الله ؟

– قالت : متي ضربته أيها الحبيب الصديق ؟ إنني ضربت ذلك الشيطان « الموجود » داخله .

٤٠٢٠ – وإذا دعت عليك أمك بالموت ، فإنها تريد موت تلك الخصلة السيئة فيك وموت الفساد .

– وتلك الجماعة « من المنافقين » التي فرت من الأدب ، قد أراقت ماء « وجه » الرجولة وكرامة الرجال .

– لقد ردهم العاذلون عن الوغي ، حتي بقوا هكذا مأبونين مخنثين .

– وقلل السماع إذن لهزل الهازل ونفاجه ، وإياك أن تمضي إلي القتال مع أمثال هؤلاء .

– ذلك أن الله تعالي قال في شأنهم (زادوكم خبالا) ، وأمركم بأن تشيحوا بالوجوه عن الرفاق الضعفاف .

٤٠٢٥ – إذ إنهم إن صاحبوكم « لتكشفوا » من غزاة بلا لب يصبحون كالقش .

– إنهم يجعلون أنفسهم معكم في نفس الصف ، ثم يهربون ويحطمون قلب الصف .

– ومن هنا فجيش قليل العدد دون هذا النفر ، أفضل من أن يكون لجبا ضخما بأهل النفاق .

– كما يكون اللوز القليل المنقي جيداً ، أفضل من الكثير المختلط باللوز المر .

– والمر والحلو سيان إن سمعت صوت « تفريغهما » في الجوال ، لكن النقص قد حدث لأن اللب بينهما مختلف .

٤٠٣٠ – والمجوسي يكون خائف القلب ؛ لأنه من ظنه يعيش دائم الشك في أمر الآخرة .

– إنه يمضي في الطريق لا يعرف منزلا ، يضع خطوه خائفا أعمي القلب.

– وكيف يمشي المسافر ما لم يعرف الطريق ؟ إنه يمضي بتردد وقلب مليء بالدم .

– وكل من يقول له : يا هذا ليس هناك طريق من هذه الناحية ، يجعله يتوقف في هذا المكان من الخوف .

– ولو أن قلبه الواعي اليقظ يعلم الطريق ، فمتي تجد كل صيحات « التحذير » طريقها إلي أذنيه ؟ .

٤٠٣٥ – إذن فلا تكن رفيق طريق لهؤلاء الجبناء ، ذلك أن الوقت ضيق وهم خائفون يا هذا.

– إنهم يهربون منك تاركين إياك وحيدا ، بالرغم من أنهم عند التشدق بالحديث السحر « الحلال » .

– فهيا ولا تبحث من ربات الدلال عن القتال ، ولا تطلب من الطواويس الصيد والقنص.

– فالطبع طاووس يوسوس لك ، ويفح لك حتي يقتلعك من مقامك .

قول الشيطان لقريش : تعالوا لقتال أحمد فسوف أساعدكم واستنفر قبيلتى للعون وهروبه عند لقاء الصفين

(١)

– إن هذا علي مثال الشيطان ، صار « كأنه قائد » للجيش ، ووسوس لهم قائلا : « إنني جار لكم » .

٤٠٤٠ – وعندما تجهزت قريش اعتمادا علي قوله ، والتقي الجيشان .

– رأي الشيطان جيشا من الملائكة في الطريق إلي صف المؤمنين .

– وأولئك الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة ﴿ **جنودا لم تروها** ﴾ قد اصطفوا ، استعرت النيران في روحه خوفا .

– فأخذ في التقهقر قائلا : إنني أري جيشا عجبا !!

– إني أخاف الله ما لي منه عون ، اذهبوا إني أري ما لا ترون »[٢] .

---

(١) ج / ٨ – ٥٨٤ : مثل الشيطان من وسوستة لقريش ، لقد وسوس لهم قائلا : تعالوا بالجيش – حتي نوقع الهزيمة بأحمد، ونقتلع جذوره من الأرض . وعندما تجمعت الجيوش ، تحدث معها بالحيلة . قائلا : سوف آتي بقبيلتي ، حتي أكون ظهيرا لكم فى الهيجاء ، وأقوم لكم بالعون والمساعدة ، حتي أهزم جيش عدوكم .

(٢) بالعربية في المتن .

٤٠٤٥ – قال الحارث : يا مـن أنت علي شكل سراقة انتبه ، لماذ لم تكن تقول هذا بالأمس ؟

– قال : إني أري الهلاك الآن ، قال « الحارث » : تري أيضا حقراء العرب .

– ولا تري غير هذا لكن يا من أنت عار ، كان ذلك وقت النفاج والآن وقت القتال .

– كنت تقول بالأمس : ما دمت قد صرت قائد الجيش ، فإن النصر لكم والفتح « تحت راياتكم » قدما بقدم .

– وبالأمس كنت قائد الجيش أيها اللعين ، والآن لست برجل ولست بشيء بل أنت مهين.

٤٠٥٠ – حتي نجرعنا خديعتك وأتينا فمضيت بنا إلي الأتون ، وصرنا نحن حطبا .

– وعندما توجه الحارث إلي سراقة بهذا الخطاب ، استشاط اللعين غضبا من هذا اللوم والعتاب .

– وسحب يده بغضب من يده ، فقد كان الألم شديدا في قلبه من هذا الحديث .

– ووكزه الشيطان في صدره ، وانطلق هاربا ، وسفكت دماء كثير من المساكين من مكره .

– مثلما ألحق الخراب بعوالم لا حصر لها ، ثم « نكص منها » قائلا ﴿إني بريء منكم﴾ .

٤٠٥٥ – وكزه في صدره فألقي به أرضا ، وركن إلي الفرار عندما أخذ منه الخوف كا مأخذ.

– والنفس والشيطان كلاهما كانا جسدا واحدا ، لكنهما ظهرا في صورتين .

– مثل الملاك والعقل كانا « في الأصل » كيانا واحدا ، ثم صار لحكمة

يعلمها – جل شأنه – صورتين .

– وعدو كهذا كامن لك في سرك ، هو حائل دون العقل وخصم للروح والدين .

– إنه يحمل عليك دفعة واحدة كما يحمل الضب ، ثم يفر هاربا إلي جحره .

٤٠٦٠ – وقد صار له الآن في القلب جحور وجحور ، إنه يطل برأسه من كل جحر منها .

– لقد صار اسم الشيطان « الخناس » ، لاختفائه هكذا داخل النفوس وكونه في ذلك الجحر .

– فإن خنوسه مثل خنوس القنفذ ، فهو كرأس القنفذ يظهر ويختفي .

– ولقد سمي الله تعالي ذلك الشيطان بالخناس ؛ لأنه يشبه رأس هذا القنفذ .

– فذلك القنفذ يخفي رأسه لحظة بلحظة خوفا من الصياد والقط .

٤٠٦٥ – وعندما يجد الفرصة يطل برأسه ، ومع مثل مكره هذا تكون الحية ضعيفة أمامه .

– وإن لم تكن النفس قد قطعت عليك الطريق من الداخل ، فمتي كان لقطاع الطريق يد طولي عليك ؟

– من قبيل ذلك ، ذلك الشيطان الملحاح المسمي بالشهوة ، إنه يجعل القلب أسيرا للحرص والطمع والآفة .

– ومن ذلك الشيطان الخفي صرت لصا فاسدا ، حتي وجدت بقية الشياطين طريقا إلي قهرك .

– فاستمع من الخبر النبوي الشريف إلي هذه النصيحة الطيبة : « بين جنبيكم لكم أعدي عدو »[(١)] .

---

(١) بالعربية في المتن .

٤٠٧٠ – فلا تستمع إلي جعجعة هذا العدو ، وجد في الفرار منه ، فهو مثل إبليس في لجاج وخصومة .

– لقد سهل عليك ذلك العذاب السرمدي من أجل الدنيا ويهرجها وزينتها.

– فأي عجب أن جعل عليك الموت سهلا ، إنه بسحره يفعل أضعاف أضعاف ذلك .

– إن السحر يجعل القشة بفنه جبلا ، ثم يجعل الجبل يبدو كأنه القشة

– ويقلب القبائح كلها إلي محاس بفنه ، ويقلب المحاسن كلها إلي قبائح بظنه .

٤٠٧٥ – وهذا هو عمل السحر عندما يتنفس ، إنه يقلب الحقائق في كل نفس .

– إنه يبدي الإنسان حمارا في لحظة ، ويجعل الحمار بشرا آية للناس .

– ومثل هذا الساحر موجود في داخك وفي سرك ، « إن في الوسواس سحرا مستترا»(١) .

– وفي هذا العالم الذي يوجد فيه هذا السحر ، هناك سحرة لكنهم يبطلون هذا السحر .

– وتلك الصحراء التي تحتوي علي السم الزعاف ، تحتوي أيضاً علي الترياق يا بني .

٤٠٨٠ – ويناديك الترياق قائلا : « لذ بي واطلب وجاء مني ، فأنا أقرب إليك من السم » .

– إن كلام « ذلك الشيطان » سحر وعدو لك ، وكلامي أيضا سحر لكنه دفع لذلك السحر .

تكرار العاذلين النصيحة لضيف ذلك

المسجد القاتل للضيوف

– لقد قال الرسول عليه السلام : إن من البيان لسحرا ، وحقا قاله ذلك البطل العظيم [1] .

– هيا لا تتظاهر بالشجاعة وامض يا أبا الكرم ، ولا تلق علينا أو علي مسجدنا بالتهم.

– فسوف يتحدث كاشح نقلا عن كاشح ، ويضرم بيننا نار « الغيبة » أحد الأدنياء .

٤٠٨٥ – وسوف يقولون : إن مجرما قد قام بخنقه ، والمسجد مجرد ذريعة والرجل كان صحيح الجسم .

– وإنهم يضعون التهمة علي المسجد ، ما دام المسجد سيئ السمعة ، وبهذا ينجو القاتل المجرم .

– فلا تضع التهم علي كواهلنا أيها العنيد ، فلسنا بالآمنين من مكر الأعداء .

– وهيا لا تتظاهر بالشجاعة ، ولا تضخم في نفسك الأماني ، فلا يمكن قياس «كوكب» عطارد بالذراع .

– فمثلك كثيرون قد تشدقوا عن الحظ ، فاقتلعوا لحيهم قبضة قبضة .

٤٠٩٠ – هيا امض ، وكف عن هذا القيل والقال ، ولا تلق بنفسك وبنا في الوبال.

---

(١) بالعربية في المتن .

جواب الضيف عليهم وضربه المثل بحارس المزرعة الذى دفع بصوت الدف الجمل الذى كانوا يدقون عليه طبول السلطان محمود

- قال : أيها الرفاق ، لست من أولئك الشياطين ، بحيث تهن قدمي من الحوقلة .
- لقد كان هناك طفل يحرس مزرعة ، وكان يدق طبلة صغيرة لزجر الطيور .
- وكانت الطيور تفر من المزرعة من صوت تلك الطبلة الصغيرة ، فأصبحت المزرعة آمنة من طيور السوء .
- وعندما مر السلطان محمود الكريم بتلك الناحية ، وضرب معسكرا كبيرا .

٤٠٩٥ - وكان معه جيش كنجوم الأثير لجب ومظفر وشاق للصفوف ومستول علي الملك .
- وكان معه أيضا جمل يحمل الطبول ، كان جملا ذا سنامين متبخترا يمشي كالديك .
- كانوا يدقون عليه الكوسات والطبول ليل نهار ، في الرواح والغدو وعند تجميع الجند.
- ودخل ذلك الجمل تلك المزرعة ، فدق ذلك الطفل تلك الطبلة الصغيرة لكي يحافظ علي قمحه .
- فقال له أحد العقلاء : لا تقرع هذه الطبلة الصغيرة فهو متمرس علي الطبول معتاد عليها .

٤١٠٠ - وماذا يكون لوحاك هذان بالنسبة له أيها الطفل ؟ إنه يحمل طبل السلطان التي تبلغ أضعاف أضعاف طبلتك .

٤١٢٥ – فابحث الآن عن هذا المعني في ﴿ ألهاكم ﴾ ، واقرأ من « بعدها » ﴿كلا لو تعلمون﴾.

– فالعلم يفضى إلي الرؤية أيها العليم ، فإن تيقنت اقرأ بعدها « ترون الجحيم » .

– ذلك أن الرؤية تتولد من اليقين بلا إمهال ، كما أن الخيال يتولد من الظن .

– وانظر فى ﴿ ألهاكم ﴾ إلي تفسير هذا الأمر ، إن علم اليقين يصير هو نفسه عين اليقين .

– وأنا أعلي من الظن وأعلي من اليقين ، ومن الملام لا « أرجع » عما فى رأسي .

٤١٣٠ – وعندما تذوق فمي طعم حلواه ، صرت مجلو البصر ناظرا دوما إليه .

– فأخطو حيثما أخطو بجرأة كأننى ذاهب إلي منزلي ، ولا ترتعد قدماي إذ لا أمشي بعمى .

– وما قاله الحق للورد وجعله ، ضاحكا ، قد أسر به إلي قلبى وجعله أضعاف ما يكون « الورد » عليه .

– وما جعله للسرو وجعل قده ممشوقا به ، ما غذى به زهور النرجس والنسرين .

– وما جعل به البوص حلو القلب والروح ، وما خلق به من التراب صور حسان مدينة « شكل » .

٤١٣٥ – وما جعل به الحاجب فاتنا إلي هذا الحد ، وجعل الوجه فى لون الورد وزهر الرمان .

– وما أعطى به اللسان مائة نوع من السحر ، وأعطي به للمنجم الذهب النضار (١) .

---

(١) حرفيا الحيفرى .

- إنه عندما انفتح باب خزانة السلاح ، صارت نظرات العين رامية بالسهام .

- لقد أصمي قلبي بسهم وجعلني مفتونا ، وجعلنى عاشقا للشكر قاضما للسكر .

- إنني عاشق لذلك الذي كل آن له ، والعقل والروح حبة واحدة من جوهره (١) .

٤١٤٠ - وأنا لا أتقول ، وإن تقولت فأنا كالماء ، ليس عندي أدني اضطراب من وضعي فى النار .

- وكيف أسرق وهو على هذا المخزن حفيظ ؟ ولماذا لا أكون جريئا مصرا وهو ظهيري ؟

- وكل من يكون له من الشمس ظهير ونصير ، يكون مصرا وملحا فلا خوف يطرأ عليه ولا خجل .

- فهو مثل وجه الشمس لايأبه بشئ ، وقد صار وجهه محرقا للخصم ممزقا للحجب .

- وقد كان كل رسول مصرا فى هذه الدنيا ، وهجم نسيج وحدة فى الميدان على جيوش الملوك .

٤١٤٥ - لم يحول وجهه من خوف أو من حزن ، بل هاجم وحده عالما .

- والحجر يكون صلب الوجه جرىء العين ، ولا يخاف من عالم ملئ بالمدر .

- فإن ذلك المدر قد صار قطعة واحدة بفعل ضارب الطوب ، أما الحجر فقد صار صلبا من صنع الله .

- و الخراف وإن كانوا عديدين فلا حساب لهم ولا شأن ، ومتي يخاف ذلك القصاب من كثرة عددهم ؟

---

(١) رواية نيكلسون (ص ٢٣) : العقل والروح حارسان لحبة واحدة من كنوزه .

- كلكم راع ، والنبي بمثابة الراعي ، والخلق كالقطيع وهو الساعي « في خيرهم » .

٤١٥٠ - والراعي لا يخاف من القطيع عند الوغي ، لكنه حافظ لهم من الحر والبرد .

- والراعي إذا صاح بغضب على القطيع ، فاعلم أن هذا يكون من الحب الذي يكنه للجميع .

- وفي كل لحظة يهمس لي الإقبال المتجدد ، إنني أنا الذي أجعلك حزينا فلا تحزن .

- إنني أجعلك حزينا باكيا حتي أخفيك عن عيون الأشرار .

- أجعل طبعك مرا من الأحزان ، حتي تتحول عنك عين السوء .

٤١٥٥ - ألست أنت صيادا طالبا إياي ، ألست عبدا تابعا لرأيي ؟

- ولا تفتأ تحتال حتي تصل في ، ومن فراقك إياي بلا أهل وبلا أنيس .

- وألمك في أثري باحث عن علاج ، وليلة الأمس كنت أستمع إلي أهاتك الحزينة .

- وأستطيع - بدون هذا الانتظار منك - أن أبدي الطريق وأن أدلك على طريق العبور.

- حتي تنجو من هذه الدوامة الدوارة ، وتضع قدمك على رأس كنز وصالي .

٤١٦٠ - لكن لذائذ المقر وحلاوته ، تكون علي قدر تعب السفر .

- إنك تتمتع بمدينتك وأهلك حين تكون قد قاسيت من الغربة الآلام والمحن (١) .

---

(١) ج / ٩ - ٧٨ : (محمد تقي جعفري : تفسير ونقد وتحليل فتوي جلال الدين محمد بلخي - قسمت چهارم از دفتر سوم وقسمت أول از دفتر چهارم . ط ١١ - طهران ١٣٦٦ هـ . ش فيما بعد ج / ٣٩ وكل ما وجدته بسهولة تمنحة بسهولة ، وتضع على الروح الألم الذي يدرك المشاكل .

تمثيل هرب المؤمن وعدم صبره على البلاء باضطراب الحمص والحوائج الأخرى وقلقها فى غليان القدر وإسراعها للخروج منه[1]

– انظر إلي حبة الحمص فى القدر كيف تهرب إلى أعلي ؟ لقد صارت فى أذي من النار.

– وفي كل لحظة ترتفع حبة الحمص وقت الغليان إلي حافة القدر وتصرخ كثيرا قائلة :

– لماذا تضرمين النيران في ؟ وكيف قمت بشرائي ثم تغلينني هكذا ؟

٤١٦٥ – فتمد السيدة مغرفتها قائلة : لا ، اغلي جيدا ، ولا تنفري من واقد النار.

– إني لا أغليك لأنك مكروهة لدي ، بل لكي تكتسبي لذة وطعما .

– لكي تتحولى إلي غذاء وتمتزجي بالروح ، وليس هذا الامتحان من أجل إذلالك .

– كنت ترتوين خضراء نضرة فى البستان ، كان ذلك الري من أجل هذه النار .

– لقد سبقت رحمته غضبه ؛ وذلك حتي يجعل من رحمته أهل الامتحان.

٤١٧٠ – ولقد سبقت رحمته غضبه ، حتى يمكن الحصول على رأسمال

---

(١) ج / ٩ – ٩٠ : استمع إلى هذا المثل وأعرف قدر نفسك ، ولا تحول وجهك عن البلايا أيها الفتى .

الوجود.

- وذلك أنه بلا لذة لا ينمو لحم أو جلد ، وكيف لا ينمو إذن ؟ وماذا يذيب عشق الحبيب ؟

- ومن ذلك الطلب يتأتي القهر ألوانا ، وذلك حتي تؤثره برأس المال ذاك ! - ثم يأتي اللطف تعويضا عن ذلك القهر ، أي : أنك قد اغتسلت ووثبت من النهر .

- وتقول السيدة : ياحبة الحمص لقد تغذيت فى الربيع ، وقد نزل عليك الألم ضيفا فأكرميه !

٤١٧٥ - حتي يعود الضيف من عندك شاكرا ، ويقص للملك عما وجده من إيثارك .

- حتي يعوضك المنعم عن نعمتك « التى آثرت غيرك بها » ، فتحسدك على ذلك كل النعم .

- إنني كالخليل وأنت ابني أمام السكين ، فضعي رأسك : إني أراني أذبحك .

- طأطئي الرأس أمام القهر والقلب مطمئن ، حتى أذبحك وأقطع حلقك كإسماعيل .

- أقطع الرأس ، لكن الرأس الذى أقطع هو ذلك الرأس الذي لا يصيبه قطع أو موت .

٤١٨٠ - ذلك أن المقصود منذ الأزل هو تسليمك ، فاطلب التسليم إذن أيها المسلم .

- وياحبة الحمص داومي على الغليان فى الابتلاء حتى لا يبقي لك وجود أو ذات .

---

(١) رواية نيكلسون (ص ٢٣) : العقل والروح حارسان لحبة واحدة من كنوزه .

- وإذا كنت ضاحكة فى ذلك البستان ، فأنت « الآن » زهرة بستان الروح والبصر .

- وإذا صرت منفصلة عن بستان الماء والطين ذاك ، فقد تحولت إلي لقمة ودخلت إلي «عالم » الأحياء .

- فتحولي إلى غذاء وقوة وفكر ، لقد كنت عصارة ، فتحولي إلي أسد فى الغابات .

٤١٨٥ - ولقد نبت من صفاته - والله - منذ البداية ، فعودي إلي صفاته مسرعة متجلدة .

- لقد جئت من السحاب والشمس والفلك ، ثم تحولت إلي صفات وصعدت إلي الفلك .

- جئت فى صورة مطر وحرارة ، وتمضين فى الصفات التى تستطاب وتستحسن .

- كنت جزءا من هالة الشمس والسحاب والأنجم ، فصرت نفسا وفعلا وقولا وأفكارا .

- لقد صار وجود الحيوان من موت النبات ، وصدقت « قولة القائل » « اقتلوني يا ثقات » .

٤١٩٠ - وما دمت قد كسبت هكذا بعد الممات ، فقد صدقت القولة الثانية « إن في قتلي حياة » .

- وقد صار الفعل والقول والصدق قوتا للملك ، حتي عرج بها إلي « أوج » الفلك .

- مثلما صارت مادتك غذاء للبشر ، فتسامي عن مرحلة الجمادية وصار حيا .

- إن لهذا الكلام تفسيرا مفصلا فانتبه ، فإنه سوف يأتي فى موضع آخر.

- وإن القافلة تصل تباعا من الفلك ، تقوم هنا بالتجارة ثم تعود « إلي حيث جاءت ».

٤١٩٥ – إذن فامض سعيدا مرحاً ، امض طوعا ، لاكرها ولا مرارة كما يمضي اللص .

– إنني أحدثك بهذا الحديث المر ، كي أغسل قلبك من المرارة « الكامنة فيه» .

– فالعنب المتجمد يخلص من الماء البارد ، وتنتفي عنه البرودة والتجمد .

– وعندما تجعل القلب داميا من المرارة ، تخرج منه كل أنواع المرارة (١)

تمثيل صبر المؤمن عندما يصير واقفا على سر البلاء وخيره

– من ليس بكلب صيد لا يكون علي عنقه طوق ، وليس الساذج ومن لم ينضج إلا بلا ذوق .

٤٢٠٠ – قالت حبة الحمص : ما دام الأمر هكذا يا سيدتي ، فلأغل جيدا ، وساعديني بصدق .

– إنك في هذا الإنضاج بمثابة المعمار لي ، قلبيني إذن بالمغرفة ، فما أجمل تقليبك !

– إنني كالفيل فاضربيني علي رأسي ، قومي بوسمي بالميسم ، حتي لا أحلم ثانية بالهند أو الرياض .

– حتي أعطي نفسي « كلية » للغليان ، وحتي أجد النجاة في أحضان ذلك الغليان .

– ذلك أن الإنسان يطغي في الغني ، ويتمرد كما يتمرد الفيل الحالم « بموطنه القديم» .

٤٢٠٥ – وعندما يري الفيل الهند في الأحلام ، فإنه لا يسمع صوت الفيال ويحرن « علي الدوام »

---

(١) ج / ٩ – ٩١ : وفي ذلك الزمان تصبح حلوا كالعسل ، فارغا (من الهم) وإن صبوا فوقك الخل – وكل من لم يصبح صابرا في البلاد ، لم يصبح مقبلا علي هذه العتبة الفاخرة .

اعتذار السيدة لحبة الحمص
وحكمة على السيدة لها

– تقول تلك السيدة لها : لقد كنت مثلك قبلا من أجزاء الأرض .

– وعندما احتسيت « شراب » الجهاد الناري ، صرت قابلة « للسمو » جديرة به .

– فغليت فترة في الأرض ، وغليت فترة أخري داخل قدر الجسد .

– ومن هذين الغليانين اكتسبت قوة الأحاسيس ، ثم صرت روحا ومن بعدها صرت سيدة لك .

– وكنت أقول في « مرحلة » الجمادية : إنك ستعبرينها مسرعة ، لكي تتحولي إلي عدم وصفات معنوية .

– وعندما أصير روحا يكون لي غليان آخر ، أعبر به مرحلة الحيوانية .

– فداومي علي الدعاء إلي الله حتي لا تضلي عن هذا السير ، وحتي تصلي إلي المنتهي .

– ذلك أن كثيرا من الناس قد ضلوا من « تحيرهم في » القرآن ! ، ومن ذلك الحبل المتين سقط قوم في البئر .

– وليس للحبل المتين ذنب أيها العنود ، فلم تكن لديك الرغبة في رفع الرأس والترقي والصعود ! [(١)] .

بقية قصة ضيف ذلك المسجد القاتل
للضيوف وثباته وصدقه

– قال ذلك الغريب عن المدينة والذي هو بأجمعه طلب : سوف أنام في هذا المسجد ليلا .

– أيها المسجد : لو صرت لي كما كانت كربلاء « بالنسبة للحسين » ، فإنك آنذاك تصبح كعبتي قاضية الحاجات .

---

(١) ج / ٩ – ٩٩ : فسق نحو ذلك العاشق الغائب عن نفسه ، ماذا فعل في ذلك المسجد من الامتحان !! .

- هيا علقيني أيتها المشنقة المختارة [1] حتى أتلاعب بالحبال « كما فعل المنصور » .
- وإن صار جبريل ناصحا لك ، فإن الخليل لن يطلب الغوث وهو في لهب النار .
- فامض يا جبريل ، فأنا في حرقة ولهيب ، ومن الأفضل لي أن أحترق كالعنبر والعود.

٤٢٢٠ - ويا جبريل ، إنك وإن كنت تقدم العون لي ، وإن كنت حافظا لي كالأخ الشفيق .
- فأنا مسرع إلي النار أيها الأخ ، لا .. ليس أنا « الذي يسرع إليها » بل تلك الروح التي تقبل الزيادة والنقصان .
- إن الروح الحيوانية تتزايد من الغذاء ، إنها نارية ومن هنا فإنها قد تلفت كالحطب .
- وإن لم تتحول إلي حطب لكانت مثمرة ، ولكانت معمورة وعامرة إلي الأبد .
- فاعلم أن هذه النار « مجرد » ريح محرقة ، إنها ضوء تلك النار وليست تلك النار بذاتها .

٤٢٢٥ - والنار الحقيقية موجودة في الأثير يقينا ، وهذه التي فوق الأرض ضوؤها وظلها .
- فلا جرم أن الضياء لا يثبت من الاضطراب ، بل يعود إلي أصله علي عجل وفي إسراع .
- فاجعل قامتك في حالة ثبات ، سوف تجد ظلك قصيرا حينا وطويلا حينا آخر .

---

(١) ترجم المولوي (ص ٥٤٠ من مجلد ٣) والأنقروي (٧٠٠ مجلد ٣) ونيكلسون (iii P . 235) دار هنا بمعني دار وهي فارسية بمعني المشنقة ورأيتها أنسب للسياق .

- ذلك أن أحدا لا يجد في الشعاع الثبات ، فقد ارتدت الصور إلي الأمهات.
- انتبه وأغلق فمـــــك ، فقد بدأت الفتنة في الحديث ، وانته من هذا والله أعلم بالرشاد (١) .

ذكر سوء ظن قاصري الفهم

٤٢٣٠ - قبل أن تصل هذه القصة إلي نهايتها ، هب دخان نتن من أهل الحسد .
- وأنا لست ضائقا ، لكن هذه الرفسة ، تشوش خواطر امرئ قد يكون ساذج القلب .
- وما أحسن ما بيّنه ذلك الحكيم الغزنوي ، من أجل « التعبير » عن المحجوبين عن المثال المعنوي .
- إذا كانوا لم يبصروا من القرآن إلا المقال ، فليس هذا بعجيب من أصحاب الضلال .
- فمن شعاع الشمس الفياض بالضياء ، لا تدرك عين الأعمي إلا « لفح » الحرارة .

٤٢٣٥ - لقد أطل أحمق كبير البطن (٢) ، كالمرأة العيابة فجأة من حظيرة الحمر.
- قائلا : إن هذا كلام دني - يقصد المثنوي - ، إنه « مجرد » سيرة للرسول ، وهو مقلد فيه .
- وليس فيه ذكر لتحقيقات أو أسرار عالية ، حتي يسوق الأولياء جيادهم إلي تلك الناحية .
- « وليس فيه شئ » من مقامات التبتل حتي الفناء درجة درجة حتي لقاء الله سبحانه وتعالي .
- و «لا يحتوي » علي شرح كل مقام ومنزل وحديهما ، بحيث يحلق صاحب قلب بجناح منه .

---

(١) ج / ٩ - ١٠٥ : لقد تولدت الفتنة وخربت العالم ، واضطرب فيها الشرق والغرب - وعندما تضاعفت ضاقت بها القلوب ، وتقاتل كل منها مع الأخر ولقد كثر النقاش فصمت ، ونظمت القضية واستلمت ، وإذا سألت ما سبب الفتنة لأعد فيها القول فاستمع فقد زاد الحزن .

(٢) حرفيا : خريط وهو طائر مائي كبير غير متناسق الجسم .

٤٢٤٠ – وعندما نزل كتاب الله ، هكذا طعن فيه أولئك الكفار .

– قالوا : إنه أساطير الأولين وخرافاتهم ، وليس فيه عمق أو تحقيقات عالية .

– إن الأطفال الصغار يفهمونه ، إنه لا يحتوي إلا على أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر(١) .

– وذكر يوسف وذكر جديلته المتثنية ، وذكر يعقوب وحزنه وزليخا وهيامها(٢) .

– إنه سطحي يفهمه كل إنسان ، فأين ذلك البيان الذي يحار فيه العقل ؟

٤٢٤٥ – فكان الرد : إذا كان القرآن يبدو لك سهلا هكذا ، فأت بسورة من ذلك الذي يبدو لك سهلا إلى هذا الحد !

– وقل لجنكم وإنسكم وأصحاب الفنون عندكم : هاتوا آية واحدة من هذا « البيان » السهل !

تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ
وهو : أن للقرآن ظهرا وبطنا
ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن

– اعلم أن حروف القرآن وألفاظه ظاهرة ، وتحت كل ظاهر باطن شديد القهر .

(١) ج / ٩ – ١١١ : لقد ذكر آدم والحنطة وإبليس والحية ، وذكر هود والريح وإبراهيم والنار ، وذكر نوح والسفينة وطوفان الجسد ، وذكر كنعان وعصيانه .

(٢) ج / ٩ – ١١١ – ١١٢ : وذكر إسمعيل والذبح وجبريل ، وذكر قصة الكعبة وأصحاب الفيل ، وذكر داود بلقيس وسليمان وسبأ ، وذكر داود والزبور وأوريا وذكر طالوت وشعيب وخوفه ، وذكر يونس وذكر لوط وقومه ، وذكر حمل مريم والنخل والمخاض ، وذكر زكريا ويحيي والرياض وذكر صالح والناقة وقسمة الماء ، وذكر إدريس والمناجاة والجواب . وذكر إلياس وعزير وموته ، وذكر قارون وخسفه وذكر أيوب وصبره في البلاء وذكر بني إسرائيل في تيه النفي وذكر موسي والسحرة والشجرة والطور والعصا وخلع النعلين والخطابات والعطاء وذكر عيسى وعروجه في السماء ، وذكر ذي القرنين والخضر واورمياء وذكر فضل أحمد والخلق العظيم : الذي شطر القمر نصفين بمعجزة منه .

- وتحت هذا الباطن باطن ثالث ، تتوه فيه العقول بأجمعها .

- والبطن الرابع من القرآن لم يدركه شخص قط ، ولا يعلمه إلا الله الذي لا نظير له ولا ند .

٤٢٥٠ - فلا تنظر يا بني من القرآن إلي ظاهره ، فإن الشيطان لا يري من آدم إلا أنه من طين .

- والقرآن مثل شخص الإنسان ، صورته ظاهرة لكن روحه شديدة الخفاء.

- ويكون المرء للمرء عما وخالا لمائة سنة ، لكنه لا يري من أحواله مثقال ذرة (١) .

بيان إن ذهاب الأنبياء والأولياء عليهم السلام إلى الجبال والمغارات ليس من أجل إخفاء أنفسهم وليس خوفا من إزعاج الخلق ، بل من أجل إرشاد الخلق والدعوة إلى الانقطاع عن الدنيا بقدر الإمكان

- هناك من يقول إن الأولياء قد لجأوا إلي الجبال ، حتي يختفوا عن أنظار الخلق !!

- إنهم وهم بين الخلق أعلي من مائة جبل ، إنهم يخطون بأقدامهم فوق الفلك السابع.

٤٢٥٥ - إذن لماذا يختفون ويطلبون اللجوء إلي الجبال ، وهم « مستترون » خلف مائة جبل وبحر .

- ولا حاجة بهم إلي الهروب إلي الجبل ، ومن اقتفاء آثارهم أهلكت كرة الفلك مائة نعل!

(١) حرفيا : مثقال طرف شعرة .

– لقد دار الفلك ولم ير غبار الحبيب ، والسماء من ذلك قد ارتدت ملابس الحداد «الزرقاء» .

– وبالرغم من أن الجني خفي في الظاهر ، فإن الإنسان أكثر خفاء في الحقيقة من الجني!

– والعاقل يري أن الإنسان أكثر استتارا من هذا الجني الذي « يوصف » بأنه مستتر !

٤٢٦٠ – وإذا كان الإنسان – في رأي العاقل – خفيا ، فكيف بآدم الذي هو صفي له في الغيب ؟

تشبيه صورة الأولياء وصورة كلام الأولياء بصورة عصا موسى وصورة دعاء عيسى عليهما السلام

– فمثل الإنسان مثل عصا موسي ، ومثل الإنسان مثل رقية عيسي .

– وفي كف الحق من أجل العدل ومن أجل الزين ، يكون قلب المؤمن بين إصبعين .

– إنها في ظاهرها « مجرد » عصا ، لكن الكون كله أمامها بمثابة لقمة واحدة عندما تفتح فمها !!

– ولا تنظر من رقية عيسي إلي الألفاظ أو الصوت ، بل انظر منها إلي « فعلها » وهو هروب الموت .

٤٢٦٥ – لا تنظر من دعائه إلي هذه اللهجات الدنية ، لكن انظر إلي أن الميت قد هب منها «حيا» وجلس .

– ولاتنظر إلي أن هذه العصا سهلة الصنع ، بل انظر إلي أنها قد فلقت البحر .

– لقد رأيت من علي البعد مظلة سوداء ، فتقدم خطوة وانظر إلي الجند .

– إذ لا تري من بعد إلا الغبار ، فتقدم قليلا لتري الرجال بين الغبار .

– وإن غبارهم ليجلون بصر العيون ، وتقتلع رجولتهم « رواسخ » الجبال.

٤٢٧٠ – ذلك أن موسي عندما جاء من أقصي الصحراء ، صار طور سيناء راقصا في مقدمه.

تفسير ﴿يا جبال أوبى معه والطير ﴾

– كان وجه داود نضرا من عظمته ، وكانت الجبال في أنين تحت خطوه .

– وصار الجبل رفيقا لداود ، كلاهما مطرب ثمل في عشق المليك .

– وجاء الأمر بـ ﴿ يا جبال أوبي ﴾ ، فتَوحَّد كلاهما صوتا ولحنا .

– وقال : يا داود : لقد عانيت الهجرة ، ومن أجلي انفصلت عن القرناء .

٤٢٧٥ – ويا أيها الغريب الفرد الذي صرت بلا مؤنس ، واندلع لهيب نيران الشوق في قلبك .

– تريد المطربين والقوالين والندماء ، فيأتي ذلك القديم بالجبل إليك .

– فيغني ويقول وينفخ في النفير ، ويرجع أمامك « الغناء ترجيعا » .

– حتي تعلم أنه مادام الأنين قد جاز علي الجبل ، يكون للولي أيضا أنين بلا شفاه أو أفواه !

– وأنغام أعضاء ذلك الصافي الجسد ، تصل كل لحظة إلي أذن حسِّه

٤٢٨٠ – إن الجلساء لا يسمعونها لكنه يسمعها ، فما أسعد تلك الروح التي تنجذب إلي غيبه !!

– إنه ينظر في نفسه إلي مائة قيل وقال ، بينما لم يدرك جليسه منها النذر اليسير .

– وهناك مائة سؤال ومائة جواب في قلبك ، وهي تصل من اللامكان إلي منزلك .

– تسمعها أنت ولا تسمعها تلك الآذان ، حتي إن كانت تلك الآذان قريبة منك !

– ولنفرض أيها الأصم أنك لا تسمعها ، فكيف لا تؤمن « بالولي » حين تري أمثالها؟

جواب على الطاعن فى المثنوى من قصور فهمه

٤٢٨٥ – أيها الكلب الطاعن إنك تنبح ، وتجعل طعنك هذا من قبيل الطعن في القرآن .

– وليس هذا بذلك الأسد الذي تتخلص روح منه ، أو تؤمن خوفا من مخالب قهره .

– وحتي القيامة لايفتأ القرآن مناديا « قائلا » يا جماعة قد سقطت ضحايا الجهل .

– لقد كنتم تظنونني أساطير الأولين ، وتبذرون بذور الكفر والشقاق .

– ورأيتم أنفسكم يا من كنتم تطعنون ، أنكم كنتم فانين وكنتم أساطير.

٤٢٩٠ – إنني كلام الحق قائم بذاتي ، أنا قوت روح الروح وياقوت الزكاة .

– إنني نور الشمس قد سطعت عليكم لكن دون أن أنفصل عن تلك الشمس .

– ألست أنا نبع ماء الحياة ذاك ، أخلص العاشقين من الموت ؟

– ولو لم يثركم هكذا عفن حرصكم ، لصب الله جرعة منه فوق قبوركم.

– لا ، لأتمسك بقول ذلك الحكيم ووعظه ، ولا أجعلن قلبي سقيما بكل طعن .

ضرب المثال من جفول المهر من الشرب

بسبب تصفير السايسين

٤٢٩٥ – إن ما قاله ذلك الحكيم [١] في خطابه ، إن المهر وأمه كانا يشربان الماء .

– وكان ذلك النفر يصفرون للجياد كل لحظة قائلين : هيا ، هيا ، اشربوا.

– وكان المهر يسمع ذلك الصفير ، فيرفع رأسه ويجفل عن الشرب .

– فسألته أمه : أيها المهر لماذا تجفل كل لحظة وتكف عن الشرب ؟

– قال المهر : إن هذه الجماعة تقوم بالصفير ، ومن مجموع أصواتهم يصيبني الخوف .

٤٣٠٠ – فيرتعد قلبي ويطير شعاعا ، ومن مجموع هذا الصياح يصيبني الخوف.

– قالت الأم : منذ أن كانت الدنيا دنيا ، والمزايدون في الأعمال موجودون فوق الأرض.

– فهيا قم بعملك سريعا أيها العزيز ، فهم إنما يقتلعون شعور لحيِّهم .

– فالوقت ضيق ، والماء الوفير يمضي . هيا قبل أن تصير ممزقا من الهجر .

– هناك قناة شهيرة ملأى بماء الحياة ، فاشرب حتي ينبثق منك النبات .

٤٣٠٥ – وإنك تشرب ماء الخضر من نطق الأولياء ، فتعال أيها الظمآن الغافل .

– وإذا كنت لا تري الماء من عماك ، فأحضر الإناء نحو الجدول بفن وألق به فيه !

– وما دمت قد سمعت أن في الجدول ماء ، ينبغي للأعمي أن يقوم بالأمر تقليدا .

---

(١) يقصد سنائى .

- وضع القربة « يامن » تفكر في الماء في الجدول ، حتي تري قربتك ثقيلة «من الماء»

- وعندما تراها ثقيلة تصير مستدلا ، وينجو القلب آنذاك من التقليد الأعمي .

٤٣١٠ - وإذا كان الأعمي لايري ماء الجدول عيانا ، فإنه يعلم عندما يري القربة ثقيلة .

- « ويعلم » أن الماء قد انتقل من الجدول إلي القربة ، لقد كانت خفيفة ثم صارت ثقيلة منتفخة من الماء .

- « وسوف تقول » : لقد كانت كل ريح تتخطفني ولن تتخطفني الريح الآن فقد صرت ثقيلة.

- فالسفهاء هم الذين تختطفهم كل ريح ، ذلك إنه ليس لديهم ثقل في القوي .

- والشرير سفينة بلا مرسي ، لا يجد الأمان من كل ريح غير مواتية .

٤٣١٥ - ومرسي العقل أمان للعاقل ، فتسول مرسي من العقلاء .

- وعندما اختطف العقل إمداداته من خزينة در بحر الجود ذاك .

- صار القلب من إمداد مثل ذاك مليئا بالفنون ، وتقفز تلك الفنون من القلب وتستضاء بها العيون .

- ذلك أن النور حط من القلب علي هذه العين ، وإذا انتهي القلب فيك فقد صارت العين عاطلة .

- وعندما يحصل القلب علي الأنوار العقلية ، فإنه يعطي نصيبا منها للعينين .

٤٣٢٠ - ومن ثم أعلم أن الماء المبارك من السماء ، هو وحي القلوب وصدق البيان.

– ونحن مثل ذلك المهر نشرب من ماء الجدول ، ولا نأبه بذلك الوسواس الخناس .

– ويا تابع الأنبياء اطو الطريق ، واعتبر أن طعن الخلق مجرد هباء .

– وأولئك السادة الذين طووا الطريق ، متي أعطوا آذانهم لنباح الكلاب ؟

بقية ذكر ذلك الضيف على المسجد قاتل الضيوف

– أعيد القول إذن : إن ذلك الرجل الضيغم المقامر بطهر ، ماذا ظهر له في المسجد وماذا فعل ؟

٤٣٢٥ – لقد نام في المسجد ، لكن من أين له النوم ؟ وكيف ينام المرء وهو غريق في النبع ؟

– إن نوم العشاق تحت ماء الحزن الغريق ، كنوم الطيور والأسماك تحت الماء .

– وفي منتصف الليل سمع صوتا مهيبا صائحا : إنني آت ، آت إليك ياطالب النفع !!

– وأخذ ذلك الصوت الأجش يتكرر خمس مرات ، فتمزق القلب إربا « من الرعب » .

تفسير آيـة ﴿ أجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾

– إنك عندما تعزم في طريق الدين باجتهاد ، يصيح بك الشيطان في داخلك .

٤٣٣٠ – قائلا لك : « لا تمض نحو هذا الصوب وفكر أيها الغوى ، إنك سوف تصير أسيرا للألم والفقر .

– ستصير مسكينا مقطوعا عن الأصدقاء ، وتصبح ذليلا ، تعض بنان الندم » .

– وخوفا من نداء ذلك الشيطان اللعين ، تفر إلي الضلالة من اليقين .

- وتقول لنفسك : دعك من هـذا ، أمامنا الغد وما بعد الغـد ، ثم أسير في طريق الدين فالمهلة أمامنا .

- ثم تري الموت ذات اليـسـار وذات اليـمـين ، يقـتل جارك ، « ويـميـتـه » ، حتي نفخ الصـور .

٤٣٣٥ - فـتتـجـه ثانية نحـو الدين خـوفا علي روحك ، وتجـعـل من نفـسك رجـلا ولكن للحظة واحدة .

- وتتـسلح بسـلاح مـن العلم والحكمة قـائلا لنفـسك : لن أتقـهقـر خطوة واحدة خـوفا من أي شـئ .

- لكنه يصـيح بك ثانيةمـن مكره « قائلا » لك : خف ، وارجع عن سـيف الفقر .

- فـتـهـرب ثانيـة من طريق النور ، وتلقـي بذلك الـسـلاح ، سـلاح العلم والفضل .

- وتظل سـنيـن عـبـدا له بصـيـحـة واحـدة ، وقـد ألقـيت عـصـاك في هـذه الظلمة[١] .

٤٣٤٠ - فالخوف من نداء الشياطين قد قيد الخلق وأخذ منهم بالحلوق .

- بحيث تصـير أرواحـهم قانطة من النور ، مثلما يئس الكفار من أصـحاب القبور .

- وهـذا هـو الخـوف من صـيـاح ذلك الملعـون ، فكيف يكون الخـوف من الصيحة الإلـهية ؟

- وهيبة البازي تكون « موجـهـة » للقطا الأصيلة ، وليس للذباب نصيب من هـذه الهيبة .

- ذلك أن البـازي لا يكون صـيـادا لـلذباب ، فـالعناكب هي التي تصـيـد الذباب فـحسـب .

---

(١) حرفيا : ألقيت بلبادك

٤٣٤٥ - وعنكبوت الشيطان ذو كر وفر علي أمثالك من الذباب لا علي القطا أو العقاب .

- وأصوات الشياطين هي راعية الأشقياء ، لكن صوت السلطان حارس للأولياء .

- حذار حتي لا تمتزج بهذين الصوتين البعيدين ، قطرة من البحر الفرات بالبحر الأجاج .

وصول صوت طلسم فى منتصف الليل
إلى ضيف المسجد

- استمع الآن إلي قصة ذلك الصوت المهول ، الذي لم يهتز منه ذلك المقبل السعيد .

- لقد قال : من أي شئ أخاف ؟ هذا طبل عيد ، إن الطبل هو الذي يخاف مني فهو الذي يتلقي الضرب .

٤٣٥٠ - أيتها الطبول الفارغة الجوفاء ، إن قسمتكم من العيد هي ضربات العصا.

- لقد صارت القيامة عيدا وصار الكفار طبولا ، ونحن كالمحتفلين بالعيد ضاحكون كالوردة .

- استمع الآن ، عندما صاحت تلك الطبلة ، وكيف يطبخ قدر حساء الحظ؟

- عندما سمع رجل البصيرة ذاك ذلك الطبل ، قال : كيف يخاف قلبي من طبل العيد ؟

- وحدث نفسه قائلا : انتبه ولا تجعل للرعدة سبيلا إلي قلبك من هذا ، فلقد ماتت أرواح الجبناء الذين بلا يقين .

٤٣٥٥ - لقد حان الوقت لأستولي علي الملك كحيدر ، أو أضحي بالبدن .

- فنهض صائحا : أيها العظيم ، إنني علي استعداد « للنزال » فإن كنت رجلا فتعال !

- وفي التو واللحظة بطل الطلسم من صوته ، وأخذ الذهب يتساقط من كل صوب ، قسما قسما .

- وسقط ذهب كثير بحيث خاف ذلك الفتي أن يسد الذهب طريق الباب

- ونهض ذلك الأسد العنيد ، وأخذ حتي الفجر ينقل الذهب .

٤٣٦٠ - كان يدفنه ثم يعود مرة ثانية بالجوال والخرج مليئين بالذهب .

- أخفي كنوزه ذلك المقامر بروحه ، بسبب عمي أولئك المتقهقرين وخوفهم .

- لقد طاف هذا الذهب الظاهر بخاطر كل أعمي مبعد عابد للذهب .

- إن الأطفال يحطمون الفخار ويسمونه ذهبا ويضعونه في حجورهم .

- وفي تلك اللعبة ، عندما تذكر اسم الذهب ، فإن ما يطوف بخاطر الأطفال هو هذا الفخار .

٤٣٦٥ - بل إن الذهب « الحقيقي » هو المسكوك بالضرب الإلهي ، إنه لا يكسد أبدا بل يكون سرمديا .

- إنه الذهب الذي وجد الذهب لمعانه منه ، ووجدت الجواهر فيه تألقها وبريقها .

- إنه ذلك الذهب الذي يثري به القلب ، ويتغلب علي القمر في ضيائه .

- كان ذلك المسجد شمعا وكان هو فراشة ، وقامر بنفسه ذلك المتطبع بطبع الفراش .

- لقد أحرق الجناح ، لكنه صنعه ، وكانت فدائيته تلك كثيرة البركة .

٤٣٧٠ - كان كموسي ذلك المقبل ، إذ رأي نارا ناحية تلك الشجرة .

– ولما كانت العناية موفورة له ، كان يظنها نارا ، وكانت هي عين النور .

– وعندما تري نار حق يا بني ، لا تظنن بها ظنك بنار البشر .

– إنك تستمد معني الأمر في نفسك وما هو فيك ، فالنار والشوك ظن باطل في هذا المقام .

– إنها شجرة موسي تفيض بالضياء ، سمه نورا ولا تسمه نارا وأقبل إليها مرة ! .

٤٣٧٥ – ألم يبد الفطام عن هذه الدنيا نارا ؟ لقد مضي فيه السالكون فكان عين النور .

– إذن فاعلم أن شمع الدين في سمو ، وليس مثل الشموع التي «تحتوي» علي النيران .

– إن الشموع العادية تبدي النور لكنها تحرق الصديق ، وشمع الدين نار في صورته لكنه ورد للزوار .

– و شمع « الدنيا » يبدو صافيا لكنه محرق ، لكن « شمع الدين » عند الوصال مضيء للقلب .

– وإن شعلة النور الطاهر الخلاق نور للحضور ، لكنها كالنار للمبعدين(١) .

لقاء ذلك العاشق مع صدر جهان

٤٣٨٠ – لقد ألقي ذلك البخاري بنفسه علي الشمع أيضا ، كان ذلك الكبد قد هان عليه من العشق .

– لقد تصاعدت آهاته الحري نحو الفلك ،، فتحركت الرحمة في قلب صدر جهان .

---

(١) ج / ٩ – ١٤٢ : إن الحاضرين أسعد حالا من الغائبين ، ولبس للغائبين توفيق الخير ، وليس لهذا الكلام من نهاية ظاهرة . فتحدث عن العاشق والصدر المجيد.

– وحدث نفسه في الفجر « مناجيا » : يا أحد .. كيف حال شريدنا ذاك ؟

– لقد أذنب ، وعلمنا ذلك عنه ، لكنه لم يكن يعلم رحمتنا جيدا ؟

– إن خاطر المجرم يكون في خوف وهم ، لكن كثيرا (١) من الآمال تكون في خوفه هذا !!

٤٣٨٥ – إنني أخيف الوقح المهذار ، لكن أي تخويف مني لذلك الذي يخاف في الأصل ؟

– والنار خليقة بالقدر البارد ، لا بذلك القدر الذي يطف حتي حافته من الغليان .

– إنني أخوف الآمنين بالعلم ، لكنني أخوف الخائفين بالحلم..

– إنني أرقع ، أضع كل رقعة في موضعها ، وأعطي كل أمرئ ما يصلح له من شراب .

– وسر المرء كجذر الشجرة ، تنمو أوراقها من الخشب اليابس .

٤٣٩٠ – ولقد نمت الأوراق بما يليق بهذه الجذور ، وهذا الأمر سواء في الشجر أو في النفوس أو في النهي .

– وعلي الفلك أوراق من « أشجار » الوفاء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء .

– وعندما نبتت أوراق من العشق فوق السماء ، كيف لا تنمو إذن في قلب صدر جهان؟

– وأخذ العفو عن الذنب يتموج في قلبه ، ذلك أن هناك كوة من القلب إلي القلب .

– من القلب إلي القلب كوة علي وجه اليقين ، ليست منفصلة أو بعيدة مثلما يكون الجسدان .

---

(١) حرفيا : مائة أمل .

٤٣٩٥ – وقاعدتا مصباحين لا تلتقيان ، لكن نورهما يمتزج في مجاله .

– ولا يوجد عاشق قط يكون باحثا عن الوصل ، ولا يكون معشوقه باحثا عنه .

– لكن عشق العاشقين يصيب الجسد بالنحول ، وعشق المعشوقين يجعل المرء سعيدا ممتلئا .

– وعندما لمع في هذا القلب برقُ حب الحبيب ، أعلم أن الحب موجود علي وجه اليقين في ذلك القلب .

– وعندما صار حب الحق في قلبك زائدا ، فعند الحق بلا شك الحب لك .

٤٤٠٠ – فلا يتأتي تصفيق منك أبدا من يد واحدة دون اليد الأخري .

– إن الظمآن يجأر بالشكوي قائلا : أين الماء العذب ؟ والماء يشكو أيضا قائلا : أين الشارب ؟ .

– إنه جذب الماء ذلك العطش الموجود فى أرواحنا ، إنه لنا ونحن أيضا له .

– وكلمة الحق في القضاء والقدر ، قد جعلت كلا منا عاشقا للآخر .

– وكل أجزاء الدنيا من ذلك الحكم السابق ، صارت أزواجا كل عاشق لزوجه .

٤٤٠٥ – وكل جزء من العالم طالب لزوجه ، تماما كما « يجذب » الكهرمان قطع القش .

– وتقول السماء للأرض : مرحبا ، إنني معك « كما يكون » حجر المغناطيس وبرادة الحديد .

– فالسماء هي الرجل وهي المرأة في نظر العقل ، وكل ما تلقيه السماء تربيه الأرض .

– وعندما لا تبقي فيها حرارة ترسلها إليها وعندما لا يبقي فيها رطوبة أو ماء تعطيها إياها .

- والبرج الترابي مدد لتراب الأرض ، والبرج المائي يبث فيها الرطوبة .

٤٤١٠ - والبرج الهوائي يحمل إليها السحاب ، حتي يجذب منها الأبخرة الوخمة.

- وحرارة الشمس من البرج الناري ، وهو كالمقلاة الحمراء من النار ظهرا ووجها .

- والفلك دوار حول الأرض ، مثل الرجال حول (الكدح) من أجل النساء.

- وهذه الأرض تقوم بالتدبير ، وتتكفل بأمور الولادة والرضاع .

- فأعلم إذن أن الأرض والفلك من العقلاء ، فهما يقومان بأعمال العقلاء.

٤٤١٥ - وإن لم يكن هذان الحبيبان يستمتع كل منهما بالآخر ، فلماذا إذن يتداخلان كالأزواج؟

- وبدون الأرض متي ينمو الورد والأقحوان ؟ وماذا يتولد إذن من ماء السماء وحرارتها ؟

- ومن أجل هذا يكون الميل في الأنثي إلي الذكر ، حتي يكمل كل منهما الآخر .

- لقد وضع الحق الميل في الرجل والمرأة ، حتي تجد الدنيا البقاء من الاتحاد .

- ويضع أيضا الميل في كل جزء إلي جزء ، ومن اتحادهما معا يوجد ميلاد .

٤٤٢٠ - والليل هكذا مع النهار في اعتناق ، إنهما مختلفان في الصورة لكنهما في اتفاق .

- والليل والنهار وهما في الظاهر ضدان وعدوان ، ينسجان كلاهما حقيقة واحدة .

- كلاهما طالب للآخر مريد له لنفسه ، وهذا من أجل إكمال فعله تعالي وأمره .

- ذلك أنه إن كان لا ليل لا يكون هناك دخل للطبع ، وماذا ينفق إذن خلال النهار؟

جذب كل عنصر لجنسه المحتبس في تركيب الإنسان مع غير جنسه

- يقول التراب لتراب الجسد : عد ، اترك الروح وأقبل نحونا كالغبار .

٤٤٢٥ - إنك من جنسنا وأولي بك أن تكون عندنا ، وأفضل لك أن تنجو من الجسد ، ومن تلك الرطوبة « التي فيه » .

- فيقول : لبيك ، لكني مقيد القدم ، بالرغم من أنني في ألم من الهجران مثلك .

- ويطلب الماء رطوبة الجسد قائلا لها : أيتها الرطوبة عودي إلينا من الغربة .

- ويستدعي الأثير حرارة الجسد قائلا لها : أنت من نار فعودي إلي أصلك .

- وهناك سبعون واثنتان من العلل في الجسد ، فاقدة للزمام من جذب العناصر .

٤٤٣٠ - وتأتي العلة حتي تفتت البدن ، وحتي تترك العناصر بعضها البعض الآخر .

- وهذه العناصر طيور أربعة مقيدة القدم ، والموت والمرض والعلة هي التي تفك قيد القدم .

- وعندما تفك قيودها بشرع طائر كل عنصر في الطيران علي وجه اليقين .

- وجذب هذه الأصول لفروعها يضع في كل لحظة ألما علي أجسادنا .

- فتتمزق كل هذه التراكيب ، ويعود طائر كل عنصر محلقا إلي أصله .

٤٤٣٥ - وحكمة الحق هي التي تمنع حدوث هذا الأمر علي عجل ، وتجمع هذه العناصر بالصحة حتي يحين الأجل .

- قائلة : أيتها الأجزاء ليس الأجل مشهودا ، ولا نفع لكم في الطيران قبل أن يحين الأجل .

- ولما كان كل يبحث عن اللحاق برفيقه ، فكيف تكون الروح الغريبة من الفراق ؟

انجذاب الروح أيضا إلى عالم الأرواح وطلبها لمقرها وميلها إليه وانقطاعها عن أعضاء الأجسام التى هى بمثابة القيد فى قدم بازى الروح

- تقول الروح : يا أجزائي الأرضية الدنية ، إن غربتي أكثر مرارة فأنا من العرش .

- فميل الجسد إلي الخضرة والماء الجاري ، وذلك لأن أصله منها .

٤٤٤٠ - وميل الروح إلي الحياة وإلي الحي ، ذلك أن أصلها هو روح اللامكان .

- وميل الروح إلي الحكمة وإلي العلوم ، وميل الجسد إلي البستان والرياض والكروم .

- وميل الروح إلي الترقي والشرف ، وميل الجسد إلي الكسب وأسباب العلف .

- وميل ذلك الشرف وعشقة أيضا موجه إلي الروح ، وأعلم أنه « يحب » و «يحبون» أيضا من نفس هذا المجال .

– والخلاصة أن كل من يكون طالبا لشئ تكون روح مطلوبه راغبة فيه .

٤٤٤٥ – ولو شرحت هذا الأمر لطال الكلام إلي ما لا حد ، ولصار المثنوي ثمانين مجلدا .

– والإنسان والحيوان والنبات والجماد ، كلها مرادات عاشقة لمن لا مراد له .

– ومن لا مراد لهم ينسجون حول مراد وتلك المرادات تجذبهم إليها

– لكن ميل العاشقين يصيب بالنحول ، وميل المعشوقين طيب ويسبب العافية والامتلاء .

– لقد أشعل عشق المعشوقين النار في الوجنتين ، لكن عشق العاشق قد أحرق روحه .

٤٤٥٠ – وكهرباء العشق مستمرة بشكل لا انقطاع فيه ، والقش لا يزال يجاهد في ذلك الطريق الطويل .

– ودعك من هذا ، فعشق ذلك الظمآن الشفة ، قد اشتعل في صدر «صدر جهان » .

– ونفذ دخان ذلك العشق وزفرات معيد نار « قلبه » إلي السيد فصار مشفقا .

– لكنه كان خجلا في طلبه إياه ، من حوله وطوله وكرامته .

– صارت رحمته مشتاقة لذلك المسكين ، لكن سلطته كانت حائلا دون إبداء هذا اللطف.

٤٤٥٥ – والعقل في حيرة « متسائلا » : عجبا ، أيجذبه هذا ، أم أن الجذب جاء من تلك الناحية إليه .

– فاترك التذاكي فلست واقفا علي « سر » هذا الأمر ، واصمت فالله تعالي أعلم بالخفي (١) .

---

(١) ج / ٩ – ١٦٢ : انني اضم شفتي كل لحظة عن مثل هذا الكلام ، وأتوب كل لحظة مائة مرة

- ولأخف هذا الكلام بعد الآن ، فذلك الجاذب يجذبني وماذا أفعل .
- ومن ذلك الـــذي يجذبك أيها المعتنـــي ؟ إنـــه هو الذي لا يـــدعك تتحدث بهذا النفس .
- إنك تعزم مائة مرة علي السفر ، لكنه يجذبك إلي مكان آخر .
٤٤٦٠ - ويســـوق ذلك الزمــام إلي كل ناحـيـــة ، حـتـــي يجـــد الجـــواد الســـاذج خبرا عن الفارس.
- والجواد الذكي مبارك الخطي ، يعلم أن الفارس ممتط صهوته .
- لقد علق قلبك بمائتي شهوة ، ثم ردك خائبا وكسر القلب .
- وما دام هو قد حطم قوادم الرأي الأول ، فكيف لم يثبت لك الوجود المحطم للقوادم ؟
- وما دام قضاؤه قد جعل غزل تدبيرك أنكاثا ، فكيف لم يثبت لك أن قضاءه قد جري عليك ؟

فسخ العزائم ونقضها من أجل إعلام الإنسان
أنه هو المالك والقاهر ، وعدم فسخ العزائم
بين الآن والآخر وإنفاذها لكى يطمعه
على العزم حتى ينقض عزمه ثانية ،
وحتى يكون هناك تنبيه بعد تنبيه

٤٤٦٥ - إن العزائم والمقاصد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخر .
- حتي يلوي قلبك طمعا ، فيحطم قلبك مرة أخري .
- ذلـــك أنـــه إن جعلـــك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتي غرست غرس الأمل ؟
- فهو وإن كان ينقش الأمل في قلب الإنسان ، فمتي كان قهره يبدو عليه من انتفاء هذا الأمل ؟
- لقد صار العشاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .

٤٤٧٠ – وصارت الخيبة دليلا إلي الجنة ، فاستمع إلي « حفت الجنة » ياحسن الجبلة .

– وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخص موفق الخطي .

– ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو إنكسار العاشقين .

– وإن العقلاء كسيرون له اضطرارا ، لكن العشاق كسيرون له بمائة اختيار .

– والعقلاء عنده عبيد مقيدون لكن العشاق ممزوجون بالسكر .

٤٤٧٥ – « ائتياكرهــا » هي مهار العاقلين ، و « ائتيا طوعا » هي ربيع مسلوبي القلوب .

نظر الرسول عليه السلام إلى الأسرى وتبسمه وقوله : عجيب من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل والأغلال

– رأي الرسول عليه السلام جماعة من الأسري ، كانوا يصحبونهم في ضجة وصخب .

– رآهم ذلك الأسد اليقظ وهم في القيد ، وكانوا يسترقون إليه النظر .

– كان كل منهم يصر علي أسنانه وشفتيه غضبا علي رسول الصدق .

– لكنهم لم يجرءوا مع هذا الغضب علي الحديث ، ذلك أنهم كانوا في قيد الغضب الثقيل(١) .

٤٤٨٠ – كان حارس يسوقهم نحو المدينة ، كان يحملهم من ديار الكفر قهرا .

– كانوا يحدثون أنفسهم « إنه لا يقبل فداء أو مالا ، ولا شفاعة من عظيم تؤثر فيه .

---

(١) حرفيا : الذي يزن عشرة أمنان .

– إنهم يقولون إنه رحمة للعالمين ، بينما هو في الحقيقة يذبح عالما ».

– أخذوا يسيرون في الطريق مع آلاف من أنواع الإنكار ، وهم يعيبون همسا علي أمر المليك .

– « ويقولون » لقد احتلنا كثيرا ولا حيلة لنا هنا ، إن قلب هذا الرجل ليس أقل «قسوة » من حجر الصوان .

٤٤٨٥ – إننا آلاف من الرجال أسد الوغي « كألب أرسلان » . هكذا في أسر اثنين أو ثلاثة من العراة المتهافتين .

– وهكذا أسقط في أيدينا ، أمن سيرنا المعوج ؟ أو سوء الطالع ؟ أو لعله سحر .

– لقد مزق إقباله إقبالنا ، وانقلب عرشنا من « تأثير » عرشه .

– فإذا كان أمره قد أرتفع من جراء السحر ، لقد قمنا نحن أيضا بالسحر فكيف لم يجد فتيلا؟

تفسير هذه الآيــة : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾
إلى آخره . أيها الطاعنون كنتم تقولون انصر
من على الحق منا ، حتى يظن أنكم طلاب
حق بلا غرض والآن نصرنا محمدا حتى
تعلموا من هو صاحب الحق .

– لقد دعونا الأصنام ودعونا الله قائلين : اقض علينا إن كنا علي غير الحق .

٤٤٩٠ – وانصر من يكون علي الحق منا ، وأيده بالظفر « من لدنك » .

– لقد دعونا هذا الدعاء كثيرا وصلينا أمام اللات والعزي ومنات .

– قائلين : إن كان هو علي الحق فأظهره ، وإن لم يكن علي الحق فاجعله مغلوبا لنا .

- ولما رأينا أنه المنصور ، كنا جميعا ظُلمة ، وكان هو النور .

- وهذا هو جواب دعائنا قد ظهر ، وهو يقول لنا : إنكم كنتم على غير الحق .

٤٤٩٥ - لقد أخذوا يبعدون هذه الفكرة عن عقولهم ويمتنعون عن ذكرها .

- قائلين : لقد عنت لنا هذه الفكرة من هزيمتنا ، بحيث وقر في قلوبنا أنه علي الحق .

- وماذا في الأمر إن غلب هو عدة مرات ؟ إن الأيام تجعل كل امرئ غالبا!

- لقد كنا أيضا موفقين منذ أيام ، وانتصرنا عليه عدة مرات .

- ثم أخذوا يقولون : إنه وإن هزم فليست هزيمته كهزيمتنا ، إن هزيمتنا هذه قبيحة ومنكرة.

٤٥٠٠ - ذلك أن إقباله قد وضع تحت يده - حتي في الهزيمة - كثيرا من السرور الخفي .

- إنه لم يكن يشبه مهزوما قط ، فلم يكن لديه من الهزيمة - حزن أو قلق .

- وبالرغم من أن أمارة المؤمنين النصر ، فإن المؤمن سعيد أيضا في الهزيمة .

- فلو أنك تفتق المسك والعنبر ، فإنك تجعل عالما مليئا بأريج الريحان .

- ولو كسرت فجأة بعر الحمار ، تمتلئ المنازل بالعفن حتي سطوحها(١) .

٤٥٠٥ - ذلك أنه عندما عاد من الحديبية بذل ، دقت دولة ﴿ إنا فتحنا ﴾ له الطبول.

---

(١) ج / ٩ - ١٧٤ : من الذي يقيس المسك الملك بالبعر ؟ ! ومن الذي يقيس الماء بالبول والأطلس بالخرقة البالية ؟! وعندما كان رسول الله عائدا من الحديبية ، كان مثقلا ملولا حزينا .

السر فى أن الله تعالى سمى عـودة الرسول عليه السلام من الحديبية فتحا ، ونزلت ﴿ إنا فتحنا ﴾ أى أنها كانت هزيمة بالصورة وفتحا بالمعنى كما أن تفتيق المسك هو فى الظاهر كسر له وبالمعنى تحقيق المسكية فيه وإكمال فوائـده

– لقد بلغت رسالة من الدولة « الإلهية » أن : امض ولا تكن حزينا من منع هذا الظفر.

– ففي هذه الذلة الحاضرة فتوح لك ، والآن فإن قلعة كذا وقلعة كذا هي لك .

– فانظر في النهاية أنه عندما عاد حزينا ، ماذا حدث لبني قريظة وبني النضير منه ؟.

– لقد سلمت له قلاع حول هاتين البقعتين ، وغنم من الغنائم الفوائد الكثيرة .

٤٥١٠ – وإن لم يكن الأمر هكذا ، فانظر إلي هذا الفريق « من المؤمنين » ، إنهم ممتلئون حزنا وغما ولكنهم مفتونون عاشقون .

– إنهم يقضمون سم الذلة كأنه السكر ، ويرعون أشواك الغم كالجمال .

– وهذا من أجل الحزن في حد ذاته لا من أجل « انتظار » الفرج ، فهذا النزول عندهم كالدرج .

– إنهم سعداء في قعر الجب بحيث يخافون من العرش والتاج .

– وحينما يكون الحبيب حبيبا ، فالمكان فوق ذري الفلك لا تحت الأرض .

تفسير الخبر أن المصطفى عيله السلام قال : لا تفضلونى على يونس بن متى

٤٥١٥ – قال الرسول عليه السلام : إنه ليس لمعراجي فضل علي معراج يونس بن متي.

- إن كان معراجي علي الفلك وكان معراجه تحت الأرض ، ذلك أن قرب الحق خارج عن الحساب .

- وليس القرب هو الذهاب إلي أعلي أو إلي أسفل ، إن قرب الحق هو الخلاص من حبس الوجود .

- فأي مكان للغالي والسافل في « عالم » العدم ، وليس فيه عجلة ، أو بعد أو تأخير .

- إن مصنع الحق وكنزه في « عالم » العدم ، وأنت مغرور بالوجود فما الذي تدريه عن العدم ؟

٤٥٢٠ - « أخذوا يقولون » : الخلاصة أن هزيمتهم هذه أيها العظيم لا تشبه أبدا هزيمتنا .

- إنهم سعداء في وقت الذل والتلف ، كما نكون نحن في وقت العز والشرف .

- إن القدرة علي الاستغناء هي إقطاعهم ، والفقر والذل فخر لهم وعلو .

- وقال أحدهم : لو أن هذا الخصم كما يقولون فكيف ضحك هكذا عندما رآنا مغلولين؟

- وإذا كان قد بدل « من الصفات الذميمة » ، أليس فرحه إذن من وقوعنا في الأسر بينما هو حر ؟

٥٤٢٥ - وكيف فرح إذن بقهر الأعداء ، وكيف امتلأ هكذا بالكبرياء من هذا الفتح؟

- نعم ، لقد فرحت روحه إذ وجد النصرة واليد الطولي والظفر علي أسد الوغي !!

- إذن فقد علمنا أنه ليس مبرأ « من صفات الخلق » ، وليس راضيا ولا سعيدا إلا بالدنيا .

– وإلا فلمـــــاذا الضحـــك ؟ إن أهل الآخرة يكونون مشفقين حنونين علي الطيب والشرير !!

– كان هؤلاء الأسري يغمغمون بهذا الكلام عند مناقشتهم لهذا الأمر معا.

٤٥٣٠ – قائلين « حذار حتي لا يسمع الحارس ويحمل علينا ، وينتقل هذا الكلام إلي أذن ذلك السلطان » !

علم الرسول عليه السلام بعذلهـم إيـاه على شماتته

– بالرغم من أن ذلك الحارس لم يسمع هذا الحديث ، فإنه قد بلغ تلك الأذن التي كانت من لدن ﴿ حكيم خبير ﴾ .

– فلم يشم رائحة قميص يوسف من كان يحمله وشمها يعقوب .

– وأولئك الشياطين فوق عنان السماء لا يسمعون ذلك السر المكتوب في لوح علام الغيوب .

– أما محمد عليه السلام الذي يكون نائما متكئا ، يجئ ذلك السر ويطوف حوله .

٤٥٣٥ – إنما يأكل الحلوي من تكون رزقا له ، لا ذلك الذي يكون طويل اليد .

– ولقد صار النجم الثاقب حارسا يطرد الشيطان قائلا له : انصرف أيها اللص ، وخذ السر من أحمد .

– ويأيها العزيز المهرع خوفا نحو الدكان منذ الفجر ، انتبه واذهب إلي المسجد واطلب الرزق – أولا – من الله .

– لقد فهم الرسول قولهم هذا ، فقال عليه السلام : لم يكن ضحكي ذاك من «انتصاري » في المعركة .

- لقد ماتوا واهترأوا في الفناء ، وليس من الرجولة في عرفنا أن نقتل الموتي .

٤٥٤٠ - ومن يكونون هم ؟ والقمر ينشق عندما أثبت في ميدان القتال .

- وعندما كنتم أحرارا ومتمكنين ، كنت أراكم أيضا هكذا مغلولين .

- فيا من أنت مدل بالملك والنسب ، إنك في عرف العاقل جمل علي قناة .

- فمنذ أن صارت صورة الجسد هذه مفتضحة في الدنيا[١] ، صار أمام عيني كل آت حاضرا .

- أنظر إلي الحصرم فأري الخمر عيانا ، وأنظر إلي العدم فأري الشيء عيانا .

٤٥٤٥ - وأنظر إلي السر فأري عالما خفيا ، وآدم وحواء لم يظهرا بعد في الدنيا .

- وقد رأيتكم يوم « الست » مغلولي الأقدام ناكسي رءوسكم أذلاء !

- ومنذ خلق السماء التي بلا عمد ، ما علمته حدث دون زيادة أو نقصان.

- كنت أراكم ناكسي رءوسكم ، قبل أن أصور من الماء والطين .

- وليست رؤيتي لكم هكذا بالأمر الجديد حتي أفرح بها ، إنه هو ماكنت أراه أوان إقبالكم .

٤٥٥٠ - كنتم مقيدين بالقهر الخفي وأي قهر هو ، كنتم تأكلون السكر وقد امتزج بالسم .

- ولو يشرب العدو مثل هذا السكر الممزوج بالسم ، فأي حسد يأتيك له؟

- كنتم تشربون ذلك السم بسرور ، والموت آخذ بكلتا أذنيكم خفية .

- إنني لم أكن أغزو من أجل هذا ، أي من أجل أن أحصل علي الظفر وأستوي علي «عرش » الدنيا .

(١) حرفيا : سقط طست صورة الجسد من السقف .

– فـهذه الدنيـا جـيفـة ومـيتـة ورخيـصـة ، فكيف أكون حـريصـا علي هـذه الميتة؟

٤٥٥٥ – ولسـت بالكلب حتي أمزق أكفان الموتي ، إنني عيسـي آتي لكي أحييهم .

– ولذلك فأنا أشـق صـفوف القتال ، حتي أخلصـكم من الهلاك و «الوبال» .

– ولسـت أمزق حلوق البشـر ، لكي يكون لي مـجد « وحشـمـة وأبهة » .

– بل أمزق حلـوق عدد من الناس ، حتي يتحـرر عالم من تلك الحلـوق .

– لأنكم كالفراش من جهلكم ، تتهافتون علي النيران بهجومكم هذا .

٤٥٦٠ – وأنا أحول بينكم وبين السـقوط في النيران كالثمل بكلتا يدي .

– والذي كنتـم تظنونه نصـرا وظـفـرا لكم ، هـو في الحـقـيـقـة أنكـم كنتم تبذرون بذور شـؤمكم .

– كنتم تنادون بعضـكم بعـضـا : جد جد ، وتسـوقون خيولكم نـحـو أفواه التنانين .

– كنتم تنتصـرون وفي نفـس هـذا النصـر ، كنتم أنفسكم مقهـورين بقهر أسـد الدهـر .

بيان أن الطاغية فى عين قهره مقهور وفى عين نصره مأسور

– لقد ظفر اللص بسـيد ما وسـرق ذهبه ، وبينما كان مشـغولا بهذا وصل الوالي .

٤٥٦٥ – ولو أنه هرب من السـيد ذلك الزمـان ، فإن الوالي كـان سـيحـرش خلفـه الأعوان.

– كان نصـر اللص هـزيمة له ، ذلك أن نصـره هـذا اختطف رأسـه .

– كان نصـره علي السيد فخا له ، وذلك حتي يصـل الوالي ويأخذ القود .

- فيا من قد انتصرت علي الخلق في الوغي ، وانهمكت في القتال والغلبة .

- لقد جعله « الله » مهزومًا لَكَ عن قصد وعمد ، حتي يجرك في نفس حلقته .

٤٥٧٠ - فهيا وأقصر العنان عن مطاردة هذا المهزوم ، ولا تسق - في هذا الأمر - حتي لا تصير هالكا .

- فما داموا قد جذبوك بهذا الحيلة إلي الشبكة ، فسوف تري الهجوم عليك « فيما بعد» في الزحام .

- ومتي صار العقل سعيدا بهذا النصر ، ما دام قد رأي في إنتصاره الفساد .

- إن العقل الذي يري العاقبة حاد البصر ، ذلك أن الله تعالي قد كحله من كحله .

- لقد قال الرسول عليه السلام : إن أهل الجنة ضعفاء في الخصومة وهذا من فضلهم .

٤٥٧٥ - وهذا من كمال الحزم وسوء الظن عندهم ، لا نقصا أو خوفا أو ضعفا في الدين .

- لقد سمعوا عن إظفار عدوهم بهم من السر كلمة « لولا رجال مؤمنون» .

- وإن كف الأيدي عن الكفار الملاعين ، قد فرض من أجل خلاص المؤمنين.

- فأقرأ قصة عهد الحديبية ، واعلم منها المعني الصحيح لـ « كف أيديكم» .

– إنه – عليه الســــلام – حتـــي في نصـــــره هـــذا ، قد رأي نفسه مغلويا بشراك الكبرياء [1].

٤٥٨٠ – فقال : لست من أجل هذا أضحك ، أي من أجل أغلالكم أو لأنني ظفرت بكم فجأة.

– إنني أضحك لأنني بالقيود والأغلال .. أجركم إلي رياض أشجار السرو والورود .

– فيا عجبا ، إنني من النار التي لا مفر منها أتي بكم مغلولين مقيدين إلي الرياض .

– إنني أجركم من الجحيم إلي الخلد ، وأنتم مقيدون بالقيد الثقيل .

– وكل مقلد في هذا الطريق طيبا كان أو شريرا ، يجر مقيدا هكذا إلي الحضرة الإلهية.

٤٥٨٥ – وكلهم يمضون في هذا الطريق وهم في قيود الخوف والابتلاء اللهم إلا الأولياء .

– إنهم يتحملون هذا الطريق كأنه السخرة ، اللهم إلا أولئك الذين وقفوا علي أسرار الأمر .

– فجاهد حتي يتألق منك النور ، وحتي يهون عليك السلوك والطاعة .

– إنك تحمل الأطفال إلي المكتب بالإجبار ، ذلك أنهم يجهلون فوائده .

– وعندما يفهمون هذه الفوائد يسرعون إلي المكتب ، وتتفتح أرواحهم من هذا الذهاب.

٤٥٩٠ – إن الطفل يذهب إلي المكتب متعثرا وباعوجاج ، لأنه لم ير شيئا قط أجرا لعمله .

– وعندما تضع « دانقا » في كيسه تشجيعا له ، لا ينام الليل آنذاك وكأنه اللص .

(١) ج / ٩ – ١٩٨ : ولقد جاء الخطاب بـ « مارميت إذ رميت » وتحير ، والله أعلم الصواب .

- فجاهد حتي يصلك أجر الطاعة ، فتبدأ آنذاك في حسد المطيعين .

- إن « ائتيا كرها » قد نزلت في من كان مقلدا ، أما « ائتيا طوعا » فهي لمن عجنوا بالصفاء .

- فهذا محب للحق من أجل علة ، والآخر - دون غرض في نفسه - يكون في خلة .

٤٥٩٥ - هذا يحب المرضعة من أجل ما يرضعه منها من لبن ، وذاك ضحي بقلبه من أجل تلك السيدة .

- والطفل لا خبر لديه عن حسنها ، ولا غرض لقلبه منها إلا في لبنها .

- أما الثاني فهو عاشق للمرضعة نفسها ، وهو ثابت علي عشقه لها دون غرض .

- ومن هنا ، فمحب الحق علي الرجاء أو الخوف ، إنما يقرأ دفتر التقليد عند الدرس .

- وأين ذلك المحب للحق من أجل الحق و « أين ذلك » الذي يكون منفصلا عن العلل والأغراض ؟

٤٦٠٠ - لكن لما كان هذا وذاك طالبين للحق ، فإن جذب الحق يجذبهم إليه .

- سواء كان محبا للحق من أجل غيره ، ولكي ينال دائما من « بره » وخيره ،.

- أو محبا للحق لعينه لاسواه خائفا من بينه .

- وكل هذا السعي عند كليهما هو ذلك السبب ، أي انشغال القلب بذلك المحبوب .

جذب المعشوق للعاشق من حيث لا يعلمه العاشق
ولا يرجوه ولا يخطر بباله ولا يظهر فى ذلك
الجذب أثر فى العاشق إلا الخوف الممزوج
باليـــأس مع دوام الطلب

– ها نحن أولاء أتينا إلي هذا الموضع ، إنه بالرغم من أنه لم يكن عند صدر جهان جذب لذلك العاشق في السر ؛

٤٦٠٥ – متي كان صبره إذن ينفد من الفراق ؟ ومتي كان يعود مسرعا نحو الموطن ؟

– إن ميل المعشوقين خفي ومستور ، وميل العاشقين ذو مائة طبل ونفير .

– وهناك حكاية « تساق » اعتبارا في هذا المجال ، لكن البخاري قد نفد صبره في الانتظار .

– فلنترك قصها إذن ، فهو في بحث وسعي ، حتي يري وجه محبوبه قبل أن يوافيه الأجل .

– وحتي ينجو من الموت ، ويجد منه النجاة ، ذلك أن رؤية الحبيب هي ماء الحياة .

٤٦١٠ – وكل من لا تدفع رؤيته الموت ، لا هو بحبيب ، ولا هو بزاد أو ثمر .

– فالحب هو ذلك الحب أيها المشتاق الثمل ، الذي لو حاق بك الموت فيه يكون حلوا .

– فلقد صارت أمارة صدق الإيمان أيها الفتي هي أن يحلو لك الموت فيه .

– وإن لم يكن إيمانك هكذا أيها العزيز ، فلست بكامل فامض وأبحث عن كمال الدين.

– وكل من كان في أثرك محبا للموت ، وكان غير مكروه من قلبك فهو حبيب .

٤٦١٥ – وما دامت الكراهية قد انتفت « عن الموت » فهو ليس بموت ، إنه صورة الموت ، لكنه انتقال .

– وعندما تنتفي الكراهية يصير الموت نفعا ، ومن ثم يصح أن يكون الموت دفعا «للأجساد والصور » .

– والحبيب علي وجه الحقيقة هو الحق ، وذلك الذي قال لك « أنت لي وأنا لك » .

– واستمع الآن ، فها هو ذا العاشق « البخاري » يصل ، وقد شد العشق وثاقة بحبل من مسد .

– وعندما أبصر وجه صدر جهان ، كأنما طار من جسده طائر الروح .

٤٦٢٠ – أنهدّ جسده وسقط كأنه الخشب اليابس ، وسرت فيه البرودة من مفرق الرأس إلي أخمص القدم .

– ومهما أحرقوا من بخور أو رشوا « علي وجهه » ماء ورد ، لم يتحرك ولم ينبس ببنت شفة .

– وعندما رأي الملك وجهه الشبيه بالزعفران ، ترجل عن مطيته ومشي صوبه .

– وقال : إن العاشق يبحث عن المعشوق بقلق وجد ، وعندما وجد المعشوق ذهب ذلك العاشق .

– إنك عاشق للحق ، وعندما يتجلي الحق فإنه لا يبقي منك شعرة واحدة.

٤٦٢٥ – إن مائة مثلك فانون أمام تلك النظرة ، إنك عاشق لنفي ذاتك أيها السيد.

– إنك ظـــــــــل وعاشق للشمس ، وعندما تسطـــــع الشمس ، لا غـــرو أن الظل يفر مسرعا [(١)].

تظلم البعوضة من الريح لحضــرة سليمان عليه السلام

– لقد جاءت البعوضة من الرياض والأعشاب ، إلي محضر سليمان عليه السلام متظلمة له .

– وقالت : يا سليمان إنك تنشر العدل بين الشياطين والإنس والجن .

– والطيور والأسماك في حمي عدلك ، ومن هو ذلك الضال الذي لم يبتغ فضلك ؟

٤٦٣٠ – فـأنصــفنا ، إنا شــديدو المسكنة ، ونحن بلا نصــيب من البســاتين والرياض.

– وإن مشكلات كل ضعيف لها منك الحل ، والبعوضة في حد ذاتها مثل في الضعف.

– إن شــهرتنا في الضعف وانكسار الجناح ، مثل شهرتك في اللطف ورعاية المساكين .

– ويا من أنت في منتــهي درجات القــدرة ، نحن في منتهي النقصــان والضعف .

– فأنصفنا وخلصنا من الغم ، وخذ بأيدينا يا من يدك هي يد الله تعالي

٤٦٣٥ – فقال سليمان : ياطالب الإنصاف ، ممن تطلب العدل والإنصاف ؟

– فقل لي : من ذلك الظالم الذي خمش وجهك من كبريائه وعنجهيته ؟

---

(١) ج / ٩ – ٢١٧ : وعندمنا يطل قرص الشمس من المشرق ، لا يبقى من الليل أو من النجم أثر ، وعندما يدخل العشق قلبا ، يلقي العقل بمتاعة خارجا . مثل أسد شرب مع غزال مرتين أو أربع ، فغاب الغزال عن الوعي وسقط ، مثل بعوضة أمام ريح عاتية . فافهم الله أعلم بالسداد .

- عجبا : أين هو الظالم في عهدنا وليس في سجننا أو مقيدا في أغلالنا؟
- ذلك أن الظلم قد مات يوم ولدنا فمن الذي زاول الظلم في عهدنا إذن ؟
- وعندما ظهر النور انمحت الظلمة ، فالظلمة هي أصل الظلم وعضده .

٤٦٤٠ - والشياطين الآن تقوم بالكسب والطاعة ، وآخرون منهم مصفدون بالأغلال .
- وأصل ظلم الظلمة من الشيطان ، والشيطان مصفد في الأغلال فكيف ظهر الظلم ؟
- لقد أعطانا الله الملك بأمر « كن » فكان ، وحتي لا يضج الخلق بالشكوي نحو السماء .
- وحتي لا يصعد دخان « قلوب المظلومين » إلي الأعالي ، حتي لا تضطرب الأفلاك ونجوم السها .
- وحتي لا يهتز العرش من أنين اليتيم ، وحتي لا تصاب روح بالسقم من الظلم .

٤٦٤٥ - ومن هنا فقد أقمنا شريعة في الممالك ، حتي لا ترتفع إلي الفلك صيحة «يا ربي» .
- فلا تنظر أيها المظلوم نحو السماء ، فإن لك الآن ملكا سماويا .
- قالت البعوضة : إن شكواي من الريح التي مدت كلتا يدي ظلمها علينا.
- ولقد ضقنا ذرعا من ظلمها ، ونعاني فيها الويلات بأفواه صامتة (١) .

أمر سليمان عليه السلام البعوضة المتظلمة بإحضار الخصم إلى ديوان الحكم

- فقال سليمان : يا جميلة الخطي ، ينبغي عليك أن تسمعي منصتة إلي أمر الحق .

---

(١) ج / ٩ - ٢٢٠ : فظلمها علينا صريح وواضح للعيان ، ولا حيلة لا لنا إلا الشكوي ، فخذ بحقنا منها وأنصفنا ، أيها الكريم العادل يا من طبعك الإكرام .

٤٦٥٠ – فقد قال الحق : إحذر أيها الحكم أن تسمع من خصم دون أن تسمع إلي الخصم الآخر.

– وما لم يحضر الخصمان معا ، فإن الحق لا يظهر للحاكم .

– ولو أتي أحد الخصوم بمائة تضرع ، فحذار حذار أن تأخذ قوله « مأخذ الجد » دون وجود خصمه .

– وأنا لا أجرؤ علي عصيان الأمر ، فأذهبي وأحضري خصمك إلي .

– فقالت : إن قولك صحيح ذو برهان ، وخصمي هو الريح وهو تحت أمرك .

٤٦٥٥ – فصاح ذلك الملك : يا ريح الصبا ، لقد شكت البعوضة إلي من ظلمك فأقبلي .

– هيا قفا متقابلين أنت والخصم ، وأجيبي عليه وأدفعي عنك العدو .

– وعندما سمعت الريح جاءت علي وجه السرعة ، فهمت البعوضة بالفرار .

– فقال سليمان إلي أين أيتها البعوضة ؟ انتظري حتي أقضي بينكما .

– فقالت : أيها الملك : أن موتي من وجودها ، لقد أسود يومي هذا من دخانها .

٤٦٦٠ – وما دامت قد حضرت كيف أجد القرار ، إنها تخرب بنياني من أساسه .

– وهكذا يكون الباحث عن العتبة الإلهية ، عندما يتجلي الإله يصير هو فانيا .

– وبالرغم من أن ذلك الاتصال بقاء خالص ، لكن ذلك البقاء متوقف في البداية علي الفناء .

– والظلال التي تكون باحثة عن النور ، تنعدم عندما يظهر لها ذلك النور.

- فمتي يبقي العقل عندما يطل هو ، « كل شئ هالك إلا وجهه » .

٤٦٦٥ - إنما يهلك أمام وجهه الوجود والعدم ، والوجود في العدم أمر طريف في حد ذاته .

- وفي هذا المحضر تاهت العقول، وعندما وصل القلم إلي هنا انكسر .

ملاطفة المعشوق للعاشق الغائب

عن الوعي حتى يعود إلى وعيه

-[1] أخذ صدر جهان يعيده إلي وعليه رويدا دويدا صدر « بحلو » بيانه.

- وهمس الملك في أذنه : أيها الشحاذ ، لقد جئت بالذهب نثارا لك فافتح حجرك [2].

- فكيف فرت روحك التي كانت تخفق في فراقي عندما أتيت لنجدتها ؟

٤٦٧٠ - يا من رأيت في فراقي الحلو والمر ، عد إلي وعيك من إغمائك .. عد .

- إن طائرا منزليا يصطحب جملا مضيفا إياه في منزله لقليل العقل

- ذلك أن الجمل عندما وضع خفه في كن الطائر ، خرب المنزل وسقط السقف .

- إن كن الطائر هو وعينا وعقلنا ، ووعي صالح طالب لناقة الله .

- وعندما أطلت الناقة في مائه وطينه ، لم يبق الطين هناك ولم تبق روحه أو قلبه .

---

(١) ج / ٩ - ٢٢٩ : لأعد صوب صدر جهان وملاطفته لعاشقه في السر .
(٢) ج / ٩ - ٢٢٩ : وأمسك به ووضع رأسه إلي جواره ، وهو يذرف الدموع الندية .

٤٦٧٥ – لقد جعل فضل العشق الإنسان فضوليا ، وهو من تزيده هذا ظلوم جهول ،

– إنه جهول وفي هذا الصيد الصعب يعانق الأرنب أسدا .

– فمتي كان له أن « يجرؤ » علي عناق الأسد ، إذا كان قد رأي الأسد وعرفه ؟

– إنه ظالم لنفسه ولروحه ، فانظر إلي الظلم الذي يختطف الكرة من أنواع العدل ؟

– إن جهله أستاذ للعلوم ، وظلمه قد صار رشادا لأنواع العدل .

٤٦٨٠ – أخذ بيده وقال : إن نفسه المسلوب إنما يعود إليه عندما أهبه أنا النفس .

– وما دام يحيا بي هذا الميت الجسد ، فإنها تكون روحي تلك التي تتجه إلي .

– وإنني لأجعله من هذه الروح ذا حشمة وجاه ، وتري الروح التي أهبها عطيتي .

– إن الروح التي لم يسمح لها لا تري وجه الحبيب ، إنما تراها تلك الروح التي يكون أصلها من حيه .

– إنني كالقصاب أنفخ هذا الصديق ، حتي يترك لبه اللبيب ذاك الجلد .

٤٦٨٥ – وقال : أيتها الروح الخائفة من البلاء ، لقد فتحنا باب وصالنا فتفضلي

– يامن ذاتنا غيابك عن الذات وسكرك ، يامن وجودك دائما من وجودنا .

– إنني في هذه اللحظة ،و بلا شفة ، أكشف لك الأسرار القديمة وأولا بأول فاستمع إليها .

– ذلك أن الشفاه تفر من هذا النفس ، وتنفتح علي حافة الجدول الخفي .

– فافتح الأذن التي بلا أذن في هذا النفس ، من أجل سر «يفعل الله ما يشاء » .

٤٦٩٠ – وعندما سمع نداء الوصل ، أخذ الميت يتحرك قليلا قليلا .

– إنه ليس أقل من التراب ، الذي من افتـــنانه بريـــاح الصبا ، يرتـــدي « و شاحا » أخضر ويطل برأسه من العدم .

– وليس أقل من النطفة التي من الخطاب ، تلد أمثال يوسف الصديق بوجوه كالشمس.

– وليس أقل من الريح التي من أمر « كن » تصير في الرحم طاووسا وبلبلا حلو التغريد(١) .

– وليس أقل من الجبل الصخري الذي ولد ناقة كأنها مولودة من ناقة أخري .

٤٦٩٥ – ودعك من هذا كله ، أليس أصل العدم ذاك ولد عالما ويلده لحظة بلحظة؟

– فقفز واهتز ودار دورتين بفرح شديد ، ثم انكب علي وجهه ساجدا .

عودة العاشق المغمى عليه إلى وعيه واتجاهه إلى شكر المعشوق والثناء عليه.

– قال : ياعنقاء الحق يا مطافا للروح ، الشكر « لله أنك قد عدت من جبل قاف»(٢) .

– يا إسرافيل أوان قيامه العشق ، ويا من أنت عشق للعشق ويامنية العشق .

– إن أول خلعة أريد منك أن تخلعها علّي ، إنني أريد أذنا تضعها علي كوتي .

٤٧٠٠ – فبالرغم من أنك تعلم حالي بصفوة قلبك ، فاستمع إلي أقوالي ياراعيا لعبيدك ؟

---

(١) ج / ٩ – ٢٣٠ : وليس أقل من النار التي فى أمر السلام ، صارت روضة على الخليل حلو الكلام . وليس أقل من قطعة الخشب التى دفعا للعدو ، صارت حبة منكرة من أمرة .

(٢) ج / ٩ – ٢٣٨ : وتهلل من وجهه وصار سعيداً ، وفى الوصال تحرر من قيد الهجر

– ومئات آلاف المرات – أيها الصدر الفريد – قد طار مني الوعي رغبة في سمعك .

– إن سمعك ذاك وإصغاءك لي ، وهذه البسمات التي تطيل العمر .

– وذلك الإنصات لما أقوله قل أو كثر ، هو فتنة لروحي سيئة الظن .

– إن زيفي الذي تعلمه جيدا قد قبلته أنت كأنه النقد الصحيح .

٤٧٠٥ – ومن أجل جريء وقح مغرور « مثلي » ، تتضاءل الأحلام إلي جوار حلمك وتصير كذرة الهباء .

– فأعلم أولا أنني عندما تخلصت من شصك ، فر من أمامي كل ما هو أول وآخر .

– واسمع ثانيا أيها الصدر الودود ، لقد طوفت كثيرا وبحثت ولم يكن لك ثان !!

– وثالثا : إنني عندما خرجت عن معيتك ، فكأنني قلت : ثالث ثلاثة .

– ورابعا : لما كانت مزرعتي قد احترقت ، فإنني لا أعلم الخامسة من الرابعة(١) .

٤٧١٠ – وحيثما تجد دماء « مسكوبة » علي التراب ، فاعلم علي وجه اليقين أنها من عيوننا.

– إن قولي بمثابة الرعد وهذا الصوت والحنين ، يريد سحابا حتي يمطر علي الأرض .

– إنني حائر بين الحديث والبكاء ، أبكي أم أتحدث ، « رباه » ماذا أفعل ؟

– فإن تحدثت فاتني البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ؟

– إن الدم يتساقط من المآقي أيها الملك ، فأنظر إلي ما سال من مأقى ؟

(١) ج / ٩ – ٢٣٨ : وخامسا في هجرك يا صدر جهان ، كتب في خسارة حتي من حواسي الخمسة . وسادسا بدون وجهك ، كان الحزن يمطر علي من الجهات الستة. ولا أدري السابع من الثامن فقد تهت ، ويبكي الفلك علي دما .

٤٧١٥ – قال هذا وانخرط في البكاء ذلك النحيل ، حتي بكي عليه الوضيع والشريف .

– وانطلق من قلبه العديد من صيحات الوجد ، فتحلق حوله كل أهل بخاري .

– فهو متحدث كيفما اتفق ، باك كيفما اتفق ، ضاحك كيفما اتفق ، فاندهش الرجال والنساء والصغار والكبار !!

– وصارت المدينة بأجمعها مشاركة إياه ذرافة الدمع ، واختلط الرجال بالنساء وكأنها القيامة .

– وكانت السماء تقول في تلك اللحظة للأرض ، إن لم تكوني شهدت القيامة فانظري إليها .

٤٧٢٠ – والعقل حائر : أي عشق هذا وأي حال ؟ أفراقه أعجب أم هذا الوصال ؟

– وتلا الفلك كتاب القيامة ، حتي مزقت المجرة ثيابها !

– إن العشق ذو غربة عن العالمين ، والاثنان والسبعون « مذهبا » فيه من قبيل الجنون.

– إنه خفي جدا لكن حيرته بادية ، وأرواح سلاطين الروح في حسرته .

– ومذهبه غير الأثنين والسبعين مذهبا ، وعروش الملوك « إلي جواره » مجرد جبيرة ساق .

٤٧٢٥ – إن مطرب العشق يتغني بهذا وقت السماع ، العبودية قيد والسيادة صداع .

– إذن فماذا يكون العشق ؟ إنه بحر العدم ، لقد حطمت العقل هنا القدم .

– صارت العبودية والسلطنة معلومتين ، وعن هذين الحجابين كتم العشق .

– وليت الوجود كان ذا لسان ، حتي يرفع الحجب عن الموجودات .

– وكل ما تقوله يا نفس الوجود عن الوجود ، اعلم أنك قد وضعت به حجابا آخر عليه.

٤٧٣٠ – إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال .

– وأنا لما كنت صفيا للهائمين فيه ، فإنني أنفخ ليل نهار ، لكن في قفص.

– إنك ثملة جدا غائبة عن الوعي مضطربة أيتها الروح ، فعلي أي جنب كنت نائمة ليلة الأمس ؟

– انتبه انتبه وحذار أن تفيض بنفس ، انهض أولا وأطلب من سمح له « به » !!

– عاشق وثمل وفاتح فاك متحدثا ؟ الله .. الله .. جمل علي قناة !!

٤٧٣٥ – وعندما يتحدث اللسان عن سره وعن لطفه ، تتلو السماء قائلة : يا جميل الستر .

– أي ستر ؟ والنار في صوف وقطن ، مهما تخفيها تكون أكثر ظهورا .

– وكيف أسعي في إخفاء سره ؟ وهو يطل كالعلم قائلا : هأنذا .

– إنه يأخذ رغم أنفي بكلتا أذني قائلا : أيها الغبي ؟ كيف تخفيه ؟ اخفه إذن !!

– أقول له : إمض ، فالبرغم من أنك في غليان ، إلا أنك كالروح خفي وظاهر .

٤٧٤٠ – فيقول : إن جسدي هذا محبوس في دن ، لكنني أصفر كالخمر في محفل !!

– أقول له : إمض قبل أن تسقط في الأسر ، إمض حتي لا تحيق بك آفة السكر !!

– يقول : إن شربي من الكأس للطيف ، وهي رفيقة نهاري حتي صلاة المغرب .

– وعندما يأتي المغرب ويسرق مني الكأس ، أقول له : أعدها إلّي فلم يأت مغربي بعد.

– ومن هنا سمي العرب الخمر بالمدام ، ذلك أن شاربها لا يشبع من شربها علي الدوام .

٤٧٤٥ – إن العشق ينضج خمر التحقيق ، ويكون « هو » الساقي الخفي للصديق .

– وعندما تبحث أنت بالتوفيق الحسن ، تكون الخمر هي ماء الروح والإبريق هو الجسد .

– وعندما تزيد في خمر التوفيق ، فإن قوة الخمر تكسر الإبريق .

– يتحول الماء إلي ساق ، ويثمل بالماء ، ولا تقل لي كيف ؟ الله أعلم بالصواب .

– إن شعاع الساقي هو الذي انصب في العقار ، فغلي العقار وصار رجراجا متماسكا.

٤٧٥٠ – فسل في معني هذا ذلك المتحير ، فمتي كنت قد رأيت العقار بهذا الشكل ؟

– وفي رأي كل عالم بداهة أن كل متحرك يلزمه محرك ما .

حكاية عاشق طويل الهجران وكثير الامتحان

– كان أحد الشباب قد جن[(١)] « عشقا » بامرأة ، ولم تكن أيام الوصول تمد يدها له .

– فعذبه عشقه هذا فوق الأرض ، فلماذا يكون العشق في بدايته « في عذاب » الحقد؟

---

(١) ج / ٩ – ٢٥٢ : كان أحد الشاب قد عشق أمرأة ، فقضي الليل والنهار دون أكل أو نوم . صار مسلوب القلب مضطربا ومجنونا ثملا ، ولم تكن أيات الوصل تمديدها له

– لماذا يكون العشق في البداية دمويا ؟ بحيث يهرب منه كل من يكون خارج حلقتنا ؟

٤٧٥٥ – وعندما كان يرسل رسولا إلي المرأة ، كان الرسول يتحول حسدا إلي حائل بينه وبينها.

– وعندما كتب لها كاتبه خطابا ، كان نائبها يقرأ الخطاب مصحفا .

– وإن أرسل الصبا رسولا في الوفاء ، كان ذلك الصبا يظلم من « كثرة ما يحمله » من غبار .

– وإن أرسل رقعة علي جناح طائر ، كان جناح الطائر يحرق الرقعة من حرارته .

– لقد سدت الغيرة طريق الحيلة ، وكسرت راية عسكر الفكر .

٤٧٦٠ – كان الانتظار يسري عنه في البداية ، وفي النهاية هزمه حتي الانتظار .

– وكان أحيانا يقول : هذا بلاء بلا دواء ، وأحيانا كان يقول : بل حياة لأرواحنا.

– كان الوجود أحيانا يطل برأسه منه ، وأحيانا كان يأخذ نصيبا من العدم[1] .

– وعندما كانت « رغبة » الجسد تفتر عنده ، كانت عين الاتحاد « بالمحبوب » تجيش فيه حارة .

– وعندما وطن النفس علي غربة الاستغناء ، أسرعت إليه القدرة علي الاستغناء .

٤٧٦٥ – صارت عناقيد فكرة بلا نقصان ، وصار مرشدا للسارين كأنه القمر .

– فرب ببغاء حسن الصوت لكنه صامت ، ورب حلو الروح لكنه عابس الوجه .

---

(١) ج / ٩ – ٢٥٢ : وحينا كان صراخة يصل إلي الفلك وحينا كان خيال الحبيب يصير رفيقا له.

– فاذهب إلي المقابر واجلس صامتا للحظة واحدة ، وانظر إلي أولئك الصامتين المتحدثين .

– لكنك وإن رأيت ترابهم متوحد اللون ، إلا أن أحوالهم الروحية ليست سواء .

– إن شحم الأحياء ولحمهم واحد وعلي السواء ، لكن ذاك يكون حزينا وهذا يكون فرحا.

٤٧٧٠ – فأي علم لك بأحوالهم ما لم تسمع أقوالهم ، ما دامت أحوالهم خافية عليك ؟

– تسمع من المقال كثيرا من صيحات الوجد ، فمتي تري الحالة المتشابهة المستترة ؟

– وصورنا سواء ، لكنها تتصف بالتضاد ، والتراب أيضا سواء لكن الأرواح مختلفة .

– وكذلك الأصوات كلها علي وتيرة واحدة ، لكن أحدها مليء بالألم والآخر مليء بألوان الدلال .

– إنك تسمع صهيل الخيول عند القتال ، وتسمع تغريد الطيور عند التنزه .

٤٧٧٥ – فواحد « يصيح » من الحقد وأخر « يتحدث » من المحبة ، وواحد « يصرخ » من الألم ، وهذا « يشدو » من السرور .

– وكل من يكون بعيدا عن أحوالهم ، تكون تلك الأصوات في « سمعه » علي السواء.

– وتلك شجرة تهتز من ضربات الفأس ، وهناك شجرة أخري « تهتز » من نسيم السحر.

– وكثيرا ما خدعت بقدر يحتوي علي شيء تافه ، ذلك لأنها تغلي بينما يكون غطاؤها فوقها.

- ويقول لك شخص : هذا حساء سائغ فتعال ، سواء كان حساء حقيقا أو حساء خفيفا « يعطي للمريض » .

٤٧٨٠ - فإن لم تكن لديك قبسة من روح ذي فراسة بالوجوه ، فاذهب واحصل علي أنف عارف بالروائح .

- وتلك الأنف التي تطوف حول تلك الروضة ، تضيء حتي عيون أمثال يعقوب .

- فهيا وقل أحوال مفتت الكبد ذاك ، فلقد ابتعدنا عن البخاري يابني .

إيجاد العاشق المعشوق وبيان أن من جد وجد مصداقا للآية الكريمة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾

- ظل ذلك الشاب في بحث وسعي لسبع سنوات ، وصار من التفكير في الوصل كأنه الخيال .

- وإن ظل الحق يكون فوق رأس العبد ، ومن جد وجد في النهاية .

٤٧٨٥ - وقال الرسول عليه السلام : عندما تقرع بابا ، فسوف يطل رأس من هذا الباب في النهاية .

- وعندما تجلس علي رأس حي أحد ، فسوف تري وجهه في نهاية الأمر.

- وعندما تخرج التراب من بئر كل يوم ، فسوف تصل في النهاية إلي الماء الصافي .

- وكل الناس يعرفون هذا وإن لم تصدقه أنت ، إن ما تزرعه تحصده في يوم من الأيام.

- فهل ضربت الحديد بالحجر ولم يقفز الشرر ، إن هذا لا يكون وإن حدث يكون نادرا .

٤٧٩٠ - وذلك الذي لا يكون له في الآخرة حظ أو نجاة ، لا ينظر عقله إلا في الأمور النادرة .

– فيقول : إن فلانا زرع ولم يجن الثمر ، وذاك حصل علي الصدف ولم يكن في الصدف جوهر .

– وبلعم بن باعوراء وإبليس اللعين ، لم تجدهما عبادتهما فتيلا .

– لكن مئات الآلاف من الأنبياء والسالكين ، لا يخطرون بخاطر هذا السيىء الظن .

– إنه يحتج بهذين بحيث ينشر في القلب الظلمة ، فمتي يضع الإدبار شيئا غير هذا في قلبه ؟

٤٧٩٥ – إنه يقول : رُب شخص يكون تناول الخبز سرور قلبه ، ثم يصير موتا له ويقف في حقله .

– إذن فامض أيها المدبر ولا تأكل الخبز ، حتي لا تقع مثله في الاضطراب والشر .

– فمئات الآلاف من الخلق يأكلون الخبز ، فيجدون « به » القوة ويربون الروح .

– فأين وقفت أنت علي هذا الشخص النادر إن لم تكن محروما وابن أحمق ؟

– وهذه الدنيا مليئة بالشموس وضوء القمر ، وقد تركها وطأطأ رأسه في بئر .

٤٨٠٠ – قائلا : إذا كان هذا الأمر حقا فأين النور ؟ ارفع رأسك من البئر وانظر أيها الدني .

– لقد وجد كل العالم من الشرق إلي الغرب هذا النور ، وما دمت في بئر فلن يسطع عليك .

– فاترك البئر واذهب إلي الإيوان والكروم ، وكفاك جدلا هنا فاللجاج شؤم .

– هيا ولا تقل : إن فلانا قد زرع في عام كذا ، لكن الجراد أكل زراعته

– إذن فلماذا أزرع وهنا مجال للخوف ؟ ولماذا أبذر هذا القمح من يدي ؟

٤٨٠٥ – وذلك الذي لم يترك الزرع والفلاحة ، ملأ برغم أنفك أهراءه[١] .

– لقد كان يداوم علي قرع الباب شوقا وأملا ، وفي النهاية ظفر ذات يوم بالخلوة .

– لقد هرب خوف العسس ذات ليلة إلي بستان ، فوجد حبيبه كأنه الشمع والمصباح .

– فقال لمسبب السبب في تلك اللحظة : يا إلهي لتنزل رحمتك علي العسس .

– لقد سببت الأسباب من حيث لا تعلم ، وحملتني من أبواب الجحيم إلي الجنة .

٤٨١٠ – لقد جعلت هذا الأمر سببا ، حتي لا أستهين بأي شئ ولو كان شوكة واحدة .

– فعند انكسار القدم يخلق الحق جناحا ، وحتي في قاع البئر يفتح سبحانه وتعالي بابا[٢] .

– فلا تنظر إلي أنك علي شجرة أو في « قاع » بئر ، بل انظر إلي فأنا مفتاح الطريق.

– وإن كنت تريد بقية هذا الحديث ، فالتمسه يا أخي في الكتاب الرابع .

---

(١) ج / ٩ – ٢٥٨ : ذعك من هذا البيان ، وسق لحظة ، نحو أحوال ذلك العاشق الشاب .

(٢) ج / ٩ – ٢٥٨ : وكل ما يكون في نظرك باعثا على الكراهية ، هو في الحقيقة رحمة .

شروح وتعليقات

الحكم جنود الله :

الحكمة فى اصطلاح العارفين ، هى العلم الباطنى بالقرآن الكريم والمعرفة التى تبعد العبد عن الدنيا وأمورها وتجعله عارفا بعالم الغيب والوجود الحقيقى ، ولا تتأتى هذه المعرفة عن طريق مدرسة أو كتاب أو معلم ، فهى من أجل الحق وللحق يجذبهم إليه بعنايته إن كانوا جديرين بها (استعلامى / ٣ - ٢٤٤) ، يقذف بها بنور حقيقى فى قلوبهم (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) جاء فى الكتاب الأول :

هكذا رأى كاتب وحى الرسول الحكمة فى ذاته وفى النور الأصلى (بيت ٢٣٥٥) كما ورد فى المجلد الثانى : « وهو الذى يوصل إلى العين ما يشاء من الجمال ومن الكمال ومن نظرات المحبة - وهو الذى يوصل إلى الأذن ما يشاء من الأنغام والبشائر أو من الصراخ - إن الكون ملئ بالوسائل لكنك تبقى بدون حلية مالم يفتح عليك الله منفذا إليها (أبيات ٦٨٠-٦٨٣ الكتاب الثانى) .

﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ﴾ : النساء / ٩٤ نزلت الآية الكريمة فى سياق فى النهى عن الشك فى إيمان من ألقى السلم ، ويتعامل مولانا مع الآية الكريمة لكى يؤدى بها معانى عرفانية ، لكى ينهى السالك الواجد عن الفخر ، فقد كان ذات يوم من الذين حرموا من هذه العطية ، أما وقد فتحت عليه الإنعامات الإلهية فليس عليه أن يفخر على من لا يزالون محرومين منها (محمد استعلامى : مثنوى مولانا جلال الدين محمد ج ٣ ص ٢٢٥ - تهران - زوار ١٣٧٣هـ ش .. يذكر بعد ذلك باسم استعلامى فقط .

الآيات الكريمة : يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون - صحتها﴿ يريدون ليطفئوا ﴾ (الصف ٨) ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر) ﴿ فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين

يبدلونه ﴾ (البقرة ١٨١) يستعير مولانا ما نزل بشأن القرآن الكريم على أساس أن كل ما قصد به وجه الله تعالى من جوامع الحكمة والعرفان مشمول بالعناية الإلهية شأنه فى هذا شأن القرآن الكريم إذا وعد تعالى بحفظه إلى يوم الدين ، وقد عاد مولانا إلى هذه الفكرة مرة أخرى ففصلها فى هذا الكتاب الثالث (انظر المتن ٤٢٣٠ – ٤٢٥٢ والأبيات ٤٣٢٣ – ٣٢٨٥ الأبيات ١١٩٨ – ١٢١٥) .

(بيت ١ – ٥) الخطاب لحسن حسام الدين أحد كبار مريدى مولانا ، وكاتب وحيه الشعرى ، (لمعلومات عن حسن حسام الدين أنظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول) أما قوله : وقد جرت السنة على ثلاثة مرات إشارة إلى اعتقاد شعبى فارسى يعبر عنه بصيغ مختلفة ، وله أساس بالطبع فى المأثور الإسلامى على أساس أن رسول الله ﷺ كان يكرر القول والدعاء ثلاثا ، قال صاحب شرعة الإسلام : إذا سلم النبى ﷺ سلم ثلاثا وإذا كلم كلم ثلاثا ، وروى فى المصابيح عن سعد بن مالك قال : إذا أكل النبى عليه السلام أكل بثلاثة أصابعه ، وقال ابن عباس رضى الله عنه ، توضأ النبى عليه السلام مرتين مرتين ولكن ثلاث مرات غسل – يقول يوسف بن أحمد : هذا الدفتر الثالث ، يقصد الكتاب الثالث من المثنوى ، هو بمثابة غسل الأعضاء المعنوية ثلاث مرات ، فسنة النبى ﷺ وسنة الأنبياء من قبله ثلاث مرات (يوسف بن أحمد المولوى : المنهج القوى لطلاب المثنوى – جـ ٣ بدون تاريخ أو مكان طبع بعد ذلك يكتفى بكلمة مولوى) وينظر أيضاً شرح إسماعيل حقى الأنقروى : شرح المثنوى : شرح المثنوى بالتركية مجلد ٣ أستانبول ١١٣٠ هـ ص ١٤ – ص ١٥ يذكر بعد ذلك أنقروى فقط ٣ ، بديع الزمان فروزانفر : أحاديث المثنوى ص ١٧ تهران ١٣٣٢ هـ . ش) والمقصود بترك الأعذار غير واضح اللهم إلا إذا كان المقصود بالبيت التالى الحديث عن القوة المعنوية فى مقابل القوة المادية ، إن حسن حسام الدين كان يشكو مرضا ، وإن مولانا جلال الدين كان يواسية بأن القوة المادية لا علاقة

لهـا بالأعمـال المعنوية وأن « عمـارة الروح من خـرب الجسـد » وهـى فكرة (يدق) عليها مولانا جلال الدين (ويدق) عليها الصوفية كثيراً ، ويضرب مولانا الأمثال من السماء القائمة بغير عمد ، والقوة التى تتم عن طريق مزاولة الأعمال الروحية كقـوة جبريل من رؤية الخالق ، وهى قوة وصـفت فى القـرآن الكريم ﴿ ذى قـوة عند ذى العـرش المكين ﴾ (التكوير / ٢٠) وإن الرسـول ﷺ سـأل جبـريـل عن قوته فقال : خلعت ديار قوم لوط بجناحى ورفعـتها إلى السمـاء فقلبتها » (شـرح الأنقروى ثالث ص ١٧ – مولوى / ٣ ص ٨) .

(٧) الأبدال فى مصطلح جلال الدين بمعنى عام هو العارفـون السائرون فى طـريق الله أو كمـا سيـرد فيمـا بعد (من بدلت صـفاتهم وبدلت ذواتهم الجسمانية وتبـدلوا إلى أرواح) . (٩) وفى البيت التاسع ما يؤكد أن حسن حسـام الدين كان مريضـا ، ويضرب له المثل بأن هذا المرض لن يؤذيه كما لم تؤذ النار إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكانت عليه برداً وسلامـا ورد هذا المعنى فى سورة (الأنبياء) .

(١٠) والدليل على ذلك أن العنـاصـر التى تؤثر فى مـزاج الإنسـان العـادى والعـامى لا سلطة لها على الأبدال والعـارفين بل هى خاضـعة لسلطـتهم الروحـية الخارقة .

(١١) ومزاج العارف والمقصود بالمزاج أخلاط الجسم هى أعلى من كل مرتبة لأن – هؤلاء قد صاروا روحا خالصة ، وتمت سيطرة أرواحـهم على أجسـامـهم بحيث إن حالات الجسم قد تكون انطلاقا للروح .

(١٢) ، وهؤلاء – أى أبدال الحق – إنما يعيشون على الأرض كنموذج للعالم المنبسط أى عالم الوجود الحقيقى الذى لا يحتوى على جسم .

(١٣) ، ويقف مولانا جلال الدين عن الاسـترسـال فى أوصـاف العـارفين ،

وليس ذلك إلا أن الخلق محجوبون عن أمثال هذه المعانى ، فساحة أفهامهم ضيقة لأنهم متعلقون بهذا العالم الأرضى ، وهمتهم على قدره ، وحلوقهم مكيفة على أغذية الأرض وليس على الغذاء المعنوى ، ويستطيعون تفهم هذه المعانى .

(١٥ ، ١٦) ، وهذه المعانى كان للجبل الحلق الذى يتشربها ومع ذلك فقد صار دكا وخر موسى صعقا وورد هذا المعنى فى سورة (الأعراف / ١٤٣) إنه لم يحافظ على ثباته ورقص كالجمل (انظر أيضا بيت (٢٥) من الكتاب الأول) .

(١٧) إن الجود بالطعام هنا أو كما ذكر حرفيا « منح اللقمة » يقصد به تعليم أسرار الحق وتلقينها ، أما الجود بالحق أى استعداد إدراك هذه الحقائق فهو من هبات الله سبحانه وتعالى فحسب .

(١٩) هنا يصير المرء منسوبا إلى ذى الجلال أو كما يقول مولانا « إجلاليا » أى جديرا بألطاف الحق وعنايته .

(٢٠) صب السكر أمام الذباب كناية عن الحديث بالأسرار الإلهية أمام من ليسوا لها بأهل .

(٢١) فإن رجل الحق لا يقول سر الحق لكل إنسان ، بل جدير به الأخرس لأن من عرف الله كل لسانه . « احفظ أسرار أولى الأبصار عن الأغيار الأشرار » (مناقب ١ / ١٣٨) .

(٢٢ - ٢٥) الوجود الأرضى عبارة عن دائرة تبدأ من التراب وتنتهى إلى التراب ، وما خلق الإنسان إلا لكى يقطع هذه الدائرة .

(٢٦ - ٣٠) يطرح الفكرة السابقة من منطلق آخر : إنه لطف الله الذى يجعل

كل المخلوقات منتفعة على بعضها – أو إنها إسراع الموجودات كلها إلى العدم حيث يسلط مخلوق على مخلوق ؛ كيلا يبقى سوى وجهه فكل شيء هالك إلا وجهه والذرات كناية عن ظواهر الحياة المختلفة ، أو كما عبر ملا محمد هادى سبزوارى فى شرحه الفلسفى على مثنوى مولانا جلال الدين (افست كتابخانه سنائى طهران عن طبعة ١٢٨٥ هـ ق فى مجلد واحد) فى الصعود تكون الجمادات غذاء للنباتات والنباتات غذاء للحيوانات ومن ثم فكل عالم أدنى يفنى فيما هو أعلى كفناء الغذاء فى المتغذى وهذا ما تراه فى الإنسان حتى يظل من الخالدين (ص ١٨٩) . والمقصود بالأوراق إمكانية تداوم الحياة واستمرارها ، فكل ورقة من أوراق الشجرة هى وسيلة لإدامة الحياة من لطفه سبحانه وتعالى على عبيده ، وهذا الإنعام هو الذى يرى العالم وما فى العالم من حواضن ومربيات والمقصود « بالباقين » أى أولئك الذين تجاوزوا هذا العالم الظاهر وهم باقون ببقاء الحق ، فهم مقبلون (استعلامى ٣ – ٢٢٦) ومقبولون عند الله فلا هم يأكلون من الغذاء المادى ، ولا هم يصيرون مأكولين : فالبقاء بالله هو البقاء الدائم الأبدى ، وهو النجاة من شبكة الدنيا وفخ الخليقة ، والخروج عن النسق الإنسانى .

(٣١ – ٣٥) يواصل مولانا المقارنة بين « الباقين » وبين بقية أهل الدنيا ، فسكان هذه الدنيا ، منتشرون » أى فى « تفرقة » ومنقطعون عن بعضهم البعض وعن بقية سكان العالم أما « الباقون » فهم قابلون للبقاء وهم وجود واحد (مجتمعون) ومن ثم ينبغى على المرء أن يسعى فى أثر ماء الحياة ، وماء الحياة هو الاتصال بالله ، والمتصلون بالله هم الباقيات الصالحات « ومن ثم فلأنهم باقون فهم فى أمان من كل آفات الدنيا ، وأخطارهم ، ولأنهم مجتمعون لأن مادتهم النفسية مصورة بصورة واحدة فصورتهم المعنوية هى علم التوحيد وكلهم مختلقون بأخلاق واحدة ؛ السراج واحدة وتعددت المسارج (سبزاورى

١٨٩) فهو وحدة واحدة لأنهم أجزاء للوحدة المطلقة ، أما تعدده وكثرتهم فهى من خيالنا وظننا (استعلامى / ٢٢٧) فالعلماء نفس واحدة (الأنقروى ٢٤) عند عبد الباقي جلبنارلي : ترجمة وشرح مثنوى شريف – الترجمة الفارسية لتوفيق سيحاني – دفتر سوم تهران ١٣٧١ هـ . ش ص ٣١ فيما بعد جلبنارلى – ٣] المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه أشتكى كله ، وإن اشتكى عينه أشتكى كله حديث شريف .

(٣٦ – ٤٢) جرى الحديث إذن عن « الأكل والمأكول » كظواهر بهذا العالم المادى ، ولكل منها حلق ، سواء الأكل والمأكول والغالب والمغلوب ، ولكن منها عقل مناسب لحياة هذا العالم ، لكن ابتداء من البيت ٣٧ يجرى الحديث عن أكل أخر وخلق أخر خارجين عن هذا الإطار ، فعصا موس تحولت إلى عصا « وهبت الحلق » وأكلت العصى والحبال الأخرى ، فأكلها ليس آكلا ماديا لأن جسمها لم يزدد من هذا الأكل ، ومن ثم فإن مرتبة اليقين فى السير إلى الله على نفس هذا النسق تفترس كل ظن وتبعد الشك عن قلب العبد ، فالأمور الروحانية الباطنية ذات حلوق كالأعيان ، وليس رزقها ماديا ، والمقصود به « من أدنى العالم إلى أعلاه » أى فى كل مراتب الخليقة ، فكل المخلوقات وحتى الظواهر الروحانية غير المحسوسة ذات حلق يناسب خلقتها ، وتأكل ما يناسبها اللهم إلا الروح التى فرغت من العالم المادى فإن رزقها يصل من الإجلال (استعلامى / ٣ – ٢٢٧) ونقل الأنقروى عن الشيخ صدر الدين القونوى فى كتابه إعجاز البيان « إن لكل شئ غذاء خالصا فغذاء الأسماء أحكامها بشرط المظاهر التى هى محل الحكم وغذاء الأعيان الوجود ، وغذاء الوجود أحكام الأعيان ، وغذاء الجواهر الأغراض ، وغذاء الأرواح علومها وصفاتها وغذاء الصور العلوية حركاتها وما به دوام حركاتها وغذاء العناصر الصور والمزاج « أنقروى ٣ / ٢٥ – مولوى ٣ / ١٣) .

(٤٣ – ٤٥) إن شـرط أن يكون « حلق الروح خـاليـا من فكر الجـسـد » هو تبديل الاحتياجات الروحانية ، فالطبيعة السيئة أو المزاج السيئ هو الدنيا الذى يبعدها عن الحياة الروحية ، ويشبه هذه الحالة « بأكل الطين » وهو حالة مرضية أغلب ما تحدث للائى يعانين أمراض الحمل ، ومن هنا فالبطنة هى سبب إصفرار الوجه ، وإصفرار الوجه مساو للموت ، كما أن البطنة تؤدى إلى موت القلوب ، ولسنائى الغزنوى فى الحديقة أبيات طويلة حول هذا الموضوع .

(٤٦ – ٤٩) إن هجر الحياة المادية وتبديل الطبيعة كأنه فطام الطفل ، وفطام الطفل فى حاجة إلى حاضنة ، والحاضنة هو المرشد الذى يفطم طفل الدنيا عن لبنها ويعود الروح على النعم الروحية ، وهى والبستان فى هذه الأبيات رمزان لمعرفة الحق كما أن الثدى « هو » العلائق الدنيوية ، ومن ثم فإن الحياة المعنوية هى فطام عن لبن الدنيا .

(٥٠ – ٦٨) يرى مولانا هنا تشابها بين الحياة الجسمانية ومراتب الكمال الروحانى فهو جنين آكل للدم ثم رضيع ، ثم آكل للطعام ، وعندما يشغل عن هذا العالم يصير كلقمان ، ويستطيع المؤمن إذن أن يظفر « بالطهر » من « النجس » كما يخرج الجسم من الدم النجس ، وكما أن هناك فرقا بين العالم الذى يعيش فيه الجنين والدنيا ، هناك فرق أيضا يشبهه بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ، وكما لا يصدق الجنين إذ حكيت له عن العالم خارج الرحم ، لا يصدق عابد الدنيا أن هناك عالما خارجا هذه الدنيا ، ولسنائى فى الحديقة أبيات تتحدث فيها عن هذه المراحل لكنه يخلص منها إلى فكرة حفظ الله للإنسان وعدم تضييعه إياه ورزقه إياه فى كل مرحلة وتطور هذا الرزق بقدر تطور الإنسان يقول : « ألم تر أن الذى فوق الوجود ، حين خلق وجودك فى الرحم – أعطاك رزقك من الدم تسعة شهور ، ذلك الخالق الحكيم الذى لا مثال له – ورباك أيضاً فى بطن أمك ، وبعد تسعة شهور أتى بك إلى الوجود – وحينما أغلق هذا الباب للرزق فى وجهك

أعطاك بعده بابين أفضل منه – أعطاك بعده الألفة بالثديين ، فهما أمامك ليل نهار ينبوعان يجريان – وقال لك أمتص من هذين الاثنين وكل هنيئا فليسا حراما عليك – وحينما فطمت بعد عامين – تبدلت جميع أحوالك – أعطاك رزقك من يديك وقدميك أمسك بتلك واسع بذى فى كل مكان – فإذا كان البابان قد جاز غلقهما عليك ، فقد أقام بدلا منهما أربعة أبواب . فخذ باليدين واسع بالقدمين بدأب ، وأطلب الرزق فى أنحاء العالم ، وحين يحم القضاء فجأة ، تكون أمور الدنيا كلها مجازا ، عجزت اليدان والقدمان عن العمل وبدلا من الأربعة أعطاك ثمانية – فحينما قيدت الأربعة منك فى اللحد ، صارت الجنان الثمانية خالية من أجل؛ (حديقة : الأبيات ٢٦٤ – ٢٧٦ من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور دار الأمين ١٩٩٥)وواضح الفرق بين الفكرتين فضلا عن أن مولانا جلال الدين يعود إلى الفكرة أكثر من مرة كأداة لشرح أفكار أكثر عمقا مما سيأتى فى حينه ، ويضرب فى الأبيات ٦٢ – ٦٨ مثالا آخر غير مثال الجنين وهو مثال الأعمى ، والمقصود بالطبع أعمى البصيرة والعمى الروحانى وليس عمى البصر أو العمى الجسمانى ، فالعمى الجسمانى ليس بحجاب عن العالم الروحانى لكن العمى الروحانى هو الحجاب ، والأوطان الدنية أو الدنيئة فسرها استعلامى بأنها الرحم (٣/ ٢٢٨) لكن تفسير يوسف بن أحمد بأنها ظلمة القلب وظلمة المشيمة وظلمة الرحم (مولوى ٣ / ١٨) .

(٦٩) مصادر القصة التى تبدأ بهذا البيت كثيرة ، فقد رويت فى حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهانى (الجزء العاشر) عن نذر أبى عبد الله القلانسى إن أنجاه الله من سفينة عصفت بها الرياح ألا يأكل من لحم الفيل ، ثم انكسرت السفينة ووقعوا على الساحل فإذا بولد فيل أكله رفاقه وناموا ، ثم جاءت الفيلة تطلب ولدها حتى انتهت إلى عظامه فشمت أفواه آكليه ومزقتهم شر ممزق ولم تجد رائحة من القلانسى ، فمكنته من ركوبها ونقلته إلى العمران ، ثم نقلت من

حلية الأولياء فى أكثر من مصدر منها حياة الحيوان للدميرى (مجلد ٢) كما نسب ابن بطوطة هذه الحكاية لابن خفيف الشيرازى ، نقلـــتها أنا ماريا شميل فى سيرة ابن خفيف (أنظر سيرة الشيخ الكبير ص ٢٧٥ – من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ص ٢٧٦ القاهرة ١٩٧٧) بديع الزمان فروزانفر : مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى تهران ١٣٣٣ هـ ش ص ص ٨٧ – ٨٨ بعد ذلك يذكر مأخذ فقط) كما ترجمت الزميلة المرحومة الدكتورة إسعاد قنديل هذه القصة تحت عنوان « قصة آكلى ولد الفيل مع بعض التعليقات » .

(٧٩ – ٨٤) يبدو أن مولانا يقصد فى هذه الأبيات الحديث النبوى « الخلق كلهم عيال الله » فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » (مروى فى الجامع الصغير عن أبن مسعود) وهم أطفال الله لأنهم وكلوا أمرهم كله الله ، ولو وكلوا لأنفسهم فى رأى نجم الدين كبرى « كانوا يعملون السيئات (مولوى / ٣ –٢٠) ، لأن الولى فى غيبته أو حضوره أو فى سكره وصحوه لا يغفل عن الله طرفة عين ، ومن ثم فمهما بدوا فى أعين الخلق أذلاء حقراء إلا أنهم « أولياء » الله فى حفظة ... وهم (كنفس واحدة) (انظر البيت ٣٥ وتعليقاته) .

(٨٥ – ٩١) ومن ثم فإن كل معجزات الأنبياء هى من هذه الولاية ، وهى بيان عملى من الله على قدرتهم وعظمتهم ويجرد الآيات القرآنية فالبيت ٨٥ مستند على الآيات (٥٦ – ٧٢) من سورة طه ، و٨٦ مضمون سورة نوح الآيات (١٤ – ١٥) من سورة العنكبوت و ٨٧ قصة عاد ولعنة لوط ، ويقصد فى البيتين (٨٨ – ٨٩) خرائب مدينة لوط وهى بالقرب من بيت المقدس ، أما البيت ٩٠ فيرى أن معجزات الأنبياء من هذا القبيل كثرة وهى موجودة فى كل قرن من القرون الماضية .

(٩٣) الأعمى الحاد النظر هو الإنسان الذى يشاهد كل ما يدفعه إليه حرصه لكنه لا يرى ما وراء ذلك .

(٩٧) ينقل فروزانفر (أحاديث مثنوى / ١٨٠) من روضات الجنات خبرا عن الإمام الرضا رضى الله عنه « إن لله تبارك وتعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا وإذا طربوا ذابوا وإذا ذابوا خلصوا وإذا خلصوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا وإذا أتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم » ايضاً جلبنارلى ثالث / ٤١).

(١٠٢) (١) إشارة إلى الآية ٦١ من سورة التوبة عندما كان الكفار يؤذون النبى ويقولون « هو أذن » أى يسمع كل ما يقال ويصدقه ، لكن مولانا هنا يستخدم الآية استخداما أخر وهو أنه كان يسمع كلام المنافقين دون أن ينطقوه (مولوى /٣ – ٢٥) .

(١٢٣) يرى مولانا أن كل لحظة فى عمر الإنسان عمر مستقل يولد فيه الإنسان ويموت (إن لك فى كل لحظة موتا وبعثا – الكتاب الأول / بيت ١١٥٠) .

(١٢٧) إن كل لحظة تمضى لا عوض عنها إلا السجود والاقتراب والعبادة فإن هذا يجعل العمر قربة إلى الله تعالى وهذا هو العوض الوحيد عن ضياع العمر .

(١٣٨) الناصح هنا هو أبو عبد الله القلانسى أو ابن خفيف الشيرازى (انظر ٦٩٠) .

(١٤٠) دين الناصح : على أساس أن كل مسلم مدين بالنصح لجميع المسلمين .

(١٥٨) المقصود بأم وليد الفيل ذاك قدرة رجال الحق « استعلامى / ٣ – ٢٣٢ » .

(١٦١) إشارة إلى ما روى عن الرسول أنه قال وهو فى المدينة « إنى لأجد ريح الرحمن من قبل اليمن » يقصد أويس القرنى (مولوى ٣ / ٣٥) .

(١٦٩ – ١٧٠) : فى الدعاء الذى علمه الإمام على رضى الله عنه لكميل بن زياد المعروف باسم دعاء كميل « اللهم اغفرلى الذنوب التى تحبس الدعاء » وفى وصيته رضى الله عنه بعد أن ضربه ابن ملجم « لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى عليكم شراركم فتدعون فلا يستجاب لكم » (جلبنارلى – ثالث – ص ٤٤) .

(١٧١) اللفظ لا يهم فى الدعاء إلى الله المطلع على ما فى القلوب إنه يتجاوز الاعوجاج فى اللفظ وعدم حسن التعبير إن صحت النية ، ولمولانا جلال الدين فى هذا المجال معالجة أكثر تفصيلا فى الكتاب الثانى فى قصة « موسى والراعى » (الكتاب الثانى – الأبيات من ١٦٢٠ إلى ١٧٧٤) .

(١٧٢ – ١٧٩) يضرب مولانا مثلا على عدم أهمية مخارج الألفاظ إذا صحت النية وصلح القلب – أو عدم أهمية الظاهرة إذا صلح الباطن عموما – أو أن خطأ المحبوب أفضل من صواب غير المحبوب بهذه القصة عن بلال ، وهى فى الظاهر مأخوذة عن حديث موضوع هو « سين بلال عند الله شين » كما ورد نظيرها فى تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار عن الحسن البصرى ، الذى صلى وراء الصوفى حبيب العجمى ولما رآه يقرأ الحمد (الهمد) انصرف عن الصلاة خلفة ، فعاتبه الله تعالى في نومه قائلا : « إن هناك فرقا كبيراً بين تقويم اللسان وتقويم القلب » (مآخذ / ٨٨ – ٨٩) وإخوان الصفا ١٧٩ ليس مقصودا به الجماعة التى تحمل هذا الاسم .

(١٨٠ - ١٨٦) الرواية الواردة فى الأبيات مبنية على ما ورده الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره ، قال عليه السلام : أدعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها ، قالوا يارسول الله ومن لنا بتلك الألسنة قال يدعو بعضكم لبعض لأنك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك (مأخذ ٨٩) وفى الجامع الصغير ، دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل فكلما دعا لأخيه بخير قال الملك أمين ولك بمثل ذلك » و«دعوتان ليس بينهم وبين الله حجاب ، دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخية بظهر الغيب » جلبنارلى - ثالث - ص١٠٧ - ص١٠٨ .

(١٨٩ - ١٩٧) نقل يوسف بن أحمد عن نجم الدين كبرى أن الذكر هنا يحتوى على فاء التعقيب معناه أذكركم فاذكرونى كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ويحبهم ويحبونه (مولوى / ٣ - ٣٨) ، ويفسر مولانا هنا فكرة طالما تناولها فى المثنوى وفحواها أن الله هو الذى يلهم الدعاء ، وهو الذى يجيب ، والدعاء والاستجابة من الله ، أو كما يعبر هنا : يا الله هى لبيك ، وواضح فى البيت ١٩٦ أن مولانا يقصد أن الخوف من الله وحب الله كلاهما جذب من قبل الله ، وهو دائما ما يستجيب لتضرع الصادق ورجل الحق « فى الكتاب الأول » يارب واحد منه مقابلها ستون لبيك بيت ١٥٨٨) .

(١٩٨ - ٢٠١) وكما أن الدليل إلى الدعاء هو جذب من الله تعالى أنه يسد باب الدعاء أمام من ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ، فلا إذن لهم يقول « يارب » ، ويصل الأمر ألا يبتلى من لم يؤذن له بالدعاء ، « وإذا أحب الله عبداً ابتلاه » فكان البلاء هنا عطية من الله تعالى لأنه يدفع للدعاء المقرون بالاستجابة .

(٢٠٥ - ٢١٠) والمخلوقات الأخرى ، حتى المخلوقات التى يقال إنها نجسة كالكلاب (وتعاطف مولانا جلال الدين مع هذه المخلوقات مشهود فى مواضع

عديدة من المثنوى كما سنرى) ليست محرومة من الدعاء ، لأن كل راغب أسير لمانع ، فإن خلص قد نجا (مولوى / ٣ - ٤١) وكما يصل الإنسان بالدعاء والتقرب إلى الخروج من الطبيعة الإنسانية وكذلك بإرشاد المرشد ، فإن الكلب يستطيع ذلك ، والمثال كلب آل الكهف ، وهو مثال يتكرر عند الصوفية كثيراً عن الرياضة والسلوك والعبادة التى يمكن أن تغير من الطبيعة ، فهو مع الملوك أى أصحاب الكهف فى الغار ، وهو يشرب ماء الرحمة بلا كأس ، لأنه متى يسع هذا الماء المعنوى كأس ؟ أما الذين يرتدون جلود الكلاب فهم الذين تزدريهم العين لقبح منظرهم أو لسوء هندامهم ، هم الشعث الغبر الذين لو أقسموا على الله لأبرهم .

(٢١١ - ٢١٨) ينتقل مولانا جلال الدين إلى فكرة أخرى يقرنها بالدعاء ، فالدعاء فى حاجة أيضا إلى عمل وجهاد مع النفس وصبر على مصاعب الطريق وعدم الشكوى من صعوبة الطريق .. وحسن اختيار المرشد ، فإن المرشد المزيف الذى لا يعرف الطريق ويدعى أنه يعرفه أكثر خطورة من الذئب ، وهو أشبه بالغول أو بإخوة يوسف .

(٢٢٨ - ٢٣٥) إن العيبة أى « الخُرج » هى الزاد المعنوى والتقوى ، ويشير فى الشطرة الثانية إلى قصة شهيرة من قصص تراث الأدب الفارسى هى قصة العاشق ويس والمعشوقة رامين ، وقد نظمها شعرا فخر الدين أسعد الجرجانى ، إن المعشوق إذن هو ذاتك ، فكن باحثا عن حقيقة هذه الذات ، وكل ما هو سواها مانع . فمن عرف نفسه عرف ربه ، وإلى جوار الصبر والجهاد هناك الحزم وبعد النظر وعدم الاغترار بدعوة أهل الدنيا الذين يجعلون المرء يحيد عن الطريق ، فهى كصفير ذلك الصياد الذى يقلد صوت الطائر لكى يخدع الطيور فتقع فى الفخ (انظر الكتاب الأول بيت ٣١٨) وفى البيت ٢٣٤ الطائر الذى أعطاه الله الحزم أى العبد الذى لا تخدعه الدنيا ولا تلهيه مغرياتها .

(٢٣٦) القصة التى تبدأ بهذا البيت ورد شبيه لها فى كتاب البخلاء للجاحظ وهى قصة المروزى الذى كان ينزل بمنزل العراقى فيكرمه أشد الكرم فيلح على العراقى بزيارته لرد بعض جميلة ، وفى النهاية تعن للعراقى حاجة فى مرو ، لكن المروزى ينكره تماما (طبعة صادر ص / ١٦) (مأخذ / ٨٩ - ٩٠) ويجعل مولانا من هذه القصة بين الحضرى والقروى كعادته فى التعامل مع قصصه مجرد خلفية لإرشاد المريدين والخوض فى الأفكار السامية العالية ، ويشك استعلامى فى كتاب البخلاء كمصدر للحكاية (٣ ص ٢٣٥) ويرى أنها تقدم نموذجا بشريا للجحود والنكران والخداع يتكرر فى كل عصر وفى كل بيئة ، وربما قرأها مولانا فى كتاب آخر أو سمعها من شيوخة أو رفاقه أو نقلها اقتباسا واستيحاء من الحديث النبوى الذى ذكره فى الأبيات من ٥١٨ إلى ٥٢٣ ، عن تأثير القرية في العقل وسيرد فى حينه . والقصة آية فى فن القص سواء من ناحية الحبكة أو من ناحية السرد أو من ناحية الحوار أو من ناحية مطابقة الحوار للشخصية ، وتسودها روح ساخرة ترجح الرأى القائل باستنادها إلى الحكاية المروية عند الجاحظ ، وقد عرض الزميل الفاضل الدكتور رجاء جبر للقصة فى كتابه « فى الأدب المقارن دواسة فى المصادر والتأثيرات لثلاثة من الأعمال الأدبية العالمية » (القاهرة - مكتبة الشباب ١٩٦٦ - ص ١٣٧ - ١٧٦) وحللها تحليلا عظيما وترجم بعض أبياتها أثناء تحليلها ويرى الزميل الدكتور رجاء أن الرحلة إلى القرية ترمز إلى كل ما هو مضاد للمعرفة والعقل والدين ، ودعوة القروى للمدنى هى دعوة إلى الجهالة والانسياق وراء خداع الشكل والظاهر (ص ١٦٠) ، وفى تفسير آخر ليوسف بن أحمد أن القروى هو النفس والحضرى هو العقل والأبناء هم الحواس ، ولا شك أن المفسرين القدامى لجلال الدين كانوا يحاولون ربط كل ما ورد فى المثنوى بأفكار جلال الدين العرفانية ، وسوفى تنبئ القصة أثناء تحليلها هنا عن معان أخرى كثيرة .

(٢٥٠) طائر اللقلق من الطيور التى تهاجر فى فصل الشتاء ثم تعود فى بداية الدفء ، وتقيم عادة بأعلى المآذن أو قباب المساجد ، ومن ثم يسمى « حاجى لقلق » وانظر إلى سخرية جلال الدين وهو يصف تردد الريفى على المدينة فى موعده وأنه طائر « اللقلق » ، فضلا عن أن تصور الريفى طائر اللقلق بساقيه الرفيعتين وريشه المتهدل ووقار مظهره يضيف صوراً فنية عديدة إلى هذا المعنى .

(٢٦٣) يخاطب الحضرى ابنه بلقب « سيبويه » ويقصد به طبعاً النحوى المشهور أبا بشر عمرو بن عثمان البيضاوى مؤسس علم النحو المتوفى سنة ١٨٣ هـ أو سنة ١٨٥ هـ ، وذلك لأنه « استفاض » فى محاولة إقناع أبيه بالسفر إلى القرية ، ومن المستبعد بالطبع ما ذهب إليه استعلامى (٣ / ٢٣٥) من أن مولانا استخدم الكلمة استخداما لغويا ، ويقصد أن ينادى ولده « ياتفاحتى الصغيرة » ، والشطرة الثانية مثل مشهور أورده الميدانى كمثل من أمثال العرب ، كما ينسب أيضاً إلى الإمام على رضى الله عنه ويرى جلبنارلى (ثالث / ١٠٩) أن قول الإمام على هو « احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع » والمعنى بعيد ، ويعلق مولانا بحديث عن الصداقة فيرى أنها بذرة النفس الأخير ، أى من الذخائر التى يعدها المرء لأخريات حياته وليس من اليسير بمكان أن يهب صداقته لأى إنسان ، بل يجب أن يبحث عن صحبة كالربيع لاصحبة كالشتاء القارس فى المزارع ، وينبئ الحضرى هنا بحسه الداخلى عن عدم استراحته للسفر إلى الريف وعدم حسن ظنه بالريفى « فسوء الظن من حسن الفطن » وقد نسبه إلى الرسول ﷺ ، وورد فى الجامع الصغير ، لكنه ورد أيضا فى مجمع الأمثال للميدانى منسوبا إلى أكثم بن صيفى ، ويقدم مولانا جلال الدين فى الأبيات التالية درسا عن الطريق : فحذار للسالك من أن يظن الطريق ممهدا ، فالصحراء تبدو ممهدة مستوية ، لكن كل قدم منها تحته

فخ على السالك أن يحذره ولا يكون كالماعز الجيلى الذى لا يرى الفخ فيقع فيه من جهله وغفلته وعدم حزمه ، بل إن الظواهر نفسها تدلنا على الفخاخ ، فهل يوجد الشحم والدسم فى المزرعة ؟ إنه إن وجد فلابد أنه لفخ ويشير مولانا أيضاً فى هذا المثال إلى أنه لا يوجد « غذاء معنوى » فى المزرعة « الريفية » فإن وجد (تظاهر الريفى) فلابد أنه زيف وشبكة صياد وفخ .

(٢٧٦) إن كانت لك بصيرة ربانية فامض فى الطريق ، وإن لم تكن لك بصيرة فاستعن بعصا (مرشد) وإن لم تكن لك هذه العصا ، فهناك عصا أخرى تعتمد على العقل والطهارة الأخلاقية (الحزم والاستدلال) .

(٢٨١) الصورة تكررت فى الكتاب السادس الأبيات ٤٠٩٣ – ٤٠٩٥ .

(٢٨٢) القصة التى تبدأ بهذا البيت معتمدة على قصة سبأ كما وردت فى القرآن الكريم (أنظر سورة سبأ الآيات ١٥ – ١٩) ، ويبدأ مولانا القصة هنا ثم يتركها غير كاملة لأن الاسترسال فى موضوعات إرشادية يقطع سياق القصص عنده دائما ولكنه يعود إليها ثانية ابتداء من البيت ٣٦٤ والبيت ٢٦٠٢ – لكنه يتخذ من هذه القصة منطلقا لتقديم تصوير حى للقصص الدينى عن طريق المناقشات التى تجرى بين الأنبياء الذين أرسلوا لسبأ وعددهم ثلاثة عشر (أنظر البيت ٢٦٧١) وهذا فى حوار حى مفعم بالنقاط العرفانية .

(٢٩٣ – ٢٩٧) ينتقل مولانا من الصور التى يأخذها من الحياة ، ومن الحوار بين « الكلاب » إلى أوج بيانه العرفانى ، فها هو يخاطب الناكص عن « أبواب القلوب » من أهل الحق والعارفين بعد أن نال غذاءه الروحانى من ماء الحياة (الماء المذكور فى الأساطير الفارسية أن من يشربه يعيش إلى الأبد . وهو ماء الحياة وماء الاسكندر وماء الخضر وماء الحيوان) ، والمقصود بالانسلاخ عن الذات الخلاص من نوازع النفس ، والدب بالطبع لا يطوف على

باب كل دكان ولكن المقصود هنا هو اللاعب بالدب « الذى يطوف بدبه بين الدكاكين ليتكدى به » .. وفى رقم ٢٩٦ يرى أن الدسم الحقيقى هو « دسم » الروح من المعانى والإرشادات ومن الأفضل هنا أمر القانط ، أى أن القانط من رحمة الله عليه أن يلزم هذه الأبواب ، أهل الروح وأهل المعنى ، أو خير للإنسان هنا أن يقنط مما فى أيدى الناس .

(٢٩٩ - ٣٠٦) يضرب بعيسى عليه السلام المثل على أبواب أهل القلوب المفتوحة أمام مكدودى الدنيا ومرضاها ومتعبيها على ما ورد فى القرآن الكريم ، والمقصود بالطبع أنه إذا كان باب عيسى قد أغلق ، فإن من رحمة الله سبحانه وتعالى على خلقه ألا يغلق باب هذه الرحمة ، وأن يوجد فى كل عصر من أهل القلوب والأولياء وأبدال الحق من يقومون فى عصورهم بما كان يقوم به عيسى عليه السلام فى عصره .

(٣٠٧ - ٣٢٢) يتوجه مولانا جلال الدين بالحديث إلى المريدين الذين ينكصون عن عهد الشيوخ وميثاقهم ويضلون عنهم تمهيدا لأن يضلوا عن أنفسهم أيضاً فالمنكر لشيخه غالبا ماينكر ذاته ويتخبط فى متاهات الدنيا ، ثم يعود فى الأبيات (٣١٤ - ٣٢٢) إلى الحوار الذى يجرى بين الكلاب الوفية والكلاب الجحودة وزجرها إياها عن التحول عن « الباب الأول » و « الجرى بين الأبواب » (أنظر أبيات (٢٩١ - ٢٩٢) ويضرب المثل أيضا بكلب أهل الكهف (أنظر الأبيات ٤٠٦ - ٤٠٩ من الكتاب الأول وشروحها) .

(٣٢٣ - ٣٣٠) إن الوفاء بالعهد من الأهمية بمكان بحيث يفخر به الله سبحانه وتعالى ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ (التوبة / ١١١) لكن الوفاء لا يليق مع غادر لعهد الله تعالى ؛لأن حقوق الله دائما سابقة على حقوق البشر ، ويضرب المثل بحق الأم وهو مقدم على كل حقوق البشر ، لكنه لا يقدم على حق الله تعالى ، لأن الله تعالى هو الذى وضع « الأمومة » فى طبعها وجبلتها ، فلا

تفترض أن هذا الأمر منها هى .

(٣٣١ - ٣٣٧) يناجى مولانا جلال الدين الله سبحانه وتعالى : ياقديم الإحسان ، أى يامن إحسانك علينا منذ الأزل « الحق سبحانه وتعالى عند الحكماء فاعل بالعناية وعند العارفين الشامخين فاعل بالتجلى (سبزوارى / ١٩٣) يامن حفظك لنا قديم قدم العهد حتى قبل أن تأتى بنا إلى عالم الصورة ، منذ أن أخذتنا من ظهورنا ، وأشهدتنا بالربوبية وهذا المعنى فى سورة (الأعراف / ١٧٣) فكل الوجود منك حتى الذكر فإنك أنت الذى أمرتنا بالذكر ، وحفظتنا مرة ثانية كنطف فى ظهور أجدادنا عندما كنا فى سفينة نوح - وفى البيت ٣٣٥ يذكر الماء النارى الطبع إشارة إلى ما يروى من أن طوفان نوح قد بدأ من تنور عجوز فى الكوفة ، وإنه انبعث من هذا التنور مايشبه البركان (استعلامى ٣ / ٢٣٨) .

(٣٤٨ - ٣٦٣) إن هذا الحفظ الإلهى فى حاجة إلى شكر من الإنسان ، لكن الإنسان الذى لا يؤدى حق المنعم بشكر نعمته يتعرض للعذاب ليس فى الآخرة فحسب بل وفى الدنيا أيضا ، ويؤكد مولانا جلال الدين كثيرا على هذه الفكرة أن العذاب ليس فى الآخرة فحسب ، بل إن الله سبحانه وتعالى لكى يحمل عبده سبحانه وتعالى على الجادة ، يرسل إليه من المشاعر الداخلية والأحوال ما يخزه فى هذه الدنيا . وكأنى بمولانا جلال الدين كان يرى فى ذلك العصر المبكر أن المجرم هو أول من يعاقب نفسه ، وقد وردت الفكرة عن سنائى أيضا : إذا فاتتك صلاة فانظر إلى نفسك تصير من المرضى « سنائى ديوان ٤٣٦ » وإن العقاب على الجريمة ليس من اللازم أن يأتى من الخارج (الفكرة التى قامت عليها رواية الجريمة والعقاب لديستيوفسكى ، وكثير جدا من الأعمال الأدبية المعاصرة) ، ويعبر مولانا عن هذا العقاب الداخلى بمصطلح القبض (الانقباض ، الاكتئاب ، الحزن بلا سبب ظاهر) ، إنه - أى مولانا - يخاطب المريد الناكص الجاحد على شكل الاستجواب ألم يحس المريد بقبض لأنه ترك وردا من أوراده ؟ إن هذا

القبض يستمر ثم يصير كالغل الحديدى ، أليس هذا يعنى أن بعض أمراض الجسد يبدأ من أمراض النفس ؟ وبدلا من أن يكون واردا (وقتيا) يثبت ويعلن على الملأ ، وهذه هى المعيشة الضنك التى أوعد الله سبحانه وتعالى بها من أعرض عن الذكر (طه / ١٢٤) ، ثم ينتقل ابتداء من البيت ٣٥٥ إلى مثال حى آخر : إن اللص عندما يسرق مال الناس يحس بهذا القبض (الانقباض) ويتساءل بينه وبين نفسه لماذا ؟ ويجيب مولانا ... إن حزن ذلك المظلوم الذى تعرض لأذاك ، ولا يلبث أن ينقلب « قبض » القلب إلى « قبض » الشرطة والعسس ، ينقلب ككل شعور يرسخ إلى « عمل » ظاهر معلن على الملأ ، ومن ثم فعلى المرء أن يتتبع مشاعره فهى أشبه بجذور إن لم تقتلع فإنها سريعا ماتؤتى أوراقها وثمارها وتنتشر من القلب « على الملأ » ، وعلى العكس فإن « بسط » القلب وسروره أيضا فى حاجة إلى متابعة مباشرة حتى يؤتى ثمار الروح التى يمكن أن تؤثر بها الأصدقاء .

(٣٦٨) المقصود ما ورد فى الآية الكريمة ﴿ ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ (١٩ سبأ) يقول يوسف بن أحمد : يروى أنه كان بين سبأ والشام أربعة الآف قرية عامرة ، فطلب أغنياؤهم من الله أن يجعلها فيافى وقفارا حتى يتطاولوا على الفقراء بركوب المطايا وحمل الزاد . (مولوى ٣ / ٦٦) .

(٣٧١ - ٣٧٢) يرى استعلامى أن مضمون الأبيات العربية شبية بشعر نسب إلى امرئ القيس هو :

يتمنى المرء فى الصيف الشتا	فإذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد	قتل الإنسان ما أكفره !

وواضح من صياغة هذا الشعر ومن لغته أنه لا يمكن أن يكون لامرئ القيس .

(٣٧٤) إن النفس شبيهة بهذا الإنسان الكفور ، ومن ثم فهى جديرة بالقتل .

ومن هنا قال موسى عليه السلام : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ « يفسر نجم الدين كبرى الآية بما يذهب إليه مولانا جلال الدين : ارجعوا إلى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم إلا بقتل النفس بقمع الهوى لأنه هو حـــــياتها » (مولوى ٣ / ٦٦) وفسرها يوسف بن أحمد : أى ليقتل البرىء المجرم (مولوى ٣/٦٦) .

(٣٨٠ – ٣٨٩) يعود مولانا إلى فكرة يؤكد عليها كثيرا (انظر الكتاب الأول ١٢٦٤ – ١٢٧١) وهى أن القضاء الإلهى يمحو كل قدرة أخرى نراها فى الوجود وينقل جلبنارلى (ثالث – ص ١١١) حديثا نبويا هو « إذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره ، فإذا قضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة » ، وكحل العين ، فى البيت ٣٨٢ هو قدرة الحق القريبة من الأبصار قرب الكحل من العين ، وفى ٣٨٣ – ٣٨٤ الفارس هو القضاء الإلهى والقدرة الإلهية ونحن أسارى لمظاهرها وآثارها ولا نرى من الفارس إلا الغبار (استعلامى ٣ / ٢٤٠) ويرى يوسف بن أحمد أن الفارس هو الله والغبار أسباب الدنيا (٣ / ٦٧) والفارس هو الحقيقة والغبار هو غبار الطبع والأغراض والأمراض التى تخفى وجه الحقيقة ، وكعادة مولانا فى تكرار الصور (المثنوى كتاب تعليمى فى الحقيقة كتب ليعلم المريدين ، فانظر كيف كان المريدون يتعلمون منذ ثمانية قرون) يكرر هذا المعنى فى صورتين : الذئب والأسد ، ويضرب بالذئب مثلا للقدرة الإلهية خاصة عند القهر والغضب .

(٣٩٠ – ٣٩٧) ينتقل مولانا جلال الدين من الحديث العام إلى الموضوع الذى يتناوله وهو موضوع أهل سبأ فالذئب هو القهر الإلهى والخراف هم الضالون الذين يغمضون العين عن راعى العقل » أو فى حالة أهل سبأ ينصرفون عن أنبياء الله الذين أرسلوا لهدايتهم ، وتمسكوا بالحمية حمية الجاهلية ، ظلموا الأنبياء ومزقوا صدورهم .

(٣٩٨ - ٤١١) يتحدث مولانا عن تعرض القلب والروح للظلم فى سجن الجسد ، إن القلب « الباحث عن الحق » مقيد فى « حى النفس » ، إنك تعامله كالحيوان ، تحاول أن ترضيه بمنافع الدنيا ، تحضر له عجلا حنيذا كى يشبع «ويسمن » وأولى بك أن تحمل هذا العجل إلى مستودع التبن فإن قوت الروح هو رؤية الله ومشاهدته إنه - أى القلب الباحث عن الحق - يستغيث بالله فى هذا البلاء ويرجو منه العون على هذا الذئب العجوز (النفس) ، إنه أى القلب الباحث عن الحق يشبه نفسه فى إسار الجسد بالأنبياء فى إسار الكفار : محمد ﷺ فى تعامله مع اليهود ، وصالح عليه السلام فى سجن ثمود ، فكما وهب الله تعالى السعادة لأرواح الأنبياء تطالب الروح بالسعادة ، تطالب الروح بأن يدعوها إليه ، أما تعال : فلا تعنى المجئ بل تعنى فى رأى ليوسف بن أحمد : تجل بجمالك واقطعنى عمن سواك (٣ / ٧٠) فالكافر نفسه لا يستطيع أن يصبر عن الرؤية ، إنه القائل يوم القيامة عندما يرى حرمانه من الرؤية والمشاهدة (ياليتنى كنت ترابا) (النبأ / ٤٠) ، ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى الروح بلطف طالبا منها أن تتجمل بالصبر ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يسعى من أجلها ، يعمل فى جذبها برسن اللطف إلى حضرته ، وفى الكتاب الأول :

إنه يبدى نفسه للقلوب وهو الذى يخيط خرق الدراويش (بيت ٦٨٥) .

(٤١٩ - ٤٣٢) الرفيق المذكور فى البيت ٤١٩ المقصود المقصود به أهل الله والرفاق فى الطريق أما كنز الفقير فهو المرشد ورجل الحق فهو فى الظاهر معدم لكنه خازن خزانة الله فى الحقيقة ، وفى الأبيات من ٤٢١ فما بعدها أسباب نزول الآية الكريمة (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) (الجمعة / ١١) وحوار البازى والبط فيما يقول زرين كوب (سرنى ١ / ٣٠٠) مأخوذعن نظامى دون تحديد .

(٤٥٣ – ٤٦٤) ينتقل من الحديث عن الأرض إلى الحديث عن « الأرضى » أى الإنسان ، إذ كانت الأرض مستسلمة لحكم القضاء ، ومن هذا الاستسلام يكون لها الزرع والثمر والرياض والبساتين فأولى بالإنسان وهو من تراب هذه الأرض أن يستسلم ، وقد ورد هذا الربط فى شعر لسعدى :

لقد خلقك الإله الطاهر من تراب إذن فتواضع أيها العبد كالتراب

(بستان – كليات ص ٤٠٨ طهران ١٣٥١ هـ ش)

فكما تستسلم البذرة فتنبت حبا وسنابل سامقات ، على الإنسان أن « يسلم » ، وفى هذا التسليم علو له ، فكما ينزل كل شئ من أعلى ، ثم يصعد إلى أعلى مرة ثانية ، فقوسا الصعود والهبوط ليسا خاصين بالسير العلوى الإنسانى ، بل هى قاعدة إلهية تجرى على كل المخلوقات : فكلهم رجعتهم إليه ، وكل شئ هالك إلا وجهه . علق السبزوارى على قوله كل الأجزاء سواء فى تحرك أو سكون : إن الأشياء إذا كانت ساكنة من جهة فهى متحركة من جهات وطالبة للحركة واتجاهها إلى المطلوب ، فالنباتات ساكنة فى المكان لكنها ذات حركة فى المقدار اللهم إلا فى وقت الوقوف وكذا كل شئ يبدو ساكنا (ص ١٩٦) .

(٤٦٦ – ٤٧٣) يعود ثانية إلى قصة الحضرى والقروى ، وكيف أن القضاء يجعل القوى مغلوبا للضعيف ، يسلبه لبه ، يستطيع سليمان أن يحبس الجنى والشيطان فى زجاجة ويلقيها فى اليم ، ويمضى هاروت نحو الفتنة والضياع والسجن فى بابل ، (مضامين سبق لمولانا تناولها : انظر الكتاب الأول الأبيات ١٢٠٢ ، من ١٢٣٦ – ١٢٤٢ ، ١٢٤٢ – ١٢٧١) هنا تلميح إلى قول منسوب إلى الإمام على أنه عندما سمع قول أفلاطون إن العالم كرة والأرض نقطة والأفلاك قسى والحوادث سهام والمواليد أهداف والله كالرامى : قال : ففروا إلى الله (سبزارى ص ١٩٦) ولا حيلة إلا الفرار من القضاء إلى القضاء ، فلن ينجو

إلا من يلجأ إلى الله ، ولا يستطيع « تربيع » أى طالع سوء أن يجد سبيله إليه ، والتربيع فى اصطلاح علم الهيئة اسم نقطتين فى مسير القمر حول الأرض بحيث يبدو نصف القمر مظلما ، وفى علم التنجيم يعنى وقوع نجمتين فى منطقة البروج بحيث يكون بينهما برجان ، وينظر أحدهما إلى الآخر فى الخانة الرابعة ، ويعتبر المنجمون هذا الوضع من طوالع النحس (استعلامى ٣ / ٢٤٣ – ٢٤٤) .

(٤٧٤ – ٤٨١) ضروان موضع فى اليمن على بعد فرسخين من صنعاء ووردت قصة أهل ضروان فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿ ولا يستثنون ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿ فأصبحت كالصريم ﴿ فتنادوا مصبحين ﴿ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴿ بل نحن محرومون) (القلم ١٧ – ٢٧) فى رواية كان أبوهم أهل خير وإنفاق فلما مات بخلوا بحق الفقراء ، فأرسل الله على مزارعهم نارا بليل أحرقتها عن آخرها (مآخذ / ١٦٩ – ١٧٠) ومن الواضح أن مولانا سيترك القصة بعد عدة أبيات .. إلى أن يعود إليها فى الكتاب الخامس ، والشطرة الأولى من البيت ٤٧٩ مقتبسة من الآية الكريمة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك / ١٤) ، وفى البيت٤٨١ اقتبس الشطرة الثانية من الآية الكريمة (وأحصى كل شئ عددا) (الجن ٢٨) واقتباس الآيات القرآنية فى أشعار الشعراء الفرس الكبار ظاهرة ملحوظة عند سعدى وحافظ وجلال الدين ، ولعلهم كانوا ينقلون عن القرآن الكريم خوفا من اللحن عند الكتابة بالعربية .

(٤٨٢ – ٤٨٧) يترك مولانا قصة أهل ضروان ، ليتحدث عن هجر المحزون

أى إلى بث الروح التى تتألم من ألم الهجر (انظر ترجمة أغنية الناى فى الأبيات الأولى من الكتاب الأول وفى كتاب فصول من المثنوى للدكتور عبد الوهاب عزام) ، وانظر إلى قول مولانا فى البيت التالى : إنها زكاة تلك التى تؤديها للمحزون باستماعك إليه يبث شكواه ، إن مجرد البث والشكوى راحة للمحزون وسلوى له ، فالروح شريفة نزلت فى منبت الشرف ومن النفخة الإلهية وحبست فى الماء والطين « أى الجسد » ، ويشبه الإصغاء لهذا البث والشكوى كأنه « كوة » تخرج الدخان من قلب المكلوم أو المحزون ... ويطلب من السالك أو من عابر السبيل أن يقدم هذا الإصغاء .

(٤٨٨ - ٤٩٦) تتناول الأبيات شكوى الروح ، أو شكوى ذلك الإنسان الذى يحس بهذه الروح وبترددها بين الجنوح نحو موطنها ومنبتها الأول وبين سجن الجسد والطين ، وهو ميدان الصراع عند الصوفى أو السالك ، أو القضية الأولى فى جدلية العرفان إذا جاز لنا التعبير ، ويدق عليها مولانا كثيرا ، ويتركها ويعود إليها فى مواضع كثيرة وقد عبر مولانا سنائى عن هذه الجدلية فى بيت واحد :

ماذا أفعل بالجسد ولست من الطين ؟ وماذا أفعل بالروح ولست من عليين

(ديوان سنائى - تهران ١٣٦٢ هـ ش . ط ٣ ص ٣٨٥) .

إن هذا التردد عقبة لأنه لا يزال يجذب الإنسان نحو الماء والطين ، ولا حل كما يعبر مولانا فى هذه الأبيات إلا التعلق بمن يعرف الطريق والسير فى أثره أو كما عبر عنه مولانا سنائى : «التعلق بأهداب سرج صاحب دولة أو مقبل «ديوان سنائى ٤٨٦ » . أما السير على النار فهو يعنى السير فى الطريق الصوفى المحفوف بالمخاطر والمليء بالعقبات ، ولا ينجو فيه إلا من حرره الله تعالى من الخوف ، وخاطبه كما خاطب موسى عليه السلام (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى)

(طه / ٦٨) ، غير أن هذا الخوف هو السبيل إلى جذب رحمة الحق ، على المرء أن يخاف ويحس بالقلق إن لم يحس فى قلبه بالخوف ، وفى هذا الموضع روايات كثيرة عن الصوفية أبرزها ما قاله السرى السقطى « إنى لأنظر فى المرآة فى اليوم سبعين مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهى » ويعلق صاحب شرح التعرف على هذا القول « وهذا لأن الرسول - ﷺ - قال وجه المؤمن مرآة قلبه ووجه الكافر مرآة قلبه » . وقالوا إن بياض وجه المؤمن يوم القيامة هو نور إيمان قلبه وروى عن السرى أيضا : لا أحب أن أموت حيث أعرف مخالفة ألا تقبلنى الأرض وكل هذه الأمور نابعة من أن تكون العبادة عن رياء أو خوف أو طمع (شرح التعرف لإبراهيم بن المستملى البخارى ٢ / ٨ - ٩) ويطول الكلام فى هذا المجال . أى أن تكون عبادته رياء وعجبا ويشعر بالزهو من تعظيم الخلق « وسوف يرد هذا المعنى » فيسود الوجه ، فغير الخائف لا إذن له بالطواف حول هذا المحل .

(٥٠٢ - ٥٠٦) فى هذه الأبيات العربية يستلهم مولانا القرآن الكريم أيضا (انظر تعليقات ٤٧٤ - ٤٨١) فأبناء الحضرى فرحون ، لكن العقل الواعى بالحقيقة المنتبه إليها الذى بينه وبين القلب كوة (وهو غير عقل الفلسفى الذى يعتمد على الظواهر) يحذر من أن الفرح بغير الله ترح وبُعد عن الطريق ، وفى البيتين (٥٠٤ - ٥٠٥) اقتباس من الآية الكريمة ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ « القصص ٧٦ » فى خطاب قوم موسى لقارون ، وفى البيت رقم ٥٠٦ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (الحديد/٢٣) وفى هذا المعنى حديث روى عن الرسول - ﷺ - وكل ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك » (استعلامى ٣ / ٢٤٥) .

(٥٠٨ - ٥١٦) الاستدراج فى مصطلح الصوفية هو الأمور الخارقة للعادة التى تبلغ الكرامة وتصدر عن المدعين بل والمنكرين والمرائين وينخدع بها السذج فيقعون فى شراكهم ، وجلال الدنيا وعظمتها وشوكتها وملكها كلها من أمور الاستدراج ، ويفضل الحزن كل هذه الأمور ، لأن الحزن هو الذى يوصل إلى المليك . فحزن الروح هو الذى يجعلها تحن إلى أصلها ، وحزن الجسد هو الذى يحفز الروح على مقاومة النفس وأهوائها وكل هذا منه طريق النجاة ، ولا يقدر على هذا سوى الرجال ؛ أى رجال الطريق الذين يستمدون من رجولة الهمة والخلق وليس الجنس ، فرب امرأة فى الطريق أفضل من مائة رجل ، أما الأطفال - وهم من لم يصلوا إلى مرتبة الرجولة فى الطريق - فهم الذين يغريهم لهو الدنيا ولعبها وزينتها ، أما المقصود بصحراء القلب فى البيت ٥١٤ فهو طريق معرفة الحق ، وفى مقابلها صحراء الطين ؛ أى الدنيا والحياة المادية - « وسارية » هو المذكور فى رواية سيدنا عمر الشهيرة : « ياسارية الجبل » . ومن العجيب أن الشارح محمد استعلامى الذى يشرح جلال الدين الرومى لا يقترب من هذا البيت وهذا لأسباب لا تخفى .. وهذه الكرامة لعمر رضى الله عنه وهى مشهورة وفحواها أن عمر سير الجيوش وعلى رأسها « سارية » وعلى المنبر أبصر بعينى القلب أن العدو كمن للمسلمين خلف الجبل فصاح من فوق المبنى ياسارية الجبل وسمعه سارية ، وأعجب منه شرح السبزوارى (الفيلسوف) الذى فسره لفظيا فقال عن سارية إنه بعض (الجماعة السارية) ولم يذكر عمر (ص ١٩٧) .

(٥١٧ - ٥٢٣) ينقل يوسف بن أحمد حديثين نبويين أولهما « التوطن فى القرى قبر للنهى » والحديث الثانى « ساكن الكفور كساكن القبور » (٣ - ٨٧) كما أورد فروزانفر حديثا آخر هو « من سكن فى القرى يوما تحمق شهرا ومن

سكن فى القرى شهرا تحمق دهرا » (استعلامى ٣ - ٢٤٦) ، وفى معارف بهاء ولد (والد مولانا جلال الدين) ٢ / ٨٩ تحقيق فروزانفر - طهران - ظهورى - ط ١٣٥٢ هـ ش) يقال الريف مقبرة العلم إذ يندرس فيها العلم ، وتجوع بطن الذئب ، ويكون الجو قبرا ، والقرية هنا كما يفسر مولانا نفسه فى الأبيات التالية رمز للمكان الذى لا يحصل فيه المرء على بضاعة القلب ، كما سنرى فى سياق القصة فيما بعد ، والعمى المذكور فى البيت (٥٢١) هو عمى الباطن عن الحقائق ، والقرية أيضا هى الشيخ غير الواصل الذى يريد أن يبدى طريق الحق بالتقليد أو بالاستدلال وفى مناقب العارفين للأفلاكى (٢ / ٦٦١ - انقرة / ١٩٦١ (قال ذات يوم أن مولانا عليكم بالسواد الأعظم يعنى بخدمة الشيخ الواصل وإياكم والقرى يعنى صحبة الناقصين ، وفى مقابلها يرى أن المدينة هى « العقل الكلى » المدرك للحقائق الإلهية ، لكن التقليد والحجة كحمار معصوب العين يدور فى طاحون .

(٥٢٤ - ٥٣٤) يترك مولانا سياق القصة لكى يفصل معانيه العالية التى تشبه حبات الدر عن حبات القمح ، إنه يوجه الحديث وهو يعلم أن من بين مريديه قد يوجد من لا يستطيع أن يفهم هذه المعانى فيقول لهم : دعوا الدر وخذوا القمح والدر هو باطن الحكاية أما القمح فهو ظاهرها ، والظاهر قد يقود إلى الباطن كما أن المجاز هو قنطرة الحقيقة ، فقد يوصل العشق الأرضى وهو مجاز إلى العشق العلوى وهو حقيقة ، والقصة ما هى إلا مخيم لكى يدعى الترك وتعنى اصطلاحا فى الأدب الفارسى الحسان إليها والحسان هى الحقائق الالهية .. ويعود إلى القصة بعد أن يشرح هذه الفكرة ، وفى البيت رقم ٥٣٣ إشارة إلى الحديث النبوى (سافروا تصحوا وتغنموا)(ورد فى الجامع الصغير ٢ / ٣٠) .

(٥٣٥) عن الإمام الصادق رضى الله عنه ، قال فى حكمة داود عليه السلام : إن على العاقل ألا يكون ظاعنا إلا فى تزود لمعاد أو مرقة لمعاش أو طلب لذة فى غير محرم (عن جعفرى ٦ / ٣٤٧) .

(٥٣٩ - ٥٦١) يترك مولانا سياق القصة ليتحدث عن العشق ، ويسوق الأمثلة لكى يقرب المعنى من مريديه على جميع مستوياتهم ، فينتقل من فكرة مطروقة هى أن الحنظل من المعشوق يصير رطبا إلى أفكار منتقاة من الحياة من حوله : فالدار تعتبر مرجا من رفيقة الدار أو الزوجة ، وقد تصير جحيما أيضا ، وكل مافى الحياة من كدح فى سبيل رفيقة محبوبة ، فالإنسان يتحمل الشوك فى سبيل محبوب كالوردة ، فانظر الى الحمال : لقد مزق ظهره من حمل الأحمال فى سبيل ماذا ؟ فى سبيل محبوب فاتن ، والحداد فى عمله يصيبه دخان الكير فيسود وجهه .. من أجل ماذا ؛ من أجل أن يقبل قمرية وجه ، والتاجر يجوب البحار ، كما يعود بعدها إلى جليسة منزل والنجار ... وماذا ؟ والسيد المسمر فى حانوته ... لماذا سمر فى حانوته لأن عشق معشوقة كالسرو قد مد جذوره فى قلبه وعن جلبنارلى (٣ / ١١٦) أن هنا إشارة إلى المثل العربى شرف المكان بالمكين إن هذا العالم يحركه العشق ، فما بالك بعشق الحى الذى لا يموت؟ وإذا كان كل ما أنست إليه قد مات ، فما بالك لا تأنس إلى الحى الذى لا يموت ؟ وإذا كانت مشاعر الحب ومشاعر الكراهية تنتهى .. فلماذا لا تتجه إلى العشق الذى لا ينتهى ؟ حتام تعلقك بالزيف وأنت تظن أنه ذهب ؟ وحتام غرامك بالظل والظل نفسه فى أثر الشمس ، وحتام هيامك بالقناة وتركك للبحر إن الدنيا وكل ما هو فيها ما هى إلا جزء من شحم الإلية يوضع فى الفخ كى يصيد الذئب ، فمتى يدرك الذئب هذا ، متى يدرك أنه لا يمكن أن يكون أصل الإلية فخا .. له ؟ والفكرة مأخوذة عن مثل عربى جاء فى مجمع الأمثال للميدانى وهو « إلية فى برية ما هى إلا لبلية » وساقه فى ذيل حكاية أن ثعلبا رأى إلية مطروحة فى مفازة

فتخيل أنها ألقيت بحبالة فجاء إلى ذئب وقال له : ادخرت الأشياء لصداقتك فتقدم الذئب حتى جاء إلى الإلية فلما أراد حملها وقعت الحبالة فى عنق الذئب وسقطت الإلية من الحبالة فتناولها الثعلب وقيل على لسانه ذلك المثل : (عن مآخذ ص ٧٦ فى التعليق على البيتين ٢٧٢٢ و ٢٧٢٣ من الكتاب الثانى – كفافى ٥٤٠) .

(٥٦٧ – ٥٧١) وردت الحكاية الصغيرة التى تبدأ بها هذه الأبيات قبل مولانا فى تمهيدات عين القضاة الهمذانى وإحياء علوم الدين للغزالى وتفسير أبى الفتوح الرازى باختلافات يسيرة (مأخذ ص ٩١) ومولانا مثل كل شعراء الصوفية يطوع الحكاية بحيث تكون صالحة لتبيان الفكرة التى تهدف إليها من نصها :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها لسود الكلاب

(٥٧٨ – ٥٨٥) بما أن الكلب الذى انعكس عليه نور المحبوب ممكن أن يكون محبوبا ومعشوقاً ، يخلص مولانا إلى أنه إذا تجاوزنا التعلق بالصورة فإننا سوف نرى عالم المعنى وهو رياض فى رياض ، والطريق هو تحطيم صورة « النفس » وإحراقها ومن ثم تكون صورة العالم ذليلة ولا قيمة لها ويكون تحطيم الصور فى سهولة تحطيم علَيّ رضى الله عنه لباب خيبر ، ويخلص من الحديث عن خطر « الصورة » إلى القصة : إن هذا الحضرى الساذج مثل طائر خدع بالحب فوقع فى الفخ خدع أيضا بكلام القروى السقيم ، وفى البيت ٥٨٥ : يقول إنه كل أفراحنا مدعاة للحزن فكلها ممتزجة بالخداع وأخشى أن أعددها لك أيها السالك فتقعد عن الطريق .

(٥٨٨ – ٥٩٥) بالرغم ممن أن الحديث يدور حول رحلة السيد إلى القرية ، إلا أن الحديث يمكن أن يفهم على وجه أنه تنبيه عام للسالك ، فالحديث عن ضرورة المرشد ، فالذى يسير على العمياء لابد وأن يضل ، ولابد للأمور من

شكلها الطبيعى ، فالطريق يلزمه مرشد ، فمن النادر أن يظهر إنسان إلا من والدين مثل آدم وحواء وعيسى ، والمال موكول بالعمل ، ومن الأحوال النادرة أن يأتى بلا عمل وأن الرسول ﷺ – لم يكن له جسم بالمعنى المادى بل إن جسمه روح وعلاقته بالله بلا واسطة ؛ ومن ثم فقد علمه القرآن بلا واسطة من القلم من أجل أولئك الذين يريدون فى أعمالهم الواسطة والآلة .

(٦٠١ – ٦٠٤) يصور مولانا وجه القروى فى لقائه للحضرى بأنه وجه كله احتيال وشر ، من الوجوه التى يقف فوقها الشيطان كأنه الذباب ، مستعد كل لحظة أن تخرج كل الشيطانية من هذا الوجه لتقع فى الإنسان الذى ينظر إليه ؛ إنه إنسان عدوانى « بكل معنى الكلمة لا يطيق حتى النظر إليه فما بالك بالنزول فى ضيافته ، هذه هى الوجوه التى قال فيها تعالى (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) (العلق / ١٥) .

(٦١٠) : ما أشبهه بالبيت العربى :

غير ارتضاء رضيت برك بى ، والجوع يغرى الأسود بالجيف .

(٦١٣) فى البيت إشارة إلى الآية الكريمة (يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه) (عبس / ٣٤ – ٣٥) وأوجه نظر القارئ إلى الحوار فى الأبيات التالية بين الحضرى والقروى وكيف تقمص مولانا شخصية الريفى وأجرى على لسانه الحوار الجدير بشخصية تدعى التدين واعوجاج نفسيته فقدم صورة حية كثيرة الحركة .

(٦١٥) : الشطرة الثانية إشارة إلى الإمام على رضى الله عنه :

كل سر جاوز الاثنين شاع   كل علم ليس فى القرطاس ضاع

(جلبنارلى / ٣ – ١١٧)

(٦٢٣) ما أشبهه بالبيت العربى :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند .

(٦٣٨ - ٦٤٤) يقول استعلامى : يتدخل مولانا معلقا داخل القصة : فالحضرى والقروى كلاهما من أهل الدنيا ، لكن الحضرى وهو أكثر وعيا كان عليه ألا يخدع بهذه السهولة وأن يأتى به طمعه (؟!!) إلى القرية (٣ / ٢٥٠) ، والواقع أن الحضرى لم يطمع فى القروى ولا انتظر منه خيرا ، بل جاء وهو ينتظر جزاء إحسانه سوءا .. الواقع أن الحضرى ندم على فوت صحبة الكرام ورجال الله وتفضيل صحبة قروى جلف عليها ، والمقصود بملوك التراب ملوك الدنيا ، وأصوات الطبول أى كلمات جوفاء لا نتيجة منها ، والمقصود بالعقل هو العقل الباحث عن الله ، والغول إشارة إلى أهل الظاهر ، واختار النقل ، اى اعتمد على كلام أهل الظاهر .

(٦٥١) ترجم المفسرون هذا البيت بأنه جسد ذئب وحيد أو متروك أو مهجور ويرى استعلامى (٣ / ٢٥١) أن الأقرب إلى الصواب أن القروى جاء بتمثال الذئب لكى يقيم فخا للحضرى ، ولا أدرى كيف جاءه هذا التفسير ، خاصة وأن ذئبا لم يظهر قط بل كان جحش القروى كما سيبدو ، وذئب وحيد أو متروك أو متهافت أكثر إقناعا على أساس أن الحضرى رأى الجحش فى الظلمة كتمثال لذئب يبدو من وراء التل فأصماه .

(٦٦٧ - ٦٨٠) يرى استعلامى (٣ - ٢٥١) أن هذه الأبيات من كلام مولانا ليست على لسان الحضرى لكنها إفاضات مولانا ، والواقع أن هذه الأبيات على لسان الحضرى نفهم منها أن القروى عندما كان يهرب من الحضرى كان يتظاهر بأنه فى حالة سكر وغيبة بحيث لا يعرفه والواقع أن كثيرا من الأبيات التالية وحتى البيت (٧١٠) يختلط الكلام الذى على لسان الحضرى بالكلام على لسان مولانا . فالقروى الذى ادعى الغيبة وعدم معرفة رفيق عشرة سنوات استطاع أن يميز ضراط جحشة فى الظلمات الثلاث فأى سكر هذا وأية غيبة هذه ؟ ويقدم مولانا خلال هذه الأبيات صورة كثيرة الحركة وشديدة السخرية لفئة

من المتصـوفة فى عـهده (وفى كل عهـد) ليس لهم من التصـوف إلا حفظ بعض المصطلحات والتـفوه بها ، والتظاهـر بالوجد والسـكر والحـال ، وكل منهم يحسب نفسـه فى مرتبـة الجنيد وبـايزيد والقروى نفـسه يخلط بين سكر العـشق وسكر الخمر فيقول فى البيت (٦٧٠) أنا عـاقل ومجنون بالحق واعذرنى عن غيبتى ثم يتحدث عن قاعدة فقهيـة عن بطلان طلاق الثمل أو عتقه أو بيعه (!!) ولأن الادعاء كثـير فقـد كان الامـتحان أشـد والفضـيحة أفـدح ، لأن هـذا الصـوفى الواجـد الثمل الغائب قد فضـحته ريح خرجت من دبر جحش !! فانظر إلى السـخرية .

(٦٨٣ – ٦٩٤) يتحـدث مـولانا عن امتحـان الغيـرة ، أو عن امـتحـانات الله سبحـانه وتعالى التى يمتحن بها صـدق عبده ، وليس الحق فى حاجة إلى امـتحان عـبده بل يهـدف سـبحـانه وتعـالى إلى بيـان الزيف مـن الحق وبيـان المخلص مـن المرائى ، إن الأمـر يشبـه أن يدعى أحد أنه حائك ماهـر فيلقى إليه أحـد بأطلس فاخر ليخيط له قراجـة .. ومن هـذا الامتحان الصعب يبرز له قرنان أى يصـير مضـحكة وسخـرية للخلق ، وهكذا الله سـبحانـه وتعالى لا يرضـى لعـباده أن يكونوا صـيدا للمرائين ، وقـد يمد للمرائى أو العابد طمعـا أو خوفا .. لكن تأتى لحظة الامـتحان الأخيرة مـن حيث لا يدرى أو يحتسـب ، هـذه هـى غـيرة الله سبحـانه وتعالى على عـبيـده ، فلـو لـم يكن الامتـحان ، لظهـر كل مـتنفج مـدع كـذاب مخنث فى صـورة رستم فالمعمعة هى التى تبديه على حقيقته ، ويهاجم مولانا الادعاء : كيف يجعل المدعى من نفـسه الحـسين بن منصـور الحلاج لكنه بـدلا من أن ينظر إلى القطن فى مخزنه فينفصل عنه البذر فى التو واللـحظة (تذكرة الأولياء للعطار ص ٥٦٦) يضـرم هـو النار فى أقطان الرفاق .

(٦٩٥ – ٧٠٠) بالرغم من أن الحـديث يدور حـول مـوضـوع عـام هـو المدعين فى الطريق ، وسـخف قولهم ، وافـتضـاحهم ، إلا أن مولانا يشـير بين الآن والآخر إلى القروى مـوضـوع قصـتنا .. وفى البـيت ٦٩٥ يمكن أن تكون صـفة « يتـبرزون فى الطريق » تشير إلى أهل الريف ويمكن أن تشـير أيضـا إلى من يلوثون الطريق

بفعالهم الدنيئة . والبيت (٧٠٠) إشارة إلى بهلول وهو عارف مشهور قيل إنه كان في عهد هارون الرشيد ويعتبر استعلامي (٣ / ٢٥٣) أن إضافة كلمة « القرية » هنا لا لزوم لها بل جاءت فحسب للقافية ، والواقع أنها في محلها تماما وأن الإشارة هنا إلى القروى الذى ادعى أمام الحضرى أنه عارف « القرية » .

(٧٠١ - ٧٠٩) يتحدث مولانا عن القرب ، والقرب أنواع ، وليس كل من وجد القرب بالذى يمكن أن يؤثر فيه هذا القرب ، وكثيرون هم الذين ينتفجون بالقرب على أساس أن الصانع قريب من المصنوع ، ونصيب كل من تشرق عليه الشمس منها ليس متساويا ، فهناك غصن غض يقبل إفاضاتها وغصن يابس يزداد تيبسا ، والمدعون كأشجار الصفصاف تشرق عليهم الشمس لكنهم لا يثمرون .

(٧١٠ - ٧٢٠) إن السكر الذى يجلب الندم هو السكر بالذات والغرام بها والسكر بهوى النفس ، هو السكر الذى يستطيع صيد الأسود لا صيد الفئران « فى استعلامى ٣ / ٢٥٣ » هذا البيت بأن القط يصيد الفئران ، لكنه لا يستطيع أن يحلب الأسد ، والواقع أن ترجمة « شير » فى الفارسية بمعنى لبن وبمعنى أسد لكن الترجمة لا تحتمل غير هذا المعنى ؛ وهكذا فسره يوسف بن أحمد (٣ / ١١٢) وهكذا ترجمه نيكلسون (III P. / 42) والمقصود بهذه الناحية أى الدنيا وتلك الناحية أى الآخرة والبيت رقم ٧١٦ متأثر ببيت لسنائى الغزنوى :

إنك لا تملك القدرة على الاستغناء فلا تهزل بأحاديث الدراويش

ولا تملك وجها كوجوه العياريين فلا تقتلع روحك عبثا

(ديوان / ٤٨٥)

وفى البيت رقم ٧٢٠ يشبه كل خيالات المدعين بأنها تشبه من يصنع آنية من

الثلج فى الشتاء ، أى أنها سوف تذوب عندما تسطع عليها الشمس .

(٧٢١ – ٧٣١) بعد الحديث عن الادعاء ، يضرب مولانا الأمثال ، وحكاية ابن أوى ودن الصباغ من الحكايات الواردة فى خرافات العرب (مأخذ / ٩٢) ، أو لعلها صورة أخرى فى حكاية تقليد الغراب لمشية الحمامة من الحكايات المشهورة فى كليلة ودمنة ، والقفز على المنبر فى البيت رقم ٧٢٨ مقصود به اغتصاب حق وعظ الخلق دون أحقية أو علم ، وفى البيتين (٧٣٠ – ٧٣١) يعلق مولانا قائلا : إن الإقبال هو لأولياء الحق وليس لكل مدع مراء ، ويترك مولانا الحكاية ليعود إليها فى البيت رقم ٧٦٦

(٧٣٢ – ٧٣٩) لا يزال مولانا (يركز) على موضوع الادعاء ، ويسوق حكاية أخرى فى هذا المجال ، وإن كان فحواها يدل على أنها سيقت لتبرهن على أن المدعى وإن كان راضيا بمظهره إلا أن باطنه يلعنه ، وأن ضرر الادعاء لا يعود إلا على المدعى نفسه ، والحكاية المذكورة فى هذا المجال فيما اتفق عليه الباحثون الإيرانيون من مبتكرات مولانا جلال الدين ، وأنها صارت مثلا ، فعندما يقال مثلا : فى إيران تلك الشحمة سرقتها القطة » فالمقصود أن مجال الاستفادة من شىء ما قد انتهى (انظر داستانهاى أمثال : اميرقلى أمينى ١٩ – ٢٠ أصفهان ١٣٥١) وواضح من الحكاية أيضا أنها شائعة فى المأثور الشعبى المصرى ، وكالعادة يترك مولانا الحكاية ليعود إليها فى البيت ٤٧٤

(٧٤٠ – ٧٤٦) البيت ٧٤٠ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ (المائدة / ١١٩) البيت ٧٤١ إشارة إلى الآية الكريمة (فاستقم كما أمرت) (هود / ١١٢) حتى ولو كان قد فتح عليك بالإفاضات الإلهية فلا تتحدث وذلك خوفا من أن تمتحن ، ويضيف أنه هو نفسه تعرض لمثل

هذه الامتحانات . أما الشطرة الثانية فى البيت ٧٤٥ فهى إشارة إلى جزء من الآية ١٢٦ من سورة التوبة ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ .

(٧٤٧ – ٧٦٥) بلعم بن باعوراء من زهاد بنى إسرائيل وكان معاصرا لموسى وبالرغم من أنه أوتى من الآيات والعلم إلا أنه لم يؤمن بموسى وناصبه العداء ، ويضرب به المثل فى المأثور الصوفى الفارسى على من يضله الله على علم وتأتى قصته دائما فى تفاسير القرآن الكريم على الآية الكريمة ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ (سورة الأعراف / ١٧٥) وفى البيت أيضا إشارة إلى إبليس على أساس أنه كان من أكثر الملائكة عبادة لكنه لم يوفق فى الامتحان الأخير عندما طلب منه أن يسجد لآدم ومنعه كبرياؤه من ذلك ، وهذه القصة أيضا تناولها الصوفية من وجهات نظر عديدة أهمها أن على الصوفى ألا يأمن مكر الله فإنه لا يدرى من أين تأتيه الفتنة ولن يكون أكثر علماً من بعلم ابن باعوراء أو أكثر عبادة من عزازيل ، وعلى عكس ذلك أيضا لا تنظر إلى كافر باحتقار فربما مات مسلما (كتاب ٦ / بيت ٢٥٤١) . وبقية الأبيات ابتداء من البيت ٧٤٨ حتى ٧٦٥ تكمله الرجل الذى كان يدهن شاربه بالإلية وفحوى الحكاية أو الهدف منها يرد فى البيت رقم ٥٧١ وهو أن التنفج والادعاء يمنعان عنا كرم الإله أو كرم رجال الحق ، فأولى أن يظهر الإنسان حاجته حتى يعطف عليه المولى أو يبعث الشفقة فى قلوب قوم يعطفون عليه .

(٧٦٦ – ٧٧٧) عودة إلى قصة ابن آوى الذى وقع فى دن الصباغ ، أو بمعنى أصح المبعد المطرود الذى وقع فى « دن » زخارف الدنيا وبهرجتها وظواهرها ، وكيف أن ابن آوى اعتبر نفسه مظهرا للعظمة والكبرياء الإلهى (بيت ٧٧٠ . وفى

البيت رقم ٧٧٤ : المقصود بطواويس الروح أى أولئك الذين لديهم العظمة الإلهية والكمال والوجود بلا قيد وشروط ، ولهم حالات وتجليات تظهر كل هذا الجمال والأبهة ، وفى البيت رقم ٧٧٥ : يسألون ابن آوى الملون ذاك : هل لك تجليات معنوية مثلهم ؟ فيجيب : لا ، كيف أتحدث عن منى وأنا لم أقطع بادية مكة ؟ كيف أتحدث عن النهاية وأنا لم أقطع الطريق ؟ وكان ابن آوى نفسه أعترف بالعجز على نفسه ، ويخلص فى البيت ٧٧٧ إلى الهدف التعليمى من الحكاية وهى أن : جدارة رجال الطريق لا هى من اللون أو من الكسوة بل هى من الله تعالى فحسب .

(٧٧٨ - ٧٨٩) لا يكاد مولانا يترك فرصة دون أن يسخر من جبارى الأرض أولئك الذين ينازعون الإله رداء كبريائه ، وكيف يصير هؤلاء فتنة للخلق ولأنفسهم ، وهذا هو « فرعون » يرصع لحيته بالجواهر (أو يرصع بزته بالنياشين والأنواط) ، ويظن بهذا المظهر أنه أعلى من عيسى عليه السلام ، وما هو إلا ابن آوى سقط فى دن المال والجاه ، وسجد له الخلق وصدق ، وهؤلاء الخلق هم الذين يخلقون « كل فرعون » فى « كل عصر » وذلك أنه كما روى عن أفضل الخلق - ﷺ - « المال حية والجاه أضر منه » (استعلامى ٣ / ٢٥٦) فكل المتجبرين المغرورين بالدنيا كأبناء آوى الملونة والطواويس المذكورة - بيت (٧٨٤ وما بعده) - هم رجال الله ، وهم المحك الذى يفضح أولئك المدعين الذين يرتدون إهاب الأسود وهو كلاب ولا يمكن أن تتواءم صورة الأسد مع أخلاق الكلاب ، وإلا تعرض لامتحان من زئير أسد حقيقى .

(٧٩٠ - ٧٩٦) يتناول تفسيرا للآية الكريمة التى نزلت فى شأن المنافقين - أى الذين تختلف ظواهرهم عن بواطنهم ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ (محمد / ٣٠) والسياق مناسب بالطبع فالنفاق والادعاء سيان ، والبيتان ٧٩٢ ، ٧٩٣ اقتباس

من قول منسوب للإمام علي - كرم الله وجهه - « كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقة فيعرف ما عنده » (استعلامي ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٧٩٧ - ٨٠٠) قصة الملكين ببابل أي هاروت وماروت من قصص القرآن الكريم التي تستهوي مولانا كثيرا وذلك للدروس الكثيرة التي تقدمها في ميدان العرفان والتصوف ، ومولانا نفسه يذكر أنه تحدث مرات عن القصة (انظر الكتاب الأول الأبيات ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٣٣٣٤ فما بعد ٣٤٢٥ : الكتاب الثاني ٢٤٧٥ ، ٢٤٧٦) وانظر أيضا البيت ٤١٧ من هذا الكتاب) وأنه يعود إليها هذه المرة ليقول جزءا من آلاف الأجزاء أو معنى من آلاف المعاني التي تثيرها هذه القصة في وجدانه العرفاني ، أو كأنه ذكر عضوا واحدا من أعضاء الفيل (انظر الأبيات ١٢٦٠ فما بعده من هذا الكتاب وتعليقاتها) والقصة نفسها مذكورة مع اختلافات يسيرة في كل كتب التفاسير (على الآية ١٠٢ من البقرة) وكتب قصص القرآن (الثعلبي مثلا قصص الأنبياء ٤٢ - ٤٥) ويتناول مولانا القصة من منطلق « الامتحان » وكلما ذكر الامتحان في المثنوي ذكر هذين الملكين ، وكيف كانا يعتبران الذنب خاصا بأبناء آدم وبناء على طلب منهما وبإذن من الله نزلا إلى الأرض حتى يثبتا أن الملائكة أبرياء من الذنوب ، ووضع امتحان الحق في طريقهما امرأة جميلة ، وبعد أن زنيا بها تعرضا لعقاب الحق بأن علقا في بئر ببابل .

(٨٠١ - ٨٠٧) كانا ملكين مقربين وعلى صلة بالروح المطلقة ، وكأنما كانا يشاهدان الإله ويسكران من هذه المساعدة ، لكن هذا السكر كان استدراجا لهما ؛ أي من قبيل تلك القدرة الظاهرية التي لا توصل السالك إلى شيء ، وتصيبه بالغرور ، فيأتيه الامتحان (انظر عن الاستدراج تعليقات البيت ٥٠٨ من هذا الكتاب) وفي البيت ٨٠٢ يتساءل مولانا : إذا كان سكر الاستدراج هكذا فك

يكون سكر المعراج حيث قوبل الرسول فى حظيرة الحق ؟ والحبة فى الشراك المذكورة فى البيت ٨٠٣ هى نفس هذا الاستدراج ومائدة الإنعام هى المعراج أو رؤية الحق . وأية حبوب تستطيع أن تفتقها ؛ أى ماذا يمكن أن تفعل معنا ؟ بالتأكيد تغيرنا وتبدلنا تماما ، وفى البيت ٨٠٤ : ناجيان من الوهق أى حران من الحياة النفسانية والمادية ، قبل أن ينزلا إلى الأرض وفى البيت ٨٠٥ : الامتحان هو امتحان الحق الذى يشبه « ريح الصرصر » التى اختطفت قوم عاد ، وما قوم عاد ؟ إنها الريح التى يكون الجبل فى مهبها كأنه القشة .. ولم يكن لهما أى حس بهذا الامتحان فقد كانا « ثملين » ، وهما فى سكرهما كالعاشق .. الذى لا يرى الخطر أمامه ولا يستطيع أن يدركه .

(٨٠٨ – ٨١٧) فى هذه الأبيات يشبه حالة هاروت وماروت بحالة الماعز الجبلى وكيف يلقى بنفسه فى الخطر عندما يرى أنثاه على جبل آخر وذلك لتشبيه سقوط هاروت وماروت من أجل امرأة .. فالشهوة هى بالفعل التى تعمى العين عن الخطر ، ولعل مولانا فى هذا التشبيه متأثر ببيت ورد فى أسرار نامه لفريد الدين العطار :

حتام تريد السفاد كالماعز فسوف يقصم ظهرك فى هذا طوعا أو كرها

(مآخذ / ٩٢) .

(٨١٨ – ٨٢٧) إن رجل قوى كرستم يكون مصرعه الشهوة نفسيا وهوى النفس والبيت التالى يتحدث عن نفسه وربما يقصد العارف عموما ، وهو يعتبر سكر الشهوة أمرا حيوانيا ، ومثاله فى الجمل الذى يتحمل الأثقال والعطش والرحلات الطويلة فى الصحراء القاحلة لكنه ينوء بكلكله من ثقل الشهوة وسكره بها ، جاء فى (معارف بهاء ولد ٢ / ٣) « سكر الجمل فى كل سنة أربعون يوما فى الربيع فى حالة قضاء شهوته بالناقة وفى السكر لا يأكل شيئا

أربعين يوما » لكن شتان بين سكر وسكر : سكر الشهوة وسكر الملائكة من مشاهدة الحق ، فسكر المشاهدة يقضي على سكر الشهوة الذى يشبه الماء المالح لا تحس بملوحته إلا إذا جربت الماء العذب ، وخمور السماء أى عنايات الحق تجعلنا فى غنى عن أى سكر أو خمر ساق ، ومن ثم فإن الملائكة ورجال الحق ذوى الأرواح الطاهرة ذوو نصيب من هذه الخمر الإلهية بحيث لا يلقون أى بال إلى خمور الدنيا ، وما هى خمور الدنيا ؟ إنها المال والجاه والمقام والمنصب ، أما القانطون والمطرودون من رحمة الله فهم مثل الكفار فى القبور « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » فقد يئسوا من التوبة تماما ، وكانوا كل ما يزرعونه شوكا ، ومتى ينبت الشوك الثمر ؟ وهل ينبت الشوك إلا الشوك ؟

(٨٢٨ – ٨٣٩) يعود مولانا إلى قصة هاروت وماروت ، لقد أمنا فى عصمة الله وثملا بمشاهدة جماله واستبعدا أن يبدر منهما خطأ أو ذنب وعابا وعذلا وتدخلا فى ملكوت الله بقولهما ، لو كنا فى الأرض لعمرناها بالعدل والعبادة والوفاء ، لكن القضاء الإلهى كان يقول لهما : قفا ، خففا الوطء ، حذار فإن طبيعة الأرض صحراء البلاء ، حذار وامشيا الهوينى ، مفتحى البصر فى هذه الأرض التى من طبيعتها قتل الطيبين الأخيار الأطهار (كربلاء) ، انظرا إلى الأقوام الذين أهلكهم سيف القهر الإلهى « فأديم الأرض من هذه الأجساد » .. ومن هنا يقول الله تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ (الفرقان / ٦٣) وفى البيت ٨٣٥ مزرعة الشوك أى الدنيا ، لكن هاروت وماروت لم يستمعا إلى تحذير القضاء ؛ فقد كان هناك من الوجد والسكر حجابا على أذانهم ، وهكذا الجميع أغلقوا عيونهم وآذانهم ، اللهم إلا رجال الحق الذين تخلصوا من ذواتهم ، وهذا الختم على الأسماع والأبصار لا دواء له ولا علاج إلا العناية الإلهية ، وهذا القهر لا يطفؤه إلا محبة الحق ، ولا جهد هناك يؤدى إلى نتيجة إلا بتوفيق وعناية الحق العالم بالسداد .

(٨٤٠ – ٨٤٥) القصة التى تبدأ بهذه الأبيات من قصص القرآن الكريم

ويتضمن هذا الكتاب جزءها الرئيسي ، ولا يكاد كتاب من كتب المثنوى الستة يخلو من ذكر لموسى عليه السلام وفرعون عليه لعنة الله .. ترى إذا لم يكن مولانا يعتبر الحرب بين الطغيان والإيمان من أهم المبادىء التى يتجلى فيها العرفان ، ويقوى بها السالك ، إذن لماذا أخذت منه القصة كل هذا الاهتمام ؟ (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس) وقصة موسى وفرعون وردت فى سور عديدة من سور القرآن الكريم ، ولا داعى لتكرارها منعا للإطالة . ويرى فروزا نفر أن مولانا اعتمد فى سرده لأحداث القصة (معانيها بالطبع) على تفسير أبى الفتوح الرازى (مأخذ ٩٣ - ٩٣) ويقدم مولانا القصة هنا كنموذج للجهد الذى بلا توفيق ؛ فكل مساعى فرعون انتهت دونما نتيجة ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والمقصود بليلة الحمل فى البيت ٨٤٥ هو موعد انعقاد النطفة .

(٨٥٨ - ٨٦١) يرى استعلامى (٣ / ٢٥٩) أن هذه الأبيات إشارة من مولانا إلى أحوال المصريين فى آسيا الصغرى فى عصره ومقارنتها بأحوال بنى إسرائيل تحت حكم فرعون وفى تلك الفترة كان هناك صراع بين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قلج أرسلان على حكم قونية ، لعل عز الدين تحالف مع مماليك مصر ومن أجل ضرب هذا التحالف كان قلج أرسلان يقتل المصريين ؛ وهذا التفسير غير مفهوم فعز الدين وأخوه ركن الدين لم يكونا من المغول ، ولم يصل المغول إلى آسيا الصغرى إبان حياة جلال الدين ، والقصة شبيهة بقصص حكيت عن المغول فى الشام ، وربما سمعها جلال الدين من أحد شيوخه الشوام أو أثناء إقامته فى الشام .

(٨٦٥ - ٨٦٦) حتى بين الشحاذين الطماعين الملحاحين قد يوجد رجل حق كما يوجد الجوهر بين حصى البحر .

(٨٧٩) طبقا لكثير من تفاسير القرآن ومن بينها تفسير أبى الفتوح الرازى : « أن الملائكة حملت امرأة عمران إلى زوجها فى مقر عمران ، وبعد جماعها حملوها مرة ثانية وأعادوها » . وطبقا لرواية قصص الأنبياء للثعلبى أن النساء فكرن بأن فرعون لن يعود إلى الميدان ، وأسرعت كل منهن إلى زوجها وعلى باب البلاط وجدت امرأة عمران زوجها .

(٩٠١) طبقا لمعتقد فى المأثور الإسلامى أن كل نبى كان يولد إلا ولدت نجمة حمراء له فى السماء (انظر مأخذ ص ٩٤) كما قال جلبنارلى (ثالث / ١٢٣) أنها وردت فى إنجيل متى .

(٩٥٢) طبقا لتفسير أبى الفتوح الرازى ، « ألقت بالطفل فى التنور ، وسدت باب التنور وهربت تاركة البيت » (مأخذ ص ٩٤) .

(٩٥٩ - ٩٦٠) البيتان ترجمة تقريبية للآية ٧ من سورة القصص : (فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) .

(٩٦٣ - ٩٦٨) « الأعمى حاد البصر » أى الأعمى الذى لا يرى ما تحت قدميه ومع ذلك يمد بصره طامحا إلى رؤية الأشياء البعيدة ، وهكذا كل إنسان من الحرص والطمع قد يغمض العين عما فى يده ويمد بصره إلى ما بعد عنه ، مثل فرعون يقتل أطفال الناس حيثما وجدهم ، و « موسى » وهو الهدف فى صدر منزله لكن الله أعماه عن رؤيته ليتم أمره - وهذا هو الجهد بلا توفيق ، كان مكر فرعون كالأفاعى ، لكن موسى كان أكثر قوة منه ، وكانت أفعاه أقوى من أفعى مكر فرعون ... وفى البيت ٩٦٧ يد فوق يد مثلما نقول نحن : أبدان مسلطة على أبدان ، بمعنى أن كل من فى هذا الكون مسلطون بعضهم على البعض ؛ فالقوى يقضى على الضعيف ثم هو أقوى منه فيقضى عليه ، وهكذا

حـتى تصـل إلى الله سبحـانه وتعالى .. فإليه المنتهى .. فهـو البحر الذى لا نهاية له .. وكل البحار أمامه كأنهار كونها مجرى السيل .

(٩٧١ – ٩٧٥) يعلق مولانا علـى قوى الشر الكامنة فى البـشـر ، فهـو عندما يتـحدث عن فـرعون مـوجود ، إنما يتـحدث عن القـوى الفـرعونية الكامنة فى كل إنسـان إن كل ما هـو مـوجـود فى فرعون موجود فيك ، لكن فـرعون وجد الوسـيلة ، ولـو وجدت أنت الوسيلة لصـرت أشـد فرعونيـة من فرعون ، فالأفاعى الفرعونية والرغبات الكامنة وقـوى الشـر والتدمير هـى فى بئر من الضـعف وانعدام الوسيلة ونار الفـرعونيـة مـوجـودة فى كل إنسـان لكنهـا لا تجد الحطب ولـو وجـدت الحطب لأصبـحت مثل نار الفـرعون ، ولا يرى مـولانا أنه لابد أن ينبه إلى هـذه الحـقيـقة ، إنه يتـحدث عن فـرعون ، لأن السـالك سوف يخـاف أن يتحـدث إليه عن فـرعونية مباشـرة ، كما أنه لن يتركه بلاتنبيه حتى لا يظن أن ما يحدثه عنه مجرد حكاية أو أسطورة لا يوجد مثيلها داخل النفس المهلكة الموجودة عند كل إنسـان .

(٩٧٦ – ٩٧٧) إن « أفعى » فرعون أو نفس فرعون التى تشـبه الأفاعى تجعل مولانا يـستـحـضـر حكاية جـديدة وهـى حـكاية الصـياد والأفعى المـتجمـدة وبالرغم من أن فـروزانفـر لا يذكر الحكاية فـى كتـابه عن مـصـادر حـكايات المثنوى ، يصـل اسـتعـلامـى إلى أن أصـل الحـكاية من حكايات العـرب ، كـما يذكـر حكاية وردت فى مـرزبان نامـه لسـعـد الدين الوراوينى عن فـلاح صـادق حـيـة ، وذات يـوم من أيام الشـتـاء يجدها مـتجمـدة فيضـعها فى مـزود الحمار حـتى تدفئها أنفاس حـماره ، وعندما تعـود الحية إلى وعـيها تلدغ الحمار وتعود إلى جحـرها (استعلامـى ٣ – ٢٦٣ – مـرزبان نامـه – تأليف مـرزبان بن رسـتم بن شـروان – وأعـاد صـيـاغتـهـا سعد الدين الوراوينى ص ٣٦ – ص ٣٧ من طبعـة طهران أوفسـت عن طبعة بريل بلندن) والـواضـح أن الـحـيـة المتـجـمـدة ترمـز هنا إلى النفس الإنسـانية إن وجـدت القـدرة انقلبت إلى عدو ذى خطر ، ويبـدأ مـولانا القـصـة ببيـتين ثم يتركـها حـتى البيت رقم ٩٩٥ » .

(٩٧٨ - ٩٩٤) يترك مولانا قصة صائد الحيات ، ويتحدث « عن الطلب » أى دور الطلب عند سالك طريق الحق ، والطلب إما أن تكون بإرشاد مرشد أو شيخ ، وإما أن يكون بإرادة الحق وعنايته ، والطلب مقبول بأية طريقة كانت ، «وبلا أدب» أى بلا أى نوع من رعاية الشكليات ، والشم : أى الجهد فى معرفة طريق الحق عن طريق آثاره ومظاهره ، والنموذج الحقيقى للطلب طلب يعقوب ليوسف عليهما السلام ، فلا يأس ولا قعود مصداقا للآية الكريمة ﴿ يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ﴾ (يوسف / ٨٧) ، وإذا كان هذا هو حال نبي من أنبياء الله فأولى بالسالك والمريد ألا يقعد عن البحث ، وعليه أن يوظف كل قواه فى هذا الطلب : السؤال أو السمع أو إدراك آثار الحق . والرائحة الطيبة هى آثار وجود الحق أو عناية الحق التى تمدها القلوب الواعية ، وإذا ظفرت بأحد عنده هذه الرائحة وفيه أثر من آثار اللطف الإلهى فالزمه وخذه دليلا فإن هذا الجزء يدل على الكل ... وكل ما فى الكون من حسن يدل على وجود هذا الحسن الكلى ، وكل امرئ لديه منه بقدر استعداده وبقدر طلبه ، والمطلوب جدير بهذا الطلب والجهد ، أليست حروب الخلق كلها من أجل الوصول إلى الحسن ؟ وأليس السلام فى حاجة إلى حرب ؟ وألايتعب المرء من أجل أن يصل إلى الراحة ، فما بالك بمنبع الحسن ومنبع السلام ومنبع الراحة ، ألا يستحق دأبا فى الطلب ومواصله له ؟ وحتى مظاهر الحياة المادية وصراعات الحياة اليومية ، وتلك الهموم الصغيرة التى تشغل الإنسان هى فى الحقيقة سعى إلى الله وسير إليه فالمجاز قنطرة الحقيقة .. فحتى صياد الحيات يبحث عن الحية من أجل أن تعينه على الحياة ، غائبا عن حقيقة الأمر وهى أنه يطلب العون ممن لا عون منه ، ويقلق من أجل فارغ من الهم .

(٩٩٥ - ١٠٠٢) يعود إلى قصة صائد الحياة وتكرار المعنى لإبداء الدهشة والتعجب ، وسبب الدهشة هو عجب ذلك الصياد من منظر الحية ، فكيف يعجب

الإنسـان ويفتن وهـو جـبل تعيش فـيـه الحيـات والأفاعـى إلى جوار آلاف العـوالـم ، كيف يتـعجب ذلك « العـالـم الأكبر » مـن حية ؟ يقـول يوسـف بن أحـمـد « الإنسان فى حد ذاتـه جبل عظيم ، مـعدن أنواع الصـفات ومنبت أصناف الأعـمال والأفـعال ومـسكن جـميع الوحـوش والطيـور والهـوام ومع كل هـذه العظمـة لأى شـئ يكون مـفـتـونـا . ﴿ لقـد خلقنا الإنســان فى أحـسـن تقـويم ﴾ وهـو لا يـعـرف قـدره وفى المعاصى يصـرف وقته (مـولوى ٣ – ١٥٠) فأصل الـوجـود الإنسـانى هـو الـوجـود المطلق . إن الكون حـائر فى الإنسـان ومع ذلك فـالإنسـان قـد يحط من قـدر نفسـه ويحار فى جزء تافـه وحقير من هذا الكون فكيف ؟ لأن الجانب الضـعـيف فيه هـو الذى يوجـهـه ، وإذا لـم يكن صـائد الحيات واقـعا تحت سيطرة النفـس وهـى أفعى ، فكيف كان له أن يسعى فى أثر الحيات ؟

(١٠٠٨ – ١٠١٢) كما أن الحية متجمدة ميتـة فى الظاهـر ، يقـول مـولانا : إن عـالم التـراب هـذا مـيت فى الظاهـر وكل « جـامـد » يبـدو بلاحـركـة ، لـكن عندمـا تسطع عليه شـمـس الحشـر ، ويشـاء الله أن تبعث الروح فى التـراب ، سـوف نرى ، سـواء فى الدنيـا أو فى الآخـرة – عالم الجمـاد وهـو يضج بالحياة ، والدليل : عـصـا موسـى التى تخبـرنا كيف تحـيا الجـمادات ، وكل الجـمادات إذن فى نظرنـا ميـتة ، لكنها فى علاقتها بعالـم الغيب ذات حـياة وهـى تتحدث مع ذلك العالـم ، قال الشيخ نجم الدين كبـرى – أستاذ بـهاء ولد والد جلال الدين « إن الله تعـالى أثبت أن لـكل ذرة من ذرات المـوجـودات مـلكوتا لقوله ﴿ فـسبـحان الذى بيـده ملكوت كل شـئ ﴾ والملكوت باطن الكون وهو الآخـرة ، والآخرة حيـوان لاجماد لقـوله تعالى : ﴿ وإن الدار الآخـرة لهى الحيـوان لوكانوا يعلمـون ﴾ « منهج ٣ / ١٥١ » وقال الإمـام أبو مـحمـد البغـوى فى مـعـالـم التنزيل : إن الله علمـا فى الجمـادات والنباتات وسـائر الحيـوانات لا يقف عليه غيره تعـالى فلها صـلاة وتسبيح وخـشـيـة (أنقروى ٣ / ١٦١) .

(١٠١٣ – ١٠١٩) يواصل مولانا قضية أن للجمادات حياة بأمره تعالى ، وهذا شديد الوضوح بالنسبة للأنبياء ، فعصا موسى تنقلب إلى حية ، وتغنى الجبال مع داود ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ (الأنبياء /٧٩) ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد ﴾ (سبأ / ١٠) ، و ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ ، ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب عصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ (الشعراء /٦٣) ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (القمر / ١) ﴿ قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ (الأنبياء ٦٩) (ويبتلع التراب قارون بدعوة من موسى) (القصص / ٧٩ وما بعدها) ، ويئن الجذع ويتوجع شوقا إلى محمد ﷺ – عندما يتركه ليقف على منبر .. ويقول – ﷺ – : إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ ، وعندما هرب يحيى عليه الصلاة والسلام من اليهود قال له جبل : « أهرب إلىّ حتى أضعك فى جوفى » ، ويعترف الحصى فى يد أبى جهل بنبوة محمد –ﷺ – ، وعن على – كرم الله وجهه – : كنا بمكة مع النبى عليه السلام – فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله حجر ولاشجرة إلا قال : السلام عليك يارسول الله . (الأنقروى ٣ / ١٦٧) .

(١٠٢٠ – ١٠٢٨) يواصل مولانا مناقشة المنكرين لتسبيح الجماد الذين يريدون إدراك أسرار عالم المعنى متوسلين بالمعايير المادية وموازين الدنيا ، فهم إنما يسيرون إلى جماد أى أنهم فى حدود هذا العالم يسيرون ، « وروح الجماد » أى علاقة الجماد بعالم المعنى ويعالم الحق ، ولوتوجهوا إلى عالم الروح لوجدوا كل أجزاء العالم فى ضجيج من التسبيح ، لكنهم بدلا من هذا يلجأون إلى «التأويل» ، إنهم لا يستطيعون إنكار القرآن الذى يعترف صراحة بأن ما من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لايفقهون تسبيحهم فيلجئون إلى التأويل ، ولو سمعوا

بأذن الروح تسبيح الجماد لما لجأوا إلى التأويل ، لكن هذا الأمر لا يتم إلا بنور الحق . ويشرح مولانا عقيدة المعتزلة : الذين يرون أن تسبيح الجماد مقصود به أنه يدفع الإنسان إلى التسبيح تسبح بلسان الحال إن المرء ليعتبر من عالم الجماد فيسبح ، وليس هذا فى نظر مولانا إلا لأنهم ينظرون بنظر الحس .

(١٠٥١) المقصود الحجاج بن يوسف الثقفى والى بنى أمية المشهور ويضرب به المثل فى المأثور الإسلامى فى سفك الدماء .

(١٠٥٣ – ١٠٦٦) تنتهى قصة صياد الحيات ويبدأ مولانا فى الحديث عن الدروس المستفادة من القصة . إياك أن تظن أن نفسك التى بين جنبيك قد ماتت ، إنها « تجمدت » فحسب لأنها لم تجد الوسيلة ، إن فرعون مع كل جبروته وعظمته لو كان قد وجد الوسيلة ، لما جعل ماء النيل يجرى إلا بأمره ، (وردت فى حديقة سنائى . ١٤٤ – ١٤٤٦) ولبلغ بعتوه هذا المبلغ وقد جاء فى كتاب شرح التعرف أن فرعون وصل إلى هذه المرتبة استدراجا من الإله وقال : جاء فى الخبر أن الله تعالى حبس النيل عن أهل مصر ، فخرج فرعون منفردا عن قومه وسجد لله وتضرع إليه واعترف على نفسه بالكذب فى دعواه الربوبية وسأل له أن يجرى النيل بأمره ، فاستجاب له الله استدراجا وامتحانا فصار الماء يجرى معه فإذا وقف فرسه وقف الماء ، وإذا أمر بجريه جرى الماء (أنقروى ٣/١٧٢) أى أن طغيان النفس لا حدود له . فعليك ألا تعطيها القوة ؛ لأنها بهذا تنجو هى وتنجو أنت ، وهذا مصداق لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا أحب الله أحدا حماه الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه عن الماء (جامع ١ / ١٦) وقال على رضى الله عنه :

فى طلب البسطة لا تجتهد   إن من العصمة ألا تجد

(أنقروى ٣ / ١٧٢)

وكمـا تشبـه النفس بالأفعى ، فإن « شـمس العراق » هى الشـهوة ، إنهـا تجعل هذا الخـفاش الـضـعيف صـقرا ، ومـا الحل إذن : جـهـاد النفس مجـاهـدة الرجـال ، وهـذا هـو الجـهـاد الأكبـر ، فـمن المسـتـحيل إذن أن تنتـصـر فى هـذه المعـرفـة دون تضـحيات ودون أن تتعرض للأذى ، فهذه هـى المعركة الكبرى ، فإذا انتصـرت على أعدى أعـدائك أى نفسك الـتى بين جنبيك سـهل عليك بعدهـا القـضـاء على مـعظم الأعـداء ؛ هنـا تكون الحـية طـوع بنانك ، كمـا كـانت مع مـوسى بالرغم من كل مـا دبره فرعون ، وهـذا من رأى مـوسى وقوته ، ونـور الله الذى يمشى به .

(١٠٦٧ - ١٠٩٥) منطق الطغيان ، ففرعون الذى اسـتذل الناس واسـتبعدهـم وأضـلهـم وادعى الألـوهـية ، ينقلب فجـأة إلى حـبيب الشـعب « يلـوم مـوسى رسـول الله إلى النـاس لإنقاذهـم من اسـتبعـادهـم وكفرهـم وحيـاتهم البائسـة التى تفـضـلهـا حيـاة الحيـوانات ، ويبلـغ منطق الطـغـيان و « اسـتـحمـار » الخلـق مداه عندمـا ينذر فـرعون مـوسى بأنه لن يتـبعـه سـوى « ظلـه » وأن نهايتـه سـوف تكون على أيدى «النـاس» والـذين يسـميهم فرعون «الـغـوغـاء» ، وهـذا هـو كل فرعون فى كل عصـر ، ويسـتـمر المنطق الفـرعـونى الذى يرى أن الخـلـق قـد اختـاروه (بنـسـبة ٩٩ ٪ لا جدال) ، وأن « مـوسى » وحده هـو الذى يقف ضـده ، فهل من المعقـول أن يكون موسى أعقل من كل هـذا الإجمـاع « الذى لـم يسـبق له مثيل » ! وهـكذا يرى مـولانا أن « الطغيـان » هـو من أهـم أمراض « النفس » بل أخطرهـا ؛ لأن صـاحب « النفس المريضـة » يدمر نفـسه فـحسب ويبـعدهـا عن الحـق ، ويرضى لهـا بالظلـمـة ، لكن الطاغية لا يرضيه إلا أن يكفر الناس جمـيعهم ، وهكذا فتنة الطغيان ، تلك التى لا يحطمهـا إلا ثبات الإيمان الذى يبديه موسى فى هـذا الحـوار وهـو وحيد فى مواجهة فرعـون إلا من تأييد الله سـبحـانه وتعـالى ، ويطلـب فـرعون المهلة ، لا ليـدبر هـو ، فهـو عاجـز عن التـدبيـر عجزه عن الكلام ، يمـلـؤه الرعب من هـذا الفرد وعـصـاه ؛

لكن ليجمع السحرة ، وهذه نقطة أخرى جديرة بالتوقف : ففراعين العصر أيضا لا تدير شيئا ولا تستطيع ، لكنها تجمع « السحرة » من خبراء الإعلام وكتاب الخطب ، والمنادين «بعزة فرعون» دون عزة الله تعالى .

(١١٠١ - ١١٠٧) « فهرب فرعون ، وكان أعرج ، فأخذت الحية ذيل ثيابه ، ورمته خلف السرير ، فجعل يقول ياموسى بحق آسية خلصنى من هذه الحية فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلب الذى يكون لصاحبه متعاقبا فأدخل موسى يده فى فمها فإذا هى عصا كما كانت « مأخذ / ٩٥ عن قصص الأنبياء للثعلبى ١٥٤ وغيره) .

(١١٠٨ - ١١١٧) يتحدث مولانا عن الغشاوة التى يضعها الله على العين وذلك على لسان موسى ، فتلك المعجزة التى يحملها فى يمينه كانت كفيلة بالإقناع لولا أن ختم الله على القلوب ، إن الحقيقة واضحة كشمس الضحى ، لكن الله سبحانه وتعالى ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (البقرة / ٧) وكم من الغشاوات توجد على العين : من الكفر والطغيان والانبهار بعزة فرعون وقوة « الحضارة » (!!) وهكذا يتساءل موسى : لماذا لا يحنى الطاغية جبهته أمام المعجزة ؟ لماذا لا يسلم ويصر على الكفر ؟ ويجيب مولانا : إن هذه النفس وما تحمل من أفكار ومعتقدات ووساوس وما تراه أمامها من مغريات هو الذى يحجب أصحابها عن تقبل المعجزة رغم بساطتها ، إنما يتقبلها أولئك النائمون الأيقاظ الذين يغمضون أعينهم عن المغريات والأوهام والأفكار المسبقة ، لكن عيونهم متفتحة على الجانب الآخر ، فهم على علاقة مباشرة بالحق ، قلوبهم صفحات بيضاء لم يخط عليها خط واحد من خطوط الدنيا ، ومن ثم فعندما ينام فكر النفس وفكر الذات يكون حلق الروح مفتوحا لكى يتقبل الحقائق كما هى ، والسبيل إلى فتح هذا الحلق هو « الحيرة » تلك الحيرة التابعة من التدبير فى حقائق الكون ، ليس الفضل أو العلم بصالح هنا ،

الحيرة إذن هى التى تبتلع الفكر والذكر وتفتح الطريق أمام الإيمان الذى لا يشوبه تساؤل منه فكر مستيقظ أو علم مكتسب يسد الطريق إلى الله ، ولذلك قال الصوفية « اللهم زدنى فيك تحيرا » ولم يقولوا « اللهم زدنا من علوم الدنيا » وأنشد الشبلى :

« قد تحيرت فيك خذ بيدى   يادليلا لمن تحير فيكا »

وأنشد النورى : « يامن أشاهده عندى وأحسبه منى قريبا وقد عزت مطالبه » والمعنى : إنك لست فى مكان حتى أطلبك فى هذا المكان ولا فى زمان حتى أنتظرك فى هذا الزمان ولست بمعلول حتى أبحث عن العلة ؛ ولذلك فأنا قانط من الحصول عليك لكنى بحكم المشاهدة أظن أننى وجدت ولست آمنا بهذا القدر من المشاهدة ، فهى ليست الحصول بذاته والمشاهد على خطر (شرح التعرف ٣ / ١٦٩) . وأولئك الذين يبدون هنا فى مقدمة البشر بعلمهم فى الحقيقة متأخرون عندما تنقلب المسيرة .

(١١١٨ - ١١٢٥) إن هذا القطيع من أبناء آدم فى رجعة صوب الحق ، والماعز التى تكون مقدمة فى القطيع ، تكون فى نهاية القطيع عند العودة ، فهذا واضح جدا عندما يعود القطيع من وروده للماء ، فالماعز المتقدمة تكون فى المؤخرة بينما يتقدم ذلك الماعز الأعرج « الإنسان الذى ترك الأسباب والوسائل وظهر عليه الضعف بحيث سبقه كل القطيع من البشر » فى طريق العودة فهو فى آخر الصفوف ، ومن هنا فالعابسون هنا يضحكون عند الرجعة ، عندما تنعدم المقاييس إلا من مقياس واحد هو قرب الحق ، وهكذا مثلهم تماما أولئك الدراويش الفقراء المسلمون لله تعالى الخالون من كل علم إلا علم الحق ، إنهم هم الذين باعوا فخر هذه الدنيا ، واشتروا عارها ، لكن بالرغم من أقدامهم المحطمة فهم يذهبون إلى الحج أسرع من غيرهم (جامى : نفحات الأنس ص ١٣٦ - ١٣٧) « ربما يكون المقصود مجازا وربما إشارة إلى الحكاية الواردة

فى سيرة ابن خفيف الشيرازى : يفعل بالضعيف حتى يتعجب القوى ، (ص ١٣٦ - ص ١٣٧) فهذا الفريق من الدراويش غسل القلوب من « هذه العلوم » أى علوم الدنيا وظاهرها وزخرفها ، أما المعرفة التى تبقى لهم فهى المعرفة القادمة من تلك الناحية أى المعرفة اللدنية من الملأ الأعلى ، هو « العلم اللدنى » (وعلمناه من لدنا علما) (الكهف ٦٥) .

(١١٢٦ - ١١٣٥) العلم الذى ينبغى أن يمحى من الصدر ، علوم هذه الدنيا ، ومن ثم فاختر الاستسلام والضعف ، كن محطم القدم حتى تصل سريعا ، لا تكن كثير الوسيلة والفيهقة والجدل فكلها حجب فى طريق الله تعالى ، كن من الآخرين السابقين أى من أمة محمد الحقيقية تلك التى قال فيها الرسول -ﷺ- : « نحن الآخرون السابقون » أى المتأخرون عن الأمم السابقون لها بالعز والشرف ، كن كالفاكهة من الشجرة ، هى آخر ما يظهر فى الشجرة لكنها هى المقصودة بخلقة الشجرة آخر الأمر ، اعترف بالضعف كالملا ئكة الذين قالوا «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» ، إن أحمد كان أميا ، لكنه طار بنور الحب ، إن لم تدع العلم هنا أودع الله لك العلم فى قلبك ، وماذا فى هذا ؟ قد تفقد بعض الشهرة هنا ، قد لا تكون معروفا بين الناس لكنك لست بالقليل عند الله سبحانه وتعالى ، « فبحسب امرىء من الشر أن يشار إليه بالأصابع إلا من عصمه الله فى دنيا أو آخرة » و « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (أنقروى ٣ / ١٨٥) ، والخرابات المهجورة هى موضع الكنوز ، ومن ثم فالعلم الإلهى فى صدور هؤلاء المهجورين من الخلق . ويدرك مولانا أن فى هذا الكلام كثيرا من الشبه : كيف يهاجم مولانا « العلم » وكيف يمكن أن نتقبل نحن هذا فى « عصر العلوم » ؟ لكن مولانا يرى أن الدابة القوية تحطم العقال والقلوب العامرة تحطم الشبه وتقضى عليها ولا تسرع فى أثر « الزيغ » ؛ فالطريق الذى يتحدث عنه مولانا هنا هو طريق خاصة الخاصة وواضح أنه يتحدث عن « الطريق

إلى الله » ليس الطريق إلى « الحضارة العظمى » وإلا فإن تبجيل « العلم والعمل» منتشر على طول المثنوى وعرضه .

(١١٣٦ - ١١٤٧) إن العشق .. عشق الحق تعالى يمحو كل هذه الشبه ، إنه كنور النهار يمحو كل خيال ، فإذا كان السؤال قد جاءك من الحق فاطلب جواب سؤالك من الحق ، إذا كان السؤال قد نبع من قلبك ، فاطلب من الحق أن يضع جوابه فى قلبك أيضا ، فإن لم يكن قلبك محدودا بزوايا ، فهو طريق واسع شاسع ممتد مباشرة إلى الحق ، تنيره شعلة إلهية من قمر لا هو بالشرقى ولا بالغربى ولا تتردد إذا كنت تعرف طريقك ، فالشحاذ هو الذى يتردد ، فإذا كنت أنت جبل المعنى ، فكيف تريد جواب المسائل المعقدة المعنوية من الدنيا وأسبابها (الصدى) ؟ ضع أذنك على داخلك وانصت حتى تستمع إلى حديث الحق ، تذكر عندما تكون متألما . فأنت لا تعرف سوى جهة واحدة تتجه إليها رافعا أكف الضراعة وأنت راكع . فكيف إذن عندما يمضى الألم تقول : أين الطريق ؟ لماذا لم تعكف على من أزال عنك الألم ؟ إنه هو القادر أيضا على شفاء شبه العقل ؟ إنك بعدها تقول إن لديك عقلا ، لكن متى كان هذا العقل على وتيرة واحدة ؟ لكن العقل الكلى العقل الباحث عن الله أمن من ريب المنون ، فعقل الدنيا جدير بعلوم الدنيا ، وأفضل منه الحيرة (انظر تعليقات ١١١٧) ، وتقبل « الذل » فى طريق الحق ، ودعك من الدنيا وزخرفها وزينتها . (بخارا حيث مركز العلم الظاهرى) .

(١١٤٧ - ١١٥٦) إنه يتعجب ، ما هذا ؟ لقد جرفنا الحديث وتركنا موضوعنا الأصلى « السبزوارى : هذه ليست حكاية : إنها شهود ففى الحديث : (اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولى الأمر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) « ص ٢٠٣ » (موضوعه الأصلى هو هذه الأحاديث بالفعل ، وليس الحكايات) ، على كل فليست هذه الحكايات إلا تجل لشخصيتنا وأفكارنا إننى

أنمحى عن ذاتى ، وأنغمس فى أنينى وحنينى حتى أجد التقلب فى الساجدين (الشعراء / ٢١٩) : أى حتى أحسب من بين عباد الحق ، ومن ثم فإن ما تقوله يعد من قبيل الحكايات ، إنه صورة لأنفسنا وما يدور فيها من أفكار وطموحات إلى الملأ الأعلى ، إن الذى لا يقبلها كحكاية هو من يكون فى هذا العمل ، إنها وصف لحالة وحضور لرجال الحق وهم الأصدقاء الأعزاء ، قالوا : إن القرآن هو أساطير الأولين ، إنما قالوا هذا من نفاقهم ، إن هى إلا وصف لأحوالنا نحن وما نحن فيه ، وفى عالم المعنى لا مكان ولا زمان ، أما الماضى والحاضر والمستقبل فهى كلها أمور فينا نحن وخاصة بنا ، إن ما أقوله عن عالم المعنى هو مجرد مثال ، وإلا فكيف تستطيع ألفاظنا أن تصف هذا العالم ؟ إن الله تعالى قد ضرب المثل لنوره بمشكاة فيها مصباح . وما المناسبة بين هذا النور ونور المشكاة ؟ (منهج ٣ / ١٧١ – ١٧٢) وفى شعر أبى تمام :

لا تنكروا ضربى له من دونه   مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس

(ديوان ص ١٥٣ ط – دار صعب ... بيروت) وليس بحر الحق بالجدول الذى له شاطىء بحيث تملأ قربتك منه وتمضى ، ينبغى أن تمخر فيه لا أن تبحث عن الشاطىء أو الساحل .

(١١٥٧ – ١١٩٧) المقصود بالأبيات أن الساحرين كانا مبتكرين فى سحرها ولم يكونا مقلدين ، وهما فى رواية من أهل مصر وفى رواية أخرى من أهل نينوا ، لقد تنازع الدهشة والإعجاب قلبيهما ، لأنهما أعجبا بموسى وهرون كساحرين مثلهما ، والمقصود بعرق الجنس هنا أى المنافسة فى العمل بين أهل المهنة الواحدة ، وفى البيت ١١٧٤ يتحدث مولانا عن حال المراقبة عند الصوفية عندما يضعون رءوسهم على ركبهم فى تفكر لكشف أسرار الحق (انظر : ج ٢

تعليقات البيت ١٥٨) وفى الأبيات التالية ما جاء عن سلوك الساحرين وزيارتيهما لقبر أبيهما ونصيحة أبيهما ومحاولتهما سرقة العصا .. إلى آخره هو مطابق لما ورد فى تفسير أبى الفتوح الرازى (انظر الرواية فى مأخذ / ٩٣ - ٩٤) .

(١١٩٨ - ١٢١٥) القرآن بالنسبة لمحمد - ﷺ - هو كالعصا بالنسبة لموسى عليه السلام ، هو معجزته والمعجزة لا تبلى على مر الزمن ، والذى أنزلها وعد بحفظها ، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر / ٩) والمقصود الحفظ من التحريف والتعدى والفهم الموجه والتأويل ، ويفسر استعلامى «رافض للطاعنين فى حديثك » على أن المقصود هنا بالحديث هو القرآن (٣ / ٢٧٢) ، والواقع أن هذا تزيد ، فالقرآن ليس حديث الرسول وإنما هو حديث الله سبحانه وتعالى ، والمقصود بالحديث هنا أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام كجزء لا غنى عنه من مصادر الدين ومصادر التشريع ، ويركز مولانا كثيرا على هذا المعنى ، وكأنه كان يستشرف أنه كما طعن كثير من المغرضين فى الأحاديث النبوية الشريفة ، سوف يأتى زمان يحاول فيه بعض من ينتسبون إلى الإسلام بالاسم أن يخرجوا الأحاديث النبوية من الشريعة الإسلامية على أساس أن بعضها مشكوك فيه وما دام بعضها مشكوك فيه فإنه من الممكن أن ينصرف هذا الشك إلى الكل . وهذا مجرد نموذج كما يمكن أن يؤدى إليه تطبيق مناهج الشك الحديثة على موضوعات قديمة ؛ والمقصود بكل هذا الجزء عند مولانا أنه كما أن الساحرين لم يستطيعا مع كل براعتهما أن يحصلا على عصا موسى أثناء نومه، فإن أحدا من سحرة المقال والمنهج العلمى لن يستطيع أن ينال من القرآن مهما أوتى من قوة ومن « فلسفة » فإن النور المحمدى كالسهم سوف يصمى فاه .

(١٢١٦ - ١٢٢٨) عودة إلى قصة موسى عليه السلام ومحاولة الساحرين سرقة العصا ، إن وصف مولانا لنومة سيدنا موسى عليه السلام خارج المدينة

فى النخيل مستوحى من وصف كتب السيرة والتاريخ لنومة سيدنا عمر – رضى الله عنه – عند مجىء رسول الروم . إن هذا النائم كان هو الوحيد اليقظ فى عالمه ، لقد أغلق عين الرأس لكن عين القلب كانت تستشرف الأكوان ، وهكذا فعندما تنغلق عيون الماء والطين « الجسد » فإن عين البصيرة تنفتح على كل الأكوان ، وما إغماض العين إلى جوار يقظة القلب ، أليس الرسول الكريم هو الذى قال : « عيناى تنامان ولا ينام قلبى » (منهج ٣ / ١٨٠) وإذا كان الملك « القلب » يقظا .. بماذا يضر نوم الحارس (عين الجسد) ؟

(١٢٥٢ – ١٢٥٩) يترك مولانا قصة سيدنا موسى دون عودة ويدخل فى النتيجة المستفادة من سرده للقصة : والواقع أن مولانا كان يقتبس من قصص الأنبياء والأولياء ما يصلح للتعبير عن أفكار عنت له عند إملاء المثنوى ، وواضح من قصة سيدنا موسى هنا أو الجزء المنقول منها أنها تعبر عن موقفين : الجهد الذى لم ير توفيقا من الله سبحانه وتعالى وكيف لا يؤدى إلى نتيجة مهما كان المدبر أو المجتهد ومهما كان حوله وطوله ومهما كان عدد خيله ورجله ومهما ركض وسعى ، فالله غالب على أمره فى النهاية . وفكرة أخرى منبثقة عنها وهى أن أقل جهد مبذول بنور الله يستطيع أن يقضى على كل هذه الجهود وأن معجزة واحدة إلهية تستطيع أن تبتلع سحر العالم بأجمعه ، ويخلص مولانا إلى أن كلا منا في داخله موسى وفرعون ، وعلى كل منا أن يتبع موسى وفرعون فى داخله . هما موجودان حتى القيامة ، ويتغير السراج ولكن لا يتغير النور فالنور واحد ، وأما أن تكون من رجال الحق وترى هذا النور أو تتغلب عليك تلك النفس الفرعونية وتقضى عليك ، والنور هو الواحد ، وهو الذى ينجى من الضلال ، لكن الأعداد والثنويه والاختلاف بين الأديان تأتى من اختلاف وجهات النظر وإن كان الكل يسيرون فى أثر حقيقة واحدة . ومن تعليق يوسف بن أحمد (فموسى وفرعون نقد حالك .. موجود فيك ، اللائق أن تطلب هذين الخصمين فى نفسك

لأنهما حسب حالك ، وتعلم أن المراد من موسى الروح الإنسانى ومن هرون عقل المعاد ، ومن العصا القرآن أو العرفان والإيقان والخواطر الرحمانية التى يعبرون عنها بالوحى الإلهامى ، ومن اليد البيضاء نور التوحيد ومن فرعون النفس الأمارة ومن هامان عقل المعاش والوساوس الشيطانية ومن السحرة الفسق والعصيان وأعوان النفس من الهوى والشهوة وغيرها ، وهذه كلها فى الأنفس ما دام سالك طريق أهل الله يصادق فرعون نفسه ، ويخاصم روح بدنه وعقل معاده لا يقدر على الوصول لربه ، وإن أردت الحصة من الآفاق تعلم أن المراد من موسى الدال على الباقيات الصالحات من الوعاظ ومن هرون الذى يعاون الناس على الصلاح ، ومن العصا القرآن لزجر الفساق ، ومن فرعون أصحاب العصيان ومن هامان إخوان الشياطين أصحاب الخذلان ومن السحرة أهل الدنيا الذين يزينون للناس العصيان والشهوات (منهج ٣ / ١٨٣) .

(١٢٦٠) الحكاية التى تبدأ بهذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين فى مقامات أبى حيان التوحيد وإحياء علوم الدين وكيمياى سعادت للغزالى ، كما وردت فى حديقة الحقيقة لسنائى باختلافات جزئية ، فمولانا هنا جعل الفيل فى حجرة مظلمة بينما جعلته الروايات الأخرى ظاهرا للملأ لكن الناس كانوا عميانا وواضح من بعض التفصيلات إن مولانا كان - مع ذلك - ناظرا إلى رواية سنائى :

« كانت هناك مدينة كبيرة فى حدود الغور ، وكان كل أهل هذه المدينة عميانا - ومر ملك بهذه المدينة ، أحضر العسكر وضرب الخيام - وكان له فيل كبير ذو هيبة ، اتخذه من أجل الجاه والحشمة والصولة - فرغب الناس فى رؤية الفيل ، وذلك من كثرة ما سمعوا عنه من تهويل - وتقدمت مجموعة من هؤلاء العميان إلى الفيل ، ولكى يعلموا شكل الفيل وهيئته، أسرع كل واحد منهم إليه متعجلا، فتقدموا إليه وأخذوا يلمسونه بأيديهم ذلك أنهم جميعا كانوا فاقدى البصر

فلمس كل واحد منهم عضوا ، واطلع على جزء منه - وتعلق كل منهم بصور مستحيلة ، وربط روحه وقلبه وراء خيال - وحينما عادوا إلى أهل المدينة ، تجمع العميان الآخرون حولهم - وكان كل واحد من هؤلاء الضالين سيىء العقيدة راغبا ومتشوقا - فسألوا عن صورة الفيل وشكله ، وسمعوا جميعا ما قالوه ، فذلك الذى وقعت يده على الأذن ، سأله الآخر عن شكل الفيل فقال : شكل مهول وعظيم عريض وسميك ومتسع كالكليم - وذلك الذى وقعت يده على الخرطوم قال : لقد صار شكله معلوما لدى - فهو كالأنبوبة أجوف القلب ، هو عظيم ومسبب للحيرة - وذلك الذى وقع ملمسه من الفيل على قوائمه الغليظة المليئة بالجذور - قال : إن شكله كما هو مضبوط حقيقة كأنه العمود المخروط . لقد رأى كل واحد منهم جزءا من الأجزاء ووقع لهم الظن الخطأ (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة الأبيات ١٦٦ - ١٨٧ وشرحها) والحكاية من أشهر الحكايات التى انتشرت على المستوى العالمى وواضح من البيتين ١٢٦٣ و ١٢٦٤ أنهما مطابقان تماما لما قاله سنائى .

(١٢٦٩ - ١٢٨٠) ما دمت لا تعرف ، وما دمت لا تملك عينا بصيرة فلماذا لا تأخذ مرشدا دليلا لك ؟ وإذا كنت معتمدا على عين الحس فإن عين الحس لن تكون لك فى هذا المجال أكثر من كف لا يمكن أن تحيط (به) ، إنك ترى الزبد من البحر لأنك تنظر بالعين التى ترى الزبد ، فانظر بالعين التى ترى البحر لتراه إن كل ما تراه هو من آثار عالم الغيب وأنى لك رؤية عالم الغيب ذاته ؟ ومن هنا فنحن فى نزاع ... نطفو على سطح البحر كالسفن المتصادمة دون علم لنا بماهية البحر وأعماقه ، إنك تنظر إلى الماء ، فانظر إلى الماء الذى يسيره والتعبير مأخوذ من حديقة سنائى أو النفس الرحمانى (الذى أطلق اسم الماء عليه للطف سريانه فى الأشياء « أنقروى ٣ / ٢٠٨ » وذلك الماء أى الماء الأصلى موجود من قبل موسى ومن قبل عيسى بل من قبل آدم وحواء هو أزلى يسقى مزرعة الموجودات منذ الأزل ، ثم يستدرك مولانا : ما هذا الكلام الناقص ؟ ما الفيل ؟

ومـا البـحـر ؟ ومـا القـوس ؟ وما الكـف ؟ تعـالى الله لكن كـيف نعـبـر بكلام هذه الدنيا عـن تلك الدنيا ؟ كيف نـعبر بكلام الصـورة عن المعنى ؟ كيف نـعبر عـما لا يعــبـر عنه بالكلام ؟ إنـه لكلام ملـئ بمواطن الزلـل ومــواطن الانـزلاق ، وإن لـم تتـحدث لـغص باطنك بالكلام – وربما قـتلك ، ولـو قلتـه على سـبيـل المثال ، فـإن الناس قـد يـتـعلقـون بالمثــال ، ومـا الحل إذن ؟؟!! مـشكلة إذن ظلـت بلا حل أمـام مولانا ، شبهها في مجال آخر بغسل الدم بالدم ، عندما تحدث عن المقال الذي هـو آفة الحال (انظر الأبيات ٤٧٢٨ – ٤٧٣٠ الكتاب الذى بين أيدينا) .

(١٢٨١ – ١٢٩٨) يقول مولانا : إننا نتعلق بظاهر القصص فحسب لأننا قد تعلقنا بهذه الحيـاة الدنيوية (حياة الصـورة) مـثل نبات جذوره فى الطين ولذلك فهـو يهتز عنـد أقل ريح دون يقين كما نسمـع نحن الحقائق ونصـدقها دون تيقن (وليتنـا نصـدقهـا) ، فإن انتـقلت القدم من الطين سـوف نستطيع الانتـقال لأنك فى هذا الوقت سوف تكون مسـتغنيا عن الحياة المادية ، لكن سـيرك سـوف يكون صعبا فمـا الحل إذن ؟ ينبغى أن تأخذ حياتك من الحق ؛ حياة لا عـلاقة لها بمتاع الدنيا المادية ، وهـى أشـبـه بفطام الطفـل يسـتـغنى عن لبن الـرضـاع ويكون آكـلا للـغذاء ، فـإذا انقطعت إذن عن مص العـصارة من الأرض سـتأخـذ « قـوت القلـوب » أى معرفة الحق وأسـرار الـغيب ، حينئذ سـوف تنمحى الـحـجب بالـتدريج ، وسـوف ترى الأسـرار المستورة دون حجب ، وسـوف تسافر بين الأفلاك كأنك النجم سفرا بلا كـيـفـيـة ولا يوصف ، إنه أشـبـه بالسـفـر من الـوجـود إلى العـدم فكمـا خلقـتنا المشـيـئة من عدم ونحن لا ندرى كيف حدث هذا ، فعلـى نفس النسـق سـوف نعـود إلى الحق مـصـداقـا لقـول الإمـام على – كـرم الله وجـهه – « إن لــم تعلم من أين جـئـت ، لـم تعلـم إلى أيـن تذهـب » (اسـتــعـلامى ٣ / ١٧٦) « والـفــكرة هــنا مــوجـودة بنصـهـا فى مـعـارف بهاء ولد (١ / ٣٩) « جـاهـد الآن حتـى تفـتح على نفـسـك بابا من أبواب الـخـيـر حـتى تفـتح عليك عـشـرة أبواب من أبواب الـخـيـر

وتخلص بك من الجلد إلى اللحم ، ومن اللحم إلى الدم ومن الدم إلى اللبن ، ومن اللبن إلى ماء الحياة وساحة الغيب ، وعندما تدفن فى التراب تصل إلى الماء . وإذا واصلت هذا الطريق تصل إلى الملك والدولة وفى النهاية لقد جئت من عالم الغيب ، ومن تلك الناحية من الحجاب إلى هذه الناحية منه ولم تعرف كيف جئت ، وستعود ثانية من هذه الناحية من الحجاب إلى تلك الناحية فأى علم لك بكيفية الذهاب ؟ من العدم أتيت وإلى الله تمضى الذى أوجدك من عدم ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ﴿ قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ وإذا كنت لا تعلم هذا الطريق وأنت تعلمه فسوف أقول لك سرا من أسراره : اترك العقل الذى يحسب وأنس هذه الدنيا ، وسد أذن الجسد التى تسمع كلام هذه الدنيا ، وراقب وانتظر ، حتى تحل بك عنايته (انظر ١١٤٦) . ولكيلا يستمر مولانا فى إفشاء هذه الأسرار وهتك هذه الحجب ، فإنه يمنع نفسه عن الحديث ، فالمستمع لم ينضج بعد بحيث يكون قابلا لهذه الأسرار ، وهو كالفاكهة الفجة ما لم يصل إلى معرفة الله فلا نفع منه ولا حاصل ، والفاكهة الفجة هى التى تتشبث بأشجار الدنيا ولا تليق بأن توضع فى القصور لكنها بعد نضجها تضيق بالأشجار وتتركها ، وما هى فجاجة الإنسان ؟ التنطع والتعصب . إنه أشبه بالجنين الذى يتنطع ويتعصب للرحم ولا يرى عالما سواه وليس له غذاء فيها إلا الدم ، ولا يرى العالم الرحب والواسع ولا الأرزاق العظيمة التى سوف يظفر بها إن ترك الدم (انظر تعليقات ٧٤ – ٥٢ وتعليقات ٣٩٦٥ – ٢٧٧١ من نفس هذا الكتاب) .

(١٢٩٩ – ١٣٠٥) مثال الفاختة التى تقول كو (أين) موجود عند الخيام وعند سنائى ص ٨٢ من الحديقة) : أما الرجال فهم كالفاختة فى الطريق الطوق فى أعنقاهم ويقولون : أين أين . يعود مولانا فيقول : إن هناك الكثير مما يقال ، يقوله لك روح القدس ، يقوله لك إدراكك ، وكل ما هو موجود فى الكون وحدة

واحـدة ، ولا يوجـد « أنا » أو « أنت » فكلاهـمـا واحـد كـيف ذلك ؟ يضـرب مـولانا الأمثال من الحياة اليومية ، فكما أنك ترى فى النوم وتسمع وتسعى دون أن يبدر منك شىء من ذلك فى الحياة الواقعية ، فالعلاقة مع الحق سبحـانه وتعالى علاقة داخليـة لا شىء منها مطروح فى العـالم الخـارجى فإنك إذن إذا تنبـهت إلى هذا الباطن فسـوف تدرك أنك « ملك » وحدك وعالم عـميق ، عالم صغير انطوى فيك العـالم الأكبـر ، وما فيك قوى هو هذه الـذاتية ذات الأعمال والدهاليـز والسراديب (ذات التسعمائة طية) ، لقد شـبهت هذا السـير الباطنى بالنوم ، وهو سـواه . فاصمت إذن والله أعلم بالصـواب .

(١٣٠٦ – ١٣٣١) اصـمت إذن ، واترك الفـرصة لـلمتـحـدثين الذين يعلمـون أسرار الغيب عن طريق كوة القلب أو عن طريـق عناية الله ولطفه ، إنهم الشمـوس السـاطعة ، والأرواح ذات الرابطة المبـاشـرة مع الحق ، ومـا دمت مع رجـال الحق ، فدعك من أنيتك ، ولا تظهـر العلم بالسباحة ما دمت فى سـفينة نوح ، لقد أعطاك الله طـريـق النجـاة فـمـا لك أنت والـبـحث مـالك والجـدل ؟ وإن فـعلـت فـأنت مـثل كنعان : لقد كانت السفينة أمامه ، لكنه تنفج بالقدرة على السباحة ، وما سباحته وسعـيه وجـهده وكـده إلا كضـوء شـمـعة خـافتـة أمام هذه الرياح الـصـرصـر ، وما الجبل الذى يريد أن يأوى إليه والجبال فى ذلك اليوم كأنها قشة أمام ذلك الطوفان المهلول؟ وما هذا الدلال المقيت أمام من لا والد له ولا ولد ولا صاحبة ولا شـريكة ؟ إن كل إلا آتى الـرحـمن عـبـدا ، لكـن الإدبار يضع الأخـتــام على قلوب المدبرين وأسـمـاعـهم . هذا الحــوار بين نـوح عليـه السـلام وبين ولده كـنعـان ، هذا الحـوار الحى المفـــعم بالحـــرارة والحـيـاة نموذج يقـدمـه مـولانا جـلال الدين كـثـيـرا ، فمهـما كان هناك من ناصح ، فإن نصحه لا يجـدى مع من لا يريد الله له الهداية ، فالمهم العناية الربانية ، هى التى تجعل نصح الناصح ذا فائدة وأثر .

(١٣٣٢ – ١٣٥٥) بعـد غـرق كنعـان ، يتـوجـه نوح بقلب ملـئ بالألم إلى الله

تعالى ، لقد جرف السيل يا الله كل ما أملك (الحمار والأحمال) ولقد وعدتنى ووعدك الحق بأن أهلى ناجون ، وهناك يأتى الجواب الإلهى ، نعم وعدتك ووعدى الحق ، لكن هذا ليس من أهلك ، إنه ليس منك ، إنه عضو فاسد ، والعضو الفاسد وهو أقرب إلى الإنسان من كل أهله وولده يستغنى عنه بالبتر فى سبيل أن ينجو الكل ويسلم ، ويواصل نوح (ليس مولانا كما يقول استعلامى ٣ / ٢٧٨ فالحوار مستمر) : ياإلهى إن كل ما هو سوى وجودك الحق مسبب لألمى وضيقى ، وإن كان ثمة غير ، فليكن هالكا منك ، إن صلتى بك يا الله هى صلة دائمة مباشرة لا واسطة فيها ولا حائل بينى وبينك فيها ، فنحن الأسماك وأنت بحر الحياة ، فنحن أحياء بك يامن لا تستوعبك الأفكار والأوهام لقد كان كل كلامى مع هؤلاء فى الظاهر لكنه كان معك أنت فى الحقيقة لقد كان هؤلاء الناس هم بمثابة الأطلال والدمن والمخاطب الحقيقى هو أنت ، ومتى كان الشاعر الذى يقف على الأطلال والدقن يمدح الأطلال والدمن ، إنه إنما يمدح الأطلال والدمن ظاهرا ، لكن هدفه من كل ذلك هو « المحبوب » إن كل ما قالوه من غزل فى العين والحاجب والوجه الحسن كلها فى حمد الله ومن ثم فأبيات كثيرة قيلت فى هذا الشأن وهدف الأبيات هو هذا (معارف ١ / ٣٩٢) ، فالحمد لله أنك أزلت الأطلال والدمن حتى أحدثك بلا واسطة ، لقد كنت أحدث هؤلاء الناس عن « الله » حتى أسمع صدى صوتى على ألسنتهم يقولون « الله » لأسمع اسمك مرات ومرات فأنا عاشق لهذا الاسم ، وكل نبى هكذا أنه إنما يخرج إلى الجبل يذكرك حتى يردد الجبل صدى صوته فيسمع أسمك مرددا مضاعفا ، أما أولئك الذين لا يرددون اسم الله حتى وإن كانوا جبالا ، فهى جبال لا تليق إلا بسكنى الحشرات والفئران ما دامت خالية من اسمك . ومن الأفضل أن ندعها وشأنها ، فهى ليست جديرة بالرفقة والصداقة .

(١٣٦٢ - ١٣٧٦) لم يرد الحديث الأول الوارد بالعنوان فى كتب الحديث

فيما نعلمه وقال جلبنارلى (٣/٢٤٠) أنه من الحديث ﴿ كل نفس تحشر مع هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينقصه علمه شيئاً ﴾ ، أما الحديث الثانى فهو جزء من حديث قدسى ورد فى الجامع الصغير « قال الله تعالى : من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فيلتمس ربا سواى » . ويشير مولانا إلى التناقض (الظاهر) الموجود بين الحديثين والذى يثيره إنسان مغرم بالجدل : إذن فكفر الكفار ونفاق المنافقين هو أيضا من قضاء الله فلماذا لا ترضى عنه ، ويجيب مولانا : إن البشر فى رأيه مسئولون عن أعمالهم ، وأهل الخير فقط هم الذين يربطون كل أعمال البشر من خير وشر بالله تعالى ومن ثم فهم لا يخشون الكفر ، وهذا ليس صحيحا فى نظر مولانا ، ويرى مولانا أن التناقض الموجود بين الحديثين تناقض لفظى ؛ فالقضاء هو حكم الله تعالى ومبنى على علمه الأزلى أما المقضى : فهو نفاذ قضاء الله فى مواضع جزئية تتناسب مع المرء وأعماله وأفكاره ، أما عمل الكافر فهو من آثار القضاء ومن الأمور « المقضية » والرضا بقضاء الحق هو أن تقبل وقوع الكفر كما يقع أى شيء وليس أن تقول : إن شقاق الكفار وخبثهم أمر مستحب . والكفر فى مرحلة القضاء لا يعد كفرا ولكنه عندما « يتعين » أى يأخذ الصورة العينية فى سلوك الكفار نسميه آنذاك كفرا ، وإذا سميناه كفرا فى مرحلة القضاء فكأننا سمينا الحق بالكافر ، وقضاء الحق هو علمه الأزلى والأبدى بكل الأمور ، وليس جزئياتها . فالنقاش يستطيع أن يرسم صور الحسن والقبح ، وحتى رسمه للقبح لا يدل على أنه يحبذه أو يدعو إليه ، بل إن رسمه للقبح يبين أيضا قوته على رسم الشر كقوته على رسم الخير ، وفى النهاية يخلص مولانا إلى أن هذا الجدل ليس من ديدنه وليس من الطريق الذى يسير عليه ، والخوض فيه يمنعه عن الخوض فى حديث « العشق » (القابل للخير والشر على السواء) والإرشاد وهو خدمة اجتماعية والهية .

(١٣٧٧ - ١٣٨٦) يسوق هنا فكاهة لكى يبين أن الحيرة (وليس التحير) ، تمنع السالك من بيان أفكاره لأنه عندما يدرك عظمة عالم الغيب لا يستطيع أن يفصح عن مواجيده ، ويعجز أيضا عن البحث والفكر : والفكاهة واردة فى مقالات شمس الدين التبريزى (ص ٩١ تحقيق أحمد خوشنويس - تهران - زهره - ١٣٥١ هـ . ش) والبحث إذن والفكر عن القضاء والكفر أشبه بفصل الشعيرات البيضاء عن السوداء فى لحية الكهل ، هى عمل فيه تنطع ، ولا مجال للعاشق ولا وقت للتنطع والدخول فى جدل كلامى ، ثم يسوق فكاهة أخرى ، أشبه بمن ضرب أحدهم على قفاه ، وعندما يهم الآخر برد الضربة يدخل فى جدل : هل الصوت الذى نتج عن الضرب من القفا أو من الكف ، ويجيب المضروب : بأن الألم الذى أحس به من الصفعة لم يترك له فرصة للتفكير أو الجدل ، ومن ثم فإن من لديه « ألم الدين » والعشق لا يدخل فى مثل هذا الجدل فهو جدل جدير بعلماء الكلام لا بأصحاب القلوب .

(١٣٨٧ - ١٣٩٣) تحت عنوان الحكاية لا يسوق مولانا حكاية بالمعنى المفهوم ، بل هو خبر متصل بالمعنى الذى يبحثه ، هو أن اللباب يصرف الذهن عن القشور ، أو أن الباطن يصرف الذهن عن الظاهر ، أو السلوك والذوق يمنعان عن الخوض فى المسائل الجدلية الكلامية ، ومن هنا فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يهتموا بحفظ القرآن .. فقد كان لهم طريق من وجود الرسول ﷺ إلى لب القرآن ، ومن ثم فقد شغلهم هذا اللب ، وفى البيت رقم ١٣٩٠ يقول : إن رقة القشر وتلاشيه يشبهان قرب العاشق من المعشوق كلما اقترب انقضت ذاتيته وفنى وجوده فى المحبوب ، وفى البيت ١٣٩١ أن كيفية أن تكون طالبا وكيفية أن تكون مطلوبا كلاهما عكس للآخر ، وحقيقة القرآن الكريم هو النور ، والصحابة الذين كانوا يدركون ذات النور فى وجود الرسول لم تكن بهم حاجة إلى حفظ الألفاظ ، وتجلى نور الحق كان يبعد كل شئ حتى القرآن عنهم وفى البيت ١٣٩٢

أوصاف القديم أى أوصاف الله سبحانه وتعالى والحادث أن المخلوق وما له وجود عينى وصورى فى هذا العالم ، ومن ثم فطبقا لقول الجنيد « إذا قرن المحدث بالقديم لم يبق له أثر » (مولوى ٣ / ٢٠٢) ، والقديم نور الله والحادث « ألفاظ القرآن وصوره .. » وفى البيت ١٣٩٣ جل فينا : أى عظم فينا وارتفع قدره ، ويحتمل أن هذا البيت متأثر برواية وردت فى مصادر الحديث عن أنس رضى الله عنه : « أن رجلا كان يكتب للنبى -ﷺ- وقد كان قرأ البقرة وآل عمران ، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا » (استعلامى ٣/٢٨١) يقول يوسف بن أحمد « وما كان هذا الحال من عدم قوة الحافظة بل كما قال صاحب شرعة الإسلام كانت الصحابة يتعلمون عشر آيات لا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يعلمون ما فيها من العمل ؛ فضلا على أنهم صرفوا أوقاتهم فى تدبر القرآن وتفكر معناه الشريف » (مولوى ٣/٢٠١ - ٢٠٢) وورد فى مقالات شمس الدين التبريزى « لم يكن الصحابة يروون قط على المصطفى - ﷺ - فقد كانوا فى سكر من الطريق ، وفى هذا المجال لم يرو العتيق - أى الصديق رضى الله عنه - أكثر من سبعة أحاديث (ص ١٦٤) .

(١٣٩٤ - ١٤٠٠) يواصل مولانا : إن الجمع بين ظاهر القرآن ومعناه لا يجتمعان إلا لسلطان عظيم (ذى قوة إلهية) ، وبيان هذا المعنى العظيم فى ألفاظ أشبه بأن تنتظر من الثمل أن يراعى الأدب ، فأولئك الذين يصلون إلى الحقيقة تسكرهم هذه الحقيقة ولا يتأتى حالهم فى لفظ (انظر تعليق الأبيات ١٢٦٩ - ١٢٨٠) ، والمستغنى لا يراعى الضراعة والابتهال ، ثم يقول : إن العصا محبوبة للعميان ولازمة لهم ، وأهل الظاهر كالعميان لا يعلمون حقيقة القرآن ، لكن أذهانهم كالصناديق المليئة بألفاظ القرآن مثل عصا العميان يستدل بها عميان القلب ، ويتكئون عليها بأن يجعلوها أسباب المعاش ، وعلى هذا يعشقون ألفاظ القرآن أويحفظونها للمراء والشهرة « مولوى ٣ / ٢٠٣ » .

وهؤلاء العميان يستطيعون أن يحفظوا جيدا ما يحتوى عليه القرآن الكريم من البينات والذكر والنذر ، ولكنهم لا يفهمون معناها ، ويتدارك مولانا الأمر : حتى حفظ الألفاظ خير من لاشئ : فالإنسان الخالى من الخير والشر أفضل من إنسان مملوء بالشر والكفر والنفاق .

(١٤٠١ - ١٤٠٦) يصل مولانا إلى نتيجة أعمق : إن الذى يصل إلى المعشوق ما حاجته بعدها إلى التوسل بالوسائل ؟ ومن ثم فقبيح بأهل المعنى أن يتوسلوا بوسائل أهل الظاهر والعبارة لأبى الحسن أحمد بن أبى الحوارى ، بلغ رتبة الإمامة في علوم الظاهر وبعدها رمى كل كتبه فى البحر وقال : نعم الدليل كنت أما الاشتغال بالدليل بعد الوصول فمحال (وردت أيضا فى الحلية جـ ١ ص ٦) ويعلق الهجويرى : إذا وصل المرء إلى الحى فالطريق والباب لافائدة منهما ، وقد لام بعض المشايخ على ادعاء أبى الحسن وقالوا : « من ظن أنه قد وصل فقد فصل » ويدافع الهجويرى على أنه لم يدع هذا ، بل كل ما ادعاه أنه عرف أن الطريق إلى الله لا يتأتى بالكتب ومثله فعل كثيرون مثل الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير ، وقد يقال : إن تمزيق الكتب يراد به نفى استحالة العبارة عند تحقيق المعنى ، والاستحالة قائمة أيضا بالنسبة للسان « من عرف الله كل لسانه » (كشف المحجوب ١٤٥ - ١٤٦ من الترجمة العربية للمترجم وآخرين القاهرة ١٩٧٤)، وما دمت وصلت إلى الكمال الروحانى « الماء » فما حاجتك إلى السلالم « العلوم الشرعية » ؟ إنه أمر يكون من البله ، اللهم إلا إذا توسلت بهذه العلوم الشرعية لإرشاد الآخرين . والبيت ١٤٠٦ مقدمة للحكاية التالية .

(١٤٠٧) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت باختلافات يسيرة فى محاضرات الراغب الأصفهانى وأغانى أبى الفرج الأصفهانى (مآخذ ٩٩ / ١٠٠) ، والعاشق الذى يقرأ رسالة فى حضور المعشوق أشبه بالواصل الذى يجد فى طلب علوم الظاهر (انظر البيت ١٤٠٢) ، وهذا يدل على أنه حتى من بين رجال الحق

من يوجد فى سيره نوع من الآفة والعيب ، فالعاشق الذى خلا من آلام العشق هو الذى يتوسل بألفاظ تتحدث عن هذه الآلام . والعين الجافة هى العلاقة الظاهرية بالمعشوق والماء الزلال ، هو حقيقة العشق : وفى البيت ١٤١٥ ترد المعشوقة : حسبك .. إن ما بيننا هو بعد المشرقين ، كما يبتعد البلغار عن مدينة قتو (فى التركستان) ، إن العاشق إنما يريد المعشوق كله ، ولا يريد حالة واحدة من حالاته وإلا كان عاشقا لهذه الحالة والحكاية شبيهة (فى أجزاء) بحكاية أوردها سنائى فى الحديقة (الترجمة العربية .. الأبيات ٤٧٣٦ - ٤٧٥٠ وشرحها (عن الذى نهرته محبوبته لأنه رأى خالا فى وجهها ولم يكن قد رآه من قبل مع أنها مولودة به) ، والحال لا يبقى ، فهو مؤقت ، يقلبه مقلب الأحوال ، إن ذلك الجزء الذى تعشقه كان لك ، وجئت تطلبه ولم يعد لك ، إنك لست طالبا لى بأجمعى ، والآن وليس لدى هذا الخال فأنا كمنزل للمعشوق بلا معشوق وكخزانة لا مال فيها .

(١٤١٩ - ١٤٢٦) انتهت الحكاية ، ويحدثنا مولانا فى المعرفة والتمجيد للمعشوق الفرد الصمد الذى لا تطرأ عليه الأحوال فهو المبدأ والمنتهى ، وإذا وصلت إليه فلن يكون بعد الوصل فصل ، وسوف تراه مهما تبدلت أحوالك ، فهو ليس فى حالة وهو مسلط عليها والزمان عبد له ، ويستطيع حتى من الهواجس المادية فى داخلنا أن يبعث روحا باحثة عن الله ، فهو المنتهى لأنه لو طرأت عليه الأحوال لما استطاع أن يكون المنتهى ، والمحدود هو الذى ينتظر حتى يوجد الله تعالى فيه حالا ، والمقيم على الحال هو الإنسان الذى تطرأ عليه أحوال مختلفة بإرادة الحق .

(١٤٢٧ - ١٤٣٦) كما أن هناك إنسانا متوقفا على الحال ، فمن بين سالكى الحق من هو صوفى يلزم الوقت الذى يأتيه فيه الحال ومن ثم يقال عليه « ابن الوقت » العارف ابن الوقت أى أن ظاهره تبع لباطنه وباطنه تبع للحق ؛ لأن الله

سبحانه وتعالى هو الذى يحرك باطنه أو يسكنه فيتحرك ظاهره ويسكن ، وهذا كما يكون الماء فى لون الكأس ، فهناك وقت يجب فيه على العـــارف السكون ووقت يجب عليه فيه الاضطراب والحركة ووقت ينبغى فيه أن يشكو ، وحينا يصبر وحينا يشكو ، وحينا يختلط بالناس وحينا يعتزلهم « شرح التعرف ٤ / ١٤٢ » لكن هناك من هو فى مرتبة أعلى فلا حاجة به إلى الوقت ، أو إلى الحال وهو « الصافى » من صافاه الحب فهو صاف ومن صافاه الحبيب فهو صوفى والصفاء طبع والتصوف تكلف ، وليست صفة الصفاء مرتبطة بالأعمال والأحوال ، بل الصفاء سمة الأحباب وهم شموس بلا سحاب ، فالصفاء صفة المحبين ، والمحب هو الفانى فى صفائه والباقى فى صفات محبوبه (كشف المحجوب ترجمة ٤١ – ٤٤) والحكاية التى رواها السبزوارى (ص ٢٠٨) مناسبة فى هذا المجال : التقى صوفى مع صافى فسألة الصافى فى أى مقام أنت؟ قال : فى مقام التوكل وبعد فترة التقى به فسأله فى أى مقام ؟ قال : فى مقام الصبر ، ثم لقيه فسألة فى أى مقام فقال : فى الرضا فقال : كل عمرك مشغول بنفسك وإصلاح نفسك فمتى تشغل بالله والمقصود عدم رؤية العمل لا عدم العمل فالسير فى الله والسير إلى الله والسير من الله كلها مطلوبة ، والصافى هو الواصل المسيطر على أحواله ، ومن أنفاسه التى تشبه أنفاس المسيح هناك أحوال مختلفة تتوالى عليه بعزمه ، الذى تتوقف عليه أحوال الصوفية وأوقاتهم ، وليس هو مثل ذلك المذكور فى الحكاية السابقة ، إنه لا يمكن أن يكون معشوقا للخليل الذى قال : « لا أحب الآفلين » ، إن هـــؤلاء المتوقفين علـــى الأحـــوال أشبه « ببرج القمر » (صورة برج القمر فى علم الهيئة) دون نور القمر ، والصوفى ينتظر الوقت ليغتنمه ، لكن الصافى غريق فى نور الجلال ، وهو ليس ابن الوقت أو ابن شئ آخـر ، إنه غـريق النور الذى لم يلد ولم يولد فهو أزلى أبدى ليس محدودا بمكان أو زمان .

(١٤٣٧ - ١٤٥٠) يدور الحديث حول العشق الذى يجعلك غريقا فى نور ذى الجلال وينسيك « أنيتك » ولا يجعلك عبدا للأحوال المختلفة ، وشخصية كل أمرئ يمكن معرفتها من مطلوبه وهمته (الهمة هى التوجه الباطنى للسالك ، وللمراد أو الشيخ قدرته ونفوذه الباطنى) ، وجاف الشفة هو ذلك الذى ترى فيه علامات الحاجة إلى السير إلى الله ، ويراها مولانا فى كل حركات العبد فى السير إلى الله (انظر الأبيات ٩٧٩ وما بعدها) وفى مقابل السعى هناك الجذب ، السعى جالب للجذب لا محالة :

إذا كان الظمأى يبحثون عن الماء فالماء يبحث عن الظمأى فى العالم

(الكتاب الأول / بيت ١٧١)

وهذا الطلب هو الذى يقضى على كل مانع فى الطريق ، والآلة فى البيت ١٤٤٦ مقصود بها الاستعداد الروحى من أجل سلوك الطريق وربما يقصد بها المرشد أيضا ، فلا حاجة فى أمور الحق إلى الأسباب والعلل ، إن لم يكن لديك آلة فابحث عن طلاب الحق والزمهم ومهما رأيت فى نفسك من عدم جدارة أو استحقاق لو سلكت طريق الحق ، تستطيع أن تكون رفيق طريق رجال الحق ، فالنملة وجدت الطريق إلى حضرة سليمان عليه السلام والمعنى فى (سورة النمل / ١٨ - ١٩) .

(١٤٥١) الحكاية التى تبدأ هنا من قصص القرآن ووردت فى التفاسير المختلفة كما وردت فى قصص الأنبياء للثعلبى (ص ٢٣٤) وفى تفسير أبى الفتوح الرازى (مأخذ / ١٠٠ - ١٠١) وواضح عند المقارنة بين الأصل وتناول مولانا جلال الدين أن مولانا لم يكن يأخذ من القصة إلا الجزء الخاص بالحادثة فيها ثم يضيف ويحذف بما يتفق مع هدفه فى إرشاد السالكين والمريدين ، وتناول المعانى الصوفية العرفانية .. والنبى داود عليه السلام هنا رمز للشيخ

المراد ، والكسول الذى كان يريد رزقا بلا سعى رمز للمريد الذى أسلم نفسه لله دون آلة أو عدة أو استعداد ، اللهم إلا الإلحاح والضراعة فى الدعاء وعن أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما قال : إنى أجدنى أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقى على قفاه ويقول : اللهم ارزقنى ويدع أن ينتشر فى الأرض ويلتمس من فضل الله والذرة تخرج من جحرهاتلتمس رزقها . (جعفرى ٧ / ١٧٩) .

(١٤٧٥) المقصود أن نوره من نور الله لا من جهة الشرق أو من جهة الغرب ولذلك فهو فى كل الجهات .

(١٤٨٥) حديث إن الله يحب الملحين فى الدعاء (الجامع الصغير ١ / ٧٥ - البيهقى فى شعب الإيمان) .

(١٤٩١) يترك مولانا استرساله فى الحكاية ويجيب سائلا يستحثه فى إتمام الحكاية وهل بيده أن يكمل الحكاية ؟ إن الحكاية (العمل الفنى - العمل الأدبى) كالجنين لا بد أن يأخذ دورته المحتومة لكى يولد . وهكذا كان مولانا يعتبر العمل الأدبى والفنى مخاضا وولادة معنوية قبل أن يشيع هذا التعبير بقرون (انظر أيضا الكتاب الثانى - بيت ١ وشروحه) هذا الجذب متأثر بإلهام الله سبحانه وتعالى مسير بقدرته ، ويتجه مولانا إلى الله تعالى طالبا منه العون . فهو قادر على أن يجعل لسانه يجرى بالنظم ، كقدرته على جعل الجماد مسبحا (انظر تعليقات الأبيات ١٠١٣ - ١٠٢٨) وليس بمستبعد أن ينكر الإنسان تسبيح الجماد ، وكل إنسان ينكر تسبيح الإنسان نفسه إذا لم يكن على مذهبه . مع أن التسبيح مهما اختلفت أشكاله وألفاظه موجه إلى ذات عليا واحدة هى الله سبحانه وتعالى . فالسنى والجبرى مسبحان . لكن كلاهما ينكر تسبيح الآخر ، وكلاهما ينكر على الآخر أن يقوم ملبيا أمر الله تعالى لنبيه بأن « قم » (سورة المدثر) . وما هذا الخلاف إلا لكى يظهر الله سبحانه وتعالى حقيقة كل منهم ،

فالله سبحانه وتعالى يضع القهر فى صورة اللطف واللطف فى صورة القهر امتحانا لعباده ، والناس يرون القهر قهرا واللطف لطفا ، اللهم إلا أولئك الذين وضع الله فى قلوبهم محقا ربانيا ، أما أولئك الذين يسيرون على الظن فكأنهم طائر يطير نحو عشه بجناح واحد مآله الضلال والسقوط .

(١٥١١ – ١٥٢٢) العلم المقصود هنا هو العلم الإلهى ، وفى مقابله يستخدم مولانا الظن والوهم وما إليها ، ومقصوده منها العلم الظاهرى وأبحاث علماء الدرس الذين يسميهم أهل الحس أيضا ، وعلم أهل الحق متصل بالحق ومن ثم فهو قرين باليقين . وهو يقصد بهذه الأبيات أنه بعلوم هذه الدنيا أو علوم أهل الحس أو العلوم التقليدية والمدرسية غالبا ما يقع الإنسان فى الظن والوهم ولا يصل إلى الحقيقة أو إلى الراحة التى تبعثها الحقيقة (انظر المقلد والمحقق الأبيات ٤٩١ – ٤٩٦ الكتاب الثانى) وفى البيت ١٥١٥ يشير مولانا إلى الآية الكريمة ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ (الملك / ٢٢) . وفى البيت التالى يقصد بالقال والقيل الجدل الموجود بين الفرق المختلفة . وفى الأبيات التالية يصف الإنسان الذى يصل إلى مرتبة التيقن : لا يغره الثناء ولا يؤيسه الذم ، إنه نسيج وحده ، لا يطير خلف كل ناعق ، ولا يهمه إن كان وحيدا فى يقينه حتى وإن كان العالم كله على نقيضه ولا يؤمن بما يؤمن به . وهو أيضا لا يمرض بالوهم بطعن الطاعنين والبيت تمهيد للحكاية التالية .

(١٥٢٣) شخصية مريض الوهم من الشخصيات التى يقال إن الذى أدخلها إلى الأدب العالمى هو موليير فى مسرحيته التى تحمل هذا الاسم ، لكن مريض الوهم الذى يقدمه مولانا جلال الدين أقدم من مريض موليير بقرون ، والقصة وردت مثلها فى عيون الأخبار وألف ليلة وليلة وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (مآخذ / ١٠١) وفيها يتجلى فن مولانا فى نسج القصة وحبكها ، ومن ثم فمثل كثير من القصص التى وردت فى المثنوى أصبحت بعده جزءا من الترا

الشعبى كمثل من الأمثال الشعبية يعتمد على هذه الحكاية ، يضرب لمريض الوهم الذى يظهر من التفجع ما يفوق مرضه فيقال له « آخوند بدنباشى أو مــلا بيمارمكن » أى لا بأس عليك ياشيخ « أو » لا تجعل الملا مريضا » (انظر داستانهاى أمثال ١٣ و ٤٢١) والمعلم هنا نموذج لفاقد اليقين الذى يقع فى الوهم والظن من كلام هذا وذاك .

(١٥٣٨ - ١٥٣٩) تتفاوت العقول كما تتفاوت الصور ، والشطرة الثانية من البيت ١٥٣٩ فيها إشارة إلى كلام منسوب إلى الإمام على عليه السلام : تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه «ويروى فى بعض المصادر كحديث نبوى شريف (استعلامى ٣ / ٢٨٧) . كما ينقل جلبنارلى (٣ / ٢٤٣) بعض الأحاديث الآخرى منها « الجمال فى الرجل اللسان » .

(١٥٤٠ - ١٥٤٦) غالبا ما يناقش مولانا المعتزلة ، وهو أقرب فى فكره الكلامى إلى الأشاعرة (مثل سنائى والعطار) وقد مرت مناقشته لتأويلهم لتسبيح الجماد ، وناقشهم فى الكتاب الثانى فى مسألة رؤية الله تعالى بالأبصار وهنا يناقض قول المعتزلة فى تساوى العقول ، ثم تفاوتها بتأثير التعليم والإرشاد ، ويرى مولانا أن كل الفضائل تنبعث من تأثير الأنبياء والأولياء كتجل للعناية الإلهية ، ومن هنا يرى أن اختلاف العقول موجود فى الأصل وفى الجبلة ، فذكاء طفل المكتب أكثر ذكاء من كل أقرانه ، ويكاد رأى مولانا جلال الدين يكون مشهودا ، فما من مدرسة أو فصل واحد إلا وفيه الجاهل والعالم والذكى والخامل ، ومن هنا يخلص أن الذكاء الفطرى أكثر أهمية من الذكاء الحاصل عن التعليم ، وفى البيت التالى يصف أهل المدرسة بأعرج يحاول أن يعدو .

(١٥٥٦ - ١٥٦٢) فى خلال القصة يعرج مولانا على نموذج لمريض آخر بالوهم ، إنه فرعون الذى أدى الألوهية من تعظيم الخلق له (وكم من فرعون

ينفخ فيه من حوله !) ، فالعقل الجزئى (عقل البشر) لأنه محدود فى معرفته الحياة المادية مأخوذ بالوهم والظن . فهو نابع من ظلمات النفس والحس ، وخوف الوهم ، والوهم يولد الخوف . وانظر إلى الصورة فالذى يمشى على جدار عال عرضة للسقوط مهما كان الجدار عريضا ؛ لأن الخوف من السقوط موجود ، بينما يكون السائر على الأرض – الواقف على أرض صلبة متماسكة – أمنا لو كان عرض الطريق نصف ذراع و (١٥٨٠) مأخوذ من حديث منسوب إلى النبى ﷺ : لا تمارضوا فتمرضوا ولا تحفروا قبوركم فتموتوا (استعلامى ٣ / ٢٨٨) .

(١٦٠٦ – ١٦١١) يترك مولانا القصة عندما يذكر الشيخ أنه كان منهمكا فى القيل والقال وغافلا عن هذا الألم الموجود فى داخله . وهكذا يرى مولانا أن الانشغال بالظاهر قد يجعل الإنسان يغيب عما يمكن أن يجرى له : فنسوة مصر قطعن أيديهن من النظر إلى يوسف عليه السلام (يوسف ٣١) والمقاتل قد ينهمك فى القتال دون أن يحس أن عضوا منه قد جرح .

(١٦١٢ – ١٦١٥) يتحدث مولانا عن الجانب الباطنى للوجود . وليس الجسم إلا رداء وغطاء للوجود الحقيقى ، ومن البله التعلق هكذا بالظاهر (فما بالك بمن يتعلق بظاهر الظاهر أى بما يوضع على الجسم) وأولى بالروح ذكر الله تعالى ، وفى البيت التالى يبرهن على فكرته بأنك ترى فى النوم أنك تسعى بقدميك وتستخدم يديك ، فى حين أن قدميك ، ويديك اللتين تعتبرهما حقيقتين – موجودتان فى الفراش ، وإذا كنت هكذا وبدنك نائم تمتلك البدن فلماذا تعتبر إذن أن الموت هو موت البدن وتخشاه ؟

(١٦١٦ – ١٦١٧) الحديث القدسى المروى فى العنوان الذى يسبق هذين البيتين « أنا جليس من ذكرنى وأنيس من استأنس بى » أصله موجود فى الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية : « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت

شفتاه » ويقول جعفرى (٧ / ٣٣٦) أن مضمون العنوان راجع إلى خطبة لعلى رضى الله عنه فى نهج البلاغة : اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم فى سرائرهم وتطلع عليهم فى ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم إليك ملهوفة إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك وإن صبت عليهم المصائب صبا لجأوا إلى الاستجارة بك علما بأن أزمة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك . كما أن البيت المذكور قبل البيت ١٦١٦ ليس فى المثنوى وإنما هو من المنسوب للشاعر الصوفى الفارسى أبى سعيد بن أبى الخير .. والمقصود بالحديث هنا الصوفى أبو الخير عباد بن عبد الله التيناتى الأقطع النيسابورى فى بعض المصادر ، ويخلط صاحب المنهج بينه وبين صوفى آخر ورد فى مقالات شمس الدين التبريزى ، ومن شيوخه هو أبو بكر سله باف التبريزى ، (١٣٤) وربما حدث هذا الخلط لأن مولانا نفسه نسج من حياة الشيخين حياة واحدة . وماذا فى ذلك والأولياء كلهم كنفس واحدة وإن كان قد ذكر أيضا أن أبا الخير الأقطع كان يجدل السلال بيدين وأن الله كان يرد له يده المقطوعة عند قيامه بعمله كما سنرى . وذكر العطار أنه نقل حكايته رواية عنه (توفى أبو الخير بعد سنة ٣٤٥ هـ بينما توفى العطار كما يقال فى غزوة المغول سنة ٦١٦ هـ) (!!) على كل ينقل العطار عنه حكاية لا بأس بها فحواها أنه حدث ذات يوم أن ملكا كان يمر بجوار جبل وكان يعطى كل فقير دينارا وأخذ أبو الخير الدينار بظهر يده وألقى به ، وبعد ذلك قرأ القرآن ذات يوم دون أن يتوضأ ، فى ذات يوم فقدت أموال فى سوق المدينة واتهموا جماعة من الدراويش ومن بينهم أبو الخير ، وأقاموا الحد عليه وقطعوا يده وهو يقول : هذه اليد التى لمست أموال العسكر وحملت القرآن دون وضوء مستحقة للقطع . وكان يقول لامرأته وهى تنوح : ليتهم قطعوا هذا القلب (تذكرة الأولياء للعطار أوفست عن ليدن ٥٤٩) والحكاية عند مولانا جلال الدين

أقرب إلى مـارواه ابن الجوزى فى تلبيس إبليس (ص ٣١٢ – ص ٣١٤) وواضح أن مولانا يركـز فى الحكاية على بعض الجـزئيات التى تخدم الهدف من قصـها . وبعد البيتين ١٦١٦ – ١٦١٧ يترك مولانا الحكاية حتى البيت رقم ١٦٣٦

(١٦١٨ – ١٦٢٥) كل إنسان له ميله الخاص فى الحياة ، ولقد خلق الله كل إنسان لعمل ، وييسره لهذا العمل « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (١٦٢٢) : ترجمت طائر « الهما » وهو طائر خرافى ورد فى الأساطير الفارسية بطائر البلَح (بضم الباء وفتح اللام) متابعة للزمخشرى فى أساس البلاغة (جـ ١ ص ٦١) والمقصود بالبيت أنك إذا كنت منبتا عن الأرض وكل ميلك نحو رجال الحق ونحو الأعمال الروحانية فإنك سوف تستطيع أن تصل إلى أعلى ما يحلق إليه طائر البلَح ، وأن تتفوق على ملوك الأرض ، وفكر فى المنتهى ، فى حضرة الحق .

(١٦٢٦) الحكاية هنا فيما يرى استعلامى من الحكايات الشائعة فى زمن مولانا (٣ / ٢٩٠) والواقع أنها من التراث الشعبى إذ يوجد مثيل لها فى الأدب الشعبى المصرى ويقصد أن الذكى يرى عواقب الأمور وهى لا تزال فى بداياتها .

(١٦٣٦ – ١٦٤٢) يواصل مولانا حكاية أبى الخير الأقطع ، ومن الواضح أن ما ورد هنا غير متطابق مع ما يروى عن قصة أبى الخير الأقطع ، وهو يتصل بعهد أخذه أبو الخير الأقطع على نفسه ، وهو عهد يبدو فيه أنه شق على نفسه ، و « تنطع » مع الله تعالى ، وهذا الجزء من الحكاية الخاص بالعهد ورد فى شأن كثير من الصوفية الذين عاهدوا على أمور غير طبيعية ، ومن ثم فقد لحق بهم الامتحان الإلهى ، ذلك أنهم تركوا الاستثناء ، أى قولهم : « إن شاء الله » واعترفوا بالقوة والحول لأنفسهم دون استمداد من قوة الله تعالى ومن حوله (انظر الأبيات ٤٨ – ٥٠ من الكتاب الأول) فالله تعالى يحول القلوب كل لحظة ، وهو مقلبها ومحولها ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ (الرحمن / ٢٩) .

(١٦٤٣ - ١٦٥١) فى هذه الأبيات إشارة إلى حديث نبوى « إن هذا القلب كريشة بفلاة من الأرض يقلبها الريح ظهرا لبطن» وحديث آخر هو « لقلب ابن آدم أشبه انقلابا من القدر إذا اجتمعت غليا » (استعلامى ٣ / ٢٩١) و « شرح الأنقروى ٣ / ٢٦٦ - مولوى ٣ /٢٣١ » والمقصود أن غليان القدر ليس منه بل من شيء آخر . إن رغائب القلب ليست نابعة منه لكنها نابعة من المشيئة الإلهية التى تجعل غزل الإنسان أنكاثا ، وقوة قضاء الحق هى التى تجعل كل نواياك بددا ، ولا سبيل إلا الاستثناء ، أى قول إن شاء الله .

(١٦٥٢ - ١٦٧٢) ابن العظيم الحافى العارى الذى سقط فى حب بغى فأفلسته وحطمته هو الإنسان ابن الخليفة الذى سقط فى حب الدنيا فذرت كل تراثه الروحى ومكامن عظمته أدراج الرياح . إنه يطلب الدعاء من أهل الحق قائلا : أدعو حتى يخلصنى الله من هذا القيد . وتنظر إليه فلا تجد قيدا على قدميه أو على يديه . فأين إذن هذا القيد ؛ إنه قيد قضاء الحق الثقيل الذى يعجز كل حدادى العالم عن تحطيمه ، إنه قيد معنوى لا يتحطم إلا بهمة رجال الحق إذ لا يراه سواهم وهم أطباء القلوب . وزعيم أطباء القلوب هو محمد ﷺ إذ إنه هو وحده الذى رأى الحبل فى جيد زوجة أبى لهب ﴿وامراته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد﴾ (٤ - ٥ المسد) فمتى كانت زوجة أبى لهب المنعمة المدللة تحمل الحطب ومن رأى سواه ﷺ الحبل على جيدها ؟ إنه هو الذى يستطيع أن يرى الأمراض المعنوية التى لا تنبئ منها هيئة المريض أو مظهره ، لم ير أحد الحبل فأولوا السورة - يقول يوسف ابن أحمد « وأولوا سورة المسد بأنها تقصد جنون امرأة أبى لهب ، فلا يعقل وهى ابنة العز والحسب أن تحمل الحطب ، فأولوه بأنها تحمل حطب الأوزار وحطب النميمة التى تشعل نار الفتنة .. ولم يعلموا أن حملها للحطب حقيقة ومجاز ، وفى تفسير نجم الدين كبرى : فى عنق كبرها حبل من ذلة فهو حبل معنوى ، وفسر نجم الدين ابن الداية (امراته حمالة

الحطب) أى الهوى المؤذى فى أهل خاطر الهوى (مولوى ٣ / ٢٣٣ - ٢٣٤) وغضب الله عندما يحط على إنسان - والعياذ بالله - يكون دائم الشكوى وهو لا يعاني شيئا فى الظاهر ، وغالبا ما يتعجب إنسان : مالفلان هذا دائم الشكوى وهو لا يعانى شيئا فى الظاهر ، فلا هو يشكو مرضا فى البدن أو نقصا فى المال .. لكنها القيود الربانية التى توضع حول النفس العاصية وتجعلها دائمة الشكوى . إن الذى يرى العلامات الباطنة هو رجل الحق ، والمصطفى ﷺ رأى الحبل ولم يره سواه . وهو الذى يعرف الشقى من السعيد لكنه لا يكشف سرا لذى الجلال .

(١٦٧٣ - ١٧٠١) يعود مولانا إلى قصة أبى الخير الأقطع : لقد مرت خمسة أيام وبلغ به الجوع مبلغه . وهذا أول امتحان من الله . فهذا الصوفى المنقطع جاع بعد خمسة أيام فقط فى حين أن غيره من الصوفية كانوا يطوون (يصومون صوما متواصلا) أربعين يوما . فما باله لم يصبر سوى هذه الفترة ؟ لقد كان عهده جرأة ولم يكن يحسب فيه حساب المشيئة ، ولم يلبث الامتحان الثانى والعقاب الإلهى أن وصل إليه ، وهنا يختلف مولانا فى رواية القصة عن منابعها ، فها هو فى الجبل ويصل جماعة من اللصوص يقسمون المسروقات ، « ويكبس » عليهم الشرطة بعد بلاغ من أحد المخبرين ، « ويقبض على أبى الخير وهو لا يتكلم ولا يدافع عن نفسه ، فهو يعلم الدرس جيدا ، وبعد أن تقطع يده ، يمد رجله لقطعها « حد الحرابة » فيصل فارس (لعله من رجال الغيب) وينقذ قدم الشيخ فى آخر لحظة . ويقدم مولانا الدرس المستفاد على لسان الأقطع نفسه وهو يرد على اعتذار الوالى (المقصود بالطبع رئيس الشرطة) ويجعله فى حل من يده : لقد نكث بالعهد ولم يحافظ على عهده أمام الله .. فأمرت محكمته بقطع يمينه . إنه شؤم الجرأة لقد رأى لنفسه حولا وطولا ولم يذكر حول الله وقوته ومن ثم فكل شىء فداء لحكم الحبيب . إن مولانا يقدم درسا فى الأدب

على لســان أبى الخير طالما قدمه الصوفية . قال الشبلى ذات مرة بين يدى الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال له الجنيد : هذا ضيق صدر وضيق الصدر إنما يكون من عدم الرضا بالقضاء ، وقيل لرابعة : متى يكون العبد راضيا فقالت : إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة (مولوى ٣ / ٢٣٧) ويسوق مولانا تعليقه هو أخذا الأمثلة من الحياة التى تحيط به : هذا هو الطائر يحلق عاليا لكن طمعه فى الحب يجعله يسقط فى الشراك ، وطائر آخر مغرد يسقط فى قفص الأسر من جراء طمعه ، والسمكة فى أعماق الماء يأخذها الشص لحرصها وطمعها ، والسيدة العفيفة فى حجابها قد تنهار وتبيع جسدها من جراء شهوة الفرج وشهوة الحلق . والقاضى العالم الحبر حسن السمعة قد يرتشى طمعا ويفتضح ، ولماذا نبتعد أليس هاروت وماروت قد حرما من ملكوت السماء من جراء الشهوة ؟ (انظر شروح ٤٧١ و ٧٩٧) .

(١٧٠٢ - ١٧٠٤) الرواية الواردة عن أبى يزيد البسطامى هنا وردت فى تذكرة الأولياء ص ١٨٤

(١٧٠٧ - ٧٢٢١) ذكر ياقوت الحموى عند حديثه عن بلدة تينات أن بها أبا الخير التيناتى وهو يفعل بيد واحدة مالا يمكن القيام به إلا بيدين ، لكن فى كثير من مصادر الصوفية - ومن بينها هذه الأبيات - أن الله كان يرد إليه يده وقت العمل ، وبالطبع هذا أكثر مناسبة للمذاق الصوفى ، كان أبو الخير يخفى هذه الكرامة ، لكن الناس اطلعوا عليها ؛ فناجى ربه : ياإلهى إنك أنت الذى تعلن ويجيب الحق : إن هذا لكيلا يسىء الناس الظن بالحق . وحتى لا يردوا قانطين عن الأعتاب الإلهية . وإلا فبالنسبة لك تستوى الأمور ، فإن ضياع البدن لا يعنى عندك شيئا .

(١٧٢٣ - ١٧٣٤) إن هذا هو السبب الذى لم يخف سحرة فرعون (الذين آمنوا بموسى) من تهديد فرعون لهم بقطع أجسادهم ، كانوا قد تحرروا من

الخوف وعرفوا القيمة الحقيقية للجسد ، إنه مجرد ظل وإن الوجود الحقيقى لله ، وإنه إذا انتفى الظل أصبح الطريق إلى الوجود الحقيقى مفتوحا ، فكان ما يعتبره فرعون موتا هو بالنسبة لهم حياة ، وما يعتبره هلاكا هو بالنسبة لهم وجود ونجاة ، إن اليد التى تبتر هنا إنما تبتر فى حلم ما دامت الدنيا حلما ، ولا ضير إن بترت اليد فى حلم فإنك إذا استيقظت سوف تجد يدك فى مكانها ، بل إن الحلم ليدل على عكسه تماما ، فإن قطعت (فى سبيل الله بالطبع) فى هذه الدنيا .. فتأويل ذلك أن عمرك خالد طويل ، وأنك فى أتم صحة (روحانية) .

(١٧٣٥ – ١٧٣٩) عن جابر قال : كنت مع النبى ﷺ إذ أتاه رجل أبيض الوجه فقال : يارسول الله ما الدنيا ؟ قال عليه السلام : حلم النائم . فقال : كم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال عليه السلام : غمضة عين . فقال : كم القرار فيها . قال عليه السلام : قدر التخلف عن القافلة . ثم ذهب الرجل فقال عليه السلام : هذا جبريل أتاكم يزهدكم فى دنياكم (مولوى ٣ / ٢٤٢) ويقول جلبنارلى (٣ / ٢٤٥) أن المعنى ناظر إلى قول منسوب إلى على رضى الله عنه « الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام » يقول مولانا : لقد قبلت هذا القول على سبيل التقليد لكن أهل الله يرونه على سبيل التحقيق ، وحتى حياتنا عند اليقظة هى حياة على سبيل النوم . وعندما تنام تقول ها أنا سأذهب لأنام وأنت غافل عن أنك فى النوم الثانى : فالنوم الأول هو حياتك فى غفلة أما النوم الثانى فهو النوم البدنى ، إنك تدرك معنى النوم الثانى عندما تدرك النوم الأول ، ويكون مطلعا على كل أعمالك خلال هذا النوم .

(١٧٤٠ – ١٧٤٧) الفخارى هنا كناية عن الحق سبحانه وتعالى ، وهو الذى يستطيع أن يجبر كل كسورنا ويستر عوراتنا ، والأعمى هو الذى لا يملك البصيرة ويخشى من مشكلات الدنيا ويجعلها كل همه ومبلغ علمه ، أما رجل الحق فهو العالم بالطريق والعالم بحفره .. ومن ثم فهو مستبشر بالله تعالى .

ويعـود مولانـا إلى الحديث علـى لسـان السـحـرة : والمراد بتـمزيق الخـرقـة تمزيق الجـسـد والعـرى من الجـسـد أفـضل فـهـو انطلاقـة الروح من سـجنهـا ، فـالروح تحتضـن المحبوب فى عريها ، ومن الأفضل أن تكون بلا لباس والتـحرير من المزاج والطبيعة أى التحرر من الجسد ومن الانشغـال بنشاطه الفسـيولوجى وهـذه هـى الحرية الحقيقة .

(١٧٤٨ - ١٧٦٤) المثـال الوارد هـنا ورد بنصـه فى مـقـالات شـمـس الدين التبريزى فى ثلاثة مواضع : ص ٤٤ ، وص ٢٤١ وص ٣٢٧ .. فـالبـغل كناية عن أعمـى البصـيرة المذكـور فيـما سـبق ، والجمل رمـز لمن يسـتـشـرف الدنيـا من عل وهو الشيخ كامل النظر . ثم يتـحدث مولانا عن أصحاب الرؤية الاستـشـرافية من ذوى البـصـيـرة ، وفـى البيت ١٧٥٧ يـشـيـر مـولانا إلى الآية الكـريمة ﴿ قل هل يسـتـوى الأعـمى والبـصـيـر أفـلا تتـفكرون﴾ (الأنعـام / ٥٠) ويعـود إلى مـثـال الجنين : لقـد علمـه الله فى مـقـامـه هـذا كـيف يـجـذب غـذاءه . ثم يظل مع الإنسـان يعلمـه جـذب الأشـيـاء فكيـف لا يعلم الروح أيضـا جذب الأشـيـاء ؛ أليـسـت الروح تتغذى كما يتـغذى الجسد ؟ فكيف يهتم الله سبحانه وتعـالى بالجسد وهو عارية ولا يهـتم بالروح وهى الأصل ؟ ، بل إن الحق جـامع لذرات هـذا العـالم . وهـو الذى يرتق وجـود الخليقة بهذه الذرات . ويسـتطيع ثانيـة أن يضـمـهـا إليـه . ألسـت ترى هذا يحـدث لك كل يوم عند النوم : أنت ترى أن كل إحـسـاسـاتك تسـلب منك عند النوم وعندما تسـتيقظ تستدعيها ثانية لتعود إليك . فكيـف تشـك أنها تضـيع فى النوم الأبدى ؟ أليس بقادر على أن يعيدهـا مرة ثانية ؟

(١٧٦٥ - ١٧٧٣) لقـد ضـرب الله المثـال على هذا بوضـوح أكـثـر ودون لبس وراه غـيـرك بعين الحـس ، فلمـاذا لا تراه أنت بعين الروح ؟ ﴿ أو كـالذى مـر على قرية وهـى خاوية على عروشـهـا قال أنى يحـيى هـذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عـام ثم بعثـه قال كـم لبثت قـال لبـثت يوما أو بعـض يوم قـال بل لبـثت مائة عـام

فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة / ٢٥٩) والقصة وردت باسم عزير فى قصص الأنبياء وفى البيتين ١٧٧٢ – ١٧٧٣ : يخاطب الحق عزيراً لقد بينت لك هذا حتى تفهم فلا تخشى الموت وتعلم أنه كالنوم ، فمتى نقص بدنك من النوم ؟ .

(١٧٧٤ – ١٧٩٠) يواصل مولانا الأمثلة والحكايات حول هذه الفكرة : والحكاية المذكورة لها أشباه كثيرة فى سير الصوفية ، فقد وردت فى « حلية الأولياء » و « الرسالة القشيرية » و « تذكرة الأولياء » ، وفى المصدر الأخير ذكرت فى موضعين الموضع الأول حكاية عن الفضيل بن عياض ، وأنه لم ير مبتسما إلا يوم أن مات له ولد ، والموضع الثانى حكاية عن ابن عطاء ، وكيف أن قطاع الطرق قد وقعوا عليه ومعه أبناؤه العشرة ، فأخذ اللصوص فى قتل أبنائه وهو ينظر إلى السماء ويبتسم ، فعيره الابن العاشر بعدم شفقته وقسوة قلبه . فقال له : إن من يفعل هذا لا يمكن الاعتراض عليه فهو يعلم ويرى ويستطيع . ولو يشاء لحفظهم جميعا (مأخذ / ١٠٥ – ١٠٦) وواضح أن مولانا وفق بين الحكايتين فى حكاية واحدة . وفى البيت ١٧٧٦ العبارة المذكورة على أساس أنها حديث نبوى ذكرت فى كثير من المراجع على أساس أنها من مأثورات الصوفية (استعلامى ٣ / ٢٩٧) أما البيت ١٧٨٥ فهو إشارة إلى الحديث النبوى « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (ينظر شرح التعرف جـ ٢ ص ١١ وما بعدها) وفى رواية أخرى : أترونها للمطيعين ؟ لا بل هى لأصحاب الدماء والعظائم المتلوثين بالذنوب ، وقوله عليه السلام : وإنى اختبأت شفاعتى لأمتى ، وتمام هذا الخبر أن الرسول قال : لكل نبى دعوة مستجابة واختبأت دعوتى لأمتى ، وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قلت لرسول الله ﷺ : أين أطلبك يارسول الله ؟ ، قال : عند الحوض أسقى أمتى ، قلت : فإن لم أجدك ؟ قال : عند

الميزان أثقل ميزان أمتى ، قلت : فإن لم أجدك ؟ قال : عند الصراط أقول رب سلم رب سلم ، قلت : فإن لم أجدك ؟ : قال : لا أخلو من هذه المواطن الثلاثة ما بقى من أمتى واحد . وشفاعة الرسول فى كل موضع أما الشفاعة الكبرى فهى أن الناس عندما يخرجون من القبور يقفون أمامها ألف عام يتشفعون بالرسل فلا يرد عليهم أحد فيأتون محمدا عليه السلام وهو قدام العرش فيخر ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع - (ص ١١٥ جـ ٢ شرح التعرف) . ويعلق صاحب مناقب العارفين : عندما يكون السيف المهند قاطعا فى غمده فقس أنت عليه عندما يُسَل (١ / ٣٥٦) وفى البيت ١٧٨٩ : صلحاء أمتى لا يحتاجون لشفاعتى ، وإنما لهم شفاعة فى المذنبين (استعلامى ٣ / ٢٩٨) وفى البيت ١٧٩٠ : الشطرة الأولى أشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (الأنعام / ١٦٤) والشطرة الثانية إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ (الشرح / ٢) .

(١٧٩١ - ١٨٠٠) من كل ما سبق من إشارات قرآنية ونبوية يشير مولانا : إن الذى لا وزر عليه هو « الشيخ » وكأنه قوس انطلق من يد الحق : إنه ليس شيخا بمعنى أنه أشيب الشعر ، بل بمعنى أنه لم يبق فيه مثقال شعرة من التعلق بالدنيا والآمل بالباطل هو المؤمل فى الدنيا . ولا علاقة للمشيخة بالعمر . فعيسى عليه السلام كان شيخا فى المهد . والذى فنى عن أوصافه هو الشيخ أما الذى بقى من وصفه مقدار شعرة فهو « أفاقى » وقد فسر استعلامى أفاقى بأنه « دنيوى » (٣ / ٢٩٨) بينما ورد اللفظ نفسه فى شرح التعرف بأن الآفاقى هو الذى يكلف برؤية الآيات فى الآفاق وهى مرتبة دون رؤية الآيات فى الأنفس الأولى للعامة والثانية للصلحاء والصديقين (شرح تعرف ٢-١١٥ وما بعدها من طبعة لكهنو الكاملة دون تاريخ) .

(١٨٠٦ - ١٨١٥) يخرج مولانا من سياق القصة ليتحدث عن تأثير الأولياء

فى نظام الكون وفى نسقه .. فالأولياء رحمة للعالمين وهو وصف اختص به محمد ﷺ (الأنبياء ١٠٧) إلا أن مولانا يرى أن الأولياء ملحقون أيضا بهذا الوصف ، أما الرحمة الجزئية المذكورة فى البيت ١٨٠٩ فالمقصود بها عشر الرحمة الذى وزع على الخلق فيه يتراحمون ، أما الرحمة الكلية فهى تسعة أعشار الرحمة التى بقيت لله تعالى (إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة منها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، وأخر تسعا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) وفى رواية أخرى أن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى الخلق كلها رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار (جامع ١ / ٧٠) والرحمة الجزئية هى السبيل إلى الرحمة الكلية . وإن وقف عليها الإنسان فهو يظن أن كل غدير بحر . وإذا كان هو نفسه أى صاحب الرحمة الكلية (من الأولياء وغيرهم) . ولا يدرى أين البحر فكيف يدل الناس على هذا البحر ؟ .

(١٨١٩ - ١٨٢٥) فى جواب الشيخ على إمرأته يشير مولانا إلى أن الشيخ يرى بنور الباطن مالا نراه نحن ، ويقصد بالشطرة الثانية : أننا لسنا متساوين فى الرؤية . إن من تظنهم قد غابوا تحت طيات الثرى يراهم هو حوله يلعبون ؛ لأن رؤيته فوق الزمان وفوق المكان . وبينما يراهم الآخرون فى النوم يراهم هو فى اليقظة ، لماذا ؟ : لأنه يعطل الأحاسيس الدنيوية لحظة ويسقطها من شجرة الوجود.. ومن ثم يكون حس العقبى وهو سلم لذلك العالم فى قوته .. فيراهم (انظر . حس الدنيا وحس العقبى - الكتاب الأول البيت ٥٧٠ وما بعده) .

(١٨٢٦ - ١٨٣٦) ينتهى كلام الشيخ ليبدأ كلام مولانا . عن كيفية الخروج

من سلطة الحس ، فكما أن الحس أسير للعقل ، ولا يحكم العقل إلا فى منطقة الحواس ، وإطارها ، فهناك عقل آخر فوق هذا العقل ، وهو كالماء الصافى عليه على الحواس مشاهداتها فتحجبه عن المشاهدات السامية العليا ، ثم يأتى العقل الآخر (الباحث عن الله) فيزيح كل القذى (المشاهدات الحسية) عن هذا الماء وإلا فإن « هوى النفس » يأخذ كل من عالم الحس فيضعه على هذا الماء بحيث يصبح « غورا » ، ولا حل إلا أن تقيد يد الهوى بالتقوى ، ومن هنا تصبح الحواس المتسلطة الدنيوية مساعدة للعقل الباحث عن الله بدلا من أن تكون عقبة فى طريقه ، ذلك أن غلبة العقل العارف تجعل هذه الحواس نائمة دون نوم ظاهر ، ويعدها يسطع نور معرفة الغيب فى الروح (استعلامى ٣ / ٣٠٠) .

(١٨٣٧ - ١٨٥٦) وردت هذه القصة فى الرسالة القشيرية عن زاهد ضرير يقال له أبو معاوية (مآخذ ١٠٦) وفى خلال هذه الحكاية يورد حكاية أخرى فى المجال نفسه عن لقمان وداود وردت فى « العقد الفريد » لابن عبد ربه و « قصص الأنبياء » للثعالبى و « إحياء علوم الدين » للغزالى وتفسير أبى الفتوح الرازى (مآخذ / ١٠٦ - ١٠٧) وإن كان يغلب أنه أخذها من مصدر قريب منه وهو مجمل التواريخ والقصص والمقصود بالبيت ١٨٥٠ أنك أن تسرعت وسألت ولم تظفر بالإجابة الشافية فكأنك أضعت وقتا كان أولى أن تقضيه فى الصبر ؛ ولذا فهو أسرع فى التوصيل إلى المقصود وفى البيت ١٨٥٤ عبارة شبيهة بعبارة وردت فى مجمل التواريخ والقصص « الصمت حكم وقليل فاعله (مآخذ / ١٠٧) والصبر قرين للحق سبحانه وتعالى مصداقا لقوله ﴿ وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر﴾ (العصر) .

(١٨٧٤ - ١٨٧٩) يخلص مولانا من قصة الضرير والمصحف إلى نتيجة هى أن الولى لا اعتراض عنده ؛ لأنه على ثقة بالله تعالى ، وفى يقين من أمره وحكمه وأنه إن سلبه شيئا فسوف يعوضه أفضل منه ، وحتى إن قضى على الحياة نفسها وسلبها فإن العوض هو وصاله وهو الحياة الحقيقية ، وفى البيت ١٨٧٦ إشارة إلى حكاية أبى الخير الأقطع (انظر الأبيات ١٧٠٧ وما بعدها) ويقصد فى البيت ١٨٧٨ بتعبير « بلا نار » أى بترك الأسباب الدنيوية و « تجذبنا ناره» أى تقضى مصاعب طريق الحق على وجودنا المادى (استعلامى ٣ / ٣٠١) .

(١٨٨٠ - ١٨٨٥) يدور الحديث حول الرضا بقضاء الله ، وقمة الرضا هى التسليم دون دعاء بأن يرفع الله البلاء ، وهذا ما دام عوض البلاء يفوق البلاء نفسه بمراحل ، ومن ثم فأهل الرضا يحرمون الدعاء على أنفسهم ويسلمون للمشيئة والأمر على صلة بالرضا والطمأنينة والتسليم للمقادير والسرور عند المصيبة والابتلاء (شرح التعرف / ٣ - ١٤٤ / ١٤٨) وهو اعتماد على حسن ظنهم بالله يتلذذون بالبلاء لأنهم يرون فيه تجلى الحق سبحانه وتعالى .

(١٨٨٥ - ١٨٩٩) ما يرد فى هذه الأبيات وصف للمرشد الكامل أو القطب وهو الذى يرى كل ما يدور فى العالم - ويحسبه الآخرون من ظواهر الطبيعة - هو من المشيئة الإلهية ، وما دام مسلما بالمشيئة الإلهية فالعالم كله يسير فوق هواه ، فلا خوف عنده ولا شكوى . بل إن الحياة والموت ينفذان أمر القطب ، ويصدق بهلول (انظر تعليقات البيت ٧٠٠ فى هذا الكتاب) على كلام هذا الدرويش ، لكن يطلب منه الشرح ، ليقتنع به الفاضل ، وهو الذى علم بالطريق والفضولى وهو الذى يقحم نفسه على أهل الفضل ويضايقهم بتعليقاته وأسئلته ، ويضرب المثل للمائدة التى تعطى من نفسها لكل طالب على مذاقه وحاجته بالقرآن الكريم « إن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن » .

(١٩٠٠ - ١٩١٦) يفسر المرشد (الدرويش) لبهلول كيف أن الدنيا تسير

وفق هوى رجل الحق ، فإن رجل الحق يرى كل تغيير فى ظاهره أو فى باطنه مرده إلى الله تعالى ، فلا مشيئة له بل هو مريد لما أراد الله ، وفى البيت ١٩٠١ إشارة إلى ما ورد فى سورة الأنعام أية ٥٩ ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ إن هذه كلها أمور لا يمكن شرحها فالأمريطول لو شرحت ، كما أن « الجلد » على ذلك ليس على ما يرام . فمن الذى يستطيع أن يعد أوراق الشجر ؟ ويوالى رجل الحق شرح التناسق بين المشيئة الإلهية : فعندما يكون العبد راضيا بأمر الله فهو يخضع له دون تساؤل ودون تكلف ودون انتظار لثواب أو خوف من عقاب « إلهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك » ، إنه يحيا بالله لا أملا فى كسب . ويموت بالله لا نتيجة لخوف أو لنصب ، وهذا فى جبلته وطبعه فلا هو اكتسبها بسلوك أو طريق ، إنه فرح بقضاء الله فى حد ذاته ، نقل عن أبى على الدقاق أنه قال : هذا الأمر لا هو بعلة ولا لجهد لكنه جبلة كما قال الله ﴿يحبهم ويحبونه ﴾ ولم يذكرها فى سياق ذكر الطاعة والقيادة (تذكرة الأولياء ٢ / ١٦٤) .

(١٩١٧ - ١٩٢٥) فى هذه الأبيات يخلص إلى النتيجة الكلية بين مدرستين فى التصوف الإسلامى مدرسة كانت تحبذ الدعاء ، ومدرسة كانت ترى الدعاء نوعا من نفاد الصبر من القضاء ، فبينما يبدو بعضهم متلذذا حتى بثكل الأبناء (إشارة إلى ما ورد فى الأبيات ١٧٧٤ - ١٧٩٠) ، وبعضهم يرى أن الدعاء ليس ضيقا ولكنه لأن الله سبحانه وتعالى أراد له أن يدعو ، إنه لا يدعو رحمة ولا شفقة ، وإلا فإن كل هذه الأحاسيس العادية قد أفناها فى نفسه عندها انمحت كل صفاته ، لقد أحرق كل صفاته بنار العشق . ومن الذى يستطيع أن يدرك هذه الفروق الدقيقة إلا « الدقوقى » ؟

(١٩٢٦) يبدأ مولانا من هذا البيت الحديث عن الدقوقى وكراماته ، فى حوالى أربعمائة بيت ، ولم يذكر اسم الدقوقى بهذه الكرامات وبهذه الصورة فى مصدر قبل مولانا ، هناك بهذا الاسم شخصيتان لا يتفق ما ورد عنهما مع ما ذكره مولانا فى هذا الجزء من المثنوى : أولهما عبد المنعم بن محمد الدقوقى المحدث فى القرن السابع والمتوفى فى حماة سنة (٦٤٠ هـ) والثانى : تقى الدين محمود الدقوقى الذى ولد فى أواخر عمر مولانا ، وكان حيا حتى سنة (٧٣٣ هـ) وكان واعظا – ولم يكن أحدهما بالعارف أو من يملك شخصية عارفة بحيث ينسج مولانا حوله هذه القصة الطويلة . ولا « يوجد » « دقوقى » آخر معاصر لمولانا أو قبله ، وحتى إذا قيل : إن الاسم تحريف لاسم أبى على الدقاق وهو صوفى مشهور كان دائم السفر فإنه لم تنسب له كرامة أو رواية يمكن أن تكون أساسا لهذه القصة الطويلة (انظر نفحات الأنس ٢٩١) وربما يكون الأمر كله ابتكارا من مولانا جلال الدين على أساس الرؤى التى تكررت كثيرا فى « الفتوحات المكية » لابن عربى مستخدما اسما ما أعجبه (مآخذ ١٠٧ – ١١٠) أو سمع به ، أو لعله رأى بين الاسم وبين « الدقة » سببا فاختاره ، والدقوقى فى نظر مولانا روح سامية ، يعيش بين الناس دون أن يعيش بينهم ، يرى فى اليقظة ما يراه الآخرون فى النوم والسكر ، دائم الطلب لرجال الطريق ، يسافر سفرا لا كيفية فيه ويرى شموعا تتحول إلى بشر وبشرا يتحولون إلى شموع وأشجار وهلم جرا . كل ذلك فى بيان يطعمه مولانا بمذاق باطنى خاص ، وبأسلوب أدبى رفيع يبلغ فيه الرمز الصوفى قمة استخدامه الفنى ، بحيث تبدو القصة كقصة استبطانية سابقة لمنهج الاستبطان فى الأدب بقرون عديدة كما سنرى .

(١٩٢٩) ورد فى عوارف المعارف : إنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ، قال بشر بن حارثة : يا معشر الفقراء سيحوا تطيبوا ، والمسافر فى طريق الله إما يسافر بفكره فى المعقولات وهو من طلب الآيات على وجود صانعه

وشـهود خـالقـه إلى حق اليقـين ، وإما مـسـافر بالأعـمـال من عمل (مـولـوى ٣ / ٢٦٥) ، وقد يكون فى إشارة يـوسـف بن أحمد عن السـفر فـى المعقولات دليل على أن رحلة الدقوقى شأنها كشأن معـارج الصـوفية أغلبها معارج فى الروح وفى الباطن لا فى الأمـاكن والأصـقاع ، وفـى هـذه الإشارة إلى كثـرة سـفرة الدقـوقى ما يشـير إلى غرام كـثير من مشايخ الصـوفية بالسـياحـة ، وبينـهـم أبو عـلـى الدقاق (هل يمكن أن تـكون الدقـوقى إمـالـة للدقـاق ؟) (نـفـحـات الأنس / ١٩١) . وإبراهيـم الخـواص الذى روى عـنه أنه لم يـكـن يمكث فـى مـدينة مـا أكـثـر من أسبوعين .

(١٩٣٢) الاثنينيـة هى قطع العلائق عن الصـور الظاهـرة ، والمقصـود أنه كان منفردا لأنسه بالحق وليس كبرياء على الخلق .

(١٩٣٦) الإشـارة هنا إلى حـديث مروى عن الرسـول ﷺ (إنما أنـا لـكم مثل الوالد) « استـعلامى ٣ / ٣٠٥ » وإلى حديث آخر « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسـهم فـمن توفى من المؤمنـين وترك ديـنا فـعلى قـضـاؤه ، ومن ترك مالا فـهـو لورثته » وقال تعالى فى هـذا المضـمون فى سـورة الأحـزاب آية (٦) ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسـهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ (مولوى ٣ / ٢٦٥) .

(١٩٣٨) ترجمـة أيضا لحديث نبـوى « كل شـىء قطع من الحـى فهو ميت » (استـعلامى ٣ / ٣٠٥) .

(١٩٣٩) ما دام الرسـول ﷺ وأولياء الله هـم جزء من كلية الوجود فمن انقطع عنهم فهو ميتة حتى يتصل بهم ثانية .

(١٩٤٧) خـواص الحق هـم الأوليـاء الـكاملـون ومـجـالسـتـهم حـتـى بالنسـبـة للواصلين شـديدة النفع ، وهى ضـرورية فى نظر مولانا .

إذا صرت بعيدا عن حضـور الأوليـاء فأنت فى الحـقيقة تصـير بعيدا عن الحـق

(انظر الكتاب الثانى الأبيات ٢٢٢٠ - ٢٢٢٤ وشروحها) .

(١٩٥٦) فى النص مثل داود والواقع أن داود كان المشكو له ولم تكن تسعون نعجة كما ذكر مولانا بل هى بنص القرآن الكريم « تسع وتسعون نعجة ﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحده فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب﴾ (ص / ٢٣) .

(١٩٥٨ - ١٩٦٣) التعليق هنا خارج القصة ومن لدن مولانا ، والمقصود بالذكور أو الرجال رجال الحق الذين يقوون على الطريق ، والمخنثون هم الذين لا يملكون من الرجولة إلا مظاهرها ولا قوة لهم على الطريق ، والرجولة فى الطريق ليست رجولة الجنس ، فرب امرأة فى الطريق « أكثر رجولة » من كل الرجال . والسر الخفى فى هذا الطريق أن سالكه لا يشبع من التجليات والإنعامات . فليس فى هذا الطريق « صدر » أى ليس فيه زعامة ، ولا لسالكه منتهى ، يقول إن وصل إليه « لقد آن لى أن أتوقف » بل يظل الطريق فى حد ذاته هو المنتهى .

(١٩٦٤ - ١٩٧٤) والدليل على هذا هو قصة موسى والخضر عليهما السلام ، والخضر هو المرشد صاحب العلم اللدنى ، فموسى كليم الله كان طالبا للشيخ والمرشد ، فحتى الواصل لا بد له من الشيخ والمرشد ، أما المقصود بالشمس والقمر فهما موسى والخضر ، فكلاهما كوكب منير لكن القمر يستمد نوره من الشمس ، أما مجمع البحرين « فى تفسير لبعض العارفين » فهما كناية عن وليين من أولياء الحق وهما هنا موسى والخضر ، أو هما الجمع بين السير المباشر إلى الله والسير بصحبة شيخ ، ويرى موسى أن متابعة الخضر لسنوات أمر جدير بالنصيحة المرجوة . فإذا كان المرء يسعى ويكدح فى سبيل « عشق الخبز » أفلا يساوى عشق الأحبة كدحا أكثر وعملا أكثر ؟ .

(١٩٧٥ - ١٩٨٦) عودة إلى قصة الدقوقى : والخافقان هما الشرق والغرب أو هما السفر بين عالم المادة وعالم المعنى ، أو السير الباطنى داخل الذات ، وكل ذلك فى سبيل عشق المحبوب ، المشى حافيا على الشوك والحصى كناية عن صعوبة الطريق الصوفى ووعورته ، ولا يحس العارف بهذا لأن المشى لا يتم بالأعضاء ، بل هو سير بالقلب ، بل إن القلب نفسه فى سكره بالمحبوب لا يحس بهذا الطريق ، وينتقل مولانا إلى موضوع محبب إليه : وهو أن الطفرات التطورية فى حياة الإنسان العادى تتم دون انتقال ودون حركة ، فرحلة الإنسان من النطفة إلى العقل ومن العقل إلى الجنان (انظر من الجنين إلى الجنان تأليف مولانا قطب الدين عنقا ترجمة كاتب هذه السطور - القاهرة دار نشر الثقافة ١٩٧٧) لا يتم بالسير أو الخطو . وفى البيت ١٩٨٣ يقول مولانا أن الدقوقى كان يسير هو الآخر فى عالم المعنى ، أى يسير لا نقل فيه ولا حركة بالرغم من أنه كان ينتقل ويتحرك ، وفى البيت ١٩٨٤ يعود مولانا إلى الحديث على لسان الدقوقى : إن الدقوقى يرى البشر تجسيدا لأنوار الحبيب ، يرى فى كل إنسان جزءا من هذا النور ، وهو يطالع هذا النور فى أقل جزئيات العالم ، الذرة أو الهباء الذى يظهر فى شعاع الشمس وكالقطرة التى تمثل البحر ، ثم يدخل بنا فى مشاهداته عند وصوله إلى « ساحل ما » أى ساحل هذا ؟ قد يكون ذلك الحد الذى يفصل بين مشاهداته المعنوية وتجسد هذه المعنويات فى صورة تبدو كالأشباح عندما يصل السالك إلى ساحل عالم الأرواح ، وعالم المثال فى صورة هذا العالم فإن اللبن صورته فى عالم المثال العلم ، وكذا المحبة والعشق صورته فى عالم المثال الخمر ، وكذا الأشجار المثمرة صورة العلماء ، وكذا الشموع المنيرة صورة الأولياء ، فالعوام يدخلونه حالة النوم والخواص يدخلونه حالة اليقظة (مولوى ٣ / ٢٧٢) .

(١٩٨٧ - ١٩٩٢) الشموع السبعة فى رأى صاحب المنهج هى مصابيح أرواح الأبدال السبعة فى عالم الظلمات (٣ / ٢٧٢) ، والرقم سبعة فى كثير من

الأساطير والروايات المذهبية الشرقية ذو قيمة معنوية مقدسة ، وفى تصنيف الأولياء ، هناك طبقة عليا يسميهم الهجويرى فى كشف المحجوب الأبرار ، ويسميهم ابن عربى « الأبدال » وهم الحكام الباطنيون على الأقاليم السبعة التى ينقسم العالم إليها فى منظور الجغرافيا الإسلامية ، وقد تكون الشموع السبعة هنا هى تجلى نور الحق فى الأبرار أو الأبدال السبعة ، خاصة أن الشموع السبعة تتحول فيما بعد إلى سبعة رجال . وتزداد حيرة الدقوقى من مشاهداته التى لا يراها الخلق ، وهم سادرون فى غيهم يبحثون عن مصباح مع وجود هذه المصابيح المنيرة . لكن الله لم يشأ هدايتهم إليها « إنه يهدى من يشاء » .

(١٩٩٣ - ٢٠٠٢) تحول الشموع إلى شمعة واحدة كناية عن وحدة أولياء الحق (انظر شروح أبيات المقدمة) وهى فى مرتبة الوحدة تشق جيب الفلك أى تصل إلى أسرار تخرج عن نطاق هذا العالم الترابى ، أما تحولهم إلى سبع شموع مرة ثانية فهو كناية عن عودتهم من عالم الوحدة إلى عالم الكثرة ، أو من تجلى الذات إلى تجلى الصفات ، ورغم الكثرة فإن الاتصالات التى بينها لا توصف لأنها ليست من عالمنا الأرضى ، وتعبيراتنا مرهونة بهذا العالم الأرضى ، والمشاهدة الواحدة بعين الباطن لا يمكن التعبير عنها فى سنوات ، وما يصل إليها الإدارك الباطنى فى لحظة لا تقوى الأذن على سماعه فى عام و وما دام التعبير ليس ممكنا فانشغل بنفسك وهذبها وسر فى الطريق حتى تصل إلى الساحل الذى تنكشف لك فيه المشاهدات عيانا . وقل مادمت لا تجد ما تتحدث به من الثناء « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وفى الأبيات (٢٠٠٠ - ٢٠٠٢) يحاول الدقوقى أن يتقدم نحو هذه الشموع لكنه لا يقوى ويسقط مغشيا عليه . إن محاولة إدراك الباطن بالظاهر (الجسد والحركة) مقضى عليه بالفشل . لأن « القشة » بتعبير مولانا لا تتحمل الجبل (انظر الكتاب الأول - المقدمة) .

(٢٠٠٣ – ٢٠٠٤) فى رأى القدماء أن النور بلا جسم ، ويبدو هذا الأمر فى هذه القصة ، فتجلى عالم الغيب على عالم الصورة ظل ما دام فى صورة النور والشموع سعيا ما بين المعنى والصورة ، فهو نوع من الأعيان الثابتة أو الصور المثالية ، وفى هذين البيتين تنتقل المشاهدات من عالم المثال ، وتنقلب الشموع السبعة إلى سبعة رجال ، لكن أنوارهم مع ذلك ترتفع إلى عنان السماء . وربما شاهد الدقوقى فى صحوة أنهم سبعة رجال ، لأن حالات الحيرة والإغماء المتتالية تخرج الشيخ من المشاهدة الباطنية ومن عالم السكر إلى عالم الصحو .

(٢٠٠٥ – ٢٠١٠) حدث تحول الرجال إلى شجر عندما تحول بصر الدقوقى إلى عالم المثال فرأى كل رجل قد تحول إلى شجرة ، فقد رآهم فى البداية شموعا لتجردهم من المادة العنصرية ، ثم رآهم رجالا لمشاهدته إياهم فى هذا العالم مع أبدانهم فلما نظر فى عالم المثال شاهدهم أشجارا ، أى شاهدهم مع أرواحهم وأجسادهم وحواسهم وآثارهم وعلو مراتبهم (مولوى ٣/ ٢٧٥) وهذه الرؤية فى عالم المثال تثبت فترة أطول كما سنرى ـ وفى البيت ٢٠٠٨ يقصد السمكة والثور الأسطوريين عندما ساد الاعتقاد بأن الأرض على قرن ثور والثور على ظهر سمكة . وثمار هذه الأشجار روحانية أيضا ينبثق منها النور أيضا ، وهذه الثمار هى إفاضات هؤلاء الأبدال وحديثهم على الحق وورحمتهم بهم ، وهم سبب الرزق وسبب المطر الإلهية .

(٢٠١١ – ٢٠٣٤) تتناول هذه الأبيات فكرة أن أولياء الله غالبا ما هم مجهولون من الناس محجوبون عن الخلق ، إنهم لا يلجأون إلى ظلالهم الفينانة ويلجأون إلى أهل الدنيا فى هذه الصحراء القاحلة التى لا تحتوى على أشجار سواهم ، لقد سد الغضب الإلهى عليهم أبواب المعرفة ، فهم ينظرون إلى « السها» ولا ينظرون إلى القمر ، وتتعلق أبصارهم بالهباء المنبعث مع أشعة الشمس ولا تنظر إلى الشمس ، ويتقاتلون على متاع الدنيا وهو بمثابة التفاح المهترىء ،

ويدفعهم القحط إلى السلب والنهب ، بينما كل ورقة وكل برعمة من هذه الأشجار تقول (ياليت قومي يعلمون) (يس / ٢٦) إنهم لا يزالون يدعون الخلق إليهم لكن غيره الله تعالى عليهم وغضبه على الخلق لاتجاهم إلى « الغير » يغمض عيونهم ، لأنهم لا يستحقون الفيض ، فأولوية شروط الفيض الاستحقاق ، وهم من جهلهم لايسمعون من يوجهونهم ، أي تلك الأشجار الوارفة ، إنهم يظنونه يهذى من كثرة رياضاته وجوعه وسهره ، بحيث إن الدقوقى نفسه يشك : تراه واهما ؟ وكيف يكون واهما وهو يمشى بين هذه الأشجار يتفيأ ظلالها ويأكل من ثمارها ؟ إن ما يراه من تناقض بين حاله وأحوال الخلق يتقاتلون في سبيل متاع تافه (نصف حبة حصرم) ، يجعله في حيرة من أمره ، أتراه غافل عن أمره يتثبث بوهم ؟

(٢٠٣٥ - ٢٠٣٩) يعلق مولانا هنا : اقرأ يادقوقى ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ (يوسف / ١١٠) الرسل أنفسم ييأسون لا من رحمة الله بل من تكذيب الخلق ، واقرأها « كذبوا » بتشديد الذال ، لأن قراءتها بالتخفيف تعنى أن الكذب قد قيل لهم ، ولكن كذبوا بالتشديد تعنى المعنى المفترض وهو أن الخلق قد كذبوهم ، وعند اليأس الشديد يأتي النصر . كما ينبلج الفجر الصادق من ظلمة الليل البهيم . إن قراءتها بالتخفيف تعنى أن الأنبياء قد رأو أنفسهم « غير » الحق وأنهم كانوا في حجاب . على كل دعك من البحث في هذه الأمور الظاهرية « كيفية القراءة » ، فإن المهم هنا هو الثمار المعنوية ، فأسرع وجاهد ؛ لكى تأخذ نصيبك منها ؛ فإن ثمار عالم المعنى ذات سحر ، ولها في كل لحظة سحر جديد .

(٢٠٤٠ - ٢٠٤٧) عودة إلى حيرة الدقوقي ومشاهداته : ها هى الأشجار تنادى الناس لكنهم يظنونها خيالا من هؤلاء الناس الذين يرونهم مبتلين بالسوداء والهذيان والوهم ، إنهم يحكون عيون الأجساد علهم يرون شيئا ،

لكن متى كانت رؤية هذه الأمور منوطة بعيون الأجساد ؟ إنهم يتعجبون لأنهم لا يرون . والدقوقى يتعجب من ختم الله الذى ختم على قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم غشاوة ، إن عجب أبى لهب من صنع الله ، لكن عجب محمد صلى الله عليه وسلم من غفلة الأبصار والأسماع والقلوب عن صنع الله .. وخير للعارف أن يصمت . فإن لم تكن هناك آذان واعية فماذا يجدى الحديث ؟

(٢٠٤٨ – ٢٠٥٥) يتوالى تغير الصور على الدقوقى ، حينا يراهم سبعة وحينا يراهم واحدا . وهكذا بشكل مستمر ، هم سبعة عددا ، لكنهم نفس واحدة ، هم من حيث التعين متعددون ومن حيث الحقيقة واحد ، لكن رؤية الدقوقى « بحسب حاله » فإن حل به التكوين رآهم سبعة ، وإن تحقق من مرتبة الذات رآهم واحدا (مولوى / ٢٨١) وها هو يرى « الأشجار » تصطف للصلاة ، لماذا يراها أشجار حتى عند الصلاة ليثبت أنهم حتى فى عالم المثال عابدون راكعون ، وإن لم تصدق أن الشجر يصلى ، فاقرأ من سورة الرحمن ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (آية / ٦) ومن قال : إن الصلاة يلزمها مفاصل وركب ؟ إن هى إلا صورة الصلاة ، أما معنى الصلاة فحدث ولا تسل !!

(٢٠٥٦ – ٢٠٦٥) تنتقل التجليات من عالم المعنى إلى عالم الصورة وتتحول الأشجار السبعة إلى رجال سبعة ، وهذا واضح ، فسوف يتحدثون مع الدقوقى ، ومن العسير أن يتم الحديث وهم فى صور عالم المثال « الأشجار » .. لقد كانوا يعرفونه ، ونادوه باسمه ، ويتحير الدقوقى : إذا كانوا بالفعل مستغرقين فى نور الجلالة فكيف يعرفون الألفاظ والأسماء ؟ لكنهم يجيبونه : متى تخفى الأسماء على القلب المستغرق فى الله ؟ إنه هو الذى يعلم الأسماء كلها .. فكيف يضن على « صفوة أوليائه بعلم كان لأحدهم « آدم » ؟ فإذا غاب الاسم عن الولى حينا فهو موكول بهذا الحين فحسب ؛ لأنه يكون فى « استغراق » مع الله تعالى لا يرى سواه ولا يدرك إلا ما يجعله يدركه .

(٢٠٦٦ – ٢٠٧٣) يكرم الأبدال الدقوقى بأن يطلبوا منه أن يؤمهم فى الصلاة لكن كيف يقوم الدقوقى بالإمامة وهو فى حالته هذه أنه يطلب برهة من الزمان لكى يكون مستعدا ، ولكى تحل المشكلات التى تعن له ، والصحبة هى التى تحل هذه المشكلات وإن صدقت هذه الفكرة مع الأعيان والجماد والنبات فكيف لا تصدق مع رجال الله ، إن حبة الكرم بصحبتها وتفانيها فى التراب تتحول إلى كرمة سامقة ، والروح أيضا تمتزج بالجسم لكنها من عطايا الكرم جديرة بالتحليق والطيران ولا تتخلص الذات من « القبض » أى انقباض قلب السالك من غضب الله وتصير إلى البسط (أى انبساط الخاطر والطمأنينة) إلا بأن تمحى بالكامل ، وبما أن ذات الدقوقى قد أعجبت فى أصلها فقد تخلص من المادة وصار موضعا لتجلى المعنى والحقيقة . كان الدقوقى فى حاجة إلى أن يصير من جنس الأبدال لكى يكون إماما لهم ومن ثم طلب هذه المهلة . وقد وافقه الأبدال على ذلك .

(٢٠٧٤ – ٢٠٧٨) حلت إذن مشكلات الدقوقى ، ومنحه الأبدال السبعة التأييد وكلهم جلسوا للمراقبة والرحلة إلى عالم المعنى منفصلين جميعا عن ذواتهم لا خبر عندهم ولا انتباه إلا إلى الحق سبحانه وتعالى ، لقد تخلصت روح الدقوقى من محدودية الزمان ، والخلاص من محدودية الزمان هو الشباب الدائم ، ومن ثم فلا طريق للذبول والشيخوخة إلى رجال الله ، وتنجيه أيضا من ألوان التلويث أى آثار الحياة المادية ذات الألوان المتعددة وتعلقاتها ، فالصوفى الواصل من هنا يسمى فى مرحلة اللون الواحد .. وإنك إن خرجت فترة بسيطة من جوف الزمان والعالم المحدود فإن حديث الكيفية والماهية سوف ينتقى تماما ويكون مأذونا لك بأسرار الغيب فالزمان مقيد بعالم المادة لا يدرك الأزمان والخروج عن قيود الحياة المادية . وإن أراد أن يعرف شيئا خارج هذه الحياة المادية فلن يظفر إلا بالحيرة (انظر الأبيات من ٢٩٣٧ – ٢٩٤٠) .

(٢٠٧٩ - ٢٠٨٥) كديدان مولانا يتدخل بتعليقاته هو من خلال حكاياته ، فالحظيرة هى مايجتمع فيها ذوو الأجناس الواحدة وعالم البحث والسعى هو الطريق ، والمقصود أنه فى العلاقة بين الله والعبد فإن كل إنسان يمضى مع من يجانسه ، والإنسان كالدابة تربطه المشيئة الإلهية بأحد هذه الحبال ، والرائض هو مدرب الخيول ، والرافض هو من يخرج عن طريق « جنسه » والقائمون « السائسون » على الحظيرة ، هم الشيوخ والمرشدون يأخذون بزمامه ويسحبونه ، والحفظة هى المشيئة الإلهية تسلب منا اختيارنا (لاختيار هو أفضل بلا جدال) ، والعيار هو مدعى الذكاء ، والحافظ هنا مقتبس من الآية الكريمة ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ (الطارق / ٤) وفى البيت رقم ٢٠٨٤ يقول مولانا : إنك تنوى شيئا ما ، وتسعى فيه ، ولا تصل إلى نتيجة فما الذى قيد يديك وقدميك ، وفى البيت التالى يقول : إنك مع ذلك لا تؤمن بأن الذى فعل ذلك هو قدرة الله وتسمى هذا الأمر بتهديدات النفس ، أى مشاغل هذه الدنيا التى تضخمها النفس فى نظر السالك وتجعله مشغولا بنفسه وتبعده عن الخالق (استعلامى ٣/٣١٢ - ٣١٣) .

(٢٠٨٦ - ٢٠٩٨) يواصل مولانا حكاية الدقوقى ، لكنه يتحدث حديثة هو ، هاهم يطلبون منه أن يؤمهم فى ركعتين (الفروض) فأولى أن يكون العارفون .. المستنيرون ذوو البصيرة هم أئمة القوم ، فإن الأعمى لايؤم المصلين وبالرغم من أنه يمكن أن يكون المقصود بالأعمى هنا أعمى البصيرة ، فإن الإشارة أيضا إلى قاعدة فقية ، وذلك لعدم اهتداء الأعمى إلى القبلة وصون ثيابه من الدنس . وإن لم يوجد أفضل منه فلا كراهة (مولوى ٣ / ٢٨٦) لكن الأبيات التالية تشير إلى أن المقصود هو « أعمى الطريق » ، ذلك لأن النجس الظاهر من الممكن أن ينتفى بالغسل ، أما نجس الباطن فلا حيلة فيه وفى البيت ٢٠٩٦ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿إنما المشتركون نجس﴾ (التوبة / ٢٨) ونجس الكافر

فى باطنه ، والمقصود بالرائحة فى البيت ٢٠٩٨ تأثير الكفر ومفاسده .

(٢١٠٠ – ٢١١٠) يتحدث مولانا إلى المريدين الذين لا طاقة لديهم لتحمل المعانى العميقة ويقدم لهم الأمثال من العالم المحسوس ومن الواقـــع المعاش . إنكم لو كسرتم جرة « الجسد » وتغلبتم على هوى النفس فإن ماء الفهم يسيل خارجا ويصير سلسا رقراقا ، والحواس الظاهرة التى ترد الفهم الصحيح بمثابة الأنابيب التى تهدر الفهم ويشير فى البيت ٢١٠٣ إلى الآية ٥٣ من سورة النور : لقد سمعت أمر الله تعالى : غضوا أبصاركم ، ومع ذلك فقد اعوج سيرك وسال منك ماء الفهم الصحيح ، كما أن الكلام والاستماع إلى كلام الآخرين قد يمنعان الفهم الصحيح أيضا ، وفى البيت ٢١٠٥ يقصد بالثقوب الأخرى الحواس الآخرى علاقتنا المختلفة بالحياة المادية والفهم المضمر هو الفهم الصحيح وإدراك الحقائق الإلهية . وزوال الفهم كأنه تبخر الماء . إن لم يكن هناك عوض من المطر لا نقلب العالم إلى صحراء .

(٢١١١ – ٢١١٩) يدرك مولانا نفسه أنه أحيانا يستغرق فى المعانى بحيث ربما يترك القصص دون أن ينهيها . ومن المنافذ التى تأخذ مولانا إلى عالم المعنى ذكر أشخاص من مثيل أستاذه ومرشده شمس الدين التبريزى أو حسام الدين جلبى (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول) ، وهنا يذكر مولانا حسام الدين چلبى قائلا : إنه إن مدح السابقين فهو يقصد أيضا حسام الدين چلبى على أساس أن الأولياء نفس واحدة . لقد ثبت ياحسام الدين فى القلب والروح ، وهما أيضا جديران بحلول من هو مثلك لأن السماء والأرض والأركان والعناصر لم تلد من هو مثلك . إن أى ثناء سقته لأحد هو ثناء لأولياء الحق . فنحن لا نمدح إلا الخير فى الناس ، إننى أسوق هذه الحكايات والأمثال . حتى تأتى « أسرار الأحبة فى أحاديث الآخرين » ولا يظن من هم ليسوا بأهل أننى أمدح حسن حسام الدين . والمدح أيضا مهما بلغ لا يبلغ ما هو جدير بحسن حسام الدين .

(٢١٢٩ – ٢١٣٣) يواصل مولانا الحديث عن أن كل أنواع المدح هى فى الحقيقة مدح الله سبحانه وتعالى ، فالنور الذى يشع على جدار ليس من الجدار فى شىء ، وانعكاس القمر فى بئر يجعل الضال يدلى برأسه فى البئر ويمدح . وكل هذه الأحداث الخاطئة هى فى الحقيقة نوع من توجيه مدح الله سبحانه وتعالى إلى غيره ، هى مثل ذلك الذى رأى شعره من حاجبه وظنها الهلال (انظر الكتاب الثانى وأيضا مآخذ / ٤٣) .

(٢١٣٥ – ٢١٤١) المقصود بالأصنام هو كل موجود سوى الله ، وفى المصطلح الصوفى « كل ماشغلك عن الحق فهو صنمك » ومدح هذه الأصنام كمدح الشهوة الوقتية ومن هنا فإن الميل إلى مخلوقات الدنيا ينبغى أن يكون وسيلة للتحليق نحو أفاق عليا ، إن الخيال هو السبيل إلى الحقيقة ، والمجاز قنطرة الحقيقة ، والعشق الأرضى وسيلة للسمو إلى العشق الأعلى ، المهم أن توطن النفس على العشق ، المهم أن تحتفظ بهذا الجناح . ولا تعتبر نفسك واقفا على الصور الأرضية وإلا فقدت جناحك الذى تطير به إلى عالم المعنى . وكعادة مولانا يمنع نفسه من الاسترسال فى الحديث ، وإن كان يطلب المهلة ويرجىء الحديث إلى موضع آخر حتى يتم قصة « الدقوقى » .

(٢١٤٢ – ٢١٦٨) يواصل مولانا الرحلة الروحانية للدقوقى (التى توقفت عند البيت ٢٠٧٨ ، وبعد المراقبة يصطف الأبدال للصلاة خلف الدقوقى إن تكبيرة القيام هى بمثابة ذبح النفس ، بحيث لا يبقى من النفس شىء والأضحية فى الصلاة معناها إفناء النفس . فالروح تكبر تكبيرة الذبح على الجسد كما كبر إبراهيم عليه السلام تكبيرة الذبح على إسماعيل عليه السلام ، إن البسملة هى بمثابة البسملة على الذبيحة ، والصلاة بمثابة القيامة حيث يعرض الناس جميعا على الحى القيوم . وحيث موقف الحساب ويشتق مولانا من كلام الإمام على رضى الله عنه « لايزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه

فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعما عمل فيما علم » (جعفرى ٤٩٥/٧) ثم يواصل مولانا تفسيره عن الصلاة ويعطى معانى جديدة لحركات الجسد فى الصلاة ، فالأكتاف المرفوعة أمام الخالق فى القيام تنوء بهذه الأسئلة الملقاة عليها « فتركع » خجلا ، فينادى من الحق أن ارفع رأسك ، وأجب عن أسئلة الحق ، لكنه لا يقوى على مواجهة الحق فيخر ساجدا وهكذا تمر الصلاة ما بين سؤال من الحق ، وخجل وركوع وسجود من العبد . بحيث لا يبقى له إلا أن يطلب الشفاعة .

(٢١٦٩ - ٢١٧٧) إن تسليم الصلاة يعنى أن المصلى وقد أعياه السؤال يتلفت ذات اليمين وذات اليسار هيبة من الله تعالى وبحثا عمن يشفع له أو يعينه فى ﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ فلا يجد شفيعا ولا حميما ، فكل مشغول بنفسه ، وكل انسان لا يستطيع أن يدافع عن ذنوب غيره .. ويخلص مولانا إلى تنبيه المصلى إلى هذه الإشارات الحسنة طالبا منه أن يستنتج من الصلاة بهذا التعبير الجميل : أخرج الفرخ من بيضة الصلاة : أى استخرج المعانى الكامنة فى الصلاة كما يخرج الفرخ من البيضة . والبيضة هى الأفعال والفرخ هو المعانى (مولوى ٣ / ٢٩٩) .

(٢١٩٣ - ٢٢٠٣) إن الشيطان نفسه ليسخر من العبد العاصى الذى لايلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والإنابة إلا حين يدركه الغرق . وعبدة الكلاب يعنى يا عبدة النفس الكلبية ، والعلتان : أى ما سبق من نفاق وكفر ، وما يبدو من نفاق حاضر وتظاهر بالتقوى . ولو رددتم لعدتم إلى مما كنتم فيه . ويعلق مولانا : إن حديث الشيطان واضح وظاهر ولكن لا تسمعه إلا الأذن الطيبة . ويرى بعض المفسرين أن الحديث النبوى المشار إليه فى الأبيات هو من كلام الإمام على عليه السلام « أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل » (استعلامى ٣١٨/٣) وفى البيت ٢٢٠١ إشارة إلى حديث نبوى : «الكيس من دان نفسه

وعمل لما بعد الموت» ٢٢٠٣ إشارة إلى الحديث النبوى « سوء الظن من حسب الفطن » .

(٢٢١٠ – ٢٢٢٥) يقترب مولانا من « الدرس » المستفاد من الحكاية وهو أن رجال الله لا ينتبهون إلى ما يجرى فى الدنيا ، ومن ثم فهم لا يدعون إلا إذا كان الدعاء من مشيئة الخالق سبحانه وتعالى ، فالدعاء من الله سبحانه وتعالى والاستجابة منه أيضا سبحانه وتعالى . فهو الذى يطلب الدعاء ويوحى به ﴿ ادعونى استجب لكم ﴾ وإن أولياء الله لا يدعون ؛ لأن وجودهم قد فنى . فلا رغبة عندهم سواء بالنسبة لهم أو لمن سواهم ، فهو عندما يدعو لا يدرى جسمه أو روحه الفردية خبرا عن دعائه .

(٢٢٢٧ – ٢٢٤٤) المقصود بالبطل هو الدقوقى بالطبع . وأهل السفينة هم أهل هذه الدنيا . فالقدرة المعنوية لأهل الله هى قدم الثعلب ، وعلوم أهل الظاهر والتدابير الدنيوية . ومن أجل الوصول إلى الهدف عليك أن تستخدم القدم لا الذيل ، ونحن بالبحث والاستدلال والفكر نريد أن نجذب هذا وذاك إلينا ويعتقد فينا .. وهذا هو الطمع فى الألوهية أى أن كلا منا يطمع فى أن يكون إلها ، والحفرة المذكورة فى البيت التالى هى حفرة الجهل والغفلة وهكذا أنت أيها الديوث يا من أنت فى الجهل والغفلة : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس . إنك أسير الدنيا بعناصرها المادية . وهى مؤخرة الحمار ، وأنت كالحمار لا تنظر إلا إلى مؤخرة الحمار . هذا هو كل عالمك فأين هو من عالم القلب ؟

(٢٢٤٥ – ٢٢٨٢) فى رواية للأفلاكى أن مولانا وعظ أحدهم قائلا : الزم القبلات الأربعة . قال : وما هى وعلمنا أن هناك قبلة واحد ؟ . قال : القبلة الأولى هى قبلة الصلاة وهى معلومة ، والثانية السماء قبلة الدعاء ، والثالثة أولو الأمر ما أقاموا العدل وقضوا الحاجات فالله فى جانبهم ، والرابعة قلوب رجال الله وهى أسمع وأرفع ، فهى موضع نظر اللّه ، فهو مسجد الخلق كافة لأن الله هناك

(مناقب ١ / ٤٦٤) ، ليس كل قلب إذن جديرا بعشق الحق ، فإن الذى يجعل نفسه فانيا فى الحق كما يفنى الجزء فى الكل هو الذى يصير قلبه جديرا بجذب العناية الإلهية ، « فإن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأفعالكم ، والقلب الذى ينظر إلى الدنيا الدنية ليس قلبا ، بل هو أشبه بالرطوبة الموجودة فى الطين « الجسد » لا تصلح للوضوء ، والقلب عندما يصل إلى مرتبة « البحرية » يكون جديرا بجذب الحق ، وماؤنا أى قلوبنا وأرواحنا حبيسة فى الطين « الجسد » وأسيرة فى الحياة الدنيا . ويتجه مولانا بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يخلص روحه من سجن الجسد . ولكن الله سبحانه وتعالى لا يجذب إلا القلب المتجه إليه لا القلب الذى يدعى أنه « ماء عذب » ، وهذا الادعاء هو الذى يجعل المرء محروما ويرده عن الباب ويؤذيه . ويجعله دائما رهين الدنيا ، يحزنه مفقودها ، ويفرحه موجودها ، مع أن الخوف والفرح ينبغى أن يكونا بالله فحسب ولله . أما وأنك هكذا وتعاند وتدعى أنك من أصحاب القلوب ، ولا تبحث عن المدد من أصحاب القلوب الحقيقيين ، لأن قلبك معلق بالدنيا فهو أعمى . والقلب موضع نظر الله فهل يتفق أن يكون موضع نظر الله أعمى ؟ إياك أن تعتبر هذه القطعة الصنوبرية من اللحم قلبا ، فأى اتساع لها للعالم الأكبر وأقصى همها لذات هذه الدنيا التى هى مجرد انعكاس للذة الكلية . هذه القطعة الصنوبرية من اللحم عند الناس جميعا ، لكن القلة القليلة هى التى ظفرت بالقلب الذى هو موضع سر الله ، وبين أصبعى الله ، وموضع يتسع للحق ، هو القلب الذى يعرض عن الغير وعن الإعراض ويفنى بالحق ، يحيط بالوجود وينشر إحسانه على الجميع جودا ، لكنك مشغول كالأطفال تملأ حجرك بالحصى والحجارة وتظنها ذهبا (كليات ديوان شمس تبريز غزلية ١٣٥٣ بيت ٩ ص ٥٢٥) فهذه المعارف ليس بالعمر وتقدم السن بل هى بالإدراك .. ولا يدركها إلا الرجال .

(٢٢٨٣ – ٢٢٩٥) عـودة إلى قصة الدقوقى : والمقصود بهذه الجماعة الأبدال ، والدقـوقى ، ويرى بعض المفسـرين أن إنكار الجمـاعة على الدقـوقى أن السـفـينة كانت فـى سبيلهـا إلى الغرق فى الـفناء الإلهى (!) وأن دعاء الدقـوقى رد المشيئة الإلهـية (!) وهـذا التـفـسـيـر بعـيد عن سـيـاق المثنوى الذى ينسـى أحـيانا لدخـول مولانا فى تشـعبـات معنوية عديـدة ، فالسـيـاق كان عن الأوليـاء الذين لا يدعون . فهم – كما عبر مولانا هنا – لايبدون الاعتراض على المشيئة . وقصة الدقوقى مع الأبدال فيها كثير من روح قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام فهو لم يسـتطع معـهم صبـرا . وكانت النتـيجـة أنهم اخـتفـوا عن نظر الدقوقى الذى كـان رغم مكانتـه يحمل كـثـيرا من « هـم الدنيـا ومن فـيهـا » .. لقد صـاروا فى « قبـاب الحق » (أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى) .

(٢٢٩٦ – ٢٣٠٧) تنتهى حكاية الدقوقى عند هذا الحد ويضيف مولانا عليها بعض التـعليقـات القصـيرة ، ولعـل أحد المريدين أو الحـاضرين قد اعتـرض على تجلى الحق فى صـورة البـشـر . ويتـسـاءل مـولانا : إنك تعـتـرض على أسـاس أنه كـيف يلتفت رجل الحق إلى البـشـر بـينما هو فى مـشـاهدة الحق ؟ أقـول لك : إنك تراهم موجـودات بشـرية مع أنهـم ليسـوا كـذلك . والحمـار هـو الذى يقف على هـذا الاسـتنتاج ويسـتريح إليـه . وهـذا قـياس إبليـسى : لقـد ضـل إبليس لأنه لم ير من أدم إلا الطين (ولـم ير الـنفـخـة الإلهـية) .. وهـا هـو يخـاطـب الدقـوقى « وكل من يبـحث عـن الحق » بألا يتـوقف عن الـطلب ؛ فـإن الاسـتـجـابة مـرهـونة بـالطلب . ﴿ادعـونى أسـتـجب لكـم﴾ (المـؤمن / ٦٠) ومن ثم فـرجل الحق ليـس أقل من الفاخـتة التى تهـدل فى سيرهـا قائلة (كو .. كـو : أين أين ؟) وهـذا المثل ورد عند سنائى فى الحديقة (ص ١٢) وفـى رباعيات الخيام .

(٢٣٠٨ – ٢٣١١) يأتى ذكـر الطلب ، فـتـذكـر مـولانا تلك الحـكاية التى بدأت بالبـيت ١٤٥١ وتركهـا دون أن يتمـهـا ، مما يدل علـى أن المثنوى كـان يملى بشـكل

تلقائي وبنوع من الاسترسال مع المعانى ودون خطة مسبقة . فكثيرا ما يترك موضوع « حتى تنصب الحكمة من فضل الحق » كما ورد فى البيت ٢٣١١ .

(٢٣٣٤ - ٢٣٥٩) المقصود أن رؤيا يوسف كانت بشارة له عليه السلام ، ومن ثم فإن كل ما كان يحدث له من بلايا مثل الجب والسجن والافتراء والتهم ، كلها كانت خطوات فى سبيل وصوله إلى العرش ، مع أنها للنظر السطحى وللمنطق الإنسانى خطوات لا تؤدى إلى هذه النتيجة وقد ورد هذا التفسير فى مقالات شمس الدين التبريزى «مثل يوسف عليه السلام اعتمادا على رؤيا سجود الشمس والقمر والكواكب استعذب الجب والسجن »(ص ٤٨): فلو لم يلق يوسف فى البئر لما وجده السيارة ، ولو لم يجده السيارة لما وصل إلى مصر وإلى بيت العزيز ، ولو لم تتهمه امرأة العزيز لما دخل السجن ، ولو لم يدخل السجن لما وصل العرش ، وهكذا فإن بعض « ترتيبات » الإله تتناقض تماما مع « تدابير » البشر ، وهذا يشبه « لذة ألست » وبشرى « ألست » أو يوم العهد والميثاق . فالإنسان منذ أن كان فى ظهور أجداده وأبائه قد شهد بالإيمان وعاهد الله عليه ، ومن ثم فهو يتحمل ما يتحمله فى الدنيا ألما فى تحقق العهد . إنه هذا اليوم كالحلم ، كالرؤيا التى يظل الإنسان يتذكرها ، وتجعله جلدا على تحمل الشدائد والمصاعب والأثقال كما يتحمل الجمل الأحمال والنقل . وها هو حال المؤمن فى هذه الدنيا .. لكن ذلك الذى لا يذكر « ألست » يظل من الـ ﴿ مذبذين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ (النساء/١٤٣) ... وبما أن مولانا فى عجلة من أمره لكى يعود الى قصة مدعى الثور فهى يوصى السامع أو القارىء بالعودة إلى سورة الشرح ففيها من المعانى ما يكفيك فى هذا الموضوع الذى أنا مدين بشرحه . فإن هذا (الشرح) المذكور فى السورة الشريفة هو بمثابة شرح الباطن الذى يوصل الإنسان إلى الإيمان والعبودية الحقيقية (انظر بيت ١٤٧٦ من الكتاب الأول) .

(٢٣٦٠ – ٢٣٧٠) عودة إلى القصة : فها هو مغتصب الثور يثور على صاحبه لأنه دعاه بالأعمى ، وهو يسمى هذا قياسا بقياس إبليس في موضوع السجود ، إنه قياس ليس نابعا من الإيمان ، لأن مغتصب الثور لم يتكد إلا من باب الله ولم يلجأ إلى الخلق ، وعمى العشق هو ألا يرى العبد شيئا سوى الله تعالى وإشارة إلى الحديث النبوى (حبك الشيء يعمى ويصم) وحسن المذكور هو حسن حسام الدين . إنه لم يعتبر الثور غصبا بل اعتبره مجرد استجابة من دعائه لله سبحانه وتعالى .. لقد كان يدعو ولا ينتظر سوى الاستجابة .. تماما مثل رؤيا يوسف التى كانت تدفعه وهو فى أشد الظروف سوءا إلى انتظار عرش مصر من الله سبحانه وتعالى .

(٢٣٧٠ – ٢٣٧٥) لا يرى صاحب الثور أبعد من ثوره ، ولا يرى فى ضراعة الرجل واتجاهه إلى السماء داعيا وحديثه العميق عن العشق إلا نوعا من الاحتيال لا يخيل عليه .. فهو بالطبع ينكر أن يكون (للدعاء) دخل فى (الرزق) أو فى نقل الملكية ، أنه مقيد بعالم الحس قد أعمته المادة كما سنرى .

(٢٣٩١ – ٢٣٩٥) يعدد داود عليه السلام الأسباب الشرعية للملكية : أهى الهبة أو الشراء أو هل أخذها لكسب على عمل أداه ؟ هل ورثها وهل يعمل له بالزراعة وأعطاه إياه ؟ وداود هنا فى صورة البشرية واقف عند ظاهر الشرع يطبق القانون حرفيا ، وذلك قبل أن يلقى الله سبحانه وتعالى فى قلبه النور ليعلم لب القضية .

(٢٤٠٣ – ٢٤١٥) لقد أثر بكاء الرجل قاتل الثور فى قلب داود ، وبدأ يحس أن وراء القضية سرا ما ، لكن كيف له بانكشاف هذا السر ؟ لا حل سوى الخلوة والصلاة ، وهكذا يكون مصداق الحديث النبوى « وقرة عينى فى الصلاة » حيث تنفتح كوة القلب على الملكوت وتتجلى فيه الأسرار دون واسطة ، وهذا من الصفاء الذى تمنحه الصلاة للباطن ، والخطاب والمطر والنور كلها رموز عن

الإلهامات الغيبية و (معدنى) المقصود به مبدأ الوجود والأصل ، والمنزل الذى لا كوة فيه أى القلب الذى لا طريق منه إلى الخالق : « وفتح الكوة » أى تسليم القلب لله سبحانه وتعالى وفى البيت ٢٤٠٧ : جاهد وقم بعمل حتى تجد الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وفى ٢٤٠٨ أيها العبد إنك تحب شمس هذه الدنيا وحياة هذه الدنيا والجمال الموجود وفيها انعكاس للشمس الكلية الموجودة وراء الحجاب ، وإذا انتفى حجاب العلائق الدنيوية ترى تلك الشمس وفى ٢٤٠٩ النور الحقيقى ليس هو النور الموجود فى هذه الدنيا ، فهذا النور يراه الحيوان أيضا ، وكرامة الإنسان المذكورة فى الآية الكريمة ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ (آية ٧٠ سورة الإسراء) تعنى أنه كرم بمشاهدة النور الكلى ، ثم يتحدث داود عليه السلام حديث أهل الحق : إن رجل الحق هو النور وهو غارق فى النور ولا يرى « ذاته » منفصلة عن ذلك النور ، لكن العبادة من أجل هداية الخلق ، فالعبادة أمر فى حد فهم السالكين ، لكنها ليست فى المستوى الروحانى لرجل الحق ، وهى مثل الخدعة مع العدو لا بأس بها طبعا للحديث المروى عن الرسول ﷺ « الحرب خدعة » .. وينقل جلبنارلى (٣/٢٥٩) الحديث النبوى الشريف (كل الكذب يُكتب على ابن آدم إلا ثلاث ، رجل يكذب فى الحرب فإن الحرب خدعة ، ورجل يكذب على المرأة فيرضيها ورجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما) . ويقول مولانا : لولا أن الله لم يأذن لتحدث داود عليه السلام بكل الأسرار ، وفى ٢٤١٥ المقصود أن أحدكم أخذ بخناقه لكى يخرجه من حالة الوجد التى هو فيها ، ولكى يوقفه عن الحديث حتى يتحدث حديثا مناسبا للوقت ، وهى عادة بين العارفين إذا تم الوجد وزاد أن يأخذ عارف كامل فى إيقاظ العارف الذى فى الوجد « مولوى ٣ / ٣٢٨ » .

(٢٤٢٢ – ٢٤٤٣) ما ستره الله هو أن صاحب الثور كان عبدا لوالد مغتصب الثور ، وبعد أن قتله سلب أمواله ، وبالنسبة لتفاسير القرآن يعترف صاحب

الثـور بهـذا الـذنب ، وفى الرواية أن داود رأى فى النـوم من يأمـره بـقـتل صـاحب الثـور فلمـا علم صاحـب الثور بذلك اعـتـرف (اسـتعـلامى ٣٢٧/٣) لكن مـولانا يفصل فـى القصـة بما يتـوافق وذوق المريدين . بـحـيث يطيل فى اعتـراض صـاحب الثـور على حكم داود (الملك الـنبى) ، وكـان مـولانا لـم يكن يجـد مندوحـة فى أن يعـتـرض « مـتظلـم » على حكم الحـاكم حـتى ولـو كـان ذلك الحـاكم يـجـمع بين « الحكم والنبوة » وهـذه هـى روح الإسـلام الـحـقيقية ، كما أن داود عـليه السـلام كان يعلـم سـر الـرجل برمـتـه ومع ذلك أراد أن ينهـى الأمـر « وديا » لـولا أن الـرجل بـجهله وعناده ولـجاجـته فى الأمر لم يكن بالـذى يقبل . فأى علـم لهم بما وراء الـحـجاب ؟ إنهم فى هـوى أنفـسـهـم الـظالمة فكيف يعـرفـون الظالـم من المـظلـوم ؟ وهـذا الموقف من الناس هـو الـذى جـعل داود عليـه الســلام يقلـع عن سـتـره علـى الرجل ، فـإن الأمـر كان يهـدد بأن ينقلـب إلـى « فتنه » فهـا هـم الناس بدورهـم يعـذلـون داودا عليه السـلام .

(٢٤٥٤ – ٢٤٧٣) الفسـقة والعـجزة هـم الذين يفـضـحـون أنفسـهـم ويعلنون جـرمـهـم على الملأ لأن الـله سـبـحـانه وتعـالى عندمـا يسـترهـم فـإنهم يمـدون فى طغيانهم وفسـقهم وفـجورهـم ، بـحـيث لا يبقـى طى الكتمان وبـحيث يسـتشـرى ولا يمكن إخـفاؤه والـشـهـود موجـودون ، وتشـهـد اليد والقـدم واللسـان فى الآخـرة فقط بل وفـى الـدنيا أيضـا . عـندما يعـمينا الـغضـب تكـون فرصـة الـضـمير أن يأمر اللـسـان بأن ينطـق ، بل إن الـظلـم والقسـوة التى نرتكبهـا تأمر الأيدى والأقدام بأن تتـحـدث وتفـشـى . وشـاهـد السـر هـو الـضـمـيـر الـذى يمسك بزمـام الإنسـان ويـدفـعـه إلى إفـشـاء سـره بنفسـه . فـإذا كـان هـذا الأمـر فـى الـدنيـا فـمـا بالك بالآخـرة ؟ إن الله سبـحـانه وتعـالى يسـتطـيع أن يوكل بك من داخـلك من يشـهـد عليك ﴿ اليـوم نختم على أفـواهـهم وتكلـمنـا أيديـهـم وتشـهد أرجـلهـم بما كانوا يكسـبـون ﴾ (يس / ٦٥) . إن جـوهـر الظـالـم شـديد الـوضـوح ونفسـه النارية تشـهد عليـه أنه مـاض إلـى الـنار .

ومثاله ذلك العنود اللجوج العاصى الذى ستر الله عليه ، وأبى إلا أن يفضح نفسه . لقد قام بكل هذا العناد من أجل ثور . ففقد كل ماله وروحه . لقد فعل ما فعل بينما كان غلاما لايعقل ، ولو كان قد تاب واستناب ودفع دية قتيله ، وطلب من الله سبحانه وتعالى أند يدفع الدية لأنه « عاقله » كل القاتلين خطأ منذ يوم ألست « والدية على العاقلة » فحوى حديث نبوى والعاقلة هم أقارب قاتل الخطأ من ناحية الأب وعند الشافعي –رضى الله عنه– قبيلة القاتل وعشيرته (انقروى ٤٠٢/٣ – ٤٠٣) لقد كان در الاستغفار والضراعة والاستنابة كافيا لغفران الله ورحمته وستره .

(٢٤٨٨ – ٢٥٠٥) إلزامه الحجة : أى إثبات الجرم عليه ، وفى البيت ٢٤٩٠ الدم لا ينام أى لا يبقى الجرم خفيا ؛ ويفسر فى الأبيات التالية كيف يكون هذا : إن عدالة الله توحى للناس أن يتساءلوا عماحدث وأن يتحيروا وبهذا يظل الدم يفور ، وفوران الدم هو عدم بقاء الجرم خفيا ، وهكذا يسجد الناس لداود متذكرين بهذه المعجزة الجديدة معجزاته السابقة بما يطابق الآيات ٢٤٧ – ٢٥١ من سورة البقرة ، معجزة الحجارة الثلاثة التى كلمت داود وهو راع يرعى الغنم قائلة له خذنى من أجل غزو جالوت فحملها فى مقلاعه وقتله ، وصنعة الدروع ، وتأويب الجبال ، وهبة الحياة الخالدة أى الحياة الباطنية والروحانية التى هى باقية ببقاء الحق ، ونفس المعنى هو المقصود من « الحياة الأبدية » – وحين يموت الظالم تحيا الدنيا ولا يعبد أحد إلا الله بعد الضلال وعبادة الطواغيت ؛ فالظلم كفر على أساس أنه يؤدى إلى الكفر وإلى الشرك بالله (مناقب العارفين ١/ ٢٣).

(٢٥٠٦ – ٢٥٢٧) هكذا تنتهى القصة ، ويقدم مولانا الدروس الصوفية المستفادة منها أو المستوى الصوفى لها والمراد بالبيت ٢٥٠٦ أن فناء « الذات » يؤدى إلى الوجود الحقيقى وفى تلك المرحلة « الدنيا » حياة باقية ببقاء الحق والمقصود « بالسيد » الروح الباحثة عن الحق فى الإنسان والذى ينبغى أن

تكـــون « النفــس » « أمـــة » لهـــا .. والــبــيت مــناظــر للآيـة الكريمة ﴿ فــاقـــتلوا أنفســكم ذلكم خيـر لكم عند بارئكم ﴾ (البقـرة ٥٤) فهـذا القتل البـاحث عن الله ينبغى أن يكون غـالبا ومسيطـرا على « ثور الجسد » أما الرزق الذى لا تعب فـهو الأرزاق – الإلـهـية والمعنـوية التى أعطيت للأنبـيــاء والـوصــول إلى إلـى هـذه الأرزاق منوط بصــفــاء النفس والكنز هو الـتـوفـيق فى الوصــول إلــى هـذا الرزق ونحن لا نزال فى الحياة الدنيا ، ويشير مـولانا فى بعض الأحيان إلى أن المعانى لا تطـيعه فـلا بد أنه « أكل شـيـئـا » على أســاس أن الطعـام يمنع من حـدة الذهـن ، ثم يعـود فيقول : إن الأمر ليس مرتبطا بطعام أو شـراب لكنهـا مشـيئة الله سـبحانه وتعالى « وحسـان العـيون » أى أولئك الذين لديهم بصيرة البـاطن ، وهـؤلاء لا يتعلقون « بالأسـباب » لأن فوق الأسـباب أسـبابا أخرى ، وهـم لذلك قائلون بقطع « الأسـباب » أى الإيمان بأن هناك أسـبـابا أخرى تحـرك أسـبـاب الدنـيا ، وإلا فـإن كل مـعـجـزات الأنبـيـاء لا عـلاقة لـهـا بأسـباب الدنيـا : وفى البـيت ٢٥٢١ : إشـارة إلى مـا روى عن إبراهيم الخـليل عليـه السـلام ، أنـه ذات يوم أخـذ النمـرود فـى توزيـع الأرزاق على الجـمـيع ماعـدا إبراهـيم فـتـوجـه إبراهـيم إلى الله تعـالى طالبـا منه الرزق ، ثم مـلأ جـواله بالرمل عند عـودته إلى المنزل ، فـحول اللـه الرمل إلى دقيق خـبـز منه أهل البيت ، ووجد إبراهـيم عليه السـلام الخبـز جاهـزا فى الصباح (مأخذ / ١١٠) وفى الشـطرة الثـانية إشـارة إلى تحـول الصـــوف إلى وبر فى يــد موسى علــيه الســـلام وزوجـه بينمـا كـان يغـزلانه (مـأخـذ / ١١١) أمـا سنابل القـمح دون زراعـة فـهى إشـارة إلى مـائدة عيـسى عليـه السـلام ، وفى البـيت التـالى إشـارة أبى لهب ليس المقصـود بهـا الشـخص المعروف بل هـى هـنا علـم الكفار ومنكرى المعجـزة عموما ، وفى البـيت ٢٥٢٣ إشـارة إلـى واقـعـة مـحـاولة أبرهـة هدم الكعـبـة على مـاورد فى سـورة الفـيل ، وفى ٢٥٢٤ يـحلق عـاليا أى يسـير فى عالـم الغيب ويأخـذ أمره من الحق وإلـهـامه فيـجندل الحصى الـصغيـر الفيل الضـخم وفى البـيت ٢٥٢٧ إشـارة

إلى معجزة لسيدنا موسى عليه السلام الواردة فى الآية ٦٧ فما بعد فى سورة البقرة حيث أمر الله تعالى بذبح بقرة ثم ضرب القتيل بذيلها حتى يحيا ويدل على قاتله (انظر كفافى : الكتاب الثانى من المثنوى ص ١٥١ – ص ١٥٢ والتعليقات ٤٧٥ – ٤٧٦ من نفس الكتاب) وكل هذه دلائل تدعو إلى رفض الأسباب وقطعها .

(٢٥٢٨ – ٢٥٣٨) ما زال مولانا يتحدث عن قطع الأسباب ، إن هذا الأمر ليس موكولا بالعقل الذى يكشف عن الأسباب والعلل ، أو العقل الدنيوى أو العقل المزايد ، ولإدراك هذه الحقيقة هنا طريق واحد : العبودية المحضة دون استدلال ، فالفلسفى هو أهل الاستدلال والمنكر للحقائق الغيبية فهو أسير للمسائل العقلية والاستدلالية ، لكن الصفى ذو عقل أخر ، إنه عقل العقل الذى يستمد مداركه من منبع النور والضياء ، فالعقل الدنيوى قشر والقشر لائق بالحيوان والإنسان أجدر باللب ، والقشر باحث عن البرهان ، واللب أو عقل العقل باحث عن اليقين ، والعقل الظاهر همه فى تسويد الكتب بالأبحاث والمقالات ، والجدل لكن العقل العارف يمضى فى نور من مئات الأقمار والمواجيد الألهية ، والأسود والأبيض كناية عن مظاهر العالم المادى ، وقيمة كل ما هو موجود فى العالم المادى بقدر النور الذى يسطع عليا من عقل العقل ، وكذلك أرواحنا الإنسانية فى قيمتها بقدر تقبلها للنور ومن هنا فالكافرون موتى (ص / ٣٠) لأن أرواحهم بلا نصيب من هذا النور .

(٢٥٣٩ – ٢٥٥٢) هنا يحس مولانا أن كلامه باق للأجيال ويستحث نفسه للحديث فكلامه هذا سوف يبقى « رفيقا للباحثين عن الحق » كما أن التوراة والإنجيل كانا قبل القرآن مصدقين للقرآن ومؤيدين له ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ﴾ (هود / ١٢٠) هذا هو الرزق الذى بلا تعب فخذه ، إنه الأرزاق المعنوية والغيبة التى تصل إلى رجال الحق

(انظر الأبيات ٢٥٠٩ – ٢٥١٣) .. إنها تؤدى نفس ما يؤديه الخبز ، هى الخبز الذى بلا مائدة يهبه الله لأوليائه فحسب ، وهى لاتتأتى بالكدح فى الدنيا ، بل يعطيها الشيخ لمريديه ، وهو يشبه الشيخ بالنبى داود عليه السلام هو العادل كداود (كما ورد فى القصة المذكورة) ونفس داود : هو النفس الروحانى لرجل الحق المستند على العلم الإلهى . إن نفس الشيخ هى بمثابة زمردة التى تعمى عين الأفعى (فى المأثور الإيرانى أن الزمرد يعمى عين الأفعى) .

(٢٥٥٤ – ٢٥٧١) يعود مولانا إلى مطابقة أفكاره بالرموز الواردة فى القصة فكما كان صاحب الثور كاذبا مرائيا فإن النفس أيضا كاذبة مرائية ، إنها تخدع المدينة بأجمعها إلا الملك (الشيخ ، المرشد ، داود) ، إنها لاتستطيع أن تتغلب على العقل إلا إذا وجدت مجالا فى وجودك وبقى عقلك غريبا ، هنا تكون كالكلب الذى يبدو على باب صاحبة أسدا (مثل فارسى عامى) لكن الأسود الحقيقيين هم سالكو طريق الحق ، واجمتهم هى حضور الشيخ ،، والعوام فى المدينة لا يعلمون مكر النفس ، وليس لها إلا القلب غريما والعوام جميعهم على صلة بالنفس بشكل أو بأخر يصاحبونها ويبتغون هواها اللهم إلا الشيخ فهو ليس من « جنس » النفس وليس رفيقا لها ، « وكل من يرفعه الله عن مرتبة النفس ويوصله إلى مرتبة القلب لايصبح بعد من جنس الجسد » ومراتب الكمال المطروحة هنا هى اللطائف السبعة أو الأطوار السبعة « الطبع ، النفس ، القلب ، الروح ، السر ، الخفى ، الأخفى » وهى المراتب التى يقطعها الإنسان ليصل إلى « مقام القلب » وليس هذا لكل إنسان ، بل للصفوة ، لأن معظم الناس مرضى من السير وراء العلل والأسباب ، ومن ثم فهم يميلون إلى كل خسيس ظانين أن النجاة فى يده ، غافلين عن أنه كالصياد الماكر يصفر للصيد حتى يسقط فى شباكه ، إن المطلوب هو الهرب من مثل هذا المدعى ، الذى لاتعرف ضحيته نقده (أى إدراكه المستقيم) من نقله (أى ما ينقله عن الأخرين ويدعى أنه وصل إليه

بجهده هو) المفروض الهرب منه مهما بدا « معنويا » أى مهما بدا عالما بالمعانى ومهما تشتدق بالمعانى ، فإن النجاة على يديه هى عين الأسر ، واليقين الذى يتأتى منه هو الشك بعينه ، ومهما كان المرء ذكيا . إن لم يميز « المدعى » من « الحقيقى » فهو أحمق ، ومن الخير أن تفر من الأحمق .

(٢٥٧٢ - ٢٦٠١) بما أن الحديث يدور عن الحمق والغواية وغلبة هوى الأحمق ونفسه عليه يسوق مولانا حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام ، وكيف فر من الأحمق رغم أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى لأن :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

والحكاية وردت عند الزمخشرى فى ربيع الأبرار وكتاب يذكر فيه حماقة أهل الإباحة للغزالى (مأخذ ١١٢ - ١١٣) والأبيات فيما بعد تعتمد على ما روى من معجزات عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم وكتب التفاسير وسير الأنبياء وفى البيت ٢٥٩٠ قول منسوب إلى عيسى عليه السلام « ماعجزت عن إحياء الموتى كما عجزت عن إصلاح الأحمق » وتنتهى القصة بأن هرب عيسى عليه السلام لم يكن خوفا ، فهو آمن بالله سبحانه وتعالى ، لكنه هرب لكى يعلمنا أن نهرب من الأحمق .

(٢٦٠٢ - ٢٦١٣) الحمق هو سبب الكفر ، وهو ليس مقصورا على الأفراد بل قد يكون مرضا جماعيا عند أمة من الأمم ، ويكون منشأه الوصول إلى درجة عليا فى الحياة المادية ، وهذا أشبه بما يقال عن نمو الحضارات ووصولها إلى المراتب العليا من الناحية المادية فيغيب الإيمان ، ويتجرأ الناس على الخالق ، فيكون الانهيار المادى نتيجة للانهيار الروحى ، وقد التقط مولانا نموذجا لهذه النظرية من القرآن الكريم ، حيث قدم قوم سبأ مثالا على الفراغ مع عدم الإيمان والذى يعقبه الانهيار ، وقد بدأ مولانا القصة فى البيت ٢٨٢ ثم تركها إلى البيت

٣٦٤ ثم تركها ليعود إليها هنا عندما جاء سياق الحديث عن العلاقة بين الحمق والكفر ، ويقدم مولانا فيما بعد نماذج عن نزول الأنبياء فى قوم أثقل الترف نفوسهم وختم على قلوبهم وأبصارهم فجرأهم على الجدل وأفشى بينهم المنطق الأرضى فختم الله على سمعهم وعلى أبصارهم وعلى قلوبهم غشاوة فهم لا يعلمون . وفى البداية يقدم مولانا مفارقة عن طريق قصة من قصص الأطفال .. وكم فى قصص الأطفال من عبر ومواعظ ؛ فكأن سبأ بكل ما فيها من فراغ هى البلدة التى وردت فى قصة الأطفال التى يسوقها ، وكأن أهلها قد تلخصوا فى هؤلاء الأشخاص الثلاثة الذين يرمزون إلى ما فى البشرية من داء عياء ، وكأن الله سبحانه وتعالى أجرى على ألسنة الأطفال وهم صغار العقول ما يدل على هؤلاء الحمقى الذين بلغوا الغاية من الترف المادى ، ويرى يوسف بن أحمد أن المراد بالبلدة الإنسان وسكان المدن العشرة هم الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والخلق هم القوى الجسمانية والتقوى الروحانية والأعمى حاد البصر هو الحرص وسليمان الحقيقة ورجل النملة الدنيا ، أما الأصم حاد السمع فهو الأمل والعريان الكاسى هو حب المال والطير السمين النحيل هو الدنيا ، أكلوا منه وهو ميتة مصداقا لقول الرسول ،: « الدنيا جيفة وطلابها كلاب » وظنوا أنفسهم قد تضخموا لكنهم مضوا من فرجة باب الموت وهى خفية وظاهر والزفاف هو الموت لأنه عودة الروح إلى أصلها (منهج ٣/٣٥١-٣٥٣) ، وهناك تفسيرات أخرى ستأتى خلال عرض الأبيات .

فالمدينة العظيمة الواردة فى البيت ٢٦٠٤ هى الوجود المادى وهو فى نظر أهل الدنيا عظيم جداً وضخم فى حين أنه فى نظر أهل الحقيقة صغير جداً لا يعدو حجم الفنجان وفى البيت ٢٦٠٨ تبلغ بنا هذه التناقضات إلى أن أفراد الكائنات فى هذه الدنيا بلا وجود حقيقى ، وهو مع هذه الكثرة لا شىء ، ماله وجود هنا هو الشهوة والحرص والغرور أو الادعاء وهم لم يغسلوا وجوههم أى ليسوا جديرين

بحضرة الحق سبحانة وتعالى ، وفى البيت ٢٦٠٩ يعود فيقول : إن الخلائق على كثرتهم لا وجود لهم فالحرص والشهوة والغرور تظهر أنفسها منهم فى كل أن ، ٢٦١٠ فكل هذه النفوس لو أنها لا تسير إلى الله فهى لا تساوى لو كانت الآف فهى لا تساوى نصف شخص وفى ٢٦١٢ يصف الشهوة التى تسمتع إلى كلام أهل الدنيا جيداً لكنها صماء عند سماع أسرار الغيب ، ولا يساوى سمعها الحاد شيئاً . أما فى البيت ٢٦١٣ فالعارى هو الغرور أو المغرورون يظنون أنفسهم يملكون كل شيء لكن كل مالهم لا يمكن أن يكون لباساً فوق الروح الباحثة عن الله تعالى هو فقط ذيل سابغ للثوب يعوق السير إلى الله (استعلامى/ ٣٣٤) .

(٢٦١٤ - ٢٦١٩) فى هذه المدينة العظيمة التى لا تعدو فنجانا صغيراً فى نظر أهل الحقيقة فإن الحرص والشهوة والغرور يتحدث بحديث لاعلاقة له بالواقع وهو من نتاج الخيال الباطل عندها ، وهى تستمع من أنفسها لهذه الأباطيل وتصدقها وتخاف وتهرب من المدينة .

(٢٦٢٠ - ٢٦٢٩) إن الحرص والشهوة والغرور ، هى رفاق تخاف من كل شيء بل يخاف كل واحد منها من الآخر ، تفر من مكان إلى آخر ، لكن ما تجده فى الحقيقة لا شيء ، فالمدينة هى الأوضاع المساعدة فى هذا العلم ، وهؤلا الأصدقاء الثلاثة يهربون منها إلا ما لا يساوى قربة ؛ فالطير السمين هو لذات هذه القرية وهو يرضى الأصدقاء الثلاثة لكنه لايزيد عن جلد وريش وعظامه أشبه بالأغصان الجافة ، واللذة التى تحدث من طيبات « المدينة العظيمة » كلها باطلة ، ومع كل هذه « السمنة » المتخيلة المظنونة يعبر الأصدقاء الثلاثة من طريق الموت بسهولة ، وكم يمر به من حفلات الزفاف أى انتقال الروح من غربتها إلى موطنها الأصلى .

(٢٦٣٠ - ٢٦٣٥) يفسر مولانا فى هذه الأبيات رموزه أن هؤلاء الأشخاص

الثلاثة هم : الشهوة وهى صماء والحرص وهو أعمى والغرور الذى يخشى أن يسلب ثوبه بينما فى الحقيقة عار ، ثم يقول : إن الشهوة معنا حتى الموت دون أن تعلم أنها هى نفسها إلى موت ، والعارى : هو ادعاء الإنسان الأجوف الذى يظن أن لديه ما يسلب ويخاف عليه من كل الناس ، ورجل الدنيا هو من يتصف بهذه الصفات الثلاثة .

(٢٦٣٦ - ٢٦٤٣) إن الروح لتضحك عندما تسمع النواح عند الموت لأنها تعلم أن الموت هو تحرر للروح من الحرص والشهوة والغرور وفى البيت ٢٦٣٨ يشبه التعلق بالدنيا عندنا بحالة طفل يملأحجرة بقطع الفخار والحصى وهو مثل تردد كثيراً عند مولانا (أنظر ٢٢٤٥ - ٢٢٨٢) ويستخدمها فى ألعابة كفضة وذهب ، وهكذا هو فلا دثار له من العلم ، وهكذا أيضاً يكون الغنى الذى يظن نفسه مالكاً لما فى يده بينما هو فى الحقيقة مستخلف فيه مبتلى به لينظر الله تعالى ماذا يكون سلوكة فيما استخلف فيه ، فأهل الدنيا فى نوم الغفلة ، وشاد الأذن « هو القدرة الإلهية توقظنا من حلم الدنيا » (انظر تعليقات البيت ١٧٣٥ ، الدنيا كحلم النائم) .

(٢٦٤٤ - ٢٦٥٨) لقد مر الحديث عن المدينة العظيمة جداً التى تبدو هكذا لأنظار أهلها لكنها لاشىء ، وعن أهل هذه الدنيا المفلسين الخائفين من اللصوص كالأطفال الذين يملأون حجورهم بالحصى ، ويتحدث هنا عن علماء الدنيا : وهو يسخر منهم بأنهم « عقلا ذوو فنون» ، ومن هنا قال عنهم الله تعالى : أنهم لا يعلمون .. إن هولاء يشكون دائماً من الناس ويقول أحدهم : إنهم « يسرقون وقتى » فى حين أن وقته كله لا نفع فيه ، إنه أشبه بالعريان الذى تؤرقه الخشية من سرقة ثوبه ، إن علمه كله خارج ذاته ، ماذا يجديه أن يعرف مئات الآلاف من الفصول دون أن يعرف نفسه ؟ ماذا يجديه لو عرف خاصية كل جوهر وهو لا يدرى شيئا عن جوهره هو ؟ وعلماء الشرع هؤلاء ، علماء الظاهر الذين يفنون

الوقت فى الجائز أو غير الجائز دون أن - يدرى أحدهم ، هل هو نفسه جائز أو أنه فى حضرة الحق شيخ مهدم فانٍ لا يتأتى منه أى شىء .. وعالم النجوم الذى يعرف مطالع السعد ومطالع النحس دون أن يعرف هل هو جدير بحضرة الحق أم لا وروح العلوم كلها هو معرفة النفس : لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومعرفتك لنفسك أهم من معرفة الأصوليين « أصول الفقه وأصول الكلام » ومعرفة النفس أهم ؛ لأن فيها النجاة ، فقلل من فخرك بالعلوم الظاهرة ، وتدرك قيمة اللا متناهى فى الحقارة أمام اللامتناهى فى العظم وهذا هو لب المعرفة .

(٢٦٥٩ - ٢٦٧٠) يعود مولانا إلى قصة أهل سبأ : بدأها فى البيت ٢٨٢ ثم تركها ، ثم عاد إليها فى البيت ٢٦٠٢ وتركها وها هو ذا يعود إليها والمقصود من يفرون من أسباب اللقاء : أى السبل الموصلة إلى معرفة الحق ، ويعدد مولانا فيما بعد ذلك من أسباب مظاهر الغنى عند قوم سبأ على ما ورد فى كتب التفاسير ويضيف إلى أن النعمة لم تكن نعمة مادية فحسب ، بل كانوا إلى جوار ذلك يتمتعون بالنعمة الثانية وهى نعمة « الأمن » فما فائدة الغنى إذا كان المرء غير آمن على نفسه أو ماله ؟ وفى الإسلام نعمة المال مقرونة دائماً بنعمة الأمن « أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ثم يمنع مولانا نفسه عن الاسترسال فى الحديث عن نعم القوم ، لأن هذا قد يمنعه عن الحيث فى الموضوعات المهمة وبخاصة أن الأمر الإلهى ورد بلزوم الاستقامة ، والاستقامة هى القصد .

(٢٦٧١ - ٢٦٧٨) حدد عدد الأنبياء الدين جاءوا إلى سبأ بثلاثة عشر نبيا بناء على رواية أبى الفتوح الرازى فى تفسيره ، والنعمة والشكر مرتبطان أشد الارتباط ، فلا نعمة بلا شكر ، ولا شكر بلا نعمة ، وإلا فغضب الله سبحانه وتعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ (إبراهيم / ٧) وهؤلاء المرفهون يحسون علل النعمة الذى يسلب منهم الشكر عليها والغول فى مصطلح مولانا هو الذى يضل المرء فى بيداء الغفلة ولا يزال يناديه بصوت يشبه صوت صديق أو حميم حتى يضله « أشبه بالنداهة فى المأثور الشعبى المصرى » .. لقد بلغ بهم الملل مبلغه بحيث إن النعم المتصلة لم يعد لها طعم فى

أفواههم ، وبحيث ضلوا عن منبعها وفى الأبيات بعض ما ورد فى تفسير أبى الفتوح الرازى ، « كفروا وقالوا لا نرى لله نعمة علينا ، ولو كانت النعمة منه ، قولوا له أن يأخذها منا » (ماخذ / ١١٣) .

(٢٦٧٩ - ٢٦٩٠) من هنا فصاعدا يطرح مولانا مناقشة قوم سبأ للأنبياء ومن خلالها أيضاً يسوق مولانا الحديث إلى مريديه ، ويدور الحديث هنا عن الروح المريضة التى لا تجد فى نفسها ميلا إلى الحق ، والتى طمست النعمة والرفاهية الجسدية طرقها إلى السمو والعلو ، فهى تزهد ما فى يدها ، وتتوق إلى ما ليس فى يدها مهما كان تافهاً وحقيراً ، فهى من مرضها تظنه عظيماً ، هو الشذوذ إذن الذى تبتلى به النفوس التى عبت من الرفاهية والرخاء ما شاء لها أن تعب حتى لا ينقلب الموت إلى حياة ، إذ لا تجد هذه الروح المريضة شيئاً تدمره فتدمر نفسها .. فكل ما تحصل عليه ينقلب داخلها إلى أداة تدمير ، وكل ما يصل إلى يدها تزهده وتتوق إلى ماوراءه ؛ هى إذن تلك الحمى التى تنتج من اعتبار المادة هى غاية المنى ومنتهى الأمل ، أترى مولانا كان يستشرف من خلال قصة قوم سبأ ما نشاهده الآن من أمراض فى الحضارة الغربية يرى اشبنجلر بفكرة المصير بدلاً من العلية ، إذ إن المصير يعبر عن جزع الروح لما يهدد جوهرها أو كيانها أو تفاعلها ، من أجل إثبات الذات وفى ذلك تعبر عن الحياة ولا يمكن إدراك فكرة المصير إلا بالتجربة الحية فلا يمكن تعرفها بمنطق العلم ، ولا يعبر عن سياق التاريخ فى نظر اشبنجلر إلا غير المصير ويسرى على الحضارات ما يسرى على الكائنات العضوية تنبت وتنضج وتذبل وتفنى ، وأهم ما فى نظرية اشبنجلر مما ترهص به أفكار مولانا أن القوة الروحية أساس رئيسى من أسس الحضارة وإن للحضارة إمكانات خارجية وإمكانات باطنية ، وحين تبلغ الحضارة غايتها خارجياً ينضب دمها وتتحجر قواها ، وخريف الحضارة هو فترة مدن باقية وتجارة منتشرة وملكيات مركزية وفيه يبدو انحلال الدين وفقر الحياة الداخلية ، كما أن العقلانية والتنوير علاقاته بظاهره ثم تنحدر الحضارة إلى الشقاء الذى يتمثل فى ذبول الإبداع الفنى والذهنى وموت الدين وظهور

الشك والمادية المفرطة وعبادة العلم بقدر فائـــدة العلم وهى أمور يبديها مولانا هنا فى مناقشة أهل سبأ للأنبياء وشكهم وظهور الملل من الترف المادى الزائد .

« لآراء اشبنجلر أنظر : مصـطفى النـشار : فلاسفة أيقظوا العالم ٣٠٧ – ٣٢٣ (القاهرة دار الثقافة ١٩٨١) وأنظر أيضا عبد الرحمن بدوى : اشبنجلر القاهرة النهضة المصرية طبعة ١٩٤٥م – واشبـــنجلر : تدهـــور الحضارة الغربية – الترجمة العربية لأحمد الشيبانى : الجزء الأول : دار مكتبة الحياة : بيروت – بدون تاريخ » .

(٢٦٩١ – ٢٧٠١) يدور الحديث حول نوعين من العلاقة : أحدهما بين عقلين طالبين للكمال ، وفيها الصفاء والنور المعنوى ، وهى تتوطد وتزداد أواصرها بمرور الوقت ؛ هى « الولاء » والثانية بين النفوس الإنسانية تقوم على أسس مادية وهى تقل لحظة بلحظة ، وعندما تكون النفس مريضة تفسد العلاقة وتسوء المودة ، وفى هذه الحالة تسمم كل ما تلمسه بيدك حتى الفنون وحتى الشعر بيدو لك كل ما تقوله ثقيلا ممجوجا مبتذلاً « ميل الحضارات فى أفولها إلى كل غريب وعجيب من الفنون مللا من كل ما هو سائد » وكل هذا من العلة والمرض – فإن شفيت من العلة والمرض ، أى التخمة وعبادة المادة ، فإن كل قديم سوف يبدو أمامك جديدا سوف ينقلب الوجود إلى جمال فى عينيك . انظر إلى الجذر القديم فى الحفرة : أليست تنبت منه فى كل أن أوراق خضراء وبراعم وزهور ؟

(٢٧٠٢ – ٢٧١١) إن الأنبياء والأوليا أهم أطباء هذه العلة ، وهم الذين ينشق البحر لهم (إشـــارة إلى معجزة موسى عليه السلام) وهم غير الأطباء الطبيعيين الذين يعرفون أحوال المريض عن طـــريق النبض ؛ لأنهم ينظرون إلى القلب دون واسطة « واعلم أنه كما يقال فى الطبيب إنه خادم الطبيعة ، كذلك يقال فى الرسل والورثة إنهم خادموا الأمر الإلهى فى العموم . فالرسول والوارث طبيب أخروى للنفوس منقاد لأمر الله حين أمره فينظر فى أمره تعالى وينظر فى إرادته تعالى فيراه قد أمره بما يخالف إرادته ولا يكون إلا ما يريد ولهذا كان

الأمـــر ، فـأراد الأمر فـوقع « مـحـيى الدين بن عربى - فـصـوص الحكم - ٩٧ - ٩٨ شـرح أبو العـلا عـفـيـفى - دار الكتـاب العـربى ببـيـروت - بلا تاريخ » تاريخ المقـدمة ١٩٤٦) ؛ لأن لديهم فـراسـة من الحق سبـحانه وتـعالى ، أولئك هـم أطبـاء الغذاء وعلل الجـسـد ، أمـا الأولياء فهم أطبـاء الفعـال والمقال ، وهـم يعـالجون بنور الله سبـحانه وتعـــالى ، أولـئـــك يلاحظون البول ويسـتنتجون منه ، وأما هؤلاء فوسيلتهم إلهام الله تعـــالى وهـم لايريـــدون أجـرا ﴿ إن أجرى إلا علـــى الله ﴾ (هـود ٢٩) .. وهـم يدعـون إليهم المرضى . وليـسـوا مثل الآخـرين يذهب المرضى إليهم ، فإن مرض القلب مستتر حتى على صاحبه .

(٢٧١٢ - ٢٧٣٤) إن المنكرين فى كل عـصـر وزمـان لا ينظـرون إلى هـؤلاء الأطبـاء من الأنبـياء والأولـياء إلا نظرتهم إلـى كل إنسان أنـه جسـد « يأكل الطعـام ويمشى فـى الأسـواق » ولا فـرق هناك بينـهم وبين غـيـرهـم مـن المرضـى ، « « فليرعوا » إذن فى هذا المرعى « ويعيشـوا » دون أن تشـغلـهم هـذه الأمـور ، إن المتعة جاهـزة فلماذا لا يتـمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ؟ ويـرد الأنبياء : إن كلامكم هـذا هـو نـاشـيء من العـلة ، إنهم لا يـرون جـوهـر النبـوة ، وهـذا من العـمى ، إن الشـمس هى الدليل على وجود الشـمس ، ولـو تحدثت لقالت لك : انهض لقد طلع النهار و « الصبـاح أغنى عن المصباح » . وكل من يطلب فى الصباح مـصباحا إنما يقـدم الدليل على عـمـاه . فـإذا كنت لا ترى لكنك تظن أن هـذا الكلام حـقـيـقى فاسكت حتى يأتيك الفضل من الـله سبحانه وتعالى ، فالصبـر والصـمت سبيلان إلى الرحمـة . فإذا كنت فى أثر الدليل فـمعناه أنك عليل ، واسـتمع وانصت ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعـوا له وأنصتوا لعلكم ترحمـون ﴾ . ضح بمالك وبروحك أمام رجل الحق حتـى لا تنتكس ، وضح بنفسك وبعـلائقك فى سـبـيل الطريق إلى الله ولا تنبس ببنت شـفة ، فـإن رضـى هؤلاء الأطبـاء عنا ، فسـوف نعرف « أنفسـنا » وأننا « لا شـيء » أمـام عظمـة الوجـود ، هـؤلاء الأطبـاء لا يشـفـون الناس من لدن أنفسـهم أو الجانب البشرى فيهم ، بل هى هـداية من الحق .

(٢٧٣٥ – ٢٧٥٥) يرد المنكرون : ما هذا إلا مكر واحتيال ، فمتى ينيب الله عنه بشرا عاديين ، ونائب الحق ينبغى أن يكون من جنسه لا من الماء والطين ؟ أين أنتم من الله ؟ وأين البعوضة من العنقاء ؟ وأين الهباء من الشمس ؟ إن هذا أشبه بما ورد فى كليلة ودمنة من قصة الأرانب والعين التى كان القمر يظهر فيها ، وكيف احتال الأرانب لإبعاد الفيلة ، وكيف أن أحد الأرانب ادعى أن رسول القمر الذى فى البئر إلى ملك الفيلة وكيف أن صورة القمر فى البئر واهتزازها من اهتزاز الماء قد خوف ملك الفيلة فجلوا عن العين : وها هم المكرون يقولون : نحن لسنا من الذين يخافون من وهم (يقول الملحدون المعاصرون كالقدماء تماما : إن الإيمان بالألوهية نوع من الوهم باق من طفولة البشرية) .

(٢٧٥٦ – ٢٧٥٩) يقول الأنبياء : إن الدواء الذى قدمناه لكم والنصح الذى نصحناكم به لم يؤثر فيكم ، بل إن طبيعتكم الكافرة الملحدة قد حولته إلى سم ، وهكذا العلة . وهذا هو من غضب الله عليكم . إن نبوتنا لا تأتى منكم ، نحن كالبحر وأنتم كالسفين . وهل يشرف البحر من السفين الملىء بالبعر وهو بحر ملىء بالدر ؟ ! أى أن الرئاسة التى تتأتى منك ليست أمرا مشرفا .

(٢٧٦٠ – ٢٧٧٤) يستمر كلام الأنبياء مع أهل سبأ ، لكن الواقع أن مولانا يتحدث إلى مريديه .. ويتأسف من عين الظاهر التى لا ترى نور شمس الحقيقة إن هذا كعمى إبليس اللعين الذى لم ير من آدم إلا قبضة من الطين فقال أنا خير منه ، وعين هذا المجنون هى التى أضلته ، فألقى حكما هو نابع من خلقته هو ومن أصله هو ، ومن إدباره وسوء حظه ، لقد واتاه الحظ مرة واحدة فتحول عن

طريقة . لأنه كالعنين الذى يصل إلى حبيبه . وما من سبب لهذا ، لا العين ولا الرأى ، بل هو الحرمان ، هو قضاء السوء ويعود الأنبياء للحديث مرة أخرى موجهين الكلام إلى المنكرين من أهل سبأ : ليس السبب هنا أنكم غير مقتنعين بنا ، ولكن السبب فى أن اللعنة قد حلت بكم لأنكم عكفتم على أصنامكم (ذواتكم ورفاهيتكم ونفوسكم المريضة) فإذا كنتم قد اعتبرتم هذه الأصنام الهة لكم ، فكيف تنكرون أن يكون موضع العقل والروح موضع سر الله ؟ لقد أنكرتم على البعوضة الحية أن تكون موضع سر العنقاء ولم تنكروا ذلك على البعوضة الميتة (دنياكم وأصنامكم) ، ألأن البعوضة هى من صنعكم أما البعوضة الحية فمن صنع الله ؟ إذن لقد وضح الخفاء : إنكم لا تعبدون الله ولا تعبدون الأصنام ، بل أنتم فى الحقيقة تعبدون أنفسكم وتعبدون ما تصنعونه أنتم . إنكم تعتبرون أنفسكم ألهة . إن صنع الله حتى فى خلق «بعوضة» جدير بالتمجيد والتحميد . وما عبادتكم لأنفسكم إلا كما يدور ذيل الحية حول رأسها . ولا فى الذيل أو فى الرأس أية فائدة ، لكنهما من جنس واحد . فالتافه غالبا ما يميل إلى التافه . وهذا يشبه ما ورد عند الحكيم الغزنوى (سنائى الغزْنوى) الذى يقول فى الحديقة :

اجعل الفضول خارج هذا الموضوع فإن أذن الحمار مناسبة لرأس الحمار (حديقة الحقيقة البيت ٤٠٣) فقلل إذن الكلام هنا ، فإن المنكرين إنما ينكرون سوء القضاء ، ولا يستطيعون أن يقولوا أكثر من هذا ، وهذا القضاء مناسب لهم

(٢٧٧٥ – ٢٧٨٥) إن القضاء مناسب لما نحن جديرون به ، هذا كما تتناسب الأعضاء مع الأبدان ، وكما تتناسب الأخلاق والطباع مع الأرواح ، والله سبحانه

وتعالى هو الذى يضع الصفات الحسنة والصفات القبيحة للأرواح ، لقد (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (طه / ٥٠) وفعل الحق كفعل الرسام يرسم الصور الحسنة والصور القبيحة كلها تدل على أستاذيته . (انظر : الكتاب الثانى – الأبيات ٢٥٤٦ – ٢٥٥٠) ، وفى البيت ٢٧٧٩ إشارة إلى الحديث النبوى : « إن قلوب بنى أدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » وفى المصطلح الصوفى أن الإصبعين كناية عن « اللطف والقهر » و«القبض والبسط » و « الخوف والرجاء » و « الجلال والجمال » كلها تجليات لعظمة الله سبحانه وتعالى ، فلطف الحق يسبب البسط فى قلب المؤمن ، وقهره يسبب القبض ، ثم يخاطب مولانا قلب المؤمن : إن كنت جديرا بعناية الجلال ، إننا نشبه قلما فى يد القدرة ، وسن هذا القلم (مفرقة) على مفترق طرق أربعة : قهر ولطف وقبض وبسط ، وبمشيئة الحق نكون مشمولين فى واحد من هذه الطرق ، وأحوالنا كلها كالحروف التى يكتبها قلم القلب ، وهى من كتابه الحق . فإذا عزمت وإذا فسخت فكل هذا من الله سبحانه وتعالى . وانظر بين إصبعىّ من تكون : أى قدر اليد التى تمسك بك وتقلبك حيث تشاء واخضع ولاتتمرد .. لكن وأسفا ليس كل قلب بالعالم بهذا . لكن هذا القلم (القلب .. قلب مولانا) يعلم لأنه يكتشف قدره فى الخير وفى الشر .

(٢٧٨٦ – ٢٧٩٦) يعلق مولانا على المثل الذى أورده المنكرون بقصة الفيل والقمر أنه من الحيلة والكفر ، وإلا فما قيمة هذه الأمثال أمام الحقائق الأزلية الإلهية ؟ فى الأمور يستطيع الله فحسب أن يضرب الأمثال للناس (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم) (النور ٣٥)

وكيف تكون خاليا من العشق الإلهى - « أقرع » - وتضرب المثل للجمال الإلهى بالوجه الحسن والجدائل السوداء ؟ إن موسى - مع مقام نبوته - لم يكن يعلم أن عصاه حية مع العلم بأن باطنه كان عليما بإمكان حدوث هذه المعجزة (انظر طه ١٩ ، ٢٠) ، أى علم لك بما يضعه الحق فى طريقك ليقوم بصدك ؟ إنك بمثلك هذا تحطم نفسك ؛ فإن الله تعالى يجعل من أمثالك وبالا عليك ؛ لأنك بمثابة فأر وتتخذ مثلا من فضولك بما لم يقو عليه الأنبياء ، مصيرك كإبليس الذى قاس النار بالتراب ، وقارون ادعى أنه أوتى المال على علم عنده ، ومن ثم فمثلك هذا هو سبب خرابك .

(٢٧٩٧ - ٢٨٠٠) موضوع هذه الأبيات مقتبس من الآية ٣٨ من سورة هود:

(ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) .

(٢٨٠١ - ٢٨٠٧) ينزل مولانا إلى المستوى العقلى والروحى لأولئك المدعين فيقدم حكاية رائجة من المأثور الشعبى عن الغفلة فى القياس والاستنتاج ، فمن الواضح أن اللص ينقب جدار المنزل ، ومع ذلك فالرجل الساذج بدلا من أن يستغيث يدخل معه فى حوار عن الذى يفعله ، فلا يجد بدا من السخرية فيجيب بأنه طبال ، فإن سأله : وأين أصوات الطبول ؟ قال أصوات الطبول سوف تقدمها غدا بصياحك واستغاثتك (بالطبع بعد أن تكتشف السرقة) . وهكذا يكون الجواب للمنكرين إن سالوا : أين الدليل ؟ يقال : غدا تقدم أنت نفسك الدليل عندما تستغيث فلا تغاث إلا بماء يشوى الوجوه .

(٢٨٠٨ - ٢٨٢٤) هنا يرد مولانا على المنكرين من أهل سبأ ، وعلى كل أولئك الذين يتناولون عوالم الغيب بمقاييس العالم المادى الذى يعيشون فيه ، وفيما سبق (٢٧٨٧) قال مولانا : إن أى إنسان لا يستطيع أن يضرب الأمثال عند الحديث عن عالم الغيب . والآن يتناول المثال الذى قدموه وهو مثال الأرنب : إن مثال الأرنب لا يمكن أن ينطبق على رسالات الأنبياء إن هذا المثال يرمز إلى شىء آخر ، ويهدف إلى بيان معان أخرى ، فالأرنب فى هذه الحكاية هو شيطان الفضول ، والفيل هو نفسك ، وماء العين هو معرفة الحق التى تهب الإنسان الحياة الخالدة ، وتفسيركم هذا للقصة وتكذيب رسالات الأنبياء كفر وانتظروا العقاب عليه ، فأى تشابه بين القمر والفيل والأرنب مع قمر الحقيقة الذى يقف الوجود أمامه عاجزا ؟ إن الخاص ومن هو من العوام كلهم عاجزون أمام ذلك القمر أى قمر الحقيقة ، إنه شمس وشمس الشمس ، بل إن هذا التعبير قاصر ، انظروا إلى المكذبين من قبلكم ، اقرءوا (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) (الأعراف - ٤) .

انظروا كم خربت من قرى من أمثال قرى عاد وثمود ، بل انظروا إلى جبل الطور وقد انشق من التجلى الإلهى ، بل إن الشمس نفسها فى جنون مما ينزل بها من كسوف ، إن غضب الأولياء والأنبياء كفيل بأن يسلب منكم كل نعم الحياة ومتعها ، وأن يحول خواص كل شىء إلى أضدادها ، إنكم موتى لم تكفنوا بعد ، فانظروا إلى ما حاق بقوم لوط ، اذهبوا وانظروا فلا تزال آثارها باقية وما فيلكم هذا ؟ ألم تقرءوا سورة الفيل وكيف مزقت الفيلة طير الأبابيل ؟ ألم تسمعوا عن طوفان نوح ؟ ألم تسمعوا عن حرب جند فرعون مع موسى وغرق قوم فرعون ؟ ألم تسمعوا عن دمار ثمود صرصر عاد ؟

(٢٨٢٥ – ٢٨٣٤) دعنا من فيلة أبرهة . ألم تسمعوا عن الفيلة التى تجندل أى فيل قوى فى الوغى ؟ وهذا بقدرة الله لأنهم من رجال الله وأوليائه ، ألم تسمعوا عن الظلمة من الملوك وجبارى الأرض الذين أخذهم غضب قلوب رجال الحق ؟ فمضوا من ظلمة الظلم والجبروت إلى ظلمة القبر دون أن يغيثهم أحد ؟ ألم تسمعوا الذكر الحسن والذكر القبيح ؟ ويتكرر هذا المعنى كثيرا فى المثنوى أن القحط يحل حينما يحل غضب الأولياء من الظلم والتعدى على حرمات الله تعالى . وكثيرا ما أشار مولانا فى مجالسه عما حاق بخوارزم من غزو المغول نتيجة ظلم خوارز مشاه الذى دفع والد مولانا إلى الهجرة بأسرته (مناقب – ١ وأنظر الكتاب الثاني البيت ٣١٢٣ وشروحه) إنكم تتجاهلون هذا الأمر ، لكن الموت هو الذى سيفتح عينك مادمت قد أغمضتها هنا على بئر الحياة الدنيوية ولم تفتحها على عالم المعنى ، إنك مفعم بالطمع والافتراس فكيف تتخيل جمال يوسف ، إنك لا تسمع مع أن كلمات الحق استمعت إليها الجبال من لسان داود .

(٢٨٣٥ – ٢٨٤٢) العقل هنا هو العقل الناظر إلى الحقيقة والباحث عن الله سبحانه وتعالى . ثم يسوق مولانا بضعة أبيات باللغة العربية والبيت الخامس بالعربية من ليس يرجو خيركم لا يستقيم المعنى ، والمفروض إنه من ليس يرجو «ضركم» ولعله من خطأ النساخ . ولنتحدث الفارسية : أى لنقدم بالفارسية خلاصة ما قلناه بالعربية ، والخلاصة كانوا عبيدا لله وهو ما يسعى إليه الفارسى والتركى والهندى وصدقوا براهين الأولياء ، فقد مالت الملائكة إليهم وسجدوا لآدم عليه السلام .

(٢٨٤٣ – ٢٨٦٣) تحدث مولانا كثيرا عن الحزم وأكد أنه هو التسليم لأمر الله وإطاعة أوامر رجال الله (انظر الأبيات ٢١٣ و ٢٦٧ و ٢٢٠٤) ويقول هنا :

أيها المنكرون انظروا إلى الماضين وإلى الكافرين واتعظوا أو انظروا إلى العاقبة بحزم ، وحتى إن لم تكن مؤمنا فافعل شيئا فى طريق الحق من باب الاحتياط ، فمن يدريك أن ما تنكره هكذا ليس حقيقة ؟ ثم يخاطب أبناء الخليقة (بنى آدم ، أولاد الخليفة ، ألم يكن آدم هو خليفة الله فى أرضه ؟) احزموا أمركم وخذوا بثأركم ممن أضل والدكم وعزله عن عرش الملوكية وطرده من الجنة وهزمه فى لعبة شطرنج القلب ، هكذا فعل مع والدكم وهو نبى ، فتخيلوا ما يحدث لكم إن لم تقفوا له بحزم ، تذكروا أباكم فى منفاه يبكى حتى ينبت النبات من دمع عينيه وتجرى البحار من غزارة هذا الدمع ، إن آدم ضاق ذرعا منه ، فقس هذا الأمر على نفسك ، فيا عباد الدنيا ، اهزموا هذا الشيطان بتذكر حول الله وطوله وبقولكم : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أن كل من زهد فى طيبات الدنيا ، يصل إليه قوته من الغذاء المعنوى .

(٢٨٦٤ - ٢٨٨٦) يقدم مولانا مثلا آخر للمتردد بين الفخ والنجاة ، أو بين الشهوة والحزم ، فالشبكة والحبة هى الدنيا ، والخلاء هو عالم المعنى ، والطائر هو الإنسان الذى يستطيع الاختيار بين طريق الحق أو خداع الدنيا ، والطائر الذى ترك التردد هو الإنسان الذى يسلك طريق الحق دون شك ودون تردد ، وما أسعد ذلك الطائر الذى يطير نحو الحق ، هو مقتدى الأحرار الذين تحرروا من خداع الدنيا ، وساروا فى الرياض والبساتين أى منازل السير إلى الله ، وهو يخاطب المتردد الذى يسقط ويقوم : لقد أسلمت طريق وصول الغذاء المعنوى إليك «الحلق» للذبح أكثر من مرة ثم يتوب عليك التواب اللطيف ، ثم تعود ، «وإن عدتم عدنا» (الاسراء/٨) لأن الجزاء من جنس العمل .. وهما : أى الجزاء والعمل

متصلان كزوجين يحمل الزوج أسيرا تسرع زوجته فى أثره ، وكثيرا ما أنجاك اللطيف الخبير لكن فراشة النسيان تجذبك ثانية نحو النار ، لقد نسيت أن الشكر على أنه أنجاك من النار هو ألا تعود إلى هذه النار أبدا ، لكنك لازلت تحوم حول الفخاخ فى حين أنك إن ابتعدت عنها سوف يهبك رزقا بلا شباك أى رزقا خالصا معنويا .

(٢٨٨٧ - ٢٩٠١) يقدم مولانا هنا مثالا آخر على التردد المنبعث من الحرص ، فالكلب المنكمش من البرد يفكر عندما يأتى الصيف أن سيبنى منزلا ، فإن أتاه الصيف وتمددت عظامه واكتست لحما ، اغتر ورأى أن أى منزل لا يمكن أن يسعه وهذا هو الحرص ، فعندما يكون الإنسان معدما يكون حرصه أقل ، وهذا طبعا عكس أن يكون مالكا فيكون حرصه أكثر وأشد ، وهكذا يفكر الإنسان فى التوبة عند الشدة (البرد ، الشتاء) فإن ذهبت الشدة ذهب تفكيره فى التوبة وبدلا من أن يشكر على النعمة ويتوب ، إذا به ينكص على عقبيه ، مع أن الشكر هو روح النعمة (انظر التعليق على الأبيات ٢٦٧١ - ٢٦٧٨) ويعمد مولانا هنا العودة إلى قصة قوم سبأ .

(٢٩٠٢ - ٢٩١٠) يعود مولانا إلى قصة قوم سبأ ، وكيف وقفوا أمام نصح الأنبياء قائلين : إن نصحكم هذا لافائدة منه لأن الله لا يريد لنا أن ننتصح وهو الذى ختم على قلوبنا وهذه إرادته .. هذا ما أراده لنا كما أراد لكل شىء طبيعته ، ولا يتحول عن طبيعته فلا الحجر يتحول إلى ياقوت ، ولا القديم يصير جديدا ،

ولا التـراب يصيـر مـاء ، ولا الماء ترابا ، كل مـخلوق وقـسـمتـه وجبلـته التى جبله الخالق عليها ، أى أن المقصود : نحن على كفرنا وإنكارنا مجبرون .

(٢٩١١ – ٢٩١٨) أجاب الأنبياء أن هناك صفات ذاتية وصفات عرضية ، والصفات العرضية قابلة للتغيير والتبديل ، ومن أجل هذا وجد الأنبياء ، فالمبغوض يتغير ويصير محبوبا سواء فى علاقته مع الناس أو فى علاقته مع الله والتراب ينبت الزهر ، والمعادن قابلة للتحول بالكيمياء والله سبحانه وتعالى خلق لكل داء دواء .

(٢٩١٩ – ٢٩٢٣) أجاب الكفار : لقد ثبت بالدليل القاطع أن ما بنا من داء لا يقبل الدواء ، والدليل أنكم فعلتم كل ما فى وسعكم دون أن يؤثر هذا علينا ودون الوصول إلى نتيجة ، زو يزول ذرة مما فينا ، فالتهاب الكبد وتورمه « السدة » يأتى بالعطش الشديد الذى لايرويه ماء .

(٢٩٢٤ – ٢٩٤٩) يرد الأنبياء : إن هذا الكلام هو من نتاج اليأس واليأس قبيح (لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (الزمر / ٥٣) ولنفرض أنكم قد صرتم كالحجارة ، وأن هناك أقفالا على قلوبكم ، فهذا ليس شأننا (وما علينا إلا البلاغ المبين) (يس/١٧) إننا مكلفون بنصحكم من لدن الحكيم الخبير ، ولاشأن لنا باستجابتكم من عدمها وأجرنا فى هذا على الله ، ونحن لا نكل ولانمل من خدمة ربنا ، وليس يصيبنا حزن ، فإنما يحزن من هو فى فراق عن الحبيب ، ومحبوبنا معنا ، ونحن واصلون إلى الحق ، ولا قيمة للزمن عندنا ، إذ لا تطرأ علينا شيخوخة ، والدليل فتية الكهف الذين

مكثوا فى الكهف ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا ، ومادام قد سقط من حسابنا فلا سأم ولا شيخوخة ولا ملل ، وهذا كلام غريب عليكم «لأن من ذاق عِرف ومن حرم اختلف» وهل يتوهم الجعل أنفاس الورد ؟ إن كل متوهم معدوم . وحتى الوهم نابع من شخص من يتوهم فهل يتوهم الجحيم الجنة ؟ وهل يتوهم الخنزير القبيح الطلعة الحسنة ؟ إن هداية الله قريبة منكم كلقمة وصلت إلى الفم ، ونحن قد قطعنا الطرق الصعبة ، ولم يبق إلا القليل إن الشيخ هو الذى يقطع الطرق الصعبة لكى يمهدها لمن يأتون من بعده» ، وإن القلب يصير مثل الخيط ، والروح فى شهود حتى يمسك الشيخ بأول الخيط». (كتاب ٦ / ٢٩٤٣ – مناقب ٧٦/١)

(٢٩٥٠ – ٢٩٥٦) يكرر المنكرون حجة أخرى طالما وجهت إلى أولئك الذين يرون المجتمع فى حاجة إلى إصلاح فيخرجون ويجأرون بالنصح فيرد عليهم أولئك الذين استكانوا إلى الرفاهية : لقد فرقتم جمعنا ، لقد ألقيتم بيننا الفرقة والشحناء ، أنتم سبب ما نحن فيه من بلاء ، ما هذا الكلام عن الآخرة ؟ إنكم تلقون بنا – نحن المنعمين – فى فكر الموت وفى هم الموت ، إنكم تسلبون منا الهناء وتثيرون فينا التساؤلات وتأخذوننا من هذه الحياة المنعمة إلى قصص الحزن وحكايات النكال ، ما هذا ، هذه الصورة التى يقدمها مولانا جلال الدين أليست تتكرر فى كل عصر وفى كل بيئة ؟ وقد جمعها القرآن فى آية واحدة (قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم) (يس/ ١٨) .

(٢٩٥٧ – ٢٩٨٤) أجاب الأنبياء : نحن لسنا بالفأل السيىء عليكم ، بل إن نحسكم وشؤمكم يأخذ المدد من داخلكم أنتم (طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم

قوم مسرفون) (يس / ١٩) .. لماذا التطير هنا ؟ لماذا تسمع قول الطبيب وقول المنجم عندما يأمرك بألا تفعل شيئا ؟ لماذا لا تقول له : إنه يتحدث بفأل السوء ؟ مع أن المنجم والطبيب قد يخطئان لكن النبى لا يخطىء أبدا ، ومن هنا فـفأل السوء معك أينما تمض تدركه وتراه عيانا ، وحينما يحيق بك شر كفرك وعصيانك سوف تجأر بالصياح لماذا لم تنبهنى ؟ لقد نبهتك ياهذا كثيرا لكنك قابلت الإحسان بالسوء ، وهكذا طبع اللئام ، فعالج نفسك أولا ، اجعلها مطيعة بالصبر إنها لئيمة فاجعلها تتواءم مع الإحسان ، حتى تعلم العرفان بالجميل ، وحتى لا يكون مصيرك هو مصير الكفار الذين يعاندون حتى إذا ألقى بهم فى الجحيم نادوا (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) (المؤمنون / ١٠٧) .

(٢٩٨٥ - ٢٩٩٩) فى عنوان الأبيات إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق الخليقة ينظر إلى السماء والأرض ويقول لهما : (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) (فصلت / ١١) ، فالطيب والشرير فى الوجود كلاهما فى طاعة الله ، والكافر يجأر إلى الله فى ملمات الدنيا وعندما يذوق نار الجحيم ، وعندما يدخل اللص واللئيم السجن يجأران إلى الله بالدعاء والشكوى والجحيم بالنسبة للكافر والمنكر مسجد لأنهما يذكران الله فيه ، وكل من فى الوجود يعبد الله عبادة ما وبأسلوب ما ، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات / ٥٦) ، وخلقت الخلق لكى أعرف ، ومن الإنسان يتأتى الشر والخير لكن المقصود فى الأصل هو العبادة ، لكنك تترك الأصل من خلق الشىء وتنصرف إلى الفرع. كما تتخذ من الكتاب وسادة ؛ ومن المسمار سيفا ، والله يجعل من عبادة كل إنسان جديرة به وبشخصه ، فالكريم يعبد طوعا ، لكن اللئيم يعبد كرها ،

لقد أراد موسى عليه السلام أن يذل الجبارين فصنع «باب الحطة» وفى خطبة للإمام محمد الباقر رضى الله عنه قال : نحن باب حطتكم (جلبنا رلى ٣٠٧/٦)وهو أقصر من قامة الإنسان حتى يدخل جبارو بنى إسرائيل منحنيني ، وانظر إلى أى جبار فى هذه الأرض ، إن الله سبحانه وتعالى يسلط عليه أحقر خلقه لكى يذلوه ويحطوا من كبريائه ولكى يعلم أن فوقه خالقا ، ولكى يجأر إليه بالشكوى شاء أم أبى ! ، أليس هذا هو ما نشاهده كل يوم ؟ وأليست كلمة الخالق سبحانه وتعالى هى التى جعلت مصرع النمرود – جبار الجبارين – على يد أحقر الخلق أى بعوضة ؟ ، انظر إلى مولانا فى الأبيات السابقة والأبيات التالية ، كيف كانت عينه دائما على جبارى الأرض ؟.

(٣٠٠٠ – ٣٠١٥) بينما يتشدق المتشدقون بأن الإسلام قد قال بالحق الإلهى للملوك ، ها هو ذا مولانا جلال الدين فى تحليله لظاهرة الطغيان والجبارين يقدم فكرة جديدة : وهى أن الملك الحقيقى الجدير بالسجود هو الله سبحانه وتعالى وأن هؤلاء الملوك الظاهرين إنما خلقوا فتنة وإذلالا لكى يسلطوا على من لا يقوم بعبادة الله سبحانه وتعالى وحده لاشريك له ، وهو يشبههم هنا بالباب الصغير أو باب الحطة الذى أقامه موسى عليه السلام على ربض القدس ؛ لكى يكون إذلالا لجبارى بنى إسرائيل إذ يطأطئون الرءوس عندما يدخلون إجلالا للحق وحده (وإذْ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلو ا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) (البقرة / ٥٨)

ولا يسجد لهؤلاء الملوك الصوريين إلا أعداء السجود للملك الديان ، وبما أن هناك محرابا يتوجه به العابد بالصلاة للخالق وحده ، فهناك «مزابل» جعلها

هؤلاء الملوك الصوريين محرابا لهم ، وأسماء هذه المحاريب المزابل (!!) الأمير والبطل ، ولا يأتى إلى محراب الكلب (سلاطين الدنيا) إلا الأخساء ، وعار على رجال الحق أن يميل إليهم هؤلاء الأخساء ، ولا يخشى القط (سلطان الدنيا) إلا من كان فأرا ، فأرا فى جبنه وحرصه وطمعه وعبادته للفتات ، هؤلاء جبلوا على الخوف من كلاب الحق «سلاطين الدنيا» ومن ثم فهم لا يخافون الله سبحانه وتعالى ، لأن الخوف من الخلق لم يترك فى قلوبهم مجالا للخوف من الحق ، فهم جديرون بهذا الرب الذى يعبدونه«ربى الأدنى» وليسوا جديرين بعبادة الإله الواحد الأحد «ربى الأعلى» ، إنهم العابد والمعبود من جنس واحد ، العابد لاعق للأطباق طفيلى يجرى وراء متاع الدنيا ولا يهمه أن يبيع دينه بدنياه ؛ والمعبود من هؤلاء السلاطين والأمراء والقواد لاعق أيضا وإن كان لاعقا للقدور كل منهم يجرى وراء متاع جدير به وبمنصبه فى الدنيا ، ويرى مولانا أنه قد مضى فى شرح هذه النقطة و «اندفع» كعادته فيمسك نفسه ساخرا : كفاك .. فلو أنك مضيت فى الشرح ، وشرحت هذه الأمور بعمق ، فإن «الأمير» سوف يغضب ، وهو سوف يغضب لأنه هو نفسه يعلم أنه كذلك ، يعلم أنه يخيف الناس وهو يخاف من السلطان ، وأن الناس يلعقون أطباقه بينما هو لاعق لقدر «السلطان» ، وهكذا يتواتر الظلم والخوف والطفيليون من أعلى إلى أسفل ، ويعود مولانا إلى شرح عبادة اللئيم «كرها» وعبادة الكريم « طوعا » واللئيم جحود ، والكريم شاكر ، ومن ثم يطغى أهل النعمة (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) ، ومن هو الطاغى ؟ إنه ذلك الأمير الذى يلبس قباء مذهب الحواشى ، إنه يتوهم أنه يخفى بملابسه ونياشينه قبح نفسه ، ومن هنا فمن صفت سريرته لا يهمه أن يكون

فى قباء ممزق ، فالشكر لا ينبت من النعمة ، إنه ينبت من البلايا والنقم التى تصقل النفوس والأرواح وتذيب من عليها كدر الرفاهية والراحة .

(٣٠١٦ - ٣٠٣١) إن أهل البلوى والصفاء شاكرون حتى على عدم العطاء ويقدم مولانا حكاية جديرة بالمقام لم ترد فى مصدر قبله ، فها هو ذا أحد الصوفية يرى سفرة خالية معلقة بمسمار (السفرة هى مفرش يبسط على الأرض ثم يعلق بعد الطعام) فيتواجد الصوفى أى يصاب بحالة من الوجد ، ويصاحبه الصوفية فى رقصة وهياجه وحرقته وذوبانه ، إن السفرة الخالية المعلقة تقول لهذا الصوفى : إنه وإن لم توجد لديك لقمة خبز واحدة تستطيع أن تكون عاشقا للحبيب ، إنه زاد من لا زاد له يعطى الفقراء والدراويش القدرة على السّير أو السلوك الصوفى وعدم النظر إلى العالم المادى ، وإذا وصل المرء إلى هذه المرحلة فإن القحط والآلام لا تؤثر فيه ، وها هو ذا فضولى خال من المعنى يعلن تعجبه لهذا .. ولم لا؟ إنه صورة بلا معنى إنه صورة إنسان دون معنى الإنسان ، هو معلق بالمادة ، ويترك مولانا الحكاية إلى نتيجتها : إن عشق الخبز بلا خبز هو الضراعة والجذب دون نفع مادى محسوس ، إن هؤلاء الذين يضحون بالوجود إنما يأخذون كسب هذه التضحية قبولا من الحق وهو النفع الكلى ، لأن المقبولين من الحق قادرون على كل شيء دون أن تكون لديهم أداته المادية ، ويذكر أبا الخير الأقطع (انظر تعليقات ١٦١٤) نموذجا واضحا ، والعدم المذكور هنا هو العدم الصورى ، حيث لا اهتمام بالوجود الظاهرى والحياة المادية وعشاق الحق موجودون فى ذلك العالم ، لهم وجود واحد مرتبط بوجود الحق ، ثم يتحدث مولانا عن النضج المعنوى والإدراك ، فالوليد لا يفهم معنى الغذاء المطبوخ

والجنى يتغذى بالرائحة (فى اعتقاد القدماء) ، لكن الإنسان ذو احتياجات مادية فإن تجرد منها سما على طبيعته ، وهذا كما يكون ماء النيل دما على قوم فرعون وماء لقوم موسى ، ويكون البحر غرقا لقوم ومعبرا لقوم موسى .

(٣٠٣٢ - ٣٠٣٩) إن كل إنسان لا يستطيع أن يدرك حقائق عالم الغيب ، فإخوة يوسف عليه السلام لم يروا فى وجهه تجلى نور الحق ، بينما رآه يعقوب ورأى عن طريق آثار الربوبية (رائحة الحق - رائحة القميص) ، ومن ثم فإن يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه بينما ألقاه إخوته فى البئر ، ومن ثم فقد كانت «سفرة» يوسف خالية بالنسبة لإخوته لكن يعقوب رأى فيها القوت المعنوى ، وذلك الذى «لم يغسل وجهه» أى ليس جديرا بإدراك عوالم الغيب ، ولا يمكن أن يرى وجوه الحور أى أسرار الغيب ، فلا صلاة أى لقاء مع عوالم الغيب ، إلا بطهور ، والمعنى هنا تحويرلمعنى شائع « لاصلاة إلا بحضور » ومن هنا ما يعشق هو قوت الأرواح ، ولاقوت للأرواح إلا بتهذيب النفس عن طريق الجوع ، فالجوع يقوى الروح فى سيرها ، ومن هنا كان يعقوب يبحث عن يوسف «غذاء الروح» ولم يكن يرضيه سوى هذا ، وبينما كان البشير يحمل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان لم يكن يشم ريح القميص (عوالم الغيب) بينما كان يعقوب يشمها وهو فى أرض كنعان .

(٣٠٤٠ - ٣٠٤٣) العلم إذن غير الذوق ، وليس العلم دليلا إلى عوالم الغيب ، فعلماء الظاهر حفاظ للعلم ولا نصيب عندهم من «علوم» عوالم الغيب ، فهم ليسوا بالأحبة المختصين بهذا العلم ، ومن الممكن للعامى الذى يستمع إلى

علمـاء الظاهـر ويدرك شيـئا «مـعنويا» عن علومهم الظاهـرة لأنـها ليسـت متغلبة عليه ، وليس مشـغولا بها ، وليس مغرورا باستظهـارها وحفظها ، لأن هـذا العلم فى يد علمـاء الظاهـر مـثل قـميص يـوسف فى ذلك البـشـير أو فـى مـثل جـارية حسناء فى يد نخاس ، هى فى يده مؤقتة وغير باقية ومن أجل المشترى .

(٣٠٤٤ - ٣٠٥٠) هذه هى قسمة الحق ، أى أنها شىء مخصوص بالحق ، وهو لا يعطى رزق أحد لآخر ، وكذا مشاغلنا وأوهامنا فى الدنيا هى أيضا من عطاء الحق ، أحيانا يصنع من خيالنا جنة فى وجودنا ، وأحيانا يصنع من تصوراتنا واوهامنا جحيما فى وجودنا ، ورياض الله هى قلوب من يفكرون فى الله ومزابله هى بواطن الأشرار وأولئك الذين لاطريق لهم إليه .. وكل إنسان لديه الإمكانية أن يجعل من باطنه جنة أو جحيما أو جنة أو مزبلة ، ولا يدرى أحد من أى أركان الروح ، أى من أى النواحى النفسية والنواحى الإلهية لروح الإنسان تنبع هذه الأفكار السـيـئة أو الأفكار الطيبة ، فالقلب الذى هو فى طريق الله لا يرى هذه المنابع فى الروح ، ولو كان يراها لسد طرق الأفكار الشريرة بالحيلة لكيلا تتعثر فى الطريق إلى الله ، إن أى «جاسوس» أى حارس للقلب الذى فى طريق الله لا يخطو خطوة واحدة إلى منبع الخيالات فإن منبع الخيالات حيثما لا يكون وجود صورى ويسميه مولانا العدم ، أى الوجود المطلق اللانهائى الذى يسميه أهل الظاهر العدم .

(٣٠٥١ - ٣٠٥٦) إن أفكارنا وأحوالنا إذن تنبع من العدم ، ولكى لا نسقط فريسة للأفكار الشريرة ولا تظهر فى بواطننا «جهنم» أو «مزبلة» علينا أن

نعتمد على فضل الحق ، التسليم بعمى .. و «قبض الأعمى» مصطلح شرعى فحواه أنه إذا كان المشترى فى المعاملات أعمى ينبغى أن تسلم البضاعة المشتراه إلى يده حتى يكون انتقالها مسلما فأمسك برداء فضله إذن كما يمسك الأعمى بما اشتراه ، وما هو طرف رداء فضله ؟ إنه طاعة الله ، والتقى إذن سعيد لأنه فى فضل من الله ، ومن يوفق إلى هذه الطاعة والتقى كأنه دائما فى مكان جميل ، ومن لا يصل إلى هذا التوفيق يكون فى المكان نفسه فى عذاب ، ويقول الموفق للمحزون : إنك تستطيع أيضا أن تكون سعيدا فيقول له : لا أستطيع لأن الله سبحانه وتعالى لم يمنحه هذا التوفيق .

(٣٠٥٧ – ٣٠٦٥) وردت هذه الحكاية قبل المثنوى فى مكتوبات مولانا جلال الدين ، وقبلها أوردها والد مولانا فى معارف بهاء ولد ، وفى فيه ما فيه لمولانا قصة رجل غير مسلم كان له غلام مسلم بينهما ما يشبه هذه الحادثة وكان زمن القصة هو عهد الرسول ، (مأخذ/ ١١٧) وفى ٣٠٥٨ : حجر الطفل حجر كان يستخدم فى الاستحمام ، وفى ٣٠٦٣ لم يكن إشارة إلى آخر سورة الإخلاص «لم يكن له كفوا أحد» ، وفى ٣٠٦٥ ذو الفنون أى الله سبحانه وتعالى .

(٣٠٧٣ – ٣٠٧٨) «البحر» فى مصطلح مولانا هو عالم المعنى والوجود الإلهى المطلق ، والأسماك هنا هم الواصلون إلى الحق الذين يسبحون فى بحر المعنى ، وسكان البر أولئك الذين لا علم لهم بذلك العالم ولا طريق لهم إليه .. وهم يريدون بالحيلة والتدبير وبالعقل المادى والعلم الظاهرى أن يصلوا إلى حقائق الغيب وهذا ليس ممكنا . ويخاطبهم مولانا : بالتسليم أمام مشيئة الحق

وقبول رضا الحق تستطيع أن تفتح باب عالم المعنى أمامك ذلك أنه لو تبدلت كل ذرات العالم إلى مفاتيح فإن باب عالم المعنى لن يفتح أمام محبى الدنيا اللهم إلا إذا أبدى الله سبحانه وتعالى لطفه ، ولهذا شرطان :

الشرط الأول: أن نترك «التدبير» ، والشرط الثانى : أن يقوم شيخ بهدايتك ، إن نسيان الذات هو باب ذكر الله لك ، والعبودية الكاملة لله هى أساس الحرية الكاملة .

(٣٠٧٩ - ٣٠٨٣) يواصل مولانا قصة قوم سبأ الذين أنكروا رسالة ثلاثة عشر نبيا ، ويشير مولانا فى العنوان إلى الآية (١١٠ من سورة يوسف) حيث ييأس الرسل من إنكار الناس وكفرهم فيأتيهم نصر الله ، وها هم أولاء أنبياء قوم سبأ يعبرون عن يأسهم بينهم وبين أنفسهم : إن نصح هؤلاء أشبه بالدق على الحديد البارد والنفخ فى القفص الذى لا يبقى على ريح ، أى عمل لا طائل من ورائه والحركة من الخلق من القضاء ، وفى موعد يعلمه الله تعالى ، إنه يجعل أقدار النفس الجزئية منوطة بالنفس الكلية ، فالعقل الكلى من المقدرات الإلهية وظهورها فى النفس الجزئية الإنسانية لأن الجزء مغلوب للكل ، فالشفاء مما هو منقوش فى اللوح (مولوى ٣/ ٤١٠) ، إن القضاء جار على الأجزاء الكلية للعالم وكل ما يبدو من الأجزاء أنه هو تابع للكليات ، وحيثما تستوجب الروح الإنسانية القهر ، فإن الروح الكلية للعالم تهاجمها ويبدو فيها فعل الكفر والأفكار لأن عفن السمكة من رأسها ، ومن هنا فليس من الممكن هداية هؤلاء وهاهم أولاء يبدون يأسهم قائلين : حتام النفخ فى القفص ؟ لكن مولانا يجيبهم : أعلم

أن الأمر هكذا ، لكن واصل عملك .. إنك عبد وقد قال لك خالقك أبلغ ولا مهرب من هذا .

(٣٠٩١) مضمون البيت مقتبس من حديث منسوب إلى رسول ا ، «التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق» .

(٣٠٩٢) كل الأمور موكولة بالأمل فيها والرجاء فى أمور الدنيا ممكن أن يتحقق أو لا يتحقق ، لكن الأمل فى الله ليس أملا واهيا ، وإذا انشغلت بأمور الدين فسوف تنجو من هذه الأمور الدنيوية .

(٣٠٩٤) وقرع الباب هو الأمل فى الله وهو الطلب (انظر شرح ٤٧٨٣ - ٤٧٩٨) .

(٣٠٩٥ - ٣١٠٥) المقلد هو من لم يدرك حقائق عوالم الغيب عن طريق القلب ، وعكسه هو المحقق ، فالمقلد يطوى الطريق إلى الله بالخوف والرجاء أما المحقق فقد محى فى الحق فلا رغبة عنده حتى يخاف أو يرجو ، ومن ثم يقول : مع وجود الاحتمال بأنك لن توفق فإن الرجاء يجذبك نحو العمل ، هأنتذا تكافح فى هذه الدنيا مع وجود الخوف من الحرمان ، فلماذا لاتخشى الحرمان فى طريق الحق ؟ ولماذا لايوهنك هذا الخوف فى سعيك من أجل الدنيا ؟ ، مع أنه إن كان قد كتب عليك الحرمان فقد كتب عليك منذ الأزل ، فإذا أجبت : إننى إن لم أسع الدنيا فإن احتمال حرمانى فيها أكثر ، أسألك : إنك وأنت تسعى فى الدنيا تخاف من الحرمان فلماذا لا يمسك بك هذا الخوف من الحرمان فى أمور الدين ولا يتركك تعمل ؟ إن السبب هو أنك سيئ الظن ولا إيمان عندك أو ربما لا تعلم

أية منافع هى تلك التى يحصل عليها رجال الحق ، إن الفوائد الموجودة فى سوقنا لا يعلمها إلا الله تعالى ؛ مثالها أن النار لا تؤذيهم (إبراهيم عليه السلام) ، وأن البحر يحملهم (نوح وسفينته) ، وأن الحديد يلين فى أيديهم (دواد عليه السلام) ، وأن الريح تحت حكمهم (سليمان عليه السلام) ، وما هو للأنبياء يكون للأولياء .

(٣١٠٦ – ٣١١١) وإذا كانت ألطاف الإلة بالأنبياء جلية ، فإن ألطافه بالأولياء خفية ، ذلك أن «للّه أولياء أخفياء رءوسهم مغبرة وجوهم إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا وإن مرضوا لم يعادوا ، وإن ماتوا لم يشهدوا وهم مجهولون فى الأرض مشهورون فى السماء» (حديث نبوى مولوى ٣/٤١٣) . إنهم يملكون كل ما ينسب إلى الأنبياء لكن لا عين تقع عليهم ، فكراماتهم مسبغة بالسر الإلهى وحيث أن الأبْدَال لا يعرفونهم ، إنهم مستترون حتى على من هم من جنسهم ، ومما روى عن أبى بكر الكتانى أنه كان مراقبا فى فناء الكعبة وهناك محدث فأتاه الخضر عليه السلام وقال له : لم لم تسمع ؟ قال : إذا حضر النبى لا يسمع من غيره ، قال : من أين يعلم أن هناك نبيا قال : أما أنت الخضر النبى ؟ قال : كنت أعتقد أنى أعلم جميع الأولياء فعلمت الآن أن منهم من يعلمنى ولا أعلمه . (مولوى ٣ / ٤١٣) إن هؤلاء يدعونك ، وإذا دعاك الكريم أن تلقى بنفسك فى النار فألق نفسك فيها .

(٣١١٢ – ٣١٣١) الحكاية هنا قائمة على خبر عن النبى ، : كان النبى ، يأكل بثلاث أصابع ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها فاذا توسخ ألقاه فى النار

فينظف فيمسح به وجهه ويقول : النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الأنبياء (مولوى / ٤١٤) ، ولعل اختيار أنس رضى الله عنه لأنه أدرك الرسول وعايشه والحكاية مصداق للبيت رقم ٣١١١ . لقد سمعت الجارية أمر أنس رضى الله عنه بأن تلقى المنديل فى النار ولم تتردد لحظة أنها على ثقة بالكرام ، بل إنه لو طلب منها أن تلقى بنفسها فى النار لألقت بنفسها دون تردد ويعلق مولانا طلبا بأن يعرض المرء نفسه على هذا الإكسير أى الثقة والتوكل والثقة بأولياء الله ، ولا ينبغى أن يكون الرجل فى صدقه وثباته على الطريق أقل من المرأة ،فرب نساء فى الطريق كن أكثر ثباتا من الرجال ، والقلب الذى يكون عند الرجل أقل من قلب امرأة ، ليس قلبا بل هو بطن (وعاء للشهوة الدنيوية) .

(٣١٣٢) وردت هذه الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قبل المثنوى فى دلائل النبوة وصحيح البخارى وصحيح مسلم (مآخذ ١١٨ – ١١٩) .

(٣١٥٢ – ٣١٥٤) كانت قربة الماء مجرد دريئة – مجرد حجة ظاهرية ، أما الذى روى الظامئين وملأ القرب فهو الفضل الإلهى ، «وأمره» أى الإلهى والبحر الأصلى هو عالم الغيب ثم يقول : إن الحرارة تجعل من الماء بخارا وتجعل البرودة من البخار ماء ، لكن الحديث ليس عن العلل والمعلولات فإنه خارج علم هذا العالم فإن قدرة التكوين من العدم الموجودة عن الحق هى التى أوجدت الماء .

(٣١٥٥ – ٣١٦٤) إن الأسباب هى العلل الظاهرية للأمور والأحداث ، والتعلق بها من الطفولة وعدم النضج فالنضج يتأتى من الطريق ؛ فالأسباب تشغل عن المسبب ، وتعلق المرء بالدريئات ، أى بالأمور الظاهرية التى يأتى بها

الله لإخفاء أمور باطنية ، وأنت بسبب هذه الأسباب تجأر بالصياح إلى الله سبحانه وتعالى ، ويسأل الله تعالى : ماذا حدث حتى تذكرت قدرة الله ؟ ! ما دمت تذكرتني من صنعي ولم تتذكرني لذاتي إمض إذن إلى هذه الأسباب . فيقول العبد : إنني لن أخدع ثانية بالأسباب ، فيجيب الله : إنك مثل الكافرين «ولو رُدوا لعادوا لما نُهُوا عنه وإنَّهم لكَاذِبُون» لكنى مع ذلك أرحم – وأعطيك كلما دعوت وفى البيت ٣١٦٣ عودة إلى الحكاية : وفى البيت ٣١٦٤ : أغرقت العرب والكرد : أى أغرقت من عرفوك ومن لم يعرفوك» .

(٣١٩١ – ٣٢٠٥) يعرج مولانا من حديث العبد الأسود مع صاحبه إلى الحديث عن مسألة عرفانية ، فاللون هنا يرمز إلى قيود الحياة الدنيوية وأماراتها وهو من الأمور العارضة فى عالم اليقين ، وفارغة من اللون : أى الروح التى لا تجعلها المطالب المادية والحياة الصورية غافلة عن الله ، والأركان هى العناصر الأربعة فى عالم المادة ، والعارفون بالجسد هم الذين لا يعرفون عن الأشياء إلا تعينها المادى ، وبدلا من أن ينظروا إلى الماء ينظرون إلى القربة ، وأولئك الذين يشربون الماء هم أولئك الذين يدركون حقيقة الوجود ، والعالمون بالروح هم أولئك الذين على علمهم بشاربى الماء ، والعدد من سمات عالم الصورة والتعين الذى يستمد أيضا « عالم الكثرة » وفارغون من الأعداد كفارغين من الألوان تماما ؛ فمن عنده علم بحقيقة الوجود هو وجود واحد بلا كيفية ولا عددية وهو غريق البحر وفى البيت ٣١٩٤ صِرْ روحا أى خلص نفسك من العلائق المادية واعلم الروح أى اعلم حقيقة الوجود أو ذات الحق ، وهذا ممكن عن طريق الله تعالى . هذا عن طريق الرؤية وليس عن طريق القياس ، وفى البيت ٣١٩٥

يصعد مولانا إلى أفق أعلى من عالم المادة فمنشأ العقل ومنشأ الملائكة واحد ولكن مشيئة الحق شاءت أن يخرج من منشأ واحد تجليان مختلفان ٣١٩٦ ؛ فالملك يطير من الناسوت والملكوت أما العقل فقد أخذ المجد الباطنى ٣١٩٨ آدم هنا إشارة إلى سيدنا آدم عليه السلام وإشارة إلى كل إنسان ٣١٩٩ ، وكما أن العقل والملك من منشأ واحد فالنفس (عند الإنسان) والشيطان من منشأ واحد أيضا ، ٣٢٠٠ ومن هنا لم ير الشيطان من آدم إلا الطين بينما رأى فيه الملائكة الآخرون نور الحق ، وفى الأبيات التالية يتحدث مولانا عن عجزه عن هذا الحديث لعمقه ولعدم وجود من يمكن أن يفهمه ؛ إذ لو استطاع أحد أن يفهمه لنطق له الحجر والمدر ولشرحا له أسرار الوجود .

(٣٢٠٦ - ٣٢٢١) يواصل مولانا نفس الفكرة : أن الجماد ليتحدث مع الخبير بأسرار الغيب ، إنه يعتبر الجدارة نوعا من الضراعة وإن الخليقة هى مجموعة من الاحتياجات والضراعات والضرورات والآية المذكورة ٦٢ من سورة النمل ؛ ولب الكلام إنه عندما يبدى العبد الاضطرار والضراعة فإن الله سبحانه وتعالى ينجده ويغيثه فلولا موقف مريم عليها السلام لما نطق عيسى فى المهد مبرئا إياها : والمعنى أنه نتيجة للحاجة والاضطرار فإن أجزاءنا تتحدث عنا ، وهذا الحديث حديث خفى لا هو باللسان ولا هو بالحنجرة ، وفى البيت رقم ٣٢٠٨ تشير الشطرة الأولى إلى شهادة الأيدى والأرجل علينا (يس ٦٢) «انظر تعليقات ٢٤٧» ، ومن ثم يسأل فى الشطرة الثانية : إذن لماذا تستخدم يديك وقدميك فى طريق الكفر والإنكار وليس الأمر هكذا فحسب بل إن وجود كل شىء هو نتيجة الحاجة إليه ، فإذا كنت تريد الماء أى جواب الحق فأظهر الظمأ أى الاضطرار

والحاجة ، والمضى إلى الأعالى والأسافل هى مصاعب الحياة أو مشكلات المجاهدة عند السالكين ، ورهينا للحرارة : أى مأخوذا بعقبات هذا الطريق والمقصود زنبور الهواء الرعد ، وهو علامة المطر يقول مولانا : إن هذه الآلام تعرفك بأثار الحق وأمارات عناية الحق ، ونفس هذه الآلام تجعل الصعب عليك سهلا كما أن صوت الرعد يجعل تحمل الظمأ سهلا على أمل الماء ، وكما يحتاج الزرع إلى الماء ، ينبغى حقيقة أن تكون محتاجا حتى تدرك الحقائق ، وفى مزارع أرواحنا يختفى جوهر المعرفة بدلا من حبوب الزرع والمطر الذى ينبغى أن يمطر على هذه المزرعة هو سحاب الرحمة المليء بماء الكوثر (المعرفة) وفى البيت ٣٢٢١ إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الدهر (الإنسان) (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وفى تعليق للأفلاكى أن عطاء الشيخ بقدر ضرورات المريد وضراعاته واحتياجاته .. معانينا على قدر همم الطالبين .. الاضطرار يوجب الاستحقاق ١ / ٢٠٠ » .

(٣٢٢٢ - ٣٢٣٩) الرواية الواردة فى هذه الأبيات لم ترد بنصها فى سيرة الرسول ، لكن الاسم الوارد فيها يذكر برواية وردت فى مسند أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وفحواها أن خيثمة بن عبد الرحمن روى أن أباه عندما كان طفلا صحبه أبوه إلى رسول ا، فسأله عن اسمه فقال : عزيز فقال رسول الله : بل سمه عبد الرحمن (استعلامى ٣ / ٣٦١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاءت امرأة بصبى ولم يتكلم قط فقال النبى ، : من أنا ياغلام قال : أنت رسول الله. فقال عليه السلام : صدقت بارك الله فيك (منهج ٣ / ٤٢٧) . وواضح أن الحكاية كلها تأكيد لما ورد من أن الله يعطى العبد قدر حاجته حتى لو أنطق

الطفل «عيسى» تبرئة لأمه ، وأنطق الطفل هنا لكى يبرىء نفسه من الكفر ، ولكى يعرف بالرسول ؛ لأن الأنبياء معروفون من الله سبحانه وتعالى ، وقد يدفع الحجر والمدر إلى الحديث تصديقا بهذا التعريف .

(انظر تعليق الأبيات ٣١٩٥ – ٣٢٠٠) .

(٣٢٤٠ – ٣٢٥٦) وردت الرواية المذكورة هنا قبل المثنوى فى دلائل النبوة ، وإحياء علوم الدين ، والدعوات الكبيرة ، وقد نقلها يوسف بن أحمد : روى عن ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله أراد الحاجة يوما وذهب فقعد تحت شجرة فنزع خفيه ثم لبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر وطار به إلى السماء وقلبه فسقط منه أسود سالخ فقال النبى ، : هذه كرامة أكرمنى الله بها : اللهم إنى أعوذ بك من شر من يمشى على رجليه وأعوذ بك من شر من يمشى على بطنه (مولوى ٣/٤٢٧) ، والعقاب يتحدث هنا فى الحكاية اعتذارا للرسول ، وإظهار استبعاد ألا يكون الرسول – عليه السلام – لم يدرك أن فى نعله حية ، بل إن العقاب يذكر أنه ما رأى الحية فى النعل إلا فى الانعكاس النورانى لوجهه الكريم .

(٣٢٥٧ – ٣٢٦٧) هذه الأبيات تعليق على الحكاية السابقة (فإن مع العسر يسرا) (الشرح/٥) إذ لا ينبغى أن يشكو المرء من البلايا والمصائب فالمؤمن حقا هو الضاحك عند البلاء ذلك أن يعلم أن هذا البلاء ربما حول عنه بلايا عديدة ، إنه يعلم أنه ما يسميه الآخرون «عقابا» من الله تعالى إنما هو «عقاب» اختطف الحية

من النعل . والعبارة المذكورة لأحد الصوفية ولم أجد لها أصلا وإن كان يوسف ابن أحمد قد ربط بينها وبين عبارتين إحداهما للجنيد (التصوف الكون مع الله بلا علامة) والأخرى للشبلى» : «التصوف الجلوس مع الله بلا هم» (مولوى ٣/ ٤٣٠) ، ثم مضمون الآية الكريمة (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) (الحديد / ٢٣) .

(٣٢٦٨) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت جديرة بالسياق الذى مر : أى الفرج عند البلاء والنزول على حكم القضاء ، فإن القضاء وإن بدا سيئا هو الذى يحول بلايا كثيرة عن المرء هى أفدح وأعظم ، وبينما يجاهد العبد فى أن يحول عن نفسه القضاء «بدعاء نبى» أو «بتدبيره» فإنما يساعد فى أن يغرس فى صدره سهم البلاء ، إنه يدعو البلاء إلى نفسه بينما هو فرح مختال فخور بأنه حول القضاء ، أو مغتم لنزول القضاء بساحته ، وهذا من نقص معرفته وظلمه وجهله إذ يرى الخسارة الحاضرة ولا يرى النفع الآجل ، ويحاول أن يشارك الله فى علمه. وبالرغم من أن الحكاية لم ترد فى مصدر قبل المثنوى بكل تفصيلاتها ، لكنها تشترك فى معناها مع حكاية وردت فى الكتاب الثانى عن شخص أصر على عيسى – عليه السلام – أن يعلمه اسم الله الأعظم لذى به يحيى الموتى ، فلما تعلمه مر على عظام رميمة فقرأ عليها الاسم ، فانقلبت إلى أسد هصور افترسه ، كما أنها شبيهة من حيث المعنى بقصة ذلك الذى نظر إليه عزرائيل فى السوق نظرة لم تعجبه ، فتوسل إلى سليمان عليه السلام – أن يأمر الريح بحمله إلى الهند فأمرها فحملته ، وفى اليوم التالى سأل سليمان – عليه السلام– عزرائيل لم نظر إلى الرجل هذه النظرة ؟ فقال : لقد كنت مأمورا

بقبض روحه فى نفس ذلك اليوم فى الهند ولما رأيته حيث هو تعجبت وقلت بينى وبين نفسى : ترى بأية وسيلة سوف يكون فى نفس اليوم فى الهند ، لقد أسلم نفسه للقضاء بفراره من القضاء تماما كبطل حكايتنا هذه (انظر الكتاب الأول الأبيات ٩٥٦ – ٩٧٠) .

(٣٢٧٤) الإنسان حريص على ما منع وهو مثل معروف وروى أيضاً كحديث نبوى (استعلامى ٣/٣٦٣) .

(٣٢٨٢ – ٣٢٨٧) إن أحد فوائد انعدام القدرة ألا يستطيع الإنسان فعل الشر ، ومن هنا يفتخر الأنبياء بالفقر وبه فخر خير المرسلين «الفقر فخرى» ومن عيوب القدرة أنها تقضى على خير الإنسان وحلمه ، وإن الشهوات التى لا لزوم لها هى التى توقع الإنسان فى هوى النفس ويظل دائما وراء أهوائه وشهواته ما دام قادرا عليها وعابدا للدنيا ؛ أى أن آكل الطين لا يستطيع أن يعتاد على شرب المسكر أو أكل الحلوى (أى لا يجد وقتا أو لزوما لتعلم الحقائق الإلهية) .

(٣٢٨٨ – ٣٣٠١) يأمر الله سبحانه وتعالى موسى بأن يعلمه قليلا من لسان الطير ، وأن يعطيه فرصة الاختيار (بين لسان الطير) ويجدها مولانا فرصة للحديث عن الاختيار ؛ فالاختيار هو ملح العبادة . إن العمل فى حد ذاته ليس هو معيار الأجر ، لأن العمل قائم على المشيئة الإلهية لكن عند الحساب فإن الخير والشر منوطان باختيارنا ونيتنا ، هل رجحنا الخير على الشر ؟ أم الشر على الخير ؟ فإذا كنا قد اخترنا الخير فهو من «فضلنا» فالعالم كله يسبح طوعا

أو كرها ، فإذا أعطى الاختيار فيمكن له أن يقول إن كان فى طريق الحق أم لا ؛ والاختيار هو سر التكريم فى (ولقد كرمنا بنى آدم) (الإسراء/ ٧٠) فالملاك خير بطبعه والشيطان شــــرير بطبعه ، والذى يستطيع أن يكون ملاكا أو شيطانا باختياره هو الإنسان . لكن المؤمن مثل نحل العســـل يمتص عصارة النباتات كلها لكن لا يخرج منه إلا العسل والشهد ، فالمؤمنون يشربون من عين الحياة التى لايموت من شربها ، وما يشربه أهل النفس هو «سم الموت» فهو موت فى عالم المعنى - ولنترك عالم المعنى إلى عالم الصورة : إن مدحنا للمحسن وذمنا للمسىء هو دليل على أن لدينا اختيارا وأننا مسئولون عن أعمالنا ؛ وفى السجن إن لم يسىء المسئ فلا فضل له ، بل تظهر شخصية الإنسان على حقيقتها عندما تكون له حرية الاختيار ، فاشتغل وقت القدرة فى عبادة الله - ومن هنا فالإنسان بعناية الله وكرمه مختار إذا أدرك كيف يستغل هذا الاختيار .

(٣٣١٥) موت الحمار عرس الكلاب مثل فى الفارسية والعربية والتركية (جلبنارلى ٣/ ٣٥٠) .

(٣٣٣٤) يقول الديك : لو وُضِعْنا تحت طست نستطيع فى الظلمة أن نعرف مشــــرق الشمس ؛ لأن هذه الشمس تشرق من باطننا ؛ وهنا يشير مولانا أنه يتحدث عن أمور أخرى فوق إدراك الديك وبعض البشر ، فيتحدث فى البيت التالى .

(٣٣٣٥) عن شمس الحقيقة التى يعرف الأولياء طلوعها .

(٣٣٣٦ - ٣٣٣٩) إن الله قد خلقنا معشــر الديكة من أجل إخبار الناس

بوقت الصلاة ، وهناك حديث فى هذا المعنى : لاتسبوا اليك فإنه يوقظ للصلاة ، وفى الروايات الدينية أن الديك يسمع أصوات الملائكة فيصاحبها فى التسبيح ومن هنا يقال للديك أبو يقظان ؛ فإن أذن بلا وقت حل دمه (فى اللغة الفارسية خروس بى هنكام وخروس بى محل تطلق على الشخص الذى يبدى الفضول فى أمور لا شأن له بها) . والديكة قد يؤذن بلا وقت اللهم إلا ذلك الديك الذى هو روح أولياء الحق فهو على علاقة بالوحى (استعلامى ٣/٣٦٦) .

(٣٣٥١ - ٣٣٦٣) يخرج مولانا من سياق الحكاية لكى يتحدث مع المريدين فالرياضة الصوفية التى وإن كانت مشقة على الجسد إلا أن الروح الباحثة عن الله تجد البقاء والخلود بها ، ومن هنا فإن السالك يتحمل الرياضة لأنه يرى فيها بقاءه بعد الفناء ، وكذلك التضحية بالمال والروح فى سبيل الله ذات مقابل ، ومن يضحى يرى العوض كما أن ولى الحق يتخلق بخلق الله ، وتفرغ روحه من هذه الدنيا وتعلقاتها ، (والله الغنى وأنتم الفقراء) (محمد/ ٣٨) والفقير هو كل إنسان يعطى على أمل العوض ، والدنيا كلها قائمة على الأعواض: كما يسلم الطفل البصلة المتعفنة (الآدمى والدنيا) على أمل التفاح (فى الجنان) ، إن الكل يفكرون فى الأعواض والدنيا كلها بمثابة سوق ، فى المثل العامى الفارسى «فلا أحد يلقى سلاما على أحد دون أن يكون فى هذا السلام رائحة طلب نفع أو فائدة ؛ هذا اللهم إلا «سلام الحق» أى عناية الحق لنا واهتمامه بنا ، فهو لا يطلب لها جزاء ولاشكورا ، وهذا السلام تستطيع أن تسمعه من إنسان تكون رائحة الحق قد عطرت مشامه وإننى «مولانا» لأسمع سلام الناس أى لأعاشر الناس على أمل أن أسمع من أحد سلام الحق ، ولا يتأتى

هذا السـلام إلا من إنسـان يكون قـد أفنى نفسـه فى الحق ، وبعـدها يبـقى لأنه يتصل بوجود الحق .

(٣٣٧٤) إن من لديه عـقلا مدركـا للمعـارف يرى عن طريق القلب عاقـبة كل أمر ، أمـا الذى يراها فى نهايتها فهو قليل المعـرفة ، ومضـمون البيت الأخـير من كلام – الإمام على – رضى الله عنه – (انظر تعليقات ٢١٩٨ – ٢١٩٩) .

(٣٣٨٩) إشـارة إلى مـا روى عن الشـبلى أنه رأى فى النوم بعـد مـصـرع الحلاج ما يشـبه القيامـة وسمع خطاب الحق ، « فـعلت به ذلك إذ أفشى أسـرارنا أمام غيرنا » (استعلامى ٣/٣٦٨) .

(٣٣٩٦) منزل سر «لدينا محضرون» أى الحضـرة الإلهية ، والمعنى مقتبس من الآية الكريمة (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) .

(٣٣٩٧ – ٣٤٠٠) يتحـدث مولانا عن عدم الأسى على مـا فات (انظر ٣٢٦٧ و ٣٣٤٢) ويستنتج منها نتيـجة معنوية هى لزوم الرياضـة ، ومهما كـان فيها من مشـاق وصعـاب على السالك فينبغى أن يسلم ؛ فإنه لم يقم بالرياضـة باختياره ، لكنها كتبت عليه بأمر الله .

(٣٤٠١ – ٣٤٢٠) الحكاية المذكورة هنا ذات أصـول من أحاديث نبوية ورد فى الجامع الصـغـير عن أبى مـوسى : إذا مـات ولد العـبد قـال الله تعـالى لملائكته قبضـتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول : قـبضـتم ثمـرة فؤاده فيـقولون : نعم ، فيـقول : مـاذا قال عـبدى ؟ فيـقولون : حـمدك واسـترجع فيـقول الله تعـالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمـد (منهج ٣ / ٤٤٤) . وفى البيـت ٣٤٠٨

إشـارة إلى الحـديث القـدسى « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » والشطرة الثانية إشارة إلى الآية ٣٥ من سورة النور (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) وللشاعر العربى أبى تمام :

لا تنكروا ضربى له من دونه　　　مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره　　　مثلا من المشكاة والنبراس

وهذا هو ما قصده مولانا : أى تشبيه هذا ؟ إننا نشبه الجنة «التى ليس كمثلها شىء »بهذا المثل كما شبه الله سبحانه وتعالى لنوره من المشكاة وأين المثل من الممثول ؟ لقد كان لطف الحق فوق تحمل هذه المرأة ، والنص المذكور فى البيت ٣٤١١ هو بيت الحمد المذكور فى الحديث النبوى الشريف ، إن المرأة عندما ترى فى نومها هذا النعيم تخاطب الحق : افعل بى ما شئت وصب البلاء فوق رأسى واسفك منى الدم ، وفى البيت التالى إشارة إلى الآية الكريمة (والذين آمنو واتبعتهم ذريّتُهُم بإيمان ألحقنا بهم ذُريتهَم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل أمرىء بما كسب رهين) (الطور / ٢١) وفى البيت التالى مضمون الشطرة الأولى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) (النحل ٩٦) ، وعينا الغيب : بصيرة العارف بعالم الغيب ووعيه ، فالله تعالى لا يفعل إلا الخير بعبده ، فإن سال من أنفه دم كثير فقد كفاه مئونة الفصد ونجاه من الحمى ، فحتى البلايا تنجى

الإنسان من الشر الكثير . وكل ما يملكه الإنسان إنما يملكه من سيره إلى الحق ومن تسامى روحه وتعاليها .

(٣٤٢١ - ٣٤٤٦) إن أولياء الله تعالى يرون الموت (نقلا) من دار إلى دار أرحب وأفضل ، ويرون الحياة قشرا والموت هو اللب والدليل هذه الحكاية عن سيدنا حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - ، لقد كان فى أخريات حياته يدخل الحرب دون ترس أو مجن ، وقد اعتبر بعضهم هذا الأمر من قبيل إلقاء النفس فى التهلكة وذكروه بالآية الكريمة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة / ١٩٥) وها هو ذا حمزة رضى الله عنه يرد على أولئك المتهمين الغافلين الذين لا يدركون أفكار حمزة - رضى الله عنه - عن الموت : إننى عندما كنت شابا أهتم بأن أظل حيا لأنى كنت أعتبر الموت وداعاً لهذه الحياة لكنى الآن وببركة الإسلام ومن فيض محمد ، - لم أعد أخاف فخارج هذه الدنيا الفانية أنظر إلى «معسكر» الحق وأرى الجند الذين هم نور الحق ، فأين الخطر هنا وأين الموت ؟ إننى بعون الله وفى حماه آمن من التفكير فى الموت ، إنما ينبغى أن يأخذ الآية الكريمة على ظاهرها ذلك الذى يرى فى الموت «هلاكا» (فى الكتاب الأول البيت ٣٤٣٧ تفسير آخر على لسان الإمام على -رضى الله عنه- لنفس الآية الكريمة) ، لكن الذى يرى الموت فتحا للباب ، فتحا لباب الحياة الأبدية الخالدة فهو يعمل بالآية الكريمة (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) (آل عمران / ١٣٣) إن كل من رأى الموت فى جمال يوسف قد فداه بروحه ، لكن من رآه ذئبا قد ارتد عن الهدى وظن أن الموت هو نهاية المطاف ، فالموت يبدو فى «لون» كل إنسان هو يبدو حبيبا لأحباء

الله وأوليائه ويبدو عدوا لأعداء الله ، إنه كالمرآة لاتبدى إلا ما ينعكس فيها (انظر الكتاب الأول بيت ٣٩٨١ – ٣٩٨٢) . في ديوان شمس تبريز «إعلم أنك تساوى ما ترتعد من أجله» ومن هنا فقلب العاشق أعلى من العرش . ص ٢٦٢ . وفي حديقة سنائى :

الموت لهذا هلاك ولذاك مئونة　　　　والسم لذاك غذاء ولذا موت

(ترجمة حديقة سنائى البيت ٤٦٠) .

إنه مرتبط أيضًا بخلفية الروح عندنا ، فمن هو في شوك إنما هو في شوك من أحواله الباطنة ومن هو في خزى فقد نسج هو الخزى حول نفسه ، إنما مصيرك مرآة لنفسك .

(٣٤٤٧ – ٣٤٧٦) لكن جزاء أعمال الإنسان لا يتشابه مع هذه الأعمال مثلما تكون الصورة في المرآة ، فعملنا عرض من أعراض وجودنا لكن الجزاء ثابت لأنه من لدن الحق ، كما لا تتشابه الخدمة مع المكافأة ، فالخدمة التى يقدمها الفعلة كلها عنت وعرق ، لكن الأجر عليها طعام لذيذ . فإذا اتهمت بشيء ما فلابد أنك ظلمت أحدا ودعا عليك ، ليس المهم أن تكون اتهمته بما ليس فيه فاتهمت بما ليس فيك ، المهم أنك وضعت بذرة الظلم ، ومتى كانت البذرة متشابهة مع غرسها ؟ انظر إلى جزاء الأعمال متى كان يشبهها ؟ متى كان الجلد كالزنا؟ إنك لم تضرب أحدا فلماذا تجلد وإنه ليس جزاء الزنا إنه بلاء لا يتشابه الذنب والعقاب ، فأى تشابه للعصا مع الحية ؟ وأى تشابه لقطرة المنى مع الوليد الذى يتحول إلى شخص سنى وإن الجزاء من جنس العمل لكنه لا يشبهه ؟ متى

يشبه حمدك وثناؤك على الخالق الطير ؟ (إشارة إلى حديث نبوى : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان) إن التشابه هنا غير موجود فى الظاهر فإن نطقه الطائر من الهواء (فى اعتقاد القدماء أن أنفاس الطيور تؤثر فى سفادها) فحمدك وتسبيحك هما أنفاسك تلد هذه الطيور الفردوسية . ومتى تشبه الزكاة الأشجار المورقة فى الجنة ؟ وأى شبه لحبك وحنانك وحدبك على الناس بأنهار اللبن فى الجنة ؟ فهى جزاء من الحب والحدب ؟ ومتى يشبه شوقك وهيامك بالله أنهار الخمر التى هى جزاء هذا الشوق والحب ؟ إنها أسباب : الصبر والحنان والود ولذة الطاعة والسكر والشوق كلها أسباب للأنهار الأربعة فى الفردوس ؛ فإذا كنت متصفا بها فى الدنيا دانت لك الأنهار الأربعة فى الآخرة ؛ إنها أبناؤك كما يسير ابنك خلفك قائلا لك : أنا جزء منك ، وهكذا أيضاً أعمالك الشريرة فإنها (تترجم) فى الحياة الأخرى إلى الجحيم وحيات وعقارب وأشجار زقوم ، إنها الترجمة الفعلية لطبعك النارى .

(٣٤٧٨ – ٣٤٩٥) يوجه مولانا الحديث إلى المريدين الذين لايقبلون الهداية ويجعلون الأولياء منتظرين ، إن هذا سوف يترجم يوم القيامة إلى انتظار للعقاب الإلهى تحت شمس القيامة المحرقة ، أن هذه هى نتيجة التسويف ، إن غضبك هنا (من النار) هو بذور السعير فأطفئه هنا فى الدنيا قبل أن يستعر جحيما فى الآخرة ، ولا يطفأ إلا بأنوار الأولياء طبقا لما روى عن رسول الله ﷺ – : «تقول النار للمؤمن يوم القيامة ، جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى» (مولوى ٢/٢٩٥–٣/٤٥٣) . «وانظر الأبيات ١٢٥٠ فما بعده من الكتاب الثانى» ، ولا فائدة للتغلب على الغضب بدون عون من أولياء الحق فهذا يكون من قبيل

التكلف ، فإن نارك تكّون موجودة لكنها تحت الرماد . سر إذن نحو هذه الطيور المائية : أى الأولياء الغارقين فى بحر الجلال حتى يهدوك إلى عين ماء الحياة الحقيقية ، وإياك أن تخطئ فإن الأولياء والبشر العاديين متشابهون فى الظاهر والشكل لكنهم لايمتزجون كالماء والزيت : كما أن الوساوس الشيطانية والوحى كلاهما فى عداد المعقولات لكنهما ليسا سيين . ورد فى الجامع الصغير عن ابن مسعود – رضى الله عنه – «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليعذ بالله من الشيطان» (مولوى ٣ / ٤٥٥) ثم يقول مولانا : كلاهما يعمل من أجل ترويج بضاعته ، فينبغى على «صراف القلب» الذى يعلم الغث من الثمين أن يقيم بين البضاعتين ليختار الأمثل والأثمن ، وإن لم تعلم التفريق بينهما فتمهل ، وامنح نفسك فرصة التفكير وقل «لاخلابة» .

(٣٤٩٦ – ٣٤٩٩) الحكاية القصيرة الواردة هنا لها أصل فى أصول الحديث شكا أحد الصحابة إلى الرسول أنه يغبن فى البيع والشراء ، فقال له رسول الله – ﷺ – : إذا بايعت فقل لا خلابة ولى الخيار ثلاثة أيام . مآخذ ١١٨ ، أى على شرط ألا يكون هناك غبن ولى حق الفسخ إلى ثلاثة أيام . والبيت ٣٤٩٩ إشارة إلى الحديث النبوى : التأنى من الرحمن والتعجل من الشيطان «وبقية الأبيات حتى البيت ٣٥١٨ عن أهمية أن يلزم المريد التأنى لكيلا يصير من المنبتين فشرط المداومة على الطلب فى الطريق هو أن يطلبه المريد بتأن وصبر وعدم تسرع .

(٣٥١٩ - ٣٥٢٨) لا يزال مولانا يتحدث مبينا أن موت الأولياء هو من قبيل الانتقال والرواية التى وردت هنا بشأن بلال رضى الله عنه وردت قبل مولانا فى معظم مصادر الصوفية ومن بينها الرسالة القشيرية وحلية الأولياء ، ففى الرسالة القشيرية ، «ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته : واحرباه «أى وامصيبتاه» فقال بل وطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه» ولكن الرواية فى حلية الأولياء وردت بشأن الربيع بن خيثم (مأخذ /١١٩) . إن كل من لم ينور قلبه بالإيمان ونور الحق كان يرى بلالا مجرد عبد أسود «كما كان إبليس يرى آدم مجرد مخلوق من طين» ، لكن إنسان العين أسود وهو مركز الرؤية والبصيرة ، وفى البيت ٣٥٢٥ فما بعده والإنسان الذى لابصيرة له أى إنسان العين الذى لايرى الظاهر فحسب هو أعمى ، أما إنسان العين أو من فى منزلة إنسان العين ، أو المبصر بنور الله هو مرآة لنور الله سبحانه وتعالى ، وإنه لا يرى الباطن فى الدنيا إلا ذوو العيون البصيرة أصحاب الكمال ؛ إنه لم ير بلالا حقيقة إلا «إنسان عين المؤمنين» محمد ، ومن سواه عندما ذكروا بلالا إنما ذكروا صفاته السامية على سبيل التقليد لا التحقيق .

(٣٥٢٩ - ٣٥٣٦) ليس الموت فراقا بل هو وصال ، ليس غربة بل هو عودة إلى الوطن ؛ عودة من الدنيا القصيرة إلى خاصة أهل الله (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) (القمر / ٥٥) هى فى أعلى فى السمو ، لا فى الأدنى أو الأحقر (الحياة الدنيا) إنك تنظرين إلى خراب المنزل ، لكن انظرى إلى ما وراء السحاب تجدين القمر ، وانظرى إلى ما وراء الخراب تجدين العمران ، فالقوم «الروح» عظيمة ومتسعة ورحبة ، لابد أن نخرب منزل الجسد لكى نجد عالمها الذى تحن

إليه مثلما يحن الناى إلى منبته . (انظر الكتاب الأول - الأبيات الأولى) . وهذه الفكرة عبر عنها مولانا تعبيرا رائعا فى ديوانه شمس الدين التبريزى :

موتنا هو عرس الأبد وسر ذلك فى قل هو الله أحد

إن الشمس لتفرق بين النوافذ وانغلقت النوافذ وذهب العدد

وتلك الكثرة التى كانت فى حبات العنب ليست فى العصارة التى تنقطر من العنب .

وكل من هو حى بنور الله يكون من الموت المدد لروحه

(غزلية ٨٣٣ ص ٣٣٨)

ويوضح هذه الفكرة أكثر :

عندما يحملونى فى نعشى يوم وفاتى

لاتظن أننى أهتم بهذه الدنيا

فلا تبك من أجلى ولا تنح قائلا وأسفاه وأسفاه

إن سقوطك فى حبال الشيطان هو مدعاة الأسف

وعندما ترى جنازتى لا تقل الفراق الفراق

فذاك زمان الوصل واللقاء بالنسبة لى

وعندما أودع فى قبرى لا تقل وداعا وداعا

فإن القبر هو الحجاب على مجمع الجنان

لقـــد رأيت الأفـــول فـــانظر إلى الـشـــروق

فمتى كـان أفول الشمس أو غياب القمر خسـارة لهما

إنـه يبـــــدو لـك غـــــروبا لـكنه شـــــروق

ويبـــدو اللحـــد كـــالســـجن لكنه خـــلاص لـلروح

فـأى حـبـة غـــرست فى الأرض ولـم تـنبت

فـكيف يـكون ظـنـك هـذا بحـــبـــة الإنـســـان ؟

(غزلية ٩١١ ص ٣٦٧) .

(٣٥٣٧ – ٣٥٥٣) فـيـمـا يبـدو يجـرى الكـلام على لسـان بلال لكـنه حـديث مولانا على لسـانه يقول : لقـد كنت مـحزونا فى هذه الدنـيا كـآدم عليه السـلام . كـانت منفى لى كمـا كانـت منفى له لكن روحى الآن تشـرف على العالم بأكـمله ، كنت فى هـذا الجب «كـيوسف» ثـم أصـبـحت الآن مـلـكا ، والمـلـك فى حـاجـة إلى قـصـر ، إن الـدنيـا لـم تكـن أنـس الأنبيـاء لأن أنسـهم لايتـم إلا بالله سـبحـانه وتعـالى ، وإن لـم تكن الدنيـا ضـيقـة فلماذا هذا الكـدح والعناء والمشـقـة فـيهـا ولماذا ينحنى من يعـمرون فيـها ومـا هذا النواح للروح فى قـفص الجـسد ؟ ولماذا تتـحرر الروح عند النوم من علائق الجسد ؟ ولماذا يتحرر الظالم من ظلمه ، ولماذا لايحس السـجين عند نومه بوطأة السـجن عليه ؟ كـيف يصـير هـذا العلم الواسع الرحب (عـالم المعنى) ضـيقـا بحـيث تجوب الـروح فيـه ؟ وانظر البـيت ٣٥٥٢ ألـيس يورد تشـبـيها شـاع فـى العالم كله الآن على أنه مثل غـربى : ماذا يجدينى اتسـاع العالم

إذا كان حذائى ضيقا ؟ وهو يشير فى البيت ٣٥٥٣ إلى مفارقة ظاهر الجبار الظالم مع باطنه إنه فى موكبه وفى زينته يبدو متهللا سعيدا لكنه فى باطنه فى عذاب من جراء ظلمه للخلق .

(٣٥٥٥ - ٣٥٦٧) إن النوم هو ملك الأولياء (نوم العالم عبادة) لأنهم فى النوم يتخذون طريقهم إلى عالم المعنى ؛ والنوم هنا مجاز وإلا فإنهم يرون فى اليقظة ما يراه غيرهم فى النوم ويدلفون إلى عالم المعنى بغير باب «من النوم أو الموت» وإنه إنما يخرب جسده «بالرياضة» عامدا لكى يترك المجال لروحه للطيران سواء فى النوم أو اليقظة ، وعندما يتم للروح كمالها مثلما يتم للجنين كماله ، يترك تعلقه بالرحم الضيق «الدنيا» (ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبى من ذلك الغمر والظلمة إلى روح الدنيا) «حديث نبوى - استعلامى ٣/٣٧٤) ولولا هذا المخاض (هذه الرياضة) لبقيت رهين المحبس بين الظلمات الثلاثة . وكما تشق الطبيعة المادية طريقا للوليد (حتى فى الحيوانات) وربما تموت الأم لتخرج الروح مثل الحمل من الشاة ، فإن الطبيعة الروحية تساعد الروح لكى تخرج من سجن الجسد ، مهما كان العناء ، فالعناء على الوالدة فى المخاض ، لكن الجنين مستبشر ؛ هذه هى سنة الحياة ، ليست فى الأحياء فحسب بل فى الأمهات (العناصر : التراب والماء والهواء والنار) وإن لم يكن لها علم بهذا (هى مجبرة على هذا) إلا إذا كان لها سير إلى الله (السير إلى الله من تكريم الله للإنسان فحسب) . وأولئك الذين لاينظرون إلى الظاهر «شكل الجنة» يظلون تواقين إلى الأسرار .

(٣٥٦٨ - ٣٥٧٦) يصل مولانا إلى خلاصة قصة بلال والنتيجة المستنبطة

منها إن الجسـد عندما يتحول إلى روح ؛ أى عندما تتخلص الروح من علائق البدن ، فلا شك أن الأسرار تنكشف لها ، وكذلك فعندما تختفى «الأرض» من جو الفلك فلا ظل ، وكذلك عندما يختفى الجسد النور فى قلوبنا ، فالدخان من الحطب ، أما الأجسام النورانية فلا دخان لها ؛ لأنها لا تتصل بالمادة ، وعندما ينبنى الفكر على المادة فمن الممكن أن يقع فى الوهم والخطأ ، لكن العقل «عقل الروح» نادرا ما يقع فى الخطأ لأنه لا ينظر إلى المشاهد والمحسوسات ، إن الناس يربطون حالات الإنسان بالأخلاط «السوداء والصفراء والبلغم والدم» ، لكنها أى الحالات فى الحقيقة من الله «المسبب لا السبب» إن العلة الظاهرة لا يراها سوى أهل الظاهر .

(٣٥٧٧ - ٣٥٨٤) ومن ثم : فإن الروح البعيدة عن اللب « الحقائق » ، والمتعلقة بالقشور «الحياة المادية» لابد لها من طبيب ومن علة ، فالروح أسيرة الجسد هى مريضة وفى حاجة إلى علاج باد : وخلاص الروح من قيد الجسد «كسر القيد» ، الوصول إلى الحرية ... بمثابة الحياة مرة ثانية يقول فى ديوان شمس :

كنت ميتا فأصبحت حيا كنت باكيا فأصبحت ضاحكا

لقد حلت دولة العشق وصرت دولة ثابتة

لى بصيرة شبعى ولى روح شجاعة

ولى جرأة الأسد ، إذ صرت متألقا ككوكب الزهرة

(غزلية ١٣٩٣ ص ٥٣٩)

فـالروح الحـرة لا تتـحـدث عن العلل ، الا تـؤمن إلا بالعلة الأولـى ، هـى مع الحركة الكلية للوجود لا علاقة لهـا بالحركات الجزئية ولا تنظر إلى الكون مجزءا وكأن هذه الروح «عريس» يزف إلى «عروس» الصدق ، والصـورة هـى الحـجلة التى يجلس فيها العروسـان ، ليس هذا فـحسـب بل تسمو على هذا العالم وتمضى إلى عالم لا يـحتوى علـى قيد المكان أو الـزمان ، وعقـولنا هى ظل لهـذه الأرواح الحرة عليـها أن تعـتـرف لها بالجـميل وأن تقـبل قدمـها ، وإن المحـقق لو أدرك القـرآن لما اسـتـدل على شـىء مـن ألـوان وجـوه الناس ، بلال رضـــى الله عـــنه أو غـــيره ، ولما استخدم القياس عندما لا يدرك الحقائق فلا قياس مع وجود النص .

(٣٥٨٥ – ٣٥٩٦) يتحـدث مولانا عن تفـسيـر عدم أهمية القيـاس مع وجود النص : إن النص القرآنى قد أوحى به من جانب الروح القدس ، والروح – القدسية أو الروح الطاهـرة – هـى الوجـود المطلق للإله المنزه عن قـيـود عـالم التـعين ، أمـا العقل الجزئى فهو العقل الذى يستطيع أن يدرك حدود العالم المادى ، ومن ثم فإن قيـاس هذا العـقل واستدلالـه فى سبـيل تأييد النص يظل بلا أثر والروح المذكورة فى البيت ٣٥٨٦ هى الروح الإنسـانية الـتى تجـعل العـقل يعـمل ، ومن ثم فـهـذه الروح سـواء الروح الفردية أو الروح المطلقـة لاتدخل تحت تصـرف العقل الجـزئى حتى يثبت العقل باستدراكه أو يؤيده وفى ٣٥٨٦ يدور الحديث حول غرور العقل الجـزئى المضل (تنظر تعليـقات ٣٢٣٨) إن روح سـيـدنا نـوح كانـت تنـبـؤه مـن

داخـلـه أنه مـؤيد مــن الحــق ، فى حـين أن روحــك لو قالت لك داخلك أنك مؤيد فـأين الأمـارات الأخـرى لرجـال الحق ؟ وهـذا الخـيـال والغـرور نـتـيـجـة لأن العـقل الجـزئى لا يفـرق بين الروح وبـين آثار الروح ومــا يتــحــدث إليك فى داخلك من الممكن أن يكون أثر الروح فنور الشمس غير الشمس ، إنه أشبه برغيف خبز (أى نصيب قليل) وهذا هو الإدراك المحدود لعـوالم الغيب ، إن السالك فى طريق الحق يسعد من مواجيده الأولى لأن نفى هذه الإدراكات هى وسيلة إلى إدراك الحقيقة ؛ يلقى بـه النور نحـو قــرص الشـمس ، إن النور الموجـد هـو آثار الروح المطلـقـة فى عـالم المادة ؛ إنه آفل ، إنـه أثر نور وليس النور نفســه والآثـار إلى زوال ، أما أولئك الذين وصـلـوا إلى أصل النور ومنبع الحقـائق ، فهم دائما غارقـون فى النور ، فلا السحاب «التعينات المادية» ولا الغـروب أى : «ضياع آثار النور المادى» تؤثر فيهم ، إنهم لا يحـســون مطلقـا بذات الحق حتى تحـس صدورهم بالغـصص والأحـزان ، فلعل هؤلاء الـواصلين إلى الحق منزهـون عـن الوجـود المادى والتـرابـى ، وأصلـهم مما وراء عالم المادة ، وإن كان لهم وجود ترابى فقد تبدل بالنضج الروحانى ، فمن الممكن أن يتحمل الوجود الترابى إشراق نور الحق ، لكن نور الحق لو سطع عليه على الدوام فمن الممكن أن يحرقه ، اللهم إلا إذا كانت عوارض المادة قد انمحت عنه تماما (لا تتحمل القشة الجبل) .

(٢٥٩٧ - ٣٦٠٣) فى طريق الحق نلتقى بنوعين من البـشـر : نلتقى بالكمل الواصلـين الذين يســبـحــون دائمــا فى بحــار الغـيـب ، ونلتــقى بالمدعـين الذين كـالثـعـابـين ينزلون إلى الماء لكنـهم لـو ظلـوا فى الماء طويلا لماتوا ، هؤلاء المدعـون (الثـعـابين) ذوو فنون فى الجـبل «الدنيـا» وهـم يـخـدعـون البـسطاء من الســالكين

ويعدون أنفسهم سابحين فى بحار عوالم الغيب ، لكنهم يستطيعون هذا الادعاء فى هذا اليم فحسب «الدنيا» ، إن الفنون الحقيقية جديرة بأهل الحق فحسب : ومن (فنونهم) أنهم يستطعيون أن يصحبوا فى طريق الحق العابد للدنيا ، إنهم يسيرون حتى فى أعماق بحر الجلال ، بحيث يعلمهم هذا البحر كيف يؤثرون فى الآخرين ، إن نفوذهم معنوى وتأثيرهم هو السحر الحلال «انظر تفسير ٤٠٨٢» وهو الذى يجعل غير الممكن ممكنا فهو متصل بقدرة الحق وقوله : تمضى مائة قيامة ، أي يمضى وقت طويل جداً جدير بانتهاء عالم أخر مائة مرة .

(٣٦٠٤ - ٣٦١٩) يشير العنوان والأبيات إلى عدم اهتمام بعض المريدين بكلام جلال الدين .. لقد صاروا ملولين يعتبرون أقواله تكرارا لما سبق من قول لكن مولانا يقول : إن هذا الكلام حياة وتكراره هو أن يهب عمرا مكررا للآخرين. إن ما يجعل الشمعة تظل منيرة ، هو هذا النور الضئيل المتكرر ، وحتى التراب «الإنسان» يتغير بسطوع الشمس «شمس الحقيقة» عليه ... أو أن التراب الحقيقي يتغير بسطوع الشمس عليه ويتحول إلى ذرات من الذهب ويعتقد القدماء أن تكوين المعادن الثمينة يتم بسطوع الشمس وإلى هذا أشار سنائى بقوله :

تنبغى سنون حتى يصير حجر بتأثير الشمس

ياقوتا فى بدخشان أو عقيقا فى اليمن

(كليات ديوان سنائى ص ٤٨٥)

وهو يستخدم «الرسول» فى موضع الشيخ إشارة إلى حديث نبوى : «الشيخ

فى قومه كالنبى فى أمته» (استعلامى ٣/٣٧٧) ، كما أن المشايخ هم رسل الضمير لأنهم يخبرون عن الباطن ، والمستمع الذى فى طبع إسرافيل هو المستمع الذى يستطيع أن يحيى الموتى (بعث الموتى عن طريق صور إسرافيل) . إن توقير الأستاذ شرط أول لاستفادة الطالب ، والطالب الذى لا يوقر أستاذه إنما يسد أمام نفسه طريق المعرفة ، ويقنط الأستاذ من قدرته على الاستفادة فينصرف الأستاذ بدوره عنه . إن آذانهم مستحسنه لأنها من حضرة الحق وهم يعلمون بلا من ولا أذى إنهم سلاطين ، وصدقة السلطان تصل إلى من يستحقها ومن لا يستحقها ، فمن ثم يخاطب المرشدين أو يخاطب نفسه : انطلق فى طريقك وداوم على التعليم ، فإن التركى «القائد والمرشد والبطل الهمام» الذى يسعر الوغى سعيد بعمله هذا ، إنها لذة التعليم ولذة الإرشاد حتى ولو لم يوجد من يستحق ، فالفرس منطلق ؛ أى الإرشاد والتعليم فقد أغمض عينه عن كل ما سوى الله وعن الغير ، أى غيرة عشاق الحق من اهتمام الناس بغير الحق ، على الشيخ ألا ينظر إلى الأغيار ويقول وينطلق ، وينبغى ألا يدفعه الندم إلى الكف عن إرشاد المريدين ، فحتى الندم نفسه ينتهى عندما يرى الهداية من شيخ طريق .

(٣٦٢٩ - ٣٦٣٦) إن المريد الذى يقف فى وجه مرشده هو جرىء على الحق ينازل مالا يمكن نزاله ومالا يمكنه الصمود أمامه ، إنه أشبه بإنسان يجادل خالقه ويقف فى وجهه ويتحداه وهذا ما لا يقع فيه حتى الحيوان ، فالجواد يعرف زئير الأسد ويشم رائحته ، والخفاش لا يخرج فى نور النهار لأنه لا يقوى على النظر

إلى الشـمس (الخفاش أيضاً رمز لعـابد الدنيا وظـلمتهـا والبعـيد عن عـالم المعنى والسـاقط فى هوى النفس) ... إن الخـفاش لا يواجـه الشـمس فكيف يواجـه المريد شيخه ؟ ومـتى تتوارى الشمس بالحجاب أسفا عـلى الخفاش ؟ ويصل مولانا إلى النتـيجة : إن عـاديت فـعـاد على حـد قدرتك ، لاتعـاد من لا سـبـيل لك إليـه ولااسـتطاعة عليه ، فـان فعلت فـمصـيرك هو مصـير قطرة تعادى بحـرا ودائرة تعادى سـماء ، فإذا كـان هذا هو مصـير عدو الشمس «الشـيخ» فما بالك بمصـير من يعـادى شمس الشـمس «الحق» ؟ إنك لاتسـتطيع أن تعاديهـا بل إن عداءك لهـا خصومة مع نفسك . إن من ينازل النار إنما يصـير حطبا لها ، وهو أيضا لا يتأثر باحتـراقك ، إنه رحيم لكن رحمـته ليست كـرحمتنا فـإن الرحمة تتـأتى فى قلوبنا من الإشـفاق علـى الآخرين والاهتـمـام بهم والتألـم لألمهم ، إن إدراك رحمـته غيـر ممكن ، ولكن انظر فحسب إلى آثار رحمة ربك .

(٣٦٣٧ - ٣٦٥٢) يواصل مـولانا هذه الفكرة : إن اللـه سبـحـانه وتعـالى هو الذى يعـرف مـاهيـة رحـمتـه وحـقـيقتـهـا ، وهكـذا أيضـًا كل صـفـات الكمـال الإلهـى إننـا نعـرفـها بالمثال فقط لا بالماهية ، فمـتى يعرف الطفل لذة الجـماع ؟ إنك تمثله لـه بالحلوى ولكن مـتـى كـان الجـمـاع كـالحلوى ؟ إننا كلنا أطـفـال كل إدراكاتنا عن الحقائق إنما تتم بالتمثيل لها فحسب ، ولا نستطيع أن ندرك حقيقة الوجـود وماهيـة عوالم الغـيب لكننا ندرك آثارها ، ومن هـنا فإن قلنا نعـرف فهذا صـدق على اعـتبار أننـا نعرف بـالمثال ، وإن قلـنا لانعـرف فهـذا أيضـًا صـدق على اعتبار أننا لانعرف الماهيـة . ونوح هـو المثال : إن قلت أعـرفه فقـد قرأت قصـته فى القـرآن أثناء وجودى فى الكتـاب وسـمعت عنه من الأئمة فى المحـاريب ، فأنت قـد

عرفت قصته ولم تعرفه هو ، إنما يعرفه من هم مثله . وإذا قلت أى علم لى به ، وأين أنا منه قلت صدقا أيضاً أيها الفتى ؛ لأنك بالعقل لم تعرفه بماهيته ، والعجز عن درك الإدراك إدراك .

(٣٦٥٢ – ٣٦٥٩) إن الكمل والواصلين هم الذين يستطيعون إدراك الماهيات ، فلا تقل : إن هذا الحكم يشمل الجميع ، وسر الماهيات هو العلم الأزلى للحق أو ذات الحق ، وعند بعض المفسرين أن ماهية كل شىء كانت موجودة فى العلم الأزلى قبل أن تتحقق فى عالم الصورة (انظر الكتاب الثانى الأبيات ١٦٩ – ١٨٠) ، وفى البيت ٣٦٥٦ يرى أعقل البحث والجدال أى العقل الذى يسيطر عليه الحس أو العقل الجزئى يقترن بأن إدراك سر الماهيات أمر أعمق وأبعد غورا من أن نفهمه ، ولا يمكن أن تصل إليه إلا «بالتأويل» ، فابتعد عنه ، ويرد القطب أو المرشد القائل : إنك تتحدث عن مالك أنت وهم أمر واهن وتظن أن مالا تفهمه لا يفهمه الآخرون أيضا ، ويمكن أن يكون قصد مولانا المريدين الملولين أيضاً مخاطبا إياهم بألا يعمموا الحكم بعدم الفهم لأنهم لا يفهمون ، ويخاطبه قائلا : أليست الواقعات وهى أول ما يسطع فى القلب من نور المعرفة كانت تبدو لك محالا فى البداية ؟ وإذا كان كرم الله قد أخرجك من سجونك العشرة أو تأثير حواسك العشرة : الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة ، وسمح لك بهذا أن تنطلق بعيدا عن هذا التيه وهذه الصحراء الجافة (الدنيا) فلماذا تظل أسيرا فيها ما دام الله قد حررك فلا تجعل من هذا الظاهر سجنا لك .

(٣٦٦٠ – ٣٦٧٠) الأمور نسبية ، المهم من أية وجهة نظر تنظر إليها ، وقد يجتمع الضدان (النفى والإثبات) فى شئ واحد ومع ذلك فليس فى الأمر هنا أى

نوع من التناقض ، ويشير مولانا إلى الآية الكريمة ، (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال / ١٧) فالآية الكريمة تحتوى على نفى وإثبات (مارميت ورميت) : لقد رميت إذ إنك الذى رميت الرمح أو هكذا يبدو لك ، ولكنك لم ترم فى الحقيقة فالرامى هو الله سبحانه وتعالى ، والقوة والحول منه والسلطان له جل شأنه . والنصر والهزيمة بيده فمتى كان لقبضة من التراب أن تهزم جيشا ؟ ومن هنا فالنفى والإثبات «معا» جائزان وحتى الأنبياء (انظر مثال نوح عليه السلام فى التعليق على الأبيات ٣٦٣٧ – ٣٦٥١) ليعرفهم أضدادهم وأعدؤهم لكنهم يكتمون هذه المعرفة (وهذا هو الكفر فالكفر ستر للحقيقة لأن الحقيقة أوضح من أن تنكر) وهذا مصداقا للآية الكريمة ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ (البقرة / ١٤٦) إذن بم تفسر التناقض بين هذه الآية وبين الحديث القدسى « أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى » ؟ لا تناقض : فإن الحق سبحانه وتعالى يعرف حقيقتهم ويجيزها لكن يمكن لغيره سبحانه وتعالى أن يعرفهم من ظواهر أعمالهم ومن آثارهم . والخلاصة أن ذلك من هذا الجدل فإن الأمر يكشف لك بقدر فهمك وإدراكك (انظر تفسير الأبيات ٣٦٣٧ – ٣٦٥١) .

(٣٦٧١ – ٣٦٨٤) يدخل مولانا فى مثال آخر من نفس القبيل : وهو موضوع الفناء والبقاء ، والفناء هو ترك العلائق الدنيوية وعدم التعلق بها ونفى الظواهر الخادعة والتغلب بالتالى على كل جوانب الذات والنفس وانمحاء العبد فى ذات الحق أما البقاء فهو خلود الحق بحيث يبقى العبد بعد فناء ذاته ببقاء

الحق – ويرى استعلامى أن القائل بأنه ليس فى الدنيا درويش هو مولانا نفسه ؛ والواقع أن مولانا يتحدث بلسان القوم فقد ورد أن الدرويش الذى يدرك أنه درويش ليس بدرويش ، إنه فى رؤيتة لذاته قد ابتعد عنه فهو فى رؤيته هذه لم ينمح فى ذات الحق تماما ولا تزال فيه نظرة إلى نفسه وذاته ...

ويفسر مولانا أنه إن وجد درويش فليس موجودا بذاته هو ، لكنه موجود بذات الحق ، وليس فيه من الظواهر والأمارات ما يدرك بحواسنا ، وهو موجود غير محسوس كنور الشمعة أمام الشمس أو كنذر يسير من الخل فى مائتى من العسل (المن مكيال فارسى يختلف باختلافف العصور وباختلاف أقاليم إيران ويترجم قديما وحديثا بكلمة من أيضًا) ، فنور الشمس غير ظاهر أمام الشمس لكنه يحرق قطعة قطن إن قربتها منها ، وطعم الخل ليس موجودا فى الشهد لكنه موجود إن حللت وفصلته عنه «إن السالك أمام الله إذن كالغزال أمام الأسد ، إن ما أقدمه هو «قياس الناقصين » إنه من غليان العشق (تمهيد للحكاية القادمة وتدور حول العشق) . فكيف يوضع العاشق فى كفة أمام المليك ؟! لكن العاشق الذى فقد الأدب هو بالنسبة لله فى منتهى الأدب . إن ادعاءه العشق يبدو «مطامنة» لمن لايطامن ، لكنه وعشقه «معا» فانيان أمام المعشوق سبحانه وتعالى ؛ ولسنائى الغزنوى «ما دمت لا تصنع من العدم خوذة على رأسك فإنك لا تيمم وجهك شطر البقاء» (حديقة ص ٣٤) إذن لقد أطل العشق من الباب . فإذا بكل خيالاتنا وهم وعبث لقد أسفر العشق عن وجهه فعنت كل الوجوه ؛ وبهذا يمهد مولانا جلال الدين لواحدة من أروع قصص المثنوى على الإطلاق .. ولم لا ؟ وهى فى الميدان الذى يصول فيه مولانا جلال الدين ، ويجول

ويثبت أنه شاعر الإنسانية الأول فى كل أنوع العشـــق المجازى «عشق البشر» والحقيقى «العشق الإلهى» وبينهما برازخ ودرجات .

(٣٦٨٨ – ٣٦٩٨) هنا تبدأ حكاية صدر جهان وعبده الذى هرب منه ثم رده العشق حيث سيده ، ثم يعفو عنه سيده ، فليس المعشوق بأقل انجذابا إلى العاشق من انجذاب العاشق إليه كما سنرى ، وانظر قبل أن تتحدث عن أصل الحكاية (وماذا يهمنا أصلها وأصلها هو العشق ذاته وانجذاب ذرات الحقيقة بالعشق ، ثم انجذابها كلية إلى أصل العشق ومعدنه الحقيقة الكبرى أو الحقيقة الوحيدة . الله سبحانه وتعالى) . انظر إلى هذا الرمز الواحد فى (صدر جهان) «صدر الدنيا» والعبد أية مناسبة ؟ يالها من مطامنة وياله من طموح إنسانى لا حد له وألا يرمز الأمر كله إلى هروب العبد (الإنسان من سيده الأعلى ثم غربته فى الأرض بعيدا عن منبته وعن جنته وحنينه إلى العودة ، وتوظيف كل قواه فى سبيل هذه العودة ، وأنين روحه كما يئن الناى منذ أن قطع عن موطن الغاب «انظر أغنية الناى مقدمة الكتاب الأول من المثنوى كافتتاحية هى أشبه بافتتاحيات الأعمال الموسيقية الكبرى تمهد بألحانها المتداخلة لكل الألحان الواردة فى العمل على طوله وتنبىء عنها وتلخصها فى الوقت نفسه) وما صلة هذه الحادثة التى يوردها المفسرون بحكاية صدر جهان وعبده التى نحن بصددها . يقول المفسرون : إن الحكاية مستوحاة من السيرة التى أوردها محمد عوفى فى لباب الألباب لمحمد بن عمر بن مسعود من أمراء آل برهان فى بخارى ، فر من أبيه لسوء معاملة زوجة أبيه له ، ولجأ إلى مرو حيث هجا زوجة أبيه ، ثم راسل أباه ليعفو عنه وكان عوفى نفسه حامل هذه الرسائل وعفا عنه أبوه فعاد إلى بخارى

(مأخذ ص ١١٩ – ص ١٢١) . وهذه الحادثة ربما كانت نقطة انطلاق مولانا جلال الدين أو الإطار الذى ساق فيه «إفاضاته» عن الميدان المحبب إليه العشق «كليات ديوان شمس الدين التبريزى مائة ألف بيت كلها عن العشق والمثنوى كله لا يزيد عن ستة وعشرين ألف بيت» ، فهل يمكن أن يكون مثل هذا الجدول الصغير أو هذه البركة الآسنة منبعا لهذا المحيط من العواطف الجياشة ؟ لا أظن !

ينقل مولانا ثلاثة أبيات كقصة : لقد هرب عبد «صدرجهان» أو مستخدمه منه ، وساح فى البلاد عشر سنوات ، وبعد عشر سنوات كان الفراق وعذبه الشوق ، ويصف مولانا الفراق وتأثيره ، إن كل أنواع الآلام والمتاعب ، وكل مرارة الحياة ومعاناتها هى من جراء هذا الفراق وهذا الانفصال عن المنبع وعن أصل الوجود (انظر أغنية الناى مقدمة الكتاب الأول) : من جراء هذا الفراق تبور الأراضى ويأسن الماء وتصير الريح ناقلة للأوبئة ، وتتساقط أوراق الحدائق وتذبل ولا يتحمل العقل ويتعطل ، وإنما يرتعد الشيخ هكذا من بعده عن الحق ، والنار نفسها لو كانت مورد عنايته لتحولت إلى جنة .. إن الحديث عن الفراق يطول دون أن يوفيه الجزء اليسير جدا من حقه ولا نملك هنا إلا أن ندعو : رب سلم فى الفراق (إشارة إلى الحديث : شعار المسلمين على الصراط يوم القيامة : اللهم سلم سلم (استعلامى ٣/٣٨١) ويترك مولانا سياق «الحكاية» بعدها حتى البيت ٣٧٩١

(٣٧٠٢ – ٣٧١٧) الرواية الواردة هنا إشارة إلى تمثل الروح القدس لمريم عليها السلام بشرا سويا (واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا

شرقيا ﷺ فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﷺ قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) (مريم ١٦ – ١٨) ويبدأ بأن يربط بين ما كان يتحدث فيه آنفا وبين ما هو بصدده : الآن وقد أدركت أن كل شئ إلى فناء ، فقبل أن يفوت منك كل شئ انفصل عن صورة الوجود ، وقل كما قالت مريم : إنى أعوذ بالرحمن منك ، لقد تمثل لها الروح الأمين (جبريل) بلا نقاب أى بدون غطاء ما من الصورة أو المادة جميلا كل الجمال . لقد كانت عارية وخافت من الغواية . إن الغواية هنا مقرونة بالعرى ينميها العرى ويسهلها فإن الثياب الساترة للمرأة وقاء لها من أن تغوى وليس كما يقول بعضهم وقاية لها من إغواء الآخرين . ولما لم تجد طاهرة الذيل بدا فرت إلى الله سبحانه وتعالى . إن هذه النظرات المحرقة للعقل (تجلى العشق الإلهى والجمال الإلهى فى صورة جبريل) تجعل العالم كله طوع أمرها ، فلا أبطال ولا ملوك ولا جيوش ولا بدور . إن هذا التجلى للجمال الإلهى يجعل كل الخليقة عبيدا له ، فما بالك بمريم التى كانت عارية خائفة من الغواية ؟ إن العقل الكلى نفسه ليسلم نفسه طائعا لهذا الجمال .

(٣٧١٨ – ٣٧٢٤) إن مولانا لا يستطيع أن يعبر عن كل هذا الجمال (حكاية مريم عليها السلام ليست إلا تكأة ، ليتحدث عن الجمال الإلهى كأساس من أسس العشق موضوعنا الأصلى) إن أنفاس هذا الجمال قد أحرقت منبع أنفاسه إن المنبع الأصلى والاشتياق إليه قد أحرق حنجرتى فلا أستطيع الحديث وإن لم تصدق فانظر إلى أثر ذلك فأنت لن تدرى ماهيته وكنهه ، إننى دخان هذه النار . لا إن هذا تعبير باطل ، فاللفظ قاصر عن بيان عوالم الغيب (انظر تعليقا

الأبيات : ٤٧٢٥ – ٤٧٣٢ من هذا الكتاب) إن نور الشمس هو دليل على الشمس (ينظر تعليقات الكتاب الأول بيت ١١٦) وإن الظل ليبدو أحيانا دليلا على الشمس (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) لكن عندما ترى الشمس ما فائدة هذا الدليل وما قيمته ؟ إن عظمة الحق وجلاله كافيان دليلا على وجوده ، أما إدراكاتنا الذهنية فقد حدثت بعد هذا الإثبات ، بل إن هذه الحركة الذهنية بطيئة بالنسبة لإدراك تجليات الحق ولا تصل إليه ، إن تجليات الله سبحانه وتعالى سابقة ، فكيف نصل إليها على هذه الحمر العرجاء (الفكر ، العقل الجزئى ، الوهم ، الخيال) ؛ إنه يأخذ الطريق عليها دائما .

(٣٧٢٥ – ٣٧٣٥) وبالرغم من هذا فإن هذه الإدراكات البطيئة لا تقعد فى سبيل إدراكات تجليات عوالم الغيب ، وإن قوانا الذهنية مثل البازى ، ومثل السهم ، ومثل السفينة فى حركة ، وتذهب وتعود ولا تصل إلى مكان ما ، إن هذه الوسائل تزيد فى هجومها كلما بدت لها التجليات الإلهية عن بعد وعندما تختفى فإن إداركاتنا تضل ، ومن ثم فإن هذه الإدراكات تظل فى نصب وتعب دونما نتيجة ؛ فعليها أن تستريح حتى لاتضل ، ينبغى أن يستريح البدن قليلا مثلما يستريح فى الليل (ليل اليأس من الوصول بهذه الوسائل) .

(٣٧٣٦ – ٣٧٤٥) يبدأ مولانا بعد انتهائة من البحث فى إدراك تجليات عوالم الغيب (إدراكها هو الذى يخفى السالك العاشق على إكمال الطريق ، أليست تجليات المحبوب أو أثاره التى تبشر بقربه؟) فى إرشاد السالكين :

والحديث عن القبض والبسط ، إذا يضيق صدر المريد من فشله فى الطريق ، أو يسر من وجدانه المراد وقربه من عوالم الغيب (انظر الكتاب الثانى الأبيات ٢٩٧١ ، ٢٩٧٥) ، فالقبض والبسط فى رأى مولانا مثل الدخل والمنصرف لاينبغى أن يظل السالك على حال واحد منهما ، فكل فصل من فصول العام له دور فى نظام العالم «حتى الزمان يدور فى دورته المناسبة وبتقدير من الحكيم العليم) .. فإذا حل بك القبض ففكر أنك سوف تصل بعد الوصول إلى المراد إلى البسط ؛ فما بال هؤلاء المريدين كالأطفال لا يصبرون على المصاعب (القبض) ويريدون السرور (البسط) فحسب ؟ إن المريدين الواعين كالكبد دائما يتحملون أحزان طريق الحق ، أما أولئك الذين لا وعى عندهم فهم كالرئة يريدون دائما السرور (فسر القدماء الأحوال والعواطف تبعا لأعضاء الجسد فربطوا دائما الشجاعة بالكبد والسرور بالرئة منبع التنفس) «استعلامى ٣/٢٨٣» وفى البيت التالى يتلاعب بلفظى «آخر» «معلف» وأخر «عاقبة» والمعلف كناية عن الدنيا ، فالمريد الواعى يعلم تماما أن المنافع المادية لا توصل إلى عالم الغيب فالذى يرى الدنيا نفعا ورعيا كالأنعام إنما ينتظره فى النهاية قصاب القضاء الإلهى ، فعاقبه الدابة ساطور القصاب .

(٣٧٤٦ -٣٧٦١) إذن إذا كنت تريد أن تنجو فخذ غذاءك من الحكمة من عوالم الغيب ، من نور الله ، اترك البدن ، وغذاء الروح من غذاء المعرفة الذى يعطيه الله سبحانه وتعالى لخاصته دون انتظار لمقابل ، فعندما قال الله تعالى (وكلوا من رزقه) (الملك /١٥) كان يقصد برزقه هذا المعرفة والحكمة وهو الرزق الوحيد الجدير بالروح والمناسب لها ، فهناك غير هذا الفم الذى يأكل الطعام فم

آخر (انظر تعليقات البيت ١٨ من نفس هذا الكتاب) يأكل لقمة السر هذا هو قلب العارف ، لكن هناك شرط لكى يظهر لك هذا الفم هو أن تفطم عن لبن الشيطان ؛ أى اللذات المادية ووساوس الشيطان ؛ لا إننى لم اشرح هذا الأمر جيدا . لقد أنضجته نصف نضوج ، كما يفعل الترك بثريدهم . استمع إلى شرح هذا من الحكيم الإلهى سنائى الغزنوى يشير إلى ما ورد فى الحديقة :

ألم تر أن الذى فوق كل الوجود حين خلق وجودك فى الرحم أعطاك رزقك من الدم تسعة شهور ، الخالق الحكيم الذى لا مثيل له ورباك أيضا فى بطن أمك وبعد تسعة شهور أتى بك إلى الوجودة ، وحينما أغلق هذا الباب للرزق فى وجهك أعطاك بعده بابين أفضل منه ، أعطاك بعد ذلك الألفة بالثديين فهما أمامك طوال النهار والليل ينبوعان جاريان ، وقال لك : امتص من هذين الاثنين وكل هنيئا ، فليسا حراما عليك وحينما فطمت بعد عامين تبدلت جميع أحوالك ، أعطاك رزقك من يديك وقدميك ، امسك بتلك واسعى بذى فى كل مكان ، فإذا كان البابان قد جاز غلقهما عليك ، فقد أقام بدلا منهما أربعة أبواب ، فخذ باليدين واسع بالقدمين بدأب ، واطلب الرزق فى أنحاء العالم ، وحين يحم القضاء فجأة تكون أمور الدنيا كلها مجازا ، عجزت اليدان والقدمان عن العمل ، وبدلا من الأربعة أعطاك ثمانية فحينما قيدت الأربعة منك فى اللحد ، صارت الجنان الثمان خالدة الثمان خالدة من أجلك ، فقد أعاد فتح الأبواب الثمانية لك ، وأحضر أمامك الحور والغلمان تذهب إلى أى باب مسرورا وكيفما تشاء ولاتتذكر شيئا من الدنيا ، فهو أكثر حنانا عليك من الأم والأب ، وهو رائدك إلى الخلد ، والخلعة التى كانت لك يوم عرسك ، لايستردها منك يوم البعث .. (الترجمة العربية لحديقة الحقيقة الأبيات : ٢٦٤ - ٢٨٠) وقوله أيضا :

«اهتم بنفسك ولاتنكر فى الآخرين ضع حمل نفسك أمامك» لاتهتم بأولئك الذين يشغلوننا بالدنيا ، ولاتكن كالطفل الذى يرجح سكر السرور أى لذات الدنيا ، فسكر السرور الحقيقى هو حصول المراد فى طريق الحق ، وليس هو هذا السرور أى سرور الدنيا فهو جرح ومرهمه الغم ، وفى طريق الحق أحبب الحزن ، إنه يشبه الربوة تطل منها على مدينة الحقيقة ، والربوة جبل على بعد ثلاثة فراسخ من دمشق .

وقد صارت الشطرة الثانية مثلا ، وأن عاشق الحقائق كالأشياء المحسوسة . ولم تبتعد انظر إلى ما حولك فى الحياة : ألا ترى الحمالين يتشاجرون على حمل واحد ؟ إنه حمل ثقل ينوء به كاهله ، لكنه يريده ولو تشاجر مع الآخرين ، إنه يفعل ذلك فى سبيل الأجر فما بالك بالأجر الإلهى ، إن الأجر الذى يعطيه الحق هو الكنز الدائم الذى لا يورث لكنه يتقدمك إلى قبرك .

(٣٧٦٢ – ٣٧٦٨) كن ميتا قبل الموت إشارة إلى حديث يرويه الصوفية عن الرسول عليه السلام «موتوا قبل أن تموتوا» أى اميتوا هوى النفس والنزوع إلى الدنيا ، وإن فعلت فسوف تصبح قرينا للعشق السرمدى ، فحب الله وحب الدنيا لا يجتمعان معا ، وإن أصبح المرء قرينا للعشق السرمدى ، فسوف يرى الخير كل الخير فيما يحدث له فلا يتأتى من الحبيب إلا كل خير ، ومادام الحبيب ظاهرا له فإنه سوف يتحمل كل ألوان المجاهدة : سيكون الصبر قرينا لمجاهدته ، فالحزن فى هذا الطريق يساوى السرور الذى يوصل إليه ؛ بل إنه الضد الذى

يتجلى فيه ضده الآخر ، بقدر ما يكون القبض يكون البسط ، والأمر طبيعى جدا ، كأنه قبض الكف وبسطها ، فمنهما معا يتيسر لهما الرزق ، وتتيسر لهما الحركة ، إنهما مثل جناحى الطائر ، ولايمكن لطائر أن يطير بجناح واحد بل لابد له من جناحين ، لكى تتيسر له الحركة .

(٣٧٦٩ - ٣٧٩٠) عودة إلى قصة مريم عليها السلام وتجلى العشق لها ، لقد اضطربت مريم عليها السلام لكن للحظة «تسلحت بيقينها وإيمانها فعادت إلى وعيها ، وهذا هو الروح الأمين يطمئنها (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) (مريم / ١٩) إنه تجلى الكرم من المقربين من الحضرة الإلهية فكيف تهرب منه إلى عالم الغيب ، إن من المقربين فى هذا العالم ، أنه من هذا العالم الذى تسميه مريم «عالم العدم» لكن الوجود الحقيقى موجود داخله ويفسر لها جبريل ما خفى عليها (وهذا التفسير بالطبع من مولانا جلال الدين) . انظرى يامريم إننى أمثل بالنسبة لك صورة مشكلة : إن لى وجودا ظاهرا وليس لى وجود ظاهر فى الوقت نفسه ، إن هذا التمثيل فى صورة إنما يتم للحظة ، هو وجود مستعار بالنسبة لى ، إننى وجود عينى «هلال» ووجود ذهنى «خيال» هذا الخيال سيظل معك ، لقد استقر فى القلب ، أينما تهربين فهو معك ، لأنه وارد حق ووارد الحق يستقر ، أما وارد الباطل فإلى ذهاب وضياع ، وإنا كالصبح الصادق «عالم الأنوار» ذلك الذى لا يكتنفه ليل «ظلمة الجسد ، ظلمة النفس» إننى وجود ثابت لا أفول ولا غروب له ، هيا يامريم : ولاتستعيذى بالله ولا تلجأى إلى الحق فمن نفس الملجأ أتيت وبمشيئته سبحانه وتعالى تمثلت لك إنما تلوذين بى منى . إنك لا تعرفيننى (مثلما سنكتشف أن وكيل صدر جهان لم يكن يعرفه

حق المعرفة . كان ينتظر منه القهر ولم يكن ينتظر منه اللطف) وعدم المعرفة فى الطريق إلى الله هى أكبر آفة فى طريق العارف ، نحن جميعا فى حمى المقربين إلى الحق دون أن نعرف ، فنحن نسمى الحزن فى طريق الله حزنا وهو ليس بحزن بل سرور إن لطف الحق يظللنا كالأشجار الوارفة ، لكنه يمكن أن يكون قهرا وعذابا لمن ينكر الله ، ونحن لصوص لأننا غرباء عن عوالم الغيب ، ومن ثم فإن أشجاره الوارفة لن تكون إلا مشنقة لنا ، مثلما صار النيل دما لقوم فرعون ، إنه ماء ويعلم أنه ماء ويصيح فى الناس إنه ماء ، لكن نظر قوم فرعون هو الذى تغير ، ولماذا نبتعد ونأتى بالأمثال من التاريخ : انظر إلى نفسك ! ألا يتغير أصدقاؤك إلى أعداء لك عندما تغير سلوكك معهم ! إنهم لم يتغيروا إن شحمهم ولحمهم لم يتغير ، سحناتهم لم تتغير ، نظرتنا إليهم قد تغيرت !

(٣٧٩١ – ٣٧٩٦) عودة إلى سياق قصة وكيل صدر جهان : اترك إذن قصة مريم ، فهى شمعة ستظل مضيئة ، وعد إلى هذا الذى يكابد حرقة العشق يمضى إلى بخارى منبع العلم والعرفان . وكم انتسب إلى بخارى من العارفين الواصلين إلى الحق ، وليس هذا الأمر مقصورا على بخارى فأنت أمام الشيخ كأنك فى بخارى فإن لم تبد الذلة ، لن يفيض عليك الشيخ بعرفانه من منبع العلم والمعرفة الموجود فى قلبه . وفى البيت ٣٧٩٦ إشارة إلى الخبر «طوبى لمن ذلت نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره» (استعلامى ٣/٣٨٦) .

(٣٨٠٩) وطن العاشق حيث يكون المعشوق ، وهذا هو «حب الوطن من الإيمان» فوطن الإنسان فى نظر الصوفية هو الجنة التى طرد منها ، ونفى إلى الأرض وامتدت غربته فيها وكل سعيه من أجل الوصول إليها .

(٣٨١٠ - ٣٨١٣) فيما يبدو أن مضمون الفكرة ورد فى أبيات لسنائى :

وما دامت صورة خيال الحبيب معنا ... فنحن فى نزهة مع أنفسنا طول العمر

وحيثما يكون جمال الحبيب ... فو الله يكون صحن الدار منتزها

وحيثما يأتى مراد القلب ... فان شوكة واحدة خير من ألف من الرطب

(كليات ديوان ص ٨٠٥ - مآخذ / ١٢١) .

(٣٨٢٣ - ٣٨٣١) حتى فى المكان الذى يكون فيه موكل (حارس ، شرطى مطارد) ظاهر ، فهناك موكل خفى يحركه ، وإلا فان هذا الشرطى الظاهر لا يبدى كل هذا التوحش وهذه القسوة من نفسه بل لابد أن هناك من يدفعه إليها ، ويسمى هذا الموكل الخفى «غضب مليك العشق» ، أى القهر الإلهى . لقد دفع القهر الإلهى هذا الموكل إلى هذا الأذى ، إنه هو الذى يأمره بضربه ولو كان يدرى أن القهر الإلهى هو الذى يحمله لجأر بالشكوى والضراعة إلى حضرة الحق طالبا منه أن يخلصه من ذلك الشيطان المرعب (النفس) . إننا لانرى ذلك الأمر ، أى أن القهر الإلهى عامل باطنى فى أعمالنا ، لأن رؤيتنا أنفسنا عظاما تمنعنا من ذلك لأن لنا أجنحة مزيفة من نعيم الدنيا الزائل ، ولو تخلصنا منها لرأينا الحقائق الخفية ، وإلا فان طين الدنيا يجعل الأجنحة ثقيلة ويمنعها من الطيران إلى العوالم العليا .

(٣٨٣٣ - ٣٨٤٧) إن عالمك لايعرف العشق : تحتمل معنيين : أى أن العالم الذى تأخذ عنه كل هذه النصائح إنما يقولها من واقعه (العقلى) ولا علم له بعوالم

العشق التى تخضع لقوانين أخرى ومعايير أخرى ، أما المعنى الآخر فهو أنك أنت نفسك الذى تدعى العلم لاتعرف عوالم العشق ، ومن ثم فحالك هذا مثل أحوال علماء الظاهر الناصحين الوعاظ الذين يعلمون ظاهرا من القول ولا علم لهم بأحوال العشق ، هؤلاء مهما كانوا فى علم أبى حنيفه النعمان أو الشافعى - رضى الله عنهما - إلا أنهما هنا عاجزان وقال جلبنارلى (٤٢٦/٣ إن المعنى هنا مأخوذ بنصه من سنائى كما ضمن مولانا فى غزلين من ديوان شمس ، ومثل هذه النقطة ركز عليها الشاعر الفارسى الشهير حافظ الشيرازى كثيرا :

امح الأوراق إن كنت رفيقا لنا فى الدرس   فإن هذا العلم لا يحويه دفتر

وحسنا ما قاله الحلاج على المشنقة لا تسألوا الشافعي عن أمثال هذه المسائل .

ومن ثم فان العبد العاشق يموت كل لحظة ؛ أى يفنى فى ذات الحق ، وفى كل لحظة موت إشارة إلى مراتب الفناء فى الله سبحانه وتعالى ، فناء صورة العبد فى ذات الحق ، وفناء أوصاف العبد فى أوصاف الحق ، وفناء وجود العبد فى وجود الحق ، إن روح الهدى « أى روح المعشوق » ، تقتل العاشق فى كل لحظة ثم تهبه الروح التى تساوى عشرة أرواح من طهرها وعظمتها واطلاعها على عوالم المعنى ، وهذا مصداق للآية الكريمة ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ (الأنعام) ، إن ما يسميه أهل الظاهر حياة هى فى الحقيقة موت ، والخلاص من هذا الموت ، أى الحياة الحقيقية تتم ببقاء الله : إن هذا أشبه بما قاله الحلاج :

اقتلونى اقتلونى ياثقات إن فى قتلى حياة فى حياة

والأبيات فيها بعض التصرف بالطبع لأن مولانا جلال الدين يبدأ فى استخدام العربية عندما يستبد به الوجد . إن كل من يتحدث سواء بالعربية أو بالفارسية إنما يتحدث عن العشق ، لكن يظل كثير مما لم يقل : إن تجلى الحق مما لا يوصف ، وما يتأتى منا فى وصفه شىء ، فإنه بالتجلى (تضوع الرائحة) يأخذ بالألباب ، ومن الأفضل أن نصمت ونترك وصف العشق للحق نفسه ، فهو القادر سبحانه وتعالى على وصفه ، ولكن ليس معنى أن نترك الوصف هو أن نترك العشق ، فإياك أن تصدق توبة العاشق إنه لا يزال فى عشق حتى وهو يساق إلى المشنقة ، انظر إلى الحسين ابن منصور الحلاج كان يمضى نحو المشنقة وهو فى القيود الثقيلة كما يساق العيارون وهو يترنم بعشق الحبيب (رواية تذكرة الأولياء ٥٩١) .

(٣٨٤٨ – ٣٨٥٤) يشير مولانا إلى قصة وكيل صدر جهان مجرد إشارة ثم يمضى إلى عوالمه ، إنه يمضى إلى بخارى لكن لا إلى بخارى التى هى منبع العلم بل إلى بخارى الخاصة به ، إلى بخارى منبع العشق ، أنه كعاشق منبت الصلة عن المدرسة والدروس ، فان معلم العاشقين هو الحق ، ودروسهم مشاهدة الحق وتجلى الحق فى بواطنهم ، إنه العلم اللدنى ، إنهم فى الظاهر صامتون لكن درس العشق يتكرر دائما فى بواطنهم ، إنهم لا يحبون دروس أهل الظاهر فهى لا توصل إلى شىء ، إن دروسهم هى آداب السماع ، وتجلى

الحـرقـة والـوجـد والدوران والرقص ، ولا عـلاقـة لهم بكتـاب الـزيادات فى الـفـقـه لمحـمـد بن الحـسن الشـيـبـانى أو للإمـام الـغـزالى ولايتـأتى التـسلسـل المنطقى للأبحـاث والمسائل بحـيث يترتب اللاحق علـى السـابق . إن «تسلسلهم هـو الـغرق فى أوصـاف الحق وبدلا من أن يتـحدثوا عن الدائرة المنطقية يدورون حـول الحبيب «الرقص الصـوفى» ولاعـلاقة له بكتاب السلسلة لأبى مـحمد عبـد الله الجـوينى – جلبنارلى ٤٢٧/٣) . أما مـسألة الكيس إحدى مـسـائل عقـاب اللـص : أى أنه إذا مد يده إلى جيب أحـد وأخذ كيسـه ومـا فيهـا قطع أما إذا حفظ صـاحب الكيس كيسه فى مكان مـاء وسطا عليـه اللص ، فـان العـقـوبة تكون أخف ويرى مـولانا أنه لا علاقـة لأهل العشـق بذهب الدنيا وفـضـتـها ، فان مـعرفـة الحق لاتحفظ فى كـيس وليست قابلة للسـرقة ، والخلع الطلاق بميل المرأة بحيث تتنازل عن مستـحقاتها والمبـارأة أن يتم الطلاق باتـفـاق الطرفين ، وإن تحـدث أهل العـشق عن الفـراق فـلا تقلق فإن الحديث يدور عن وصـال الحبيب (اسـتعلامى ٣٨٨/٣/٣٨٩) .

(٣٨٥٥ – ٣٨٦١) يفـسر مـولانا خروجـه عن سيـاق الحكاية فبـالرغم من أن أمـواج المعانى تخرجه عن سياق الحكاية إلا أنه فى هـذا الأمـر لا يخلـو من إرادة ، إنه يرى فى هذه التـعـليـقـات مـعنـى كـبـيـرا بحـيـث يتناولـهـا، فـحـتـى الكلـمـات وظواهـر الأمـور لهـا معـانيـهـا البـاطنة . ومن ثم فـان تعليـقاتـه على الحكايات هـى مـاهـياتها وبـواطنها ثم يتـحدث عن بخـارى كمـركز للعلم الظاهرى ، لقـد تعلمت فـيهـا كل هـذه الدروس السـابقـة ، لكنك إن قـهـرت النفس وعـرفت الحق عن طريق القلـب فـسـوف تتـرك كل هـذه العلوم . (انظـر تعليـقـات الأبيـات من ٣٧٩٤ – ٣٧٩٦) إن وكـيل صـدر جـهـان قـد عـرف الشـوق عن طريق القلب وهـو مـتـعلق

٥

بصدرجهان تعلقا باطنيا ، فان أية معرفة أو توقى لن تجعله يحيد عن هذا الطريق، إنها رؤية أهل الخلوة التى لاتجعل من المعرفة وسيلة للشهرة والجاه والمقام ، ومثل هذا الشخص يكون ضائقا من علم أهل الظاهر ، ولأن الرؤية هى الغالبة (على أسماع أهل العلم) فالعوام متعلقون بالدنيا ؛ لأنهم يروها (نقدا) بينما يرون الآخرة (نسيئة) .

(٣٨٦٢ - ٣٨٧٣) لايزال مولانا يدور حول بخارى : إن وكيل صدرجهان ليس العاشق الوحيد لبخارى لأنها موطن عشقه ، بل لايزال مولانا يحن إلى بخارى إحدى عواصم خراسان الكبرى مسقط رأسه «بلخ» والذى تركها طفلا ، ولأن المقام مقام شوق يعرج مولانا على قطعة شهيرة للرودكى :

إن حصى نهر جيحون ووعورة طريقه تبدو تحت قدمى كالحرير وإن ماء جيحون من سروره لرؤية وجه الحبيب يطف حتى يصل إلى أواسط مطايانا

(انظر جهار مقاله الترجمة العربية لعزام والخشاب)

ثم تتداعى البلاد ومعانيها سمرقند التى كالسكر (قند تعنى السكر بالفارسية) . ولقد شفنى النحول يابخارى حتى أصبحت كالهلال طلبا للبدر ، وأبحث عن الصدر (صدرجهان أو الرجل الكامل) وسط صف النعال (آخر صف فى المسجد حيث توضع النعال وكناية عن الناس العاديين الذين تشغلهم الدنيا) . وعندما يصل العاشق إلى ظاهر المدينة طفح به السرور ، لم يتحمل كل هذه المشاعر التى جاش بها قلبه ، فأغمى عليه ، وطار وعيه إلى عالم الغيب ، لكن مالك أنت وهذه الأمور ؟ إنك (غافل عن عوالم الغيب) ، إنك بوص

(جسـد بلا رحيق وبلا سكر) إنك مـأخـوذ بعـالـم المادة غـافل عن عـالـم المعنى ، وغافل عن المقصود بالآية الكريمة ﴿ جنودا لم تروها ﴾ . (التوبة / ٢٦) .

(٣٨٧٤ - ٣٨٨٥) لقد دخل العـاشق دار الأمـان حـيث معشوقـه ، إنه فى غيبوبة من عالم الوصال ، لكن الناس لا يزالون يحذورنه ، سوف يكون عقابه بقدر ما كـان قربه وعلمه (أدم والله سبحانه وتعالى) . ترى ما الذى جاء به ، وما الذى جعل الأرنب يتوقح على حضرة الأسد ، لكنه القضاء ، وسوف يتضح أن هؤلاء الذين يتحدثون إنما يتحدثون لأنهم لم يجربوا عوالم العشق .

(٣٨٨٦ - ٣٩٠٢) يخرج مولانا عن سياق القصة كعادته ، إلا أن هذا الملمح من ملامح المثنوى يزداد فى هذه الحكاية وذلك لأن العشق فى حد ذاته علاقة معنوية ولا شائبة فيها من المادة ، فضلا عن أن مولانا يرى نفسه فى كثير من أجزاء الحكاية ، إن وكيل صدرجهان هو أحد الطالبين الباحثين فى عالم الغيب لا أكثر .. إن العاشق كالمستسقى وفى اعتقاد القدماء أن الاستسقاء كان يحدث عن نوع من « السدة » بحيث يجذب الماء إلى داخل الجسم ويهلك الظمأن لكن الماء هنا يرمز بالطبع إلى وصال المحبوب الذى يفنى المحبوب نفسه فى سبيله وبالنسبة لهذا المستسقى ، بالرغم من أن الماء فناء له ، إلا أنه يبحث عنه ، إنه يتمنى لو كـان جدول ماء ، وما جدول الماء ؟ إنه يتمنى لو سفك الروح الأمين (أى المطلوب - المرشد الكامل - المعشوق) دمه . لقد اختار وكيل صدرجهان «الفناء فى الشيخ» وهو فى سبيل هذا الفناء مستعد لتحمل كل البلايا ، وهكذا هو المريد عندما يغضب الشيخ . إن الشيخ «عيد» ، ومريديه هم «ضحايا» هذا العيد ؛

إنهم «كالبقرة» خلقت من أجل العيد ، وعندما تذبح فى سبيل الشيخ فكأنها بقرة بنى إسرائيل (تفسير الآيات من سورة البقرة ٦٧ -٧٢) ﴿ثم اضربوه ببعضها﴾ لقد ضرب القتيل بذيل البقرة المذبوحة فقام حيا وأرشد عن قاتله : وهكذا يرى وكيل صدرجهان : أنه حتى إن قتل فسوف يكون قتله حياة (القتل المادى يؤدى إلى الحياة المعنوية) .

(٣٩٠٣ – ٣٩٢٣) إن هذه هى سنة الحياة : أى أن الموت تعقبه حياة أفضل ، هى سنة الله فى الكون وفى نواميسه : إن التراب يتبدل إلى نبات ويصير النبات حيوانا ، ويصيد البشر الحيوان ، وعلى هذا النسق فان وراء كل موت حياة أسمى وأرقى ، وهذه المراحل موجودة أيضا فى خلق الإنسان : النطفة والجنين والوليد ، والإنسان الراشد . إن مراحل الجمادية والنامية مقدمتان لمراحل الإنسانية ، والموت عن الحيوانية ترك العلاقة النفسية – وموت الجسم إذن هو مقدمة لعالم الروح حيث يمكن أن يتدرج الإنسان إلى ما هو أعلى من الملائكية ... حيث يكون فناء العبد فى الله سبحانه وتعالى لأن ﴿كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ (القصص/٨٨) إن – العدم هو الوجود المطلق وهو الغيب والعدم يحدثنى كالأرغون حديثا كالموسيقى ، لأنه حديث لا يستطيع الكلام أن يؤديه ، فاعتبر الموت كما اعتبره الصادقون المؤمنون ظاهره مظلم لكن ماء الحياة مخفى فى داخله إن أعمارنا على هذا الطرف من النهر (الدنيا) قصيرة كأعمار الزهور ، فألق بنفسك فى الجدول كالمستسقى واغرق ومت . وأين أنت والعشق أيها المتجمد الذى لا علم لك بعالم المعنى مهما تظاهرت بأنك عاشق . انظر وأنت فى جمودك وحزنك المصطنع ، إن العاشقين يضحون وهم فرحين .

إن المرشد أمامك فأدْلِ بدلوك وخذ من الأسرار . إن الإناء (المريد) عندما يوضع فى الجدول «الشيخ» ينمحى فيه لكن هذا المحو هو عين الحياة ؛ لأنه لن ينقص بعدها أبدا ، وفى النهاية يتذكر مولانا صدرجهان الذى يقول : لا عودة إليه حتى ولو كانت هذه العودة هى بمثابة «المشنقة» لى فان هذا هو أقل اعتذار على أننى هربت منه . إن الناس يرونه ماضيا إلى النار ، لكن متى كان المرشد حتى فى غضبه نارا إنه كله نور حتى كان عقاب الله غضبا إنه رحمة بالعبد ورأفة به ، إنه لا يمد إلا للظالمين الذين طردهم من رحمته وختم على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .

(٣٩٢٤) من هنا تمتزج حكاية وكيل صدرجهان بحكاية أخرى ، ويدخل عاشق آخر إلى الميدان ، ويبقى وكيل صدرجهان فى طى النسيان حتى البيت ٤٣٨٠ على وجه التقريب والعاشق هنا إنما يخرج «عشقه» للموت بثقة فى أن الجسد إن فنى فالروح باقى ، ويلقى بنفسه فى طريق المخاطر بشجاعة نادرة دون أن يبالى على أى جنب فى الله كان مصرعه ، وفيما يبدو أصل القصة من الحكايات الواردة فى ألف ليلة وليلة «الليالى ٤٢٤ ، ٤٢٥» وهى قصة علىّ المصرى والمنزل المسكون الذى كان فيه كنز ذهبى مرصود باسمه ويقوم الجنى على حراسته ، وكان كل من يبيت فيه يوجد فى الصباح ميتا حتى جاء علىّ المصرى ورد على الجنى الذى يناديه فى منتصف الليل وفك الطلسم وظفر بالذهب ، كما أن هناك العديد من الروايات العامية فى كل مدينة حول مسجد أو دار لهما نفس هذه الصفة ، وفى الروايات العامية الإيرانية السائدة فى طهران أن المسجد المذكور فى الحكاية هنا هو مسجد «ماشاء الله» الواقع فى شمال ابن

بابويه ، كما يقص أهل كرمان نفس الحكايات عن مسجد «كنج » بالقرب من حى بامنار فى كرمان ، (مأخذ ١٢٢ / ١٢٣) .

(٣٩٣٥ – ٣٩٣٩) لو فرض أن جسدى قد فنى ، إن هذا الجسد لا يساوى شيئا إنه كحبة واحدة من كنز الروح ، وإن ذهب الجسد وهو صورة فليست الصورة بذات قيمة ، بل إن الصور تتبدل إلى ما هو أفضل ما دامت الروح باقية ، ومادامت نفخة من الإله مصداقا لقوله تعالى ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ فمن الممكن لهذه النفخة أن تخرج من الجسد وتتحرر ، وحتى تخرج جوهرة الروح من صدف الجسد ، وإذا كان تمنى الموت هو علامة الصدق مصداقا لقوله تعالى : (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﷺ ولايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﷺ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (الجمعة / ٦–٨) فانني أقدم روحى قربانا خالصا له سبحانه وتعالى .

(٣٩٤٥) إشارة إلى حديث يروى عن النبى ، «الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» وانظر تعليقات البيت ١٤٠ من نفس الكتاب (استعلامى ٣/٣٩٣) .

(٣٩٤٩ – ٣٩٦١) المقصود هنا : أنه عاطل ومشرد فيما يتصل بأمور الدنيا أو فيما يتصل بالحياة المادية ولا مبال بهما وهذا يساعد فى السير المعنوى ، أى أنه ليس من أهل العافية وإيثار السلامة بل إنى أحب أن تأتينى

الجراح من هذه الدنيا ، إنني عاطل كسول مشرد عن هذه الدنيا ، لكنى جلد وسريع إذ أعبر جسرها وأصل إلى عالم الغيب ، إننى أطير عن عالم المادة لكى أوصل نفسى سريعا إلى أصل الوجود ومبدئه ، فالروح فى الجسد كالطائر فى القفص فعندما يرى الطيور من حوله سعيدة فى البستان يضيق بهذا القفص ، فهو فيها وليس فيها ، لكنه عندما يرى قطا يحوم حول القفص «العقاب الإلهى» لا يرغب في الخروج من هذا القفص ، وهكذا من يخشى عقاب الله ، لايرجو لقاءه بل يتمنى أن تزداد الأقفاص حوله ، وما هذا بمنجيه .

(٣٩٦٢ - ٣٩٧٦) إن مثل هذا الطائر الحبيس في القفص الذى يرى القطط خارجة كمثل جالينوس ذلك الذى يضرب به فى العلم الدنيوى والمادى المثل لكنه فيما يتصل بالعلم الإلهى لا يقل عن العوام ، والدليل على ذلك أنه كان متعلقا بالحياة الدنيا إلى درجة أنه كان يفضل رؤيتها من «فرج بغل» ، عن مغادرتها بالموت ، والعبارات واردة فى مقالات شمس تبريزى (عن : مأخذ ص ١٢٣) ، وبعد أن يسوق مولانا هذه الحكاية يعود إلى مضمون البيت ٣٩٥٩ ، ويعتبره من أهل الدنيا الذين لا يريدون مغادرتها خوفا من العذاب . إن جالينوس لم يعرف شيئا عن ماهية الحياة بعد الموت - فهو كالجنين فى رحم الأم (انظر تعليق الأبيات ٥٣ وما بعدها) ، ثم يقول مولانا إن الفرق بين الأنبياء والناس العاديين هو أنهم يرون بستان عالم الغيب عند مغادرة الدنيا ولا خوف لديهم من موت الجسم .

(٣٩٧٧ - ٣٩٩٤) ويشك مولانا فى أن يكون جالينوس هو قائل هذا القول ذلك أنه من المستبعد أن يتعلق من هو فى حكمه جالينوس بالدنيا كل هذا

التعلق ، وسواء كان هو القائل أو سواه ، فإن قائل هذه العبارة لم ينور باطنه بنور المعرفة الربانية ، إن روحه كالفأر عندما يرى القطط (عوامل القهر الإلهى) يفر إلى جحر ويصير هذا الجحر عالمه ودنياه يبنيه ويأخذ من العلم ما هو جدير به ، ويظل قائلا للدنيا : هل من مزيد و «إنه لايصل حتى إلى الفأر» إن مثل أهل الدنيا كالعنكبوت ومثل أهل الحق كالعنقاء و ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت﴾ ولكنه مهما فر فى جحره فان القطة تمد مخلبها داخل القفص وعوامل القهر الإلهى كثيرة إذ ان رجل الدنيا غالبا ما تصيبه الأمراض والعلل التى هى مخالب الموت من قبل الألم والدوار والمغص ، فالموت قادم إليه لا محالة إذ لا مهرب منه ولا مفر . إن حكمه ماض فى الناس جميعا ، والمرض هو الشاهد هو رسول هذا القاضى صاحب الحكم النافذ ، والمرء إنما يبحث فى الدواء والعلاج عن مهلة أمام هذا القاضى ، إنه هروب من رسول القاضى ، ورتق تلك الخرقة المهلهلة المسماة بالجسد ، وليس من رتق إلا التوبة فقلل من الانشغال بالدنيا (سوق الجواد فى الظلمة) فرسول القاضى يستحثك على هذا .

(٤٠٠١ - ٤٠١٣) إن الأسد هو الذى يستطيع أن يناول القضاء ، ومن هو الأسد ؟! إنه أبدال الحق الذى تبدل وجوده لأنه يعتمد على قدرة الحق اللامتناهية وهو الذى يهزم الموت (حياته دائمة لأنه ينتقل من دار إلى دار ومصداقا للحديث المنسوب إلى النبى - ، - إلا أن أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار) ، لقد خلصه الله من سجن الدنيا وحتى الخل يصير خمرا له (عندما

يشرب الولى السم يصير له عسلا ٢٦١٥ من من الكتاب الأول) ، لكن أولئك الذين ليسوا من رجال الحق يظنون أنفسهم صيادى أسود وهم فريسة لها وفى مقابل رجال الحق هناك المنافقون وعلامتهم أن ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ (الحشر / ١٤) إنهم فرسان المقال يتنفجون فيما بينهم ، يفخرون شعرا ويقعقعون لفظا ، لكنهم عندما تقع الحرب يظلون كالنساء فى البيوت «أو يولون العدو الأدبار» ؟ مع أن الرسول ، ذلك القائد المغوار قال إنه لاشجاعة قبل الحروب وقد أخذ جلال الدين مضمون فحواه «لاتعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة : الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والأخ عند الحاجة إليه» وهو منسوب فى إحياء علوم الدين والرسالة القشيرية إلى لقمان الحكيم (استعلامى ٣٩٦/٣) . ومثل هؤلاء كالباحث عن الصفاء فى عشق الحق ، لكنه يفر من الظروف التى تمنحه هذا الصفاء ، يفر من الامتحان الذى ينقيه ومن البلاء الذى يصهره وعندما يريد الموت أو الفناء الدليل فقدمه ، وقبل الحية ؛ أى اقبل كل خطر فى هذا الطريق حتى تصل إلى كنز معرفة الحق (فى المأثور الفارسى كل كنز تحرسه حية ولا يظفر بالكنز إلا من يقتلها) .

(٤٠١٤ - ٤٠٣٨) يقدم مولانا الصور تلو الصور ؛ لكى يصل إلى معنى عام هو : أن الآلام فى طريق العشق ليست إيذاء لروح العاشق ، إنها أذى وقمع للصفات الموجودة فى نفس العاشق والتى تبعده عن العشق ، وأولى بهذا التأديب أولئك الذين حادوا عن طريق الرجال (الجهاد فى الطريق) إن هؤلاء عار على الطريق ، إياك أيها السالك أن تمضى معهم فأولئك الذين نزلت فيهم الآية الكريمة

﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ﴾ (التوبة /٤٧) إن هذا الرفيق الضعيف الواهن يذهب شجاعة الأبطال ويفل عزم الرجال ؛ فالرجال مهما كانوا فى قلة (والكرام قليل) أفضل من أن يكونوا فى كثرة مع أولئك النفر ، فلا طريق لخائف جبان ، فالخائف الجبان لا يعرف له طريقا حقا إنما يبذل فى سبيل الطريق من هو عالم بنهايته (وما نهايته إلا الحياة) ليس كالمجوسى الذى جعل الدنيا كل همه ومبلغ علمه . إننى لا زلت أوصيك : إذا أردت القتال فاطلبه من الرجال ، وإذا أردت الصيد فاستخدم العقاب لا الطاووس مهما أعجبك ريش الطاووس ، ومن هنا تتخلص من الطبع (النفس والهوى) فإنهما يضلانك كما يغويك ريش الطاووس .

(٤٠٣٩ – ٤٠٥٥) إن المنافق يضل فى الحرب .. يتشدق بالشجاعة ثم يكسر الصفوف ، وهذا مافعله الشيطان مع الكفار في بدر عندما ظهر لهم فى صورة سراقة ابن مالك ووعدهم بالعون ورغبهم فى قتال المسلمين وقد وردت فى تفسيرات الآية الكريمة (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب) (الأنفال /٤٨) وواضح بالطبع أن مولانا قد اعتمد في هذه الأبيات على رواية المفسرين تماما بعد أن اكسبها بعض التجديد عن طريق الحوار الحى .

(٤٠٥٦ – ٤٠٦٥) إن النفس الإنسانية هى والشيطان من أصل واحد كما أن الملاك والعقل الباحث عن المعرفة كانا من أصل واحد ، وتجليا فى صورتين

(انظر شرح الأبيات ٣١٩٥ – ٣٢٠٠) . والنفس فى داخلك عدو يقف للعقل كل مرصد ، ويسد عليه طريق المعرفة ، وليس لها جحر واحد بل لها جحور عديدة ، إن لها مئات المداخل إلى الإنسان ؛ وهى العدو الموجود معك فى إهاب واحد وعلى ذلك فهو يعرف أنواع ضعفك ، ويعرف نقاط الضعف عندك ، ويعلم مداخلها أنها كالضب يقوم بهجومه ثم يفر إلى جحره . وجحور النفس عديدة ، ومن ثم فقد سميت « الخناس » من « خنوسها » والخنوس هو اختفاء الرأس داخل الجسد ؛ فكأن الرأس ؟ عندما تختفى تبدأ – بالوسوسة ، إنها تخشى أن تطل برأسها من العقاب الإلهى ، لكنها إن وجدت الفرصة تستطيع أن تخدع الحية نفسها ، ولنا أن نتخيل خطر هذا العدو الذى يأتى من الداخل ، الذى يعرف كل مواطن الضعف فيك ، الذى يصاحبك نفسا بنفس وخطوة بخطوة ، ينتهز فرصة ليدخل إليك فيها وليفسد قلبك فيها ، لايكف عن الوسوسة ، ولايكف عن الهجوم ، وقد تكون غافلا عنه فلا تجاهده الجهاد الأكبر .

(٤٠٦٦ –٤٠٧٢) لايزال مولانا يتحدث عن أن كل عوامل الضلال فينا تنبع من داخلنا . إنها تدمر من الداخل ، فيكون التدمير من الخارج سهلا ، وعندما تدمر من الداخل يستطيع الموكلون من قطاع الطرق ، أو من «عمال الحكومة وشرطتها» التغلب عليك كأن مولانا كان يعلم أساليب السيطرة على عقل المتهم وعلى نفسه وأساليب إضعاف الروح المعنوية بحيث يستسلم «المتهم» داخليا قبل أن يعلن استسلامه ، ويكتب كل ما يملى عليه من «اعترافات» . إن الهزيمة تأتى من الداخل تقطع عليك النفس الطريق فتشعر بالخوف والهلع . فتصير فريسة سهلة لقطاع الطريق من الخارج ، تسيطر عليك شهوتك من الداخل فتجعلك

أسيرا للحرص والطمع والآفة ، وشيطان الداخل أى النفس يسلمك إلى شيطان الخارج من عسس وجلادين وشرطة فتصير لصا وأثما وفاسقا (لأمراض النفس التى تسلم إلى أمراض البدن ولقبض النفس الذى يسلم إلى قبض الشرطة – انظر أيضا التعليقات على الأبيات (٣٤٨ – ٣٩٣) . ومن هنا مصداق الحديث النبوى الشريف «أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك» ، أليس من عداوتها أنها تشغلك كل هذا الشغل بنعيم الدنيا وزخرفها بحيث يبدو العقاب الإلهى فى الآخرة سهلا ميسورا فى نظرك ؟ إن النفس من سحرها لتبدى لك الموت نفسه سهلا .

(٤٠٧٣ – ٤٠٨٢) يواصل مولانا الحديث عن حيل النفس ، ومن هو أقدر من الطبيب النفسانى للمريد أى المرشد على الحديث عن هذه الأمور ، إن سحر النفس داخل الإنسان من أخطر ما يتعرض له المريد ، فإن النفس من حيلها لتجعل الصعب سهلا ميسورا والسهل صعبا ، وتقلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، وتزين الشر والفسوق والمعصية ، وتقبح الخير وتجعله مكروها .. هذا هو السحر الذى يقلب الأعيان والأشكال ، إن فيه سرا مستترا ، إن تزيينات النفس هى من قبيل تزيينات الشيطان ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ . لكن إياك والناس فكما يوجد السم يوجد الترياق ، وكما توجد النفس والشيطان يوجد رجال الحق أطباء النفوس الذين يستطيعون تتبع «تزييناتها» وإبطال سحرها إن هذا الحديث الطويل عن النفس يريد به مولانا أن يبين أن فى مقابل عالم العشق والتضحية والتحليق فى الآفاق العليا يكون عالم النفس قبيحا ؛ ولأن النفس حجر عثرة أمام العشق فإن العشق هو الذى يستطيع أن يقضى عليها ، والبيت ٤٠٨٢ إشارة إلى الحديث النبوى ، « إن من البيان لسحرا » .

(٤٠٩١ – ٤١٠٠) القصة الواردة فى هـذه الأبيات فيما يراه فروزا نفر لم ترد قبل مولانا ، وإن وردت بعده فى بعض المصادر نقلا عنه (مأخذ ص/١٢٤ – ص ١٢٥) .

(٤١٠١ – ٤١٠٥) يواصل ضيف المسجد حديثه ، والحديث فى الحقيقة هو حديث مولانا: إننى عاشق لأسرار الغيب ، لقد ضحيت بالوجود المادى «لا» فى سبيل الوجود المعنوى «إلا» أن هذه التهديدات ما هى إلا من قبيل طبلة الطفل الصغيرة ، بينما تصيرت هى مثل تلك الطبلة الكبيرة التى يحملها الجمل للسلطان محمود . إننى أضحى بالروح كما كان الاسماعيلية أتباع الحسن بن الصباح – شيخ الموت الذين كانوا يقومون بكل ما يكلفه به شيخهم من أعمال انتحارية طمعا فى جنة أبداها لهم وهم فى غيبوبة المخدر كما فى الروايات ، أو طاعة كاملة للشيخ كما هو فى الحقيقة (انظر برنارد لويس : «فدائيان إسماعيلى») (الترجمة العربية تحت عنوان الحشاشون لمحمد العزب موسى) . أو إننى إسماعيل –عليه السلام– الذى كان مستعدا لأن يكون قربانا فى طريق الحق – سبحانه وتعالى – ، إننى أقوم بما أقوم به لاطمعا فى الشهرة فى الدنيا ، ولاتظاهرا بالبطولة أورياء ، لقد ناداني الحق ، وهأنذا ألبى النداء (قل تعالوا) استفتاح الآية الكريمة ١٥١ من سورة الأنعام .

(٤١٠٦ – ٤١١٧) الحديث المذكور فى البيت الأول هو فى الحقيقة من نهج البلاغة «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» (استعلامى ٣٩٩/٣) . والمضمون من

الآية الكريمة ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ (الأنعام / ١٦٠) وعلى هذا يعيش الناس ومن أجل هذا يعملون وسوق الدنيا كله قائم على هذا . كل أعمالك فى الدنيا وحرفك وتجارتك قائمه على التنفع ، فلماذا عندما يأتى ذكر الآخرة والربح فيها تنسى ديدنك ؟ ألأن الآخرة أمر معنوى ؟ إذن فما علمك فى الدنيا وما فنونك إلا متاع يعرض فى سوق الدنيا . أليست من الأمور المعنوية ومع ذلك تريد بها الجاه والشرف والحيثية والمناصب ؟ هيا فلنقس بهذا القياس : الروح عزيزة مالم يوجد أعز منها ؟ فإن وجد ما هو أعز منها أصبحت الروح بالقياس إليه شيئا واهيا حقيرا لاقيمة له . إن الدمية هى للطفلة شئ غال عزيز المنال ، لكنها بمجرد أن تكبر وتصير ولودا للأطفال «يبرد» حب الدمية فى قلبها والتعبير من حديقة سنائى ، وهكذا حالك مادمت متعلقا بالدنيا فأنت طفل ، خيالاتك وتصوراتك ومعتقداتك ومقاييسك ومعاييرك نابعة من هذه الطفولة ، وعندما تكبر ما تفكر فيه هو وصال الحق الذى تعتبر دنياك كلها إلى جواره شيئا حقيرا وواعيا ، إننى لا أستطيع أن أتحدث بصراحة أكثر فليس هناك من هو جدير بأن أتحدث معه عن الوفاق مع الله .

(٤١١٨ - ٤١٢٨) يشير مولانا إلى ما ورد فى سورة التوبة ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (آية / ١١١) فانظر إلى قيمة البضاعة الفانية بالنظر إلى الثمن الخالد الباقى . لكنك بشكك وعدم إيمانك وضعف يقينك لا زلت تنظر إلى البضاعة ولاتنظر إلى الثمن ، وإليك إذن مراتب معرفة البشر : إنها الظن والعلم واليقين : فالظن هو العلم المبنى على المحسوسات ، هو علم الحياة المادية والعلم هو المعرفة القائمة على الطلب

والعقيدة ، وطاعة المرشد ، ثم اليقين وهو الإدراك الذى لا أثر فيه لشك أو استدلال هو كما يقول العارفون «مشاهدة الغيب بعد الكشف عن طريق القلب» وفيه ثلاث مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وهكذا يقول مولانا : إنه حتى أولئك الذين هم فى مرتبة الظن يرغبون فى معرفة قائمة على اليقين فى القلب . ونفس هذه الرغبة توصلهم إلى مرتبة «العلم» وإليها يخلدون قليلا وبدلا من الطيران يسيرون ، وهذا العلم مرتبة أعلى من الظن لكنه أقل من اليقين وهذا فى الطريق الذى جريه رجال الحق وقطعوه ، ومن ثم فإن من لديه اليقين يرى الحقائق بعين الباطن عيانا فهو «يبحث عن الدليل» ، وإنك إن كنت فى شك من هذه المعانى فاقرأ صورة التكاثر ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴿ لترون الجحيم ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ (٥-٧ التكاثر) . إن محبى الدنيا يسيرون من الظن إلى العلم ومن العلم إلى اليقين على ما قاله الله سبحانه وتعالى فى سورة التكاثر : أى أنهم عندما يرون الجحيم يعلمون أنه حقيقة ماثلة ، إننا نحصل على البصيرة الباطنية عندما نتيقن بحقائق عالم الغيب . إن هذا التطور ماثل فى سورة التكاثر .

(٤١٢٩ - ٤١٤٣) القائل هو ضيف المسجد فى الظاهر وفى الحقيقة هو مولانا : إن الإنسان الواصل والكامل لايتحدث عن الظن والعلم واليقين ولا يتحول عن طريقة من لوم اللائمين ، لقد «أكل من حلواه» أى صار ذا نصيب من المعرفة بعالم الغيب ومعرفة الحقائق ، إن هذا الطريق الذى أسير فيه هو عودة إلى مبدأ الوجود . لقد تجلى الجمال فى قلبى ، كما تجلى فى ضحك الورود ، وتجلى فى امتشاق قامة السرو ، وتجلى فى حلاوة السكر فى قلب البوص ، وتجلى فى

جمال الحسان الموجودات فى مدينة شكل (إحدى مدن التركستان) تجليا جعل من الجسم المادى منبعا للجمال ، وجعل حاجب الحسان سالبا للب ، وجعل اللسان ينفث سحرا (إن من البيان لسحرا) . لقد فتح خزانة الأسرار وتجليات عالم الغيب ؛ أصمى قلبى بسهم من سهام العشق ، فجعل ألم هذا السهم شكرا له وسكرا فى فمى ، ومن هنا فكل لحظاتى وأحوالى هى من أجله ، وعقل روحى ، أى عقلى الباحث عن الحق متوجه إليه فى كل حال ، والعقل والروح حارسان لجوهرته اليتيمة «العشق» .. إننى لا أتقول هذا ، وإن كنت تظن أننى لا أصف ما فى نفسى حقيقة فانظر إلى ماء وجودى قد أخمد نار العلائق النفسانية فِىّ فلا خوف ولااضطراب لدىّ ، إننى لاأستطيع أن أتقول فإن مخزن الأسرار هو فى يده سبحانه وتعالى ؛ ولهذا فأنا صامد لأننى فى اعتماد على الحق ، ومن فى عناية الله إنما يقضون على أعداء طريق الحق ويفضحونهم كما تفضح الشمس كل ما هو فى الخفاء .

(٤١٤٤ – ٤١٥١) لقد صمد الأنبياء ، وكل نبى كان وحده ، كان فارس ميدانه هجم على جيوش الملوك ، وبثباته الذى يشبه الحجر الصلد دك هذه الجيوش التى كانت أمامه كأنها المدر ، إنه الصامد بعون الله وتأييده ، وبينما الآخرون من ملوك وجيوش يستمدون صلاتهم من عوامل دنيوية فسرعان ما يتحطمون ، وهل يضير القصاب كثرة الخراف ؟ وهل للخراف أية قيمة بدون حفظ الراعى وسعيه فى خيرهم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» والنبى راع من الرعاية والحفظ لا من الرعى ، يرعاهم حبا حتى ولو أغلظ عليهم ، إنما غلظته عليهم من أجل شفقته بهم (تمهيد لموضوع قادم فى أن البلاء من الله تعالى صهر للمؤمنين وإنضاج لهم) .

(٤١٥٢ – ٤١٦١) لا شجاعة ولاصمود مالم يكن هناك أمل فى النصر ينبع من الداخل والباطن ، وهكذا لاينى مولانا ينبه إلى أن عالم الإنسان بكل ضعفه وقوته وهزيمته ونصره وتسامية وسقوطه إنما ينبع من داخله هو .. إن هناك هاتفا يهتف داخل ضيف المسجد (أو مولانا جلال الدين) ، إن العناية تهتف به : إننى أنا الذى ابتليك فاعتبر البلوى نعمة ، إننى أحزنك حتى أبعد عنك من السوء ، إننى أصهرك داخل هذا الأتون لأعرف معدنك إننى أستطيع أن أوصلك إلى هدفك دون تعب ودون طريق ، لكنك لن تجد للهدف آنذاك مذاقا حلوا ، إننى أعبر بك الدوامات والزوابع ، لكى تصل بعدها إلى الكنز ، وبقدر تعبك تكون راحتك ، وبقدر تشردك تكون اللذة فى الاستقرار ، وبقدر غربتك يكون تمتعك بأهلك وسكنك .

(٤١٦٢ – ٤١٨٨) بينما يحلق جلال الدين فى سموات عرفانه ، لايزال ينظر فى زوايا الحياة اليومية والواقع المعاش ؛ إنه يريد أن يقرب الفكرة إلى مريديه على جميع مستوياتهم ، ألم يكن فيهم الأمى والعامى ؟ بكل تأكيد ، وها هو ذا لكى يقرب فكرة أن البلاء هو إنضاج للإنسان وتسام به وتربية لوجوده يقدم صورة من الواقع المعاش صورة «الحمص والبقول الأخرى» تُطْهى فى قدر ، ويصور حركتها عند غليان الماء وصعودها إلى أعلى القدر بأنها تحاول الخلاص منه والهرب ، ويتصور مولانا حوارا بينها وبين السيدة التى تغليها ، ويخرج مولانا من صورة حبة الحمص . إلى صورة المؤمن الذى يبتليه الله بالقهر لكى

يعرف لذة اللطف ، ثم يعود إلى حبة الحمص فى تواصل بين الصور كيف أن الإنسان يسمو من البلاء ، وتسمو حبة الحمص من نبات فى البستان إلى غذاء يمتزج بروح الإنسان فيصير فهما ونطقا وفكرا . إن الرحمة قد سبقت الغضب «رحمتى سبقت غضبى» ولذلك فإن كل مايراه الإنسان غضبا من الله سبحانه وتعالى هو رحمة به وهو سبحانه وتعالى لا يريد منه سوى التسليم ، وكما تكون حبة الحمص فى الحقل والبستان ، ويكون الإنسان فى الدنيا ، وعندما يفنى كما تفنى حبة الحمص فى القدر فإنه يسمو ، وينجو من صفاته المادية ، ويعود إلى عالمه الأصلى ناجيا من تأثير النجوم والأفلاك .

(٤١٨٩ – ٤١٩٨) يعود مولانا إلى الفكرة التى تسيطر عليه كل هذا الكتاب من المثنوى وتنظمه فى سلك واحد ، إن كل فناء يستوجب بقاء أعلى منه فى المرتبة (انظر تعليقات الأبيات ٣٩٠٢ – ٣٩٠٨) وينقل بيت الحلاج (اقتلونى اقتلونى ياثقات) ففى هذا القتل تكون الحياة الأبدية الخالدة (انظر ٣٨٤١) هكذا يكون الكسب بعد الممات ، إن الملائكة تتقرب إلى الله بالأفعال والأقوال الصادقة وعلى نفس النسق فإن المواد الغذائية تجد فى أجسادنا تعاليها وتساميها ، وتبدأ المرحلة الثانية من حياتها وهى الحياة الحيوانية ، ثم ينص مولانا على أن هذا البحث لاينتهى ، فهو دائما ما يوكله إلى فرصة أخرى ليقدم شرحا أكثر تفصيلا . إن القوافل التى تأتى على الدوام من الفلك هى آثار الخليقة ومظاهرها من نبات وحيوان تفعل فعلها فى الحياة المادية ثم تعود إلى مبدأئها ومنشئها : هكذا سنة الحياة فاقبل أنت أيضا الذهاب عن هذه الدنيا واعتبره «لذيذا وحلوا»

بمحض إرادتك ، فهذه هى إرادة الله ، والله لايريد إلا ما هو خيرك فامض سعيدا لا كاللص الذى يفتقر إلى الصدق أمام الله ، ويجعل الدنيا كل همه (انظر ٤١٩٩ وما بعدها) . إنك إن فكرت فى عاقبة مشاق طريق الحق لن تجدها من قبيل المشاق . إن هذه المشاق من قبيل العنب المتجمد الذى يحفظ فى أوانه فى الثلج لكى يؤكل فى غير أوانه ، وصب الماء البارد عليه لكى يخرج من حالة التجمد .

(٤١٩٩ – ٤٢٠٥) عندما يقف المؤمن المدرب بالرياضة الناضج على حقيقة الأمر فإنه يقبل البلاء ، ويقبل هداية المرشد وتأديبه ، وها هى ذى حبة الحمص تقتنع بهذه الأفكار وتطلب من السيدة أن تداوم على تقليبها ، إن فى هذا عمرانها ، هيا إياك أن تجعلينى فى هدوء وسكون كالفيل ، أحلم بالأرض القديمة ، وأرتكس وأحزن عن طريق الحق وأجعل كل همى الدنيا ، اجعلينى دائما فى حاجة إلى السمو ذلك (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

(٤٢٠٦ – ٤٢١٤) تتحدث السيدة إلى حبة الحمص مشجعة إياها ، والواقع أن المرشد هو الذى يتحدث ويقص تجربته للمريد ؛ كى يشجعه على الرياضة والمجاهدة : إننى عندما ذقت لذة المجاهدة صرت قابلا لها وجعلت نفسى قابلا إياها ، وأنا أيضا قطعت مراحل الوجود من الجمادية إلى الآدمية (انظر من ٣٩٠٢ – ٣٩٠٨) وذلك قبل أن تدخل الروح قالب الجسد ، وبعد فترة فى قالب الجسد ، وبعد « الغليان » فى هذه المراحل صرت أحاسيس قوية أى استطعت أن أجعل أحاسيسى قادرة على إدراك العالم المعنوى ثم نسيت حياة الجسد وصرت

روحا وصرت مرشدا لك ، وحتى عندما كنت فى مرحلة الجمادية كنت أفكر فى الاتصال بعالم المعنى ، فالجماد له روح والروح تود أن تتجاوز مرحلة الحيوانية ، ففكر أنت أيضا فى نهاية الطريق الذى هو الوصال بعالم المعنى والفناء فى الوجود المطلق ، وإن كلام الحق يؤثر فى الإنسان بقدر قابليته وجدارته ، انظر إلى القرآن الكريم إنه ﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (٢٦ البقرة) » وليست المشكلة فى تعاليم الأديان أو إرشاد المرشدين ، ينبغى أن يكون المريد جديرا لا عنودا ، لديه الرغبة فى السمو والرقى إلى العوالم العليا والنضج المعنوى .

(٤٢١٥ – ٤٢٢٩) يعود مولانا إلى قصة ضيف المسجد تلك القصة التى بدأها فى البيت ٣٩٢٤ ، وأورد جزءا منها من البيت ٤٠٨٢ وما بعده وها هو ذا يعود إليها ، يخاطب الضيف الذى هو كله باحثا عن الكمال المسجد قائلا : لتكن ميدان قتال «كربلاء» لى .. أجل فإن كربلاء هى التى صنعت سيد الشهداء الحسين بن علىّ – رضى الله عنه – ، لتكن مشنقة لى فإننى سوف أتجلى على المشنقة كما تجلى عليها الحسين ابن منصور الحلاج وكما كان يسعى إليها (فى ترجمة لفريد الدين العطار عن الحلاج تذكرة ص ٥٨٩) . إن الشهادة هى التى تصنع الشهيد ، تجعل منه بطلا وتحييه وتجعله خالدا ، حتى ولو كنت أيها المسجد نارا فسوف أصير كالخليل لا أطلب الغوث حتى من جبريل فسوف أقول لك عندما تسألنى : ألك حاجة ؟ أما إليك فلا ، ولن أحترق ، أما إذا احترقت فإن احتراقى سوف يملأ العالم بالعبق كاحتراق الند والعود ، (ودماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك) ، أجل إننى أسرع إلى النار فهى حياة لى وليست

موتا . إن الروح الحيوانية منى كانت فى إثر المادة ، ولما كانت جديرة بالاحتراق فلتحترق ، ولو كانت ذات اهتمام بعالم المعنى لأفادت واستفادت ، لعمرت وعمرت ، إن النار التى تحرق حقيقة هى نار العشق ، أما تلك النار التى نراها فى الألم فهى انعكاس لها وأثر منها ، إن النار الغيبية هى نار العشق التى تسرى فى عالم الملكوت ومنها خلق الملائكة ، وما دام الإنسان على علاقته بالدنيا فإنه لا يرى تلك النار الكلية أى نار العشق (من هنا تتضح الصلة بين هذه الحكاية وبين الحكاية التى وردت بداخلها حكاية صدرجهان فكلاهما يدور حول العشق ؛ والحكاية هنا أشبه باللحن الداخلى داخل عمل موسيقى كبير) ، ولأننا متعلقون بالدنيا فإن انعكاس هذه النار أى نار العشق لا يبقى فينا طويلا ، إنه بقدر قامة المرء فى الزوايا المختلفة لانعكاس النور ، فالقامة هى القامة ، ونار العشق هى نار العشق ، لكنها مرتبطة باستعداد الروح وقدرتها على السمو ، ولأن هذه الانعكاسات لا تجد ثباتا فإنها تعود إلى أصلها ومعدنها (الأمهات) سريعا ، ثم يجد مولانا نفسه قد تعمق فى الحديث ودخل إلى المرحلة التى ينبغى أن يصمت عندها ، فيقول لنفسه : انتبه لئلا تحدث الفتنة أى مثلا تحدث تأثيرا منحرفا فإن هذا الكلام يضل من ليسوا بأهل له ، وانته من هذا واجعل عين الكلام جافة فالله أعلم بالرشاد .

(٤٢٣٠ - ٤٢٤٦) يترك مولانا القصة ليرد على العيابين فى المثنوى ، وما أكثرهم على مر التاريخ والأزمنة . إن هؤلاء العيابين لا يهجوننى ، لكنهم قد يؤثرون فى المريدين ، ثم ينتقل على مولانا سنائى فى شأن أولئك الذين لا يرون من الكلام إلا ظاهره وحجبوا عن حقائقه ومعانيه ، والأبيات المذكورة مقتبسة من

بيت شعر لمولانا سنائى :

ليس عجبا ألا يكون نصيبك من القرآن إلا حروفه

فإن الأعمى لا يرى من الشمس إلا حرارتها

(كليات سنائى ص ٥٢)

كما ورد فى نفس المعنى فى الحديقة (أنظر الترجمة العربية للبيتين (١٩٨٠-١٩٨١) إنهم يقولون :

إن هذا المثنوى لا يحتوى على مقامات الفناء ولا سير فيه إلى الله على ما دأب عليه المشايخ من قبل ، ويرد مولانا : إن أمر المثنوى سهل لقد أنكر كثيرون القرآن الكريم وقالوا : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (الأنفال / ٣١) وليس فيه بيان يعجز العقل فيه ؛ إنه يحتوى على الشريعة ، ويرد عليهم مولانا ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (الإسراء / ٨٨) .

(٤٢٤٧ - ٤٢٥٢) يعتمد مولانا فى هذا الجزء على حديث نبوى (إن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن (انظر ١٨٩٩) . كما جاء الحديث فى شروح المثنوى (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) ؛ وقد فسرها ابن عربى بأنها التفسير والتأويل وما يصل إليه فهم الإنسان وفسر الحد والمطلع بأنهما المعانى والمدركات التى هى أعلى من التفسير والتأويل ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (استعلامى ٣/٤٠٧) . وبالرغم من أن مولانا قد تحدث عن سبعة أبطن

إلا أنه لم يتجاوز البطن الرابع بالحديث ، ويرى كما يرى محيى الدين أن ما فوق هذا لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . ويخلص مولانا أنه إذا نظرت إلى القرآن الكريم بظاهره فحسب ، فكأنك إبليس الذى اعتبر آدم حفنة من التراب ولم ينظر إلى النفخة الإلهية ، وإياك أن تحكم من الظاهر فإنك لاتعرف عن أقرب الناس إليك إلا مقدار شعرة ، ولسنائى الغزنوى تفضيل آخر فى هذا المجال موجود فى حديقة الحقيقة حيث خصص فصلا للحديث عن القرآن الكريم (انظر الترجمة العربية الحديقة الحقيقة ص ص ٩٣ – ١٠٠) .

(٤٢٥٣ – ٤٢٨٤) إن الأنبياء لم يعتزلوا الناس هربا بل تعليما ، فأى جبل هذا الذى يستطيع الولى أن يختفى خلفه ، ومن هذا الذى تحسده الأفلاك على قربه ويختفى ؟ إنه مختف فى عوالم روحه التى لا نهاية لها ، وهكذا الإنسان فإنه وجود محجوب وغامض لا يستطيع العقل أن يسبر أغوار عمقه ، وإذا كان هذا هو حال الإنسان العادى ، فما بالك بآدم صاحب النفخة الإلهية ؟ وما بالك بالأنبياء ذوى المعجزات مع أنهم بشر ، ألم يستطيعوا أن يأتوا بالمعجزات ؟ وما عصا موسى ؟ وما رقية عيسى التى كانت تحيى الموتى ؟ ولم لا ؟ أليس قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ؟ (انظر ٢٧٧٩) ، وكما أنك تخطئ كثيرا إن اعتبرت عصا موسى مجرد قطعة من الخشب ، واعتبرت رقية عيسى مجرد كلام عادى ، فإنك تخطئ كثيرا إذا اعتبرت الإنسان مجرد هذه البضعة من اللحم والعظام . هذه المظلة السوداء تقدم قليلا لترى الروح الوثابة القادرة على التحليق فى الملأ الأعلى ، تقدم قليلا لترى آثار تربية الرجال ، وترى «همة الرجال تقتلع الجبال» ، وتجعل الجبال ترقص من هممهم «انظر ١٥ ، ١٦ من هذا الكتاب و٢٥ ،

٢٦ من الكتاب الأول» وهي هي ذي نفسها تلك الهمة التي تجعل الجبال تئوب لداود وتغني معه ، ومصداقا لهذا فإن رجال الحق أيضا هم مثل داود لهم أنين ويسمعون أصواتا لا يسمعها كل إنسان ، وإن نغمة هذا الصافي الجسد أي الجبل تصل إلى أذن رجل الحق وحده مهما كان معه جلساء وليست كل أذن مهيأة لسماع تسبيح الجمادات التي تصل من اللامكان ؛ أي عالم الغيب ، وحتى إن كنت لم تسمعها فينبغي أن تصدق بوجودها لأن «الولي» يسمعها .

(٤٢٨٥ - ٤٢٩٤) يعود مولانا إلى توبيخ الطاعنين في المثنوي قائلا : إنك أيضا تطعن في القرآن الكريم ، وماذا يكون المثنوي إلى جوار القرآن ، إنك تريد أن تطعن في القرآن ولا تجد سبيلا إلى ذلك فتطعن في المثنوي الذي هو قبس من نور القرآن وهو في هذا المعنى يقتبس من مولانا سنائي :

إذا طعن فيه هذا الجهول فقل له : اطعن ، إنه ليس أفضل من القرآن (حديقة الحقيقة البيت ١١٧٨٠) إنه كلام الحق ومن يقع فيه فإن القهر الأعلى يستولي على روحه وعلى إيمانه ، إن القرآن سوف يخاطب هذه الفئة يوم القيامة قائلا : لقد كنتم تطعنون فيّ قائلين : إنني أساطير الأولين ، وها أنتم أولاء أنفسكم قد رأيتم أنكم أنتم الذين صرتم أسطورة بينما أنا وجود مطلق وغذاء معنوي وعيني وجوهر لازيف فيه ولا غش .. ثم يتحدث مولانا عن نفسه وعن المثنوي : إنني منبع هذه المعاني أمنح العاشقين الحياة الخالدة ، وإن عفن الحرص هو الذي جعل الحق لا يصب جرعة من هذه المعاني على وجودكم الميت ؛ أي أن العيب فيكم أنتم يا من لا تتقبلون المعاني ولو كانت فيكم قابلية لها لفهمتموها ، فإن العطايا بقدر

القابليات ويستمد مولانا العون من سنائى الغزنوى ، ويصرح بأن هذا الطعن لن يقعده عن عمله ورسالته .

(٤٢٩٥ – ٤٣١٢) ينقل مولانا حكاية أخرى عن سنائى :

قال ذلك المهر لأمه : لماذا يصفرون هم بينما نشرب نحن الماء قال الفرس للمهر : امض لاتتحدث عبثا قم بعملك فإنهم يقتلعون لحيهم عبثا .

(ديوان سنائى ١٦٢)

ويضيف مولانا على لسان الأم : إن هذا هو عمل المزايدين ، أولئك الذين لا تخلو منهم الأرض ، فكما يوجد العاملون الذين يعملون فى صمت يوجد أيضا المزايدون الذين لايجدون ما يفعلون سوى عرقلة أعمال العاملين ، وما على العاملين إلا أن يقوموا بأعمالهم دون النظر إليهم أو الاهتمام بهم ، ومن ثم فإن ماء النهر هو معرفة الحق ، وصوت السائسين هم أولئك الجهلة الذين يطعنون فى رجال الحق ولاينبغى الاهتمام بهم ، فإنهم إنما يقتلعون لحيهم فهيا أيها المريد إن الحقائق التى تفيض من رجال الحق هطالة وفيرة ، هيا قبل أن يمزقك الهجر والبعد والحرمان من هذه الحقائق ، وحتى لاتظل شجرة وجودك بلا ثمر ، فإن كلام الأولياء هو منبع ماء الحياة والحياة الخالدة ، هيا وحتى وإن لم تكن لك بصيرة مهيأة لإدراك الحقائق ، فجرب ، وكن كالأعمى الذى لايرى الماء ويدلى بدلوه فى الماء تقليدا للآخرين (انظر لفكرة التقليد الذى يوصل الحقيقة الكتاب الثانى – هيا إذن وضع القربة التى تفكر فى الماء (مفكرا فى الماء) فى الجدول (أول العمل فكر) .

(٤٣٤٨ - ٤٣٦٧) إن هذا الصوت المهول لم يلق الرعب فى قلب ذلك الضيف الهمام الشجاع ، إنه لم يعتبره إلا كالطبل الأجوف ، إنه مجرد صوت دون أن يوجد مايدل عليه ، فيقف للصوت داعيا إياه للمواجهة (كما حدث فى ألف ليلة وليلة مع علىّ المصرى تماما) . وفى الحال يبطل طلسم ويتساقط الذهب ويظفر الشجاع الهمام بالذهب ، لكن إياك أن تظن أن الذهب المقصود هنا هو هذا الذهب المعروف ، لا .. فهكذا يفكر عميان القلوب ، وتفكيره هذا لا يعدو تفكير الأطفال الذين يكسرون قطع الفخار ويضعونها فى حجورهم ويسمونها ذهبا : (ينظر كليات ديوان شمس تبريزى ص ٥٢٥ - غزلية ١٣٥٣) .

حتام نحن كالأطفال فى عالم التراب

نملأ حجورنا بالتراب والحصى وقطع الفخار

فلنرفع الأيدى عن التراب ولنحلق فى السماء

ولنهرب من الطفولة نحو محفل الرجال

فالذهب هنا ليس ذلك المعدن المعروف ، إنه الذهب الذى ضرب فى دار السكة الإلهية أى المعرفة بالله التى لا تنهب ولا تسرق ولا تنتهى ، إن قيم هذه الدنيا انعكاس لقيم ذلك العالم . إن ذهب الدنيا ما هو إلا انعكاس لذهب المعرفة الإلهية الذى إن وصل إليه الباحث أغناه عن كل ذهب الدنيا ؛ إنه غنى النفس المذكور فى الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) (استعلامى ٤١١/٣) .

(٤٣٦٨ - ٤٣٧٩) إن ضيف المسجد كان باحثا عن الحقيقة ، كان كالفراشة التى تحوم حول النار ولا تبالى باحتراق بدنها ، وكان المسجد كالشمعة أى يحكى الحقيقة الإلهية ومن ثم كان سقوطه فيه نصرا له وفتحا عليه . إياك أن تظن العشق نارا إنه نور ، رآها موسى عليه السلام نارا لكنها كانت عليه نور كانت العناية الإلهية قد حولتها إلى نور ، وانظر إلى الانقطاع عن الدنيا ألا يبدو نارا فى حين أن رجال الله قد وجدوه نورا ، وهكذا الولى . إن تعليماته تبدو لك نارا لكنها فى الحقيقة نور ، وهكذا كان يبدو صدرجهان للوكيل نارا ، وكان اللائمون والمثبطون يخوفونه من لقائه ، لكنه كان لوكيله عين النور . لقد ساق جلال إذن هذه الحكاية الطويلة بكل ما تخللها من معان لا كانتقال من موضوع إلى موضوع كما فسر أغلب مفسرى المثنوى ، بل إن قصة المسجد هى من قبيل المثل أو المثال المحسوس قدم لبعض المريدين من ذوى المستوى المحدود لشرح قصة عشق وكيل صدر بخارى (وهى قصة لمن خبروا مبادئ العشق) .

(٤٣٨٠ - ٤٣٨٨) عودة إلى وكيل صدرجهان : ها هو ذا وكيل صدرجهان يطوف حول صدرجهان كالفراشة تطوف حول الشمعة : فمهما رآها الآخرون نارا فهى ليست بالنسبة لها إلا نور ، ولايتحمل هذه المقاساة إلا العاشق ، والألم من العاشق يقابله الرحمة من المعشوق (انظر الأبيات ٣٩١٨ - ٣٩٢٠) . ويتحدث مولانا عن رحمة المعشوق وهو فى الحقيقة يتحدث عن رحمة المعشوق الكلى الواحد ، إن العاصى والمجرم عندما يخاف فكأنه يعترف ويقر بالذنب ، وهذا

زمان وفصل ظروفا بمقتضى الحكمة والمشيئة ، بل إن الأرض والسماء زوجان حقيقيان يتمتعان بهذا الاتصال وإلا فلماذا تقع الأرض بين أحضان السماء ؟ ومن هذه الحكمة الإلهية يسكن الزوج إلى زوجته حتى يقع الميلاد ، ومن ثم فكل جزء فى الخليقة يحن إلى الجزء الآخر ؛ لكى تحدث الخليقة فإياك أن تظن أن هناك تنافرا فهذا التنافر لايوجد حتى بين الليل والنهار فكل منهما يطلب الآخر ؛ ففى الليل تدخر المخلوقات لكى تنفق بالنهار « من القوة والاستعداد للغد » والفكرة هنا من طريق التحقيق لسنائى (مثنويات حكيم سنائى صـــ١١٢ والترجمة العربية لطريق التحقيق لأحمد فتحى شتا) .

(٤٤٢٤ - ٤٤٥٠) وينتقل مولانا إلى مرحلة أخرى من علاقة العناصر والأمهات والآباء العلويين ، عندما تتفتت هذه العلاقة ويعود كل عنصر إلى «أبيه» أى إلى أصله السماوى ، فكل برج يجذب من الجسد «الأخلاط» و «الأمزجة» المناسبة له ، وليست الأمراض العديدة إلا نتيجة أن كل عنصر يريد أن يجذب الجزء الخاص به من الجسد ، ويبقيها الله تعالى إلى أجلها. وعندما يجذب كل جزء من الجسد إلى الأصل الخاص به فإن الروح تتألم من فراقها لعالم الأرواح ، وأن وجودنا الصورى ما هو إلا تركيب من أجزاء عنصرية تبقيها الروح حية ، وفي الوقت نفسه فإن كل جزد من هذه الاجزاء يساعد على حفظ هذا التركيب ، وهذا التركيب هو سجن للروح ومن ثم فالروح تحن دوما إلى أصلها ، وكما أن قوت كل عضو من أصله ، فإن قوت الأرواح هو من الحكمة والعلوم والرغبة فى الترقى والشرف الذى هو فى نفس الوقت سير إلى عالم الغيب والوجود المطلق فهى باحثة عن الحق والحق باحث عنها مصداقا لقوله تعالى : (يحبهم ويحبونه)

(المائدة / ٥٤) . ليس العشق من العاشق فحسب لكنه من المعشوق أيضا . إن المعشوق فى بحث عن العاشق كما يبحث عنه العاشق ، وهو يبدو ظاهرا بلا حاجة لكنه فى الباطن ذو ميل وجذب .

(٤٤٥١ – ٤٤٦٤) يعود مولانا إلى قصة وكيل صدرجهان : لقد كان صدرجهان أيضا يشتاق إليه ، لكن مظاهر السلطة كانت تمنعه من إظهار هذا الشوق . وليس هذا الأمر قابلا للإدراك ؛ أكان ميل الوكيل هو الذى يجذبه إلى بخارى أو أن مجئ الوكيل هو الذى أوجد الجذب فى قلب صدرجهان ؟ . لكن إياك أن تتحدث فى هذا ، واترك المراء والتذاكى فى هذا الأمر ، إننى لن أواصل فى هذا الموضوع فإن تلك القوة غير المرئية (الإلهام – الوحى الإلهى) تأمرنى بألا أقول فكيف أقول ؟ إن الأمر ليس بيدى فمهما عزمت ومهما نويت فإن عزم الله هو الذى يكون وما قدره نافذ . إن الأمر أشبه بالجواد والفارس يمسك الفارس بزمام الجواد الذى يجمح فى كل ناحية ويوجهه إلى حيث يشاء ، وخير للجواد أن يكون ذكيا وأن يعلم أنه فى يد الفارس يوجهه فى أى اتجاه شاء . وهكذا فإن قدرة الله تعالى تبدو فى فسخ العزائم ونقضها مصداقا لما ورد فى حديث علىّ رضي الله عنه «عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم » (استعلامى ٣/٤١٥) .

(٤٤٦٥ – ٤٤٧٥) يحلل مولانا فكرة فسخ العزائم ونقضها وخلاصة ما يذهب إليه مولانا أن الله سبحانه وتعالى يدفعنا إلى العزم فى الأمور ثم ينقض هذا العزم حتى نحس بقدرته دائما ونحس أننا خاضعون لقدرة الحق . وهناك

(٤٥٣١ – ٤٥٣٨) إن الحارس لـم يسمع كـلام الكفار الأسـرى بالرغم من أنه كـان يمشى إلى جوارهـم ، بينمـا وصلت هذه الهـمـهـمة إلى أذن الرسـول –ﷺ– من لدن الحكيم الخبير ، فالقابليـة عند الرسول لتلقى الوحى ، وهذا يتكرر كثيرا فى حياة الأنبياء فذلك الذى كان يحمل قميص يوسف إلى يعقوب عليهما السلام لم يكن يشم منه ريح يوسف ؛ لأن الريح خاص بيعقوب ، وهكذا فإن الرسـول –ﷺ– يوحى إليه وهو نائم مصداقا لقوله عليه السلام «تنام عيناى ولاينام قلبى» ، وإدراك عوالم الغيب بمعايير هذا العالم غير متيسر بل لابد من وجود العناية الإلهية ، ومحمد –ﷺ– مشمول بالعناية الإلهية ، بحيث إن النجم الثاقب الذى يطارد الشياطين التى تسترق السمع يأمرها بأن تأخذ الأسـرار منه عليه السلام إذ تصل إليه مباشرة من لدن الحكيم الخبير ، وهى رزقه لا بحوله أو بطوله . وهكذا العطايا أرزاق ولاتتدخل فيها القوة فاذهب إلى الدكان واسع فى سبيل الرزق ، لكن إياك أيضا أن تنسى الذهاب إلى المسجد وطلب الرزق من الله .

(٤٥٣٩ – ٤٥٥٢) يواصل الرسول –ﷺ– الحديث إلى الأسرى من الكفار : إن ضحكى ليس من انتصارى عليكم فى المعركة ، وأى ضحك عندى من أناس ماتوا واهترأوا فى الفناء سواء عاشوا أو ماتوا فهم أموات ، وأى لذة عندى من انتصار على بضعة من الرمم المهترئة والقمر ينشق عندما أثبت فى المعركة ، ثم إن الأمر لم يتغير عندى : هكذا كنتم أراكم من كوة الغيب مهزومين أسارى حتى وأنتم أحرار ، إن سلاحكم الذى تعتمدون عليه فى هذه الدنيا لا محالة يؤدى إلى الهزيمة ، فالاعتماد على المال والحسب شأنه كما يوجد جمل على قناة (لايتأتى منه نفع ولا يحسن التصرف) ، وهكذا فإننى منذ أن تخلصت من صورة الجسد

وعلمت أنها صورة مفتضحة ، كنت على علم بكل ما هو آت ، بل إنى أعلم عاقبة كل موجود قبل أن يظهر فى عالم الجسد (كنت نبيا وآدم بنى الماء والطين) (استعلامى ٣/٤١٨) ، ومن أنتم فقد رأيتكم منذ الأزل ومنذ يوم الميثاق وأنتم مغلولون مقيدون ، إذن لماذا أضحك ؟ كنت أضحك لأنى أرى اللطف فى القهر ، أرى أن الله سبحانه وتعالى بقهره إياكم إنما يسوقكم نحو لطفه (المناسبة مناسبة الحكاية لحكاية صدر وكيل صدرجهان) ، كنتم تأكلون سكرا ممتزجا بالسم (اللطف الممتزج بالقهر) كنتم تأكلونه وأنتم لا تسمعون كلام الله ولا تدركون قصده من إذلالكم .

(٤٥٥٣ - ٤٥٦٣) يواصل الرسول جوابه لأسرى الكفار : تراكم ظننتم أننى غزوت من أجل الدنيا ؟ ، إن هذه الدنيا ما هى إلا جيفة وطلابها كلاب «حديث منسوب إلى الرسول -ﷺ- وفى بعض الروايات إلى الإمام زين العابدين السجادرضى الله عنه» ، إننى أغزو لأحيى موتى الكفر الذين يظنون أنفسهم أحياء ، وأسوقهم من قهر الله إلى لطفه ، ولكى يتحرر العالم من طغيان الكفر ومن فساده ، إنكم كالفراش المتهافت على النار وأنا أقف بينكم وبين هذه النار ، وإن نصركم إذا انتصرتم هو هلاك لكم ، كنتم تجدون إلى النار وكنت أحول بينكم وبينها ، كنتم تسرعون بنصركم هذا إلى براثن قدرة الحق ، وكنت أهزمكم لكى أحول بينكم وبين هذا النصر المدمر .

(٤٥٦٤ - ٤٥٦٧) سوف أقدم لكم مثلا على هذا الأمر «سوف أبين لكم أن الطاغية مدمر حتى حين نصره ومأسور حتى حين غلبته ، إنه كلما انتصر على

أعـدائه وطغى عليـهم وبغى وتجبـر إنما يكون مـد من الله له فـتزداد ذنوبه ، حـتى يأخذه القهـر الإلـهى ، ولو أن الله سبحانه وتعالى ألحق به الهـزيمة ، لوقف طغيانه عند حد ، وربما عاد عنه وتاب عنه : ترى مولانا كان يستشرف مصير الطغاة فى زمـانه ؟ ألسنا نرى فى مـعرض حـيـاتنا اليومـيـة طغاة يتـجبرون ويتـغـاشـمـون ، وكلما انتـصـر على فئة ضـعيفـة ازداد طغيانا وتجبرا وأسـرع نـحـو الهلاك على يد فئة أقـوى منه أو أخذه الله نكال الحياة الدنيا والآخـرة ، وحين يضرب مولانا المثل يضربه بلص سـطا على مال سيده «أليس الطاغية لصـا على كل حال ؟ لقد مضـى سـعـيدا بنصــره على سيـده فوقع عليـه الـوالى بعد أن حـشـر له شـرطتـه ، ومن ثم فإن انتصار اللـص قد اختطف رأسـه».

(٤٥٦٨ - ٤٥٨٣) وهكذا أنت أيضـا يـامن جللت بالنصـر علـى «الناس» على المسـتـضـعـفين فى الأرض ، وقـيدتـهم فى الأغـلال ، إنك تجـرهـم خلفك ، وهـو أى القـهر الإلهى يجـرك إليـه ، إن انتصـارك وغلبتك وظـفرك « بالناس » فخ لك فـسـق الهـوينى وإياك أن تسـقـط فـى هـذا الفخ ، وليكحل عـقلك البـاحـث عن الحق بكحل العناية ، ولتكن خـصـومـتك مع الخلق إلى حـد ؛ فإن من صـفـات المؤمن أنه لا يلج فى الخصـومة ولا يفجـر فيها «أربع من كن فيه كان منافقا خـالصـا ومن كانت فيه خـصلة منهن كـانت فيه خـصلة من النفـاق : إذا حـدث كذب وإذا وعـد أخلف ، وإذا أؤتمن خـان ، وإذا خاصم فـجر» كـما نقل يوسـف بن أحـمد حـديثا بهـذا المعنى عن الحـارث بن وهب أنه -عليه السـلام- قال : «ألا أخـبـركم بأهل الجنة كل ضـعـيف مسـتضـعـف لو أقـسم على الله لأبره» (مولوى ٣/٥٨٤) . فهم «إخـوان على سرر متقابلين» بينما أهل النار فى جدال وخصام ، إن هـذا ليس من الضـعـف بل هو من

الحزم وسوء الظن لقوله –ر– «الحزم بسوء الظن» (انظر البيت ٢٦٨ من نفس هذا الكتاب) ، ومن ثم فإن إظفار الكفار الظاهر فى الحديبية هو نصر حقيقى للمؤمنين ، فهو حماية لجماع المؤمنين الضعفاء فى قلة وهم عدة الإسلام وعتاده فى انتصاراته التالية ، وهذا مصداق للآية الكريمة : ﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ﷺ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيَّلُوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾ (الفتح / ٢٤ – ٢٥) .

وهكذا كان الرسول فى نصره ينظر إلى كبرياء الله تعالى وإلى قهره ، وابتسم عليه السلام لأنه يجر الكفار إلى الجنة فى السلاسل ويخلصهم من الغضب الالهى .

(٤٥٨٤ – ٤٥٩١) وهكذا هو سلوك المقلد الذى يسير إلى الله لا بالقلب أو الطريق بل بالعقل والعلم ، إنه يؤخذ إلى اللطف فى صورة القهر ، أما الولى فهو ليس فى بلاء حين يحل به البلاء ، بل يقطع الطريق فى شوق إلى الحق ، إن الجميع يتحمل هذا الأمر كقدر لا مفر منه إلا العارفين المنورين بنور المعرفة الذى يجعل المشقة فى طريق الحق أمرا سهلا ميسورا ، ويخرجه من صورة السخرة ، ثم يقدم مولانا صورة من الواقع المعاش : إنك تأخذ الطفل أول يوم إلى المدرسة وهو يملأ الجو ضجيجا وعجيجا ، لكنه عندما يعتاد على المصروف (مهما قل) يسرع إلى مدرسته جريا .

(٤٥٩٢ – ٤٦٠٣) يقارن مولانا بين عشق الأولياء وعبوديتهم وسلوك المقلدين قائلا : جاهد أنت أيضا حتى تحصل على الأجر من الله تعالى ، حينذاك تغبط المؤمنين الذين نالوا الأجر من قبلك ، فإذا كان الأمر طوعا أو كرها فليكن طوعا أفضل لك ، لا تكن من أهل التقليد تأتى كرها بل كن من أهل الصفاء آتيا برغبتك . ويعود مولانا إلى المفاضلة بين أهل التقليد وأهل الصفاء : إن المرضعة محبوبة للطفل ومحبوبة أيضا لرجل آخر (فى سنها) ولا رغبة للطفل فيها إلا فى لبنها أو فى المنفعة منها ، لكن البالغ يعشقها لذاتها ، وهذا هو الفرق بين المقلد والواصل ، فالمقلد يحبه بالرجاء والخوف ، ويحاول أن يصل إليه عن طريق الدرس (الذى خبره غيره).. لكن الواصل يحبه دون علة ودون غرض ، والحق فى كلتا الحالتين يجذبهما إليه ، ييسر لكل إنسان الطريق الذى يسير فيه ، ويشمله بالعناية التى توصله إليه ؛ وهذا هو جذب المعشوق .

(٤٦٠٤ – ٤٦١٧) ها هو ذا مولانا يريد أن يبدأ حكاية أخرى ، لكن وكيل صدرجهان يكاد يهلك انتظارا (يعامل مولانا أبطاله كشخوص حية .. يتفاعل معهم ويتعاطف معهم ويتخيل أنهم ينتظرونه إن طالت غيبته عنهم فى الحديث عن موضوعات أخرى) ، ها هو ذا وكيل صدرجهان يريد منه أن يعود لكى يجعله يلتقى مع صدرجهان حتى تدب الروح فى جسده الميت ، فإن الحبيب الذى لا ترد به حياة لا يكون حبيبا ، بل يكون كالشجرة فلا ورق ولا ثمر ومن ثم فإن من يفديك بنفسه يمكن أن تسميه حبيبا ، حتى الموت إن مضيت إليه بلا كراهية فهو

صورة للموت فقط وليس حقيقيا بل هو انتقال من دار إلى دار « ألا أن أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار » ومن ثم فلا يكون الموت قائما بل يكون الإنسان عليه «ومن كان لله كان الله له» (استعلامى ٣/٤٢١) .

(٤٦١٨ - ٤٦٢٤) التقى العاشق بالمعشوق ففقد وعيه ، وهكذا فعندما يتم اللقاء يحدث الفناء ، وهكذا العشاق أمام الحق يجدون إليه فإن وصلوا انفصلوا وفنوا ، وكيف يمكن للظل أن يبقى إن سطعت عليه الشمس ؟ وكيف يمكن للقطرة أن تكون ذات وجود إن مزجت بالبحر ؟

(٤٦٢٧ - ٤٦٦٠) لا يبقى الظل عندما تسطع الشمس ، ولا تبقى القطرة إن حضر البحر ويسوق مولانا حكاية موافقة لمقتضى الحال ، والحكاية وردت قبل مولانا فى أسرار نامه لفريد الدين العطار (ص ٥٧ - ٥٨ من أسرار نامه تحقيق سيد صادق كوهرين انتشارات صفى على شاه تهران ١٣٣٨ هـ . ش) ، كما وردت فى كتاب اللمعات للشاعر فخر الدين العراقى (المتوفى سنة ٦٨٠ هـ) (مأخذ ١٢٦) وها هى ذى البعوضة تتظلم أمام سيدنا سليمان عليه السلام من الريح ، والريح فى أمر سليمان - عليه السلام - ، ويتعجب سيدنا سليمان من وجود ظلم فى عهده ، إن الظلم من الظلمة ، وعندما يسطع النور تنمحى الظلمة، عندما يسطع نور النبوة والشريعة فلا ظلم ولابغى فمن الذى يجرؤ على ارتكاب الظلم فى عهد سليمان ؟ إن حكمه هو من أجل إرساء العدل ، إنه صورة من العدل الإلهى فى الأرض إنه يحكم حتى لايبكى اليتيم «فإن اليتيم إذا بكى اهتز العرش لبكائه» (حديث منسوب إلى الرسول ،) (استعلامى ٣/٤٢٢) ونفس

المعنى ورد عند سعدى فى البستان :

«ألا لايبكين فإن العرش العظيم يهتز عندما يبكى اليتيم»

(كليات سعدى ص ٢٧٠)

إن سليمان عليه السلام يقول : نحن بنينا أساس نظم هذه المملكة على الشريعة الإلهية ، ومن ثم فبدلا من أن تشكو لله أشك إلىّ أنا فقد أعطانى الله شريعته وأمرنى بالحكم به وسوف يحاسبنى عليها ، لكن لابد من أجل ضمان العدل من وجود الخصم ، ويستدعى داود الريح ، لكن البعوضة المتظلمة تفر هاربة . إنها لا يمكن أن توجد مع الريح فى مكان واحد فكيف يمكن لها أن تقف معها موقف الخصومة فى مكان واحد ؟

(٤٦٦١ - ٤٦٦٦) يقارن مولانا بين حال البعوضة أمام الريح وحال العبد أمام القدرة الإلهية ، أو بمعنى أصح هنا حال العاشق أمام المعشوق ، فإن معرفة الحق تمحو الوجود الفردى والصورى للعبد ، فإن شرطها الأول هو فناء العبد فى صفات ذات الحق ، ولا شك أن هذا الفناء هو ارتباط بالوجود المطلق ، ومن ثم فهو يحمل معه البقاء الخالد (انظر للبقاء بالحق البيت ٣٦٧١) وعندما يسلم العاشق رأسه فى طريق الحق ، فإن العقل الدنيوى الموجود فى هذه الرأس لا يهم وجوده بعد ، ومن هنا فإن (كل شئ هالك إلا وجهه) (القصص /٨٨) ، إن الوجود والعدم أى كل ما هو موجود فى عالم المادة هالك أمامه ، ومن هنا فإن الوجود فى العدم أى بقاء الموجودات بعد فنائها فى الحق هو وجه الطرافه هنا ، فكيف يكون العدم وجودا ؟ إن هذا الأمر غير قابل للشرح أكثر من ذلك ، فقد

حارت العقول وانكسرت الأقلام ولم تبلغه الأفهام والأوهام .

(٤٦٦٧ – ٤٦٧٩) يوجه صدرجهان الحديث إلى عاشقه الذى فقد الوعى ، يحاول أن يعيده إلى وعيه ، إنه لم يقو على اللقاء تماما كأى إنسان لاقدرة له على إدراك معرفة الحق وأسرار الغيب ويتدخل مولانا فيقدم مثالا قريبا : إن وعينا وعقولنا أشبه بكن الطائر لا قدرة لها على استيعاب أسرار الحق ، وهذه عين الصورة التى قدمها فى ديوان شمس تبريز :

إن العقل طائر منزلى ، وهذا المنزل هو جسدك

وبعير جمال العشق ضخم سامق الرأس

وهذا الطائر لايحتمل كأس المليك الثقيل

فإن الرائحة التى تفوح منه تتلاعب بمائة عقل

(كليات ديوان شمس غزل ٢٩٣٧ ص ١٠٨٦)

إن هذه الناقة هى أسرار الحق ، ولا يستطيع أن يدركها إلا عقل كعقل النبى صالح –عليه السلام الواصل إلى الوجود المطلق ، ومن ثم فإن رجال الحق يدركون هذه الأسرار ، ومن ثم فعندما أطلت أسرار الوجود فى قلب صاحبنا وكيل صدرجهان ، دمرت كل وجوده ، إن هذا هو من فضول الإنسان ومن ظلمه وجهله عندما حمل الأمانة (الأمانة هنا هى الطموح إلى أسرار الغيب) إنها عناية

الحق التى تجعلنا فى طلب الزيادة بحيث تطمح إلى أسرار الغيب ومن هنا فهذا الإنسان ظلوم وجهول لأنه بقدرته المحدودة يطمح إلى ما هو غير محدود ، كأرنب يحاول أن يعانق أسدا ، ومن ثم فهو ظالم لنفسه (انظر الكهف / ٣٥) ، إنه يقتل نفسه فى طريق الحق ، وهو ظلم خير من ألف عدل ، مع أن هذا الجهل خير من علم أهل الظاهر ، إنه يمنحه الجرأة على البحث عن أسرار العالم .

(٤٦٨٠ - ٤٦٨٩) يريد مولانا أن يواصل قصة وكيل صدرجهان ، لكنه يواصل حديثه عن عالم خارج هذا العالم ، إن ما يتحدث عنه هنا هو العلاقة بين الخالق وبين العبد العاشق ، إن بيت الجسد هو الإنسان الفانى فى ذات الحق (انظر ٣٦٧١) الذى يحيا ببقاء الحق ولايبقى له وجود فردى وكل ما هو موجود هو البقاء المطلق للحق ، ذلك أنه يختلف عن الذى لم يسمح له باستيعاب الأسرار الإلهية ، وليس كالروح التى أصلها من حية أى الروح الواصلة الجديرة بوصال الحق ، إننى أساعده وأعينه ، أنفخ فيه من نفس الحى حتى ينفصل لبه «روحه» عن قشره «الحياة المادية الدنيوية» هذه الروح تصبح جزءا ميتا لا انفصال بينها وبين ذاتى ، أدعوها برفق وأخاطبها خطابا يختلف عن أساليب الخطاب فى الدنيا أداة وألفاظا وشكلا ومضمونا ، ذلك أن أساليب هذه الدنيا لا جذب لها لهذه الأسرار ، فهذه الأسرار أشبه بالورود والخضرة التى تنبت على ساحل جدول الغيب ، أو فى روح ذلك الذى يسير نحو حضرة الغيب ، ومن ثم تلزم لها أذن تختلف عن أذن الدنيا هى أذن الروح أو الأذن التى بلا أذن من أجل ذلك السر الذى لا تتخيله والذى هو متضمن فى الآية الشريفة (ويفعل الله ما يشاء) (سورة إبراهيم/٢٧) أى يفعل مالا تستطيع أنت أن تحدده أو أن تصل إلى مجرد توهمه وتصوره ، إنها أسرار الحق الخاصة والتى لا يمنحها سوى أوليائه .

(٤٦٩٠ – ٤٦٩٦) يعود مولانا إلى وكيل صدرجهان الذى تدب فيه الروح نتيجة لهذا الخطاب كما يتحول ذرات التراب من رياح الصبا إلى خضرة وورود ، وكالنطفة تتحول بأمر كن إلى إنسان حسن التقويم ، وتتوالد الطيور عن طريق انتقال بذرة وجودها عن طريق الرياح وفى هذا إشارة إلى اعتقاد القدماء بأن الريح هى التى تحمل نطفة الذكر من الطيور إلى الأنثى ، وورد فى نزهة القلوب لحمد الله مستوفى أنه إذا تشاجر ذكران من ذكر القطا تحمل منهما أنثى القطا وكان أرسطو يظن أن أنثى النسر تحمل من الريح (شرح نيكلسن ٢/١١٩) ، (استعلامى ٣/٤٢٤) ، كما أن الجبل بأمر الله يشكل ناقة (ناقة صالح) ، ولكن هذه الناقة تلد أيضا فصيلا ، إن أهل العدم أى أهل عالم المادة ينتج عالما ماديا ؛ والسبب هو العشق بالطبع .

(٤٦٩٧ – ٤٧٠٥) يخاطب العاشق وكيل صدرجهان معشوقه ، لكن أسلوب الخطاب يوحى بأن عبدا ينادى ربه مستغفرا لذنبه ، أو أن مريدا يخاطب شيخه معتذرا مازجا اعتذاره هذا بوجده الشديد . يخاطبه قائلا : أيتها الروح الواصلة إلى الحق ، ويأيها المرشد الكامل الذى تطوف حوله أرواح المريدين ، حمدا لله إنك عدت من غربتك وراء جبل قاف (جبل أسطورى وفى بعض الروايات جبلان يمسكان بأطراف العالم على أساس أن العالم منبسط وخلفه تعيش العنقاء وهى رمز فى التصوف للذات الإلهية وللمرشد الكامل) ، إنك كإسرافيل تنفخ فى الصور فإذا بالموتى قيام من قبورهم ، إنك أيضا – ياصدرجهان – تحيى محبك بأنفاسك

ياحقيقة العشق ويأيها العشق المحض ، ويا من يعشقك العشق نفسه ، إن أول ما أريده منك من هبة وتفضل (وتفضل المرشد أن يفهم حال المريد) ؛ هو أن تضع أذن السر على كوة قلبى هذا بالرغم من أنك تدرك هذا الحال إلا أننى أريد أن أتحدث ، أريد إن أبوح بما فى القلب ، فالبوح راحة ، ومجرد إحساسى بأنك تسمعنى وتصغى إلى بلسم للروح ، وكأن كلامى هذا هو الزيف بعينه لكنك تقبله كالنقد الصحيح ، وهذا الحكم هو ما يعتبر فتنة لروحى وكيانى .

(٤٧٠٦ - ٤٧١٤) وها هو ذا وكيل صدرجهان يبوح بأحواله فى زمن النفى وأوان الغربة (النفى عن الموطن أىّ محل الحبيب والغربة عن أهل الروح) فقد تخلصت من أسراك أيها الحبيب وفررت من أمامك فكأننى قد فقدت كل شئ ، وبحثت ولم أجد لك ندا أو قريبا ، وكأننى منذ فررت من أمامك قد خرجت من دينى ، وقلت ثالث ثلاثة وتجلى لى الإله الواحد ثلاثة كما تجلى للنصارى ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (المائدة/٧٣) ، وعندما احترق وجودى من فراقك فقد ضاع منى حساب كل شئ . إن كلامى هذا ما هو إلا مقدمة للبكاء ، فإن البكاء هو التعبير الوحيد إذ أستطيع أن أعبر به ، ومع ذلك فإننى فى حيرة أأبكى أم أشكرك على كريم عنايتك وتفضلك .

(٤٧١٥ - ٤٧٢١) عندما يحار المرء فى التعبير ينطلق فى البكاء ، لم يكن أحد يعرف لماذا يبكى ولماذا يضحك ولماذا يتحدث لقد اشتدت دهشتهم إذ كيف يبكى بعد أن وصل إلى الحبيب ؟ إن هذا اللقاء وهذه الضجة وهذا البكاء والوجد

الشديد ذكرت الناس بالقيامة ، وكان الفلك شارك في هذا الوجد ومزقت المجرة ثيابها وتفتت بددا .

(٤٧٢٢ - ٤٧٣٦) يترك مولانا سياق القصة ، ويحدثنا عن العشق أو بمعنى أدق يستمر في تأملاته عن موضوع العشق في تدفق شديد لا يكاد يجمع بينه خيط ، لقد نسي مولانا فيم يتحدث ونسي سياق القصة بحيث لا تبدو الأبيات تعليقا عليها بقدر ما تبدو نوعا من الوجد الشديد وغليان الألفاظ فالعشق شيء لا يشرح طبقا لمعايير هذه الحياة ولا بميزان عالم آخر ، إن كل إنسان مجنون بالعشق بشكل ما ، وكل أتباع «الاثنين والسبعين مذهبا» ، عاشقون ؛ والحقيقة أن مولانا هنا يقصد الثلاث والسبعين فرقة إشارة إلى الحديث النبوي «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة» ليس للعشق صلة بالمذاهب والآراء ، فهذا موضوع آخر ، إن الأولياء ورجال الحق أنفسهم حيارى في ماهية العشق وفي حسرة لعدم معرفتهم بالعشق على حقيقته ، إن ملة العشق منفصلة عن كل الأديان (انظر : الكتاب الثاني ١٨٣) إن كل ألوان العظمة الموجودة في هذا العالم لا قيمة لها إلى جوار عظمة العشق ، وكل ما هو موجود في هذه الدنيا وله مفهوم يمكن التعبير عنه بالألفاظ إنما هو مانع لإدراك حقيقة العشق ، وسواء كنت في خدمة الآخرين أو كان الآخرون في خدمتك ، فأنت من قبيل المشتغلين بالدنيا . فالعبودية قيد والسيادة صداع «وملوك الدنيا من سوء خلقهم لا يشمون شيئا من رائحة شراب العبودية وإلا دخلوا مثل إبراهيم بن أدهم وأنهوا بساط الملوكية» (أفلاكي ١/٣٥٣) إن العشق هو عالم الغيب وهو

بحر لاساحل له ، والعقل غير قادر على إدراكه بل تتحطم قدماه كلما اقترب منه، إن كل ما تحاول التعبير عنه هو حجاب ، وكل ما نقوله لا يعبر عن الحقيقة ، إن هذه أحوال لايعبر عنها الكلام ، واللفظ قاصر على الدوام عن التعبير عن الحقائق الغيبية . هذه اللغة التى تتعامل بها لغة أرضية تعارفنا من خلالها على مانعبر به عن أشياء هذه الأرض ، ومن ثم فإن كل ما يقوله عن العشق لا يرفع حجبا (انظر لغة التصوف من كتابى التصوف عند الفرس ص ٦٢ - ص ٦٤ دار المعرف ١٩٧٨) بل يضيف حجبا جديدة ، ولو كان الحقائق الوجود لسان لرفعت الحجب عن وجودها ولأدركنا أن موجودات هذه الدنيا لا حقيقة لها ، ولتحدث نفس هذا الوجود الصورى الدنيوى إلى الإنسان قائلا له : إن كل ما تتحدث به عن الحق لايفصح عنه بل يجعل معرفته أكثر صعوبة . وهل يعبر المقال وهو أرضى عن الحال وهو وارد غيبى ؟ إن الحال قد يوصل السالك لكن الأحوال والأقوال كلها تمنع إدراك الحقيقة ، لأن الحال فى حد ذاته هو تعبير عن بعض أعراض هذا العالم ، وهذا العالم نجس كالدم ، ولا معنى لغسل الدم أى النجس بالدم والتعبير مأخوذ من سنائى الغزنوى . إذن فما العمل ؟ ينبغى أن تمحو فى نفسك آثار كل هذا العالم حتى تتصل روحك بالروح المطلقة وتدركها ، وهذا هو ما فوق الأحوال والأقوال ، إننى وأنا الصفى لعشاقه والمأذون له بأسرارهم أجد نفسى كالنافخ فى القفص ، أقوم بعمل لا جدوى منه (انظر ٣٠٨٠) - وها أنت ذى أيتها الروح ثملة مضطربة تصلين الليل بالنهار .. فإياك أن تتحدثى بهذه الأسرار إلى من لا إذن لهم بها ، تحدثى إلى من أذن له ، وحذار .. إنك كالعاشق الثمل تبوحين بكل ما يعن لك . إن خطر سقوطك موجود (انظر ٤٥٤٢) . وربما ضللت ، إن الأسرار

عندما تأتى على اللسان ، تصاب السماء نفسها بالقلق خوفا من أن تقال لمن ليس بأهل وترفع يدها بالدعاء قائلة : ياجميل الستر ، لكن أى إخفاء ؟ وهل يخفى سر العشق ، إن سر الحق فى قلبنا كنار فى صوف وقطن فهل يمكن لهذه النار أن تختفى ؟ .

(٤٧٣٧ - ٤٧٥١) لا يزال مولانا غارقا فى الحديث عن العشق مع قناعته بأن هذا الحديث لن يوصل إلى نتيجة : ويمكن أن يكون الخطاب إلى الذات الإلهية ، أو الأسرار الإلهية ، أو الهائمين فى العشق الإلهى فيقول مولانا :

إننى أسعى فى إخفاء سر الحق أو سر العشق لكن لا أستطيع ، هذا أمر بالرغم من أنفى ، ويأيها السر بالرغم من أنك لم تبق خفيا ابتعد عن ذهنى ؛ إنك مثل الروح يحس الجميع بوجودك لكنهم لايدركون حقيقتك ، ويجيب السر على مولانا : لقد حبسنى وجودك المادى هذا .. ولولا وجودك المادى هذا لكنت سعيدا هانئا أغلى فرحا كخمر فى دن .. ويجيب مولانا : إننى مضطر لحبسك ، إن سكرى هذا سوف يؤدى بى إلى التلف ، امض عنى حتى لا يحل بى هذا التلف ، ويجيب السر : إن كنت لا تريد التلف فأشربنى من الكأس اللطيف ؛ أى تحدث عنى ببيان مناسب أو خذنى من أهل المعنى فهم لايصيبهم من تلف ، وإن لم تطرحنى أمام من ليسوا بأهل ، ووضعتنى حيث ينبغى وحيث يجب ، فأنا معك حتى تنتهى هذه الحياة المادية ، وحتى ان انتهت فسوف أظل معك ، وسوف أحتفظ لك بكأس أهل المعنى ، فإن العارف لا يحرم من سر الحق حتى بعد انتقاله من هذه الحياة الدنيا ، ومن هنا تسمى الخمر بالمدام ؛ لأنها دائمة ، ولأن من

يشرب من خمر الحق لا يرتوى أبدا ، إنه شراب التحقيق الذى يغلبه العشق ، وهو من أجل الصديقين ، والعشق هو الساقى ، وإن طلبت وكان التوفيق قرينا لطلبك فسوف تفهم أن الخمر هنا هى الماء (المعرفة) الذى يهب الروح الرشد ، وإن الجسد هو إبريق هذه الخمر ، وعندما يضيق بها الإبريق تسيل وتتفتت هذه الحياة الدنيا .. ويفنى الإنسان فى الحق (انظر:٣٦٧١) ، وعندما يفنى إبريق الجسد فلا كيانات متفرقة بأسماء الساقى والشارب والخمر ، ويقول أبو يزيد البسطامى : يصير العاشق والمعشوق والعشق واحدا ولا تسل : كيف يمكن هذا ، فهذا فى علم الله . إن النبيذ إنما تنعكس فيه أنوار العشق . إن غليان العشق هو الذى سقط فى الخمر (مقدمة الجزء الأول البيت ١٠) . إن كل متحرك يلزمه محرك ، وهذا أمر بَدَهِيّ وسل فيه ذلك الذى تحير فى عوالم العشق (مولانا نفسه) .

(٤٧٥٢ – ٤٧٦٥) بالرغم من أن مولانا كان فى سبيله إلى ختام الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى ، وبالرغم من أنه هو نفسه كان يشكو من أن خيط الحكايات ينقطع منه (والأمر لم يكن كذلك فى الحقيقة على ما فسرت آنفا) ، وبالرغم من أن حكاية وكيل صدرجهان لا تعد بعد من الحكايات المنهية ، فإن مولانا يدفع إلى الساحة بعاشق آخر كثير الامتحان ، ويرى زرين كوب أن القصة مأخوذة فيما يبدو حتى قصة قيس ولبنى وما دار بينهما من حوار (سرنى ٨١١/٢) والعشق هنا من نوع العشق المجازى الذى هو قنطرة إلى الحقيقة فالعاشق لا يجد طريقا إلى محبوبه ، بل إن كل الطرق تتحول طرقا مسدودة ، وكل ما يتوسل به لا يحقق شيئا ، إنه من نوع العشق الذى يبدو «دمويا » يهرب

منه كل من لم يكن خبيرا بعوالمه ، فالرسول إليها يتحول إلى مانع ، والخطاب الذى يقرؤه مصحفا بحيث لا تؤدى الكلمات المعانى المقصود منها وربما العكس منها ، والرقعة التى يحملها الطائر لا يصل بها إذ تحرقه حرارتها قبل أن يصل بها ، ولماذا هذا كله ؟ إنها غيرة الحق التى تتألم من توجه العبد إلى ما هو غير الحق وتسد أمامه الطرق لكى يكون عشقه كله موجها إلى الحق ، لقد كانت حياته كلها فى الانتظار ، وفى النهاية هزمه هذا الانتظار ، وبلغ مرحلة مابين العشق المجازى والعشق الحقيقى ، فعندما يفور جسده فهذا هو العشق المجازى ، وعندما تسكن روحه كانت عين الاتحاد بالمحبوب تغلى حارة وعندما يئس تماما من العشق المجازى ووطن نفسه على الاستغناء أطل منه عشق الحق ، وأسرعت إليه القدرة على الاستغناء ، لقد صار مثالا للعاشقين الحقيقيين ومرشدا لهم ، لقد خير العشق المادى ويستطيع أن يهدى من خلاله إلى العشق الحقيقى ، وأغلب الظن هنا أن مولانا جلال الدين يتحدث عن تجربة خاضها بنفسه .

(٤٧٦٦-٤٧٨٢) إياك إذن أن تغتر بظاهر الناس ، فرب إنسان لاينبئ ظاهره عن باطنه ، ومن قائل : إنه لا دخل لهذه الأبيات بقضية العشق (استعلامى ٤٢٨/٣) ، لكن الحقيقة هنا مرتبطة بأن كل إنسان عاشق فى مرتبة وكيل صدرجهان ، فرب امرئ حمل فى صدره الكثير من الأسرار ولا يستطيع أن يبوح بها لأنه لا يجد من هو أهل لها (انظر ٤٧٣٣) ومن ثم فهو عابس لأنه لايستطيع أن يبوح بهذه الأسرار ، وهناك أناس يموتون ويحملون معهم هذه الأسرار ، وربما إن سرنا بين القبور تكشف لنا بعض هذه الأسرار ، وتكشف لنا كيف كانوا يسيرون فى عالم الغيب ، وإن هذا الاختلاف ليذكر باختلاف الأحياء ألست

ترى صورهم الجسدية واحدة ، وحالاتهم النفسية مختلفة ، فكيف تعلم أحوالهم مالم تسمع أقوالهم ؟ إنك تسمع منهم صيحات الوجد ، لكنك لا تدرى أن أحوالهم الباطنة شديدة التعقيد ، وإذا كانت الصورة تختلف والأصوات أيضا تختلف والحركات أيضا تختلف وإن تشابهت فى صورها ، إن صهيل الجياد فى المعمعة ، وصوت خفقان الطائر فى الفضاء ، كلاهما من قبيل الأصوات لكنهما لا يحملان معنى واحدا ، وهذه الشجرة تهتز لكن من ضربات الفأس «ألما» وتلك تهتز من نسيم السحر «طربا» ، وكثيرا ما خدعت الظواهر فهى كقدر مغطى لا تدرى ما يغلى بداخله ، وكثيرا ما تدفعنا أسرار الموجودات فى الخطأ ، ومن الممكن أن يدعونا الطيب والشرير إليه ، وإن لم تصل نفسك إلى مرتبة الوعى والتمييز ، فاستمد العون من إنسان يستطيع أن يستدل على ما يغلى فى القدر عن طريق الشم «المرشد» ، وإن لم تصدق أن حاسة الشم تؤثر ، فاقرأ كيف رد بصر يعقوب – عليه السلام – إليه عندما شم قميص يوسف – عليه السلام – ، وإياك أن تظن أنها حاسة الشم الأرضية ، إنها رائحة روضة الغيب ، وفى البيت التالى ينبه مولانا إلى أنه لم يكمل بعد قصة البخارى (ولم يكملها حتى نهاية الكتاب الثالث) .

(٤٧٨٣ – ٤٧٩٨) الآية الكريمة المذكورة فى العنوان من سورة الزلزلة (آية ٧) والمثل معروف وورد فى المثنوى مرارا . عاد مولانا إلى قصة العاشق البخارى فتحدث عنها فى بيت واحد ، لقد ظل يبحث سبع سنوات بحيث صار كالخيال ، وظل الله يكون فوق رأس العبد وعنايته تحوطه طالما هو فى مرحلة سعى وفى مرحلة بحث ، ويواصل مولانا الحديث عن هذه الفكرة تاركا حكاية البخارى ويشير إلى الحديث النبوى الشريف «مادمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن

يقـرع باب الملك يفـتح له» (اسـتـعـلامـى) . وأورد يوسـف بن أحـمـد صـيغـة أخـرى للـحديث هـى «من قرع بابا ولَجَّ ولج» (٣/٦٠٩) . ومعـروف عند الجمـيع أن سـعى العبـد فى طريق الحق ليس بلا ثمـر وإن لم تقبل هذا ، ومن الممكن أن يـحدث ذلك نادرا (لكن النادر كالمعـدوم) ، وغالبا مـا يسـتند الإنسـان على هذه الأحوال النادرة إن لم يكن مشـمولا بالعناية الإلهيـة ، ويقولـون إن العبـادة بلا نتيجـة استنادا على زاهد بنى إسـرائيل بلعم بن باعـوراء الذى أضله الله علـى علم فادعى النبوة أمـام موسى – عليه السلام – (انظر الأعراف / ١١٥) . وإبليس الذى عبد الله ألف سنة وفى النهـاية عـصـى ، ألا يرى هذا المنكـر إلا هذين المثلين مع وجـود آلاف الأمـثلة التى ترد عـلى رأية هذا من الأنبـيـاء والأولياء .. ولـم يقع المسكين إلا عـلى هـذين المثلين من حمقه وإدباره وبعده عن العناية الإلهية .

(٤٧٠٩ – ٤٨٠٥) لقد ترك هذا المدبر الدنيا المليئة بشـموس التقـوى والمغفرة والنور وأقـمار العـرفان والوصـول ، ونظر إلى حـيث لا توجد هـذه المظاهر للعناية الإلهـيـة ، وتسـاءل أين النور ؟ ارفع رأسك تجـد النور فـالذى حـجـبك أنك لا تطلب النور من حـيث يطلب ، اترك بئر الحـياة الـدنيوية والاهـتمام بالـمـادة وامض إلى الإيوان والكروم إلـى حيث توجد الإفاضـات الربانية ، وإياك والجدل «اللج شـوم» ، ولا تعتبر الأمـور النادرة قاعدة عامة فالذى عمل نال نتيجة عمله وأنفك راغم .

(٤٨٠٦ – ٤٨١٣) يعود مولانا إلى قصة العاشق كـثير الامتحان ، لقد وصل إلى مـحبوبه فى ظروف لا توصل أبدا إلى مـحبوب ، لقد فـر ذات ليلة من العسـس ووقع على بستان فوجد مـحبوبه كالشمع والمصباح ، فانطلق شـاكرا الله سبحانه

وتعالى على أنه يسبب الأسباب من حيث لا تطلب ولقنه درسا على ألا يحتقر أى شئ مهما كان تافها ، وأنه هو الذى يجبر الكسير فيخلق جناحا يحلق به الإنسان بدلا من القدم الكسيرة ، ويفتح بابا للملك من قاع الجب ، فإياك أن تنظر إلى مظاهر الأسباب بل انظر إلى المسبب الذى يخلق سببا من حيث لا تعلم أنه سبب ، فبيده مفتاح الطريق (بيدك الخير إنك على كل شئ قدير) (آل عمران /٢٦) وينهى مولانا الكتاب الثالث طالبا من الذى يريد بقية الحكاية أن يلتمسها من الكتاب الرابع .

(تم الكتاب الثالث بحمد الله تعالى ويليه الكتاب الرابع بإذنه تعالى)

الفهرس

الموضـــــــوع : الصفحة

الفهرس

الموضـــــوع: الصفحة

الفهرس

الفهرس

الموضـــــــــوع: | الصفحة

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الموضـــــــوع: الصفحة

الفهرس

الموضـــــــــوع: الصفحة

الفهرس

الموضوع:	الصفحة

الفهرس

الموضوع :	الصفحة

١

الفهرس

الفهرس

الموضـــــــــوع: الصفحة

الفهرس

الموضـــــــوع: الصفحة

الفهرس

الموضـــــــوع:	الصفحة
أمر سليمان عليه السلام البعوضة المتظلمة بإحضار الخصم	٣٩٦
ملاطفة المعشوق للعاشق الغائب عن الوعى	٣٩٨
عودة العاشق المغمى عليه إلى وعيه	٤٠٠
حكاية عاشق طويل الهجران وكثير الامتحان	٤٠٤
إيجاد العاشق المعشوق	٤٠٧
شروح وتعليقات	٤١١

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
رقم الإيداع ١٩٩٧/٣٧١٩٣
الترقيم الدلى (I.S.B.N 977-235-845-X)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٣٧١٩٣ س ١٩٩٧ - ٣٠١٦